



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لِيُحْيُوا الْأَمْمَاتِ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَالْآخِرِينَ

عَلَيْهِمُ الْمَعْصُومِينَ

بِأَيِّ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
وَالْتَعَلُّوْا بِهِمْ

الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

إِسْدَارُ الْمَدِينَةِ ٥٩

إِسْدَارُ الشَّجَرَةِ ٧٥



الجمهورية الإسلامية الإيرانية
مجلس الشورى الإسلامي
شعبة المحرمات والأحكام

عِلْمٌ وَصَوْمٌ بَيْنَ الْحَرَمِ وَالتَّعْلِيقِ

الطبعة الأولى: 1403 هـ
الطبعة الثانية: 1404 هـ

- مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
- رقم تصنيف LC : BP223.34 .H54 2018
- المؤلف الشخصي : الحلبي، باسم – مؤلف.
- العنوان : علم المعصوم بين الحتم والتعليق /
- بيان المسؤولية : تأليف الشيخ باسم الحلبي.
- بيانات الطبع : الطبعة الاولى.
- بيانات النشر : كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الدينية، شعبة البحوث والدراسات، ٢٠١٨ / ١٤٤٠ للهجرة.
- الوصف المادي : ٧٤٤ صفحة ؛ ٢٤ سم.
- سلسلة النشر : (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٥٦٩).
- سلسلة النشر : (شعبة البحوث والدراسات ؛ ٧٥).
- تبصرة ببليوغرافية : يتضمن ارجاعات ببليوغرافية.
- موضوع شخصي : محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الاسلام، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ هجرية - فضائل - احاديث.
- مصطلح موضوعي : الاربعة عشر معصوم (عليهم السلام) - فضائل - احاديث.
- مصطلح موضوعي : الاربعة عشر معصوم (عليهم السلام) - علم.
- مصطلح موضوعي : علم الامام - احاديث.
- مصطلح موضوعي : علم الامام - فلسفة اسلامية.
- مصطلح موضوعي : روح القدس - فلسفة اسلامية.
- مصطلح موضوعي : روح القدس - احاديث.
- اسم هيئة اضافي : العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الدينية. شعبة البحوث والدراسات - جهة مصدرة.
- تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة
- التصميم والإخراج والفني: علي جبار

الإهداء ..

اللهم إن كان في هذه البضاعة المزجاة خيراً ترضاه ..
أسألك بحق محمد وآل محمد أن تجعله ذخراً وثوباً ..
لكل من أحب محمداً وآل محمد من أهل الأرض ..
لكل من حزن لحزنهم وفرح لفرحهم ..
أمواتاً وأحياءً ..
سيما من لم يذكرهم ذاكراً ..



مقدمة

قضى الله سبحانه وتعالى أن يرحم العباد ، بقسمين من العلم أفاضه عليهم:

الأول : العلم المحتوم ، وهو : العلم بما لا بدّ من تحققه ووقوعه .

كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ والمتيقّن من الورود المرور من على السراط ، وهو الحد العلوي للنار إلى الجنة ؛ ضرورة أنّه لا يجيئ فيها إلا الظالمون والعياذ بالله .

والثاني : العلم المعلق ، وهو : المشروط بالمشيئة ، أو البداء ، ما شئت فعبّر .

وهو مطوي في قوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ضرورة أنّ ﴿ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ ولا يشاء إلا الخير والفضل واللطف والرحمة .

ويجب أن يعلم أنّ حقيقة هذا العلم تدور على كونه مشروطاً بزيادة الخير أو رفع العذاب ، وهي رحمة إضافية من الله تعالى على عباده ؛ كما في قوله تعالى : : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ وكما شاء سبحانه في قوم يونس : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ..

نتساءل ، هل علم المعصوم ، نبيّاً كان كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، أم وصيّاً كيوشع بن نون والخضر وأصف ، أم ملكاً من المقرّبين كجبرائيل وعزرائيل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام ، محتوم ، أم معلق ، أم مجموعٌ منها؟! .

ثمة عويصات في مسألة علم المعصوم صلوات الله عليه تودي بغير المحيط بقواعد المعقول علاوة على آيات القرآن وأخبار أهل البيت عليهم السلام إلى الخلط والتخبّط ، بل ربما الهاوية والضلال .

فيستّضح أن الإحاطة العلميّة المنتجة ، تلك المبنية على قواعد المنقول والمعقول ، كفيلاً بإماطة اللثام عن كثيرٍ من المغلقات العقديّة التي حارت فيها كثير من الأوهام ، سيما أوهام المبتدئين والعوام ..

من قبيل قضية النبيّ يونس عليه السلام مع قومه ؛ إذ العذاب نزل إليهم ليأخذهم بما كفروا وجحدوا ، ولقد أخبرهم يونس صلوات الله عليه بهذا ، من دون أن يصدر عنه صلوات الله عليه أدنى خطأ ، ومع ذلك عاتبه الله تعالى ، لماذا؟!!!!

الإنصاف لم نجد أحداً أجاب عن هذا ، إجابة تشفي الغليل ، إلا دعوى ترك الأولى بلا برهان أو دليل .

ومن ذلك قضية النبي داود صلوات الله عليه ، فهو لم يخطيء في حكمه على الخصمين اللذين تسورا المحراب إطلاقاً ؛ لأنّ الله تعالى آتاه ﴿ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ ﴾ وهي عصمة تكوينيّة قلباً وقولاً وفعلاً ، لكن مع ذلك قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ فما معنى هذا ، مع أنّه معصومٌ قطعاً وجزماً يقيناً؟!!!! .

ومن ذلك ، علم المعصوم بساعة موته ومنيته ؛ فهل يعلم المعصوم صلوات الله عليه متى يموت؟! .

ففي هذه المسألة -بداً- طائفتان من الأخبار الثابتة ، بل القطعيّة ، تصرّح الأولى أنّ المعصوم عالمٌ بما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، وفي المقابل تصرّح الثانية أنّ العلم بهذه الأمور بيد الله الذي أحاط بكلّ شيءٍ علماً ، لا ينوء بها المخلوق وإن كان معصوماً ؛ فأبى الطائفتين يقدم .

ومن ذلك مسألة الفرج ؛ أي مسألة خروج المهدي صلوات الله عليه ؛ فهل يعلم الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه ، متى وأين يجب عليه الخروج؛ ليملاها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً؟!..

في هذا أيضاً طائفتان من الأخبار القطعية؛ كالتائفتين السابقتين !!

قس على ذلك عشرات القضايا التي يعدها كثير من علماء الأمة من العويص المغلق حتى يومنا هذا؛ من قبيل علم المعصوم بوقت الساعة أو يوم القيامة ما شئت فعبر، أو علم المعصوم بخواتيم كل العباد فرداً فرداً، شقاوة وسعادة وما شاكل ذلك !!

لهذا وغيره صنّفنا هذه الدراسة المتواضعة في عشرة فصول؛ إذ لا يجوز شرعاً البتّ في هذه الأمور الجليلة الخطيرة من دون أصل شرعي واضح، وبرهان قطعي صادق.

باسم الحلي

العتبة الحسينية، قسم الشؤون الدينية

٢٠١٨/١١/٢٧ م

تنبيهات رجالية

قبل الشروع في مطالب هذا الكتاب ، ثمة تنبيهات يلزم التنبيه لها كالآتي :

التنبيه الأول : ليس كل ضعيف الإسناد متروك

قلنا : اتفق علماء النقد ، من الفريقين سنة وشيعة ، أن الحديث المروي عن المعصوم عليه السلام بإسناد ضعيف ، على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما كان راويه كذاباً ، أو صاحب بدعة شنيعة ، وهذا مع التفرد ساقط واه ، لا حجية فيه إجماعاً .

القسم الثاني : ما كان راويه ضعيفاً ، غير مطعون بالكذب والبدعة الشنيعة ؛ فهذا إن شهدت له القرينة ، من عقل ، أو أجماع ، أو شهرة معتبرة ، فخبره حجة للقرينة ، وإلا فلا حجية فيما يروي الضعيف إجماعاً .

القسم الثالث : ما كان روايه ضعيفاً ، غير مطعون بالكذب والبدعة الشنيعة ، لكن لما روى شواهد ضعيفة ، رواها غيره من الضعفاء غير المطعونين بالكذب .

فهذا الخبر ينظر إلى كثرة طرقه الضعيفة ؛ فإن حققت هذه الكثرة الاطمئنان بالصدور ، فالخبر حجة ، وإلا فلا ، باتفاق علماء النقد من الفريقين سنة وشيعة .

قال السيد الخوئي رضي الله عنه ، في الروايات المادحة للحبر ابن عباس : نحن وإن لم نظفر برواية صحيحة مادحة ، وجميع ما رأيناه من الروايات في إسنادها ضعف ، إلا أن استفاضتها أعتننا عن النظر في إسنادها ، فمن المطمأن به صدور بعض هذه الروايات عن المعصومين إجمالاً^(١) .

قلت : قوله الشريف رضي الله عنه ، صريح في القسم الثالث .

قال السخاوي (٩٠٢هـ) في فتح المغيث : وقد قال النووي في بعض الأحاديث : وهذه وإن كانت أسانيد مفرداتها ضعيفة، فمجموعها يقوي بعضه بعضاً، ويصير الحديث حسناً ويحتج به. اهـ. وسبقه البيهقي في تقوية الحديث بكثرة الطرق الضعيفة^(١).

وقال ابن تيمية (٧٢٨هـ): قد يكون الرجل عندهم ضعيفاً؛ لكثرة الغلط في حديثه، فيزَوونَ عنه لأجل الاعتبار به، فإن تعدد الطرق وكثرتها، يقوى بعضها بعضاً، حتى قد يحصل العلم بها^(٢).

الحاصل : نحن لا نحتج بالأخبار ضعيفة الإسناد إطلاقاً، إلا إذا تكثرت طرقها، أو انجبرت بقرائن القبول كالشهرة القوية ونحوها، إلى ما يوجب الاطمئنان بصدورها، وعلى هذا في الجملة، علماء الفريقين سنة وشيعة، فاحفظ.

فكلّ خبرٍ سردناه في هذا الكتاب، لا يخرج عن هذا الأصل الأصيل؛ فيما هو معتضد بقريظة قبول، أو معتبر بكثرة الطرق.

كما ننبّه أن مدار حجّية أخبار أهل العصمة عليهم السلام، ليس صحّة الإسناد، أو الانجبار فقط، وإنّما عدم منافاة ما استقل به العقل، أو ما ثبت في النقل.

(١) فتح المغيث، شرح الفية الحديث (ت: علي حسين) ١: ٩٤. مكتبة السنّة، مصر.

(٢) مجموع الفتاوى (ت: عبد الرحمن قاسم) ١٨: ٢٦. مجمع الملك، فهد.

التنبيه الثاني : اعتماد ما رواه الكليني عن الحريشي

في باب تفسير ليلة القدر بخصوصه ، لا مطلقاً .

قلت : الحريشي مختلف فيه ، روى عنه القمي في تفسيره ، وهو توثيق عام ، كما أنه من مشايخ أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ، الذي لا يروي إلا عن ثقة ، كما قد ترجم له الشيخ الطوسي ؛ كونه من أصحاب الكتب دون طعن .

إلا أنّ النجاشي رضوان الله تعالى عليه ، ضعفه في كتاب الرجال ؛ حيث ذكر أنه ضعيف ، وأنّ له كتاباً مضطرباً رديء الألفاظ .

قلت : لو سلّمنا ضعف العباس الحريشي ، وفي التسليم نظر شديد ؛ لاحتمال الحدس فيما قال النجاشي رضي الله عنه ؛ فإنّ ما أخرجه الكليني رضي الله عنه عن الحريشي في باب تفسير ليلة القدر بخصوصه ، معتمد ؛ لعدّة قرائن :

الأولى : قال شيخ مشايخ الطائفة الكليني رضي الله عنه : (باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها) مع أنّه رضي الله عنه لم يخرج في هذا الباب إلاّ تسعة أحاديث ، تفردّ بكلّها الحريشي .

الثاني : عناوين أبواب الكليني رضي الله عنه ، فتاوى .

الثالث : استبعاد خطأ الكليني في قوله : الآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام ، مع اعتماده الواضح على ما تفردّ به الحريشي في الباب أعلاه .

الرابع : اعتماد جلّ أصحابنا علاوة على الكليني رضي الله عنهم ، اعتماداً إجمالياً على كلّ ما أخرجه الكليني عن الحريشي في هذا الباب ، لم أجد مخالفاً .

الخامس : لجّل ما رواه الحريشي ، فيما نحن فيه ، شواهد صحيحة عن أهل البيت عليهم السلام ، رواها البرقي والصفار والصدوق وغيرهم رضي الله عنهم .

إذا اتّضح هذا ؛ فالأخبار التي سنسردها في هذا الكتاب عن الحريشي ، تلك التي أدرجها الكليني تحت الباب أعلاه ، معتمدة لمجموع القرائن أعلاه ، فانتبه .

مع التنبيه أنّ الاعتماد والاحتجاج أعمّ من الوثاقة ؛ فلا يستفاد من هذا أنّ الكليني رضي الله عنه ، قائلٌ بوثاقة العباس بن الحريش ، لا يجزأ على هذه الدعوى إلاّ مستروح لا يحكم قواعد النقد كما يجب .

وفي هذا جواب لمسألة احتجاج أصحابنا رضوان الله عليهم بكثير من الأخبار ، ضعيفة الإسناد من أيام المفيد إلى يومنا هذا ، مع أنّ الضرورة قائمة علاوة على الإجماع ، أنّ ضعيف الإسناد ليس بحجّة !!

فجواب هذا مطوي في القرائن ؛ فثمة فرق بين ضعيف الإسناد إذا عري عن القرينة ، وبين ضعيف الإسناد إذا شهدت له القرينة .

وبالجملة : فكّل الأخبار ضعيفة الإسناد ، تلك التي احتج به أصحابنا رضي الله عنهم ، غير عارية عن القرينة في الجملة ..

من أهم القرائن ما ذكرناه في التنبيه الأوّل ، وهو عدم خلاف أهل القبلة ، على الاحتجاج بالخبر ضعيف الإسناد إذا تكثرت طرقه .

ومن القرائن أيضاً اعتضاده بالشهرة العظيمة ، ومقبوليّته ، وشهادة العمومات الفوقانيّة الثابتة له وغير ذلك .

التنبيه الثالث : التوثيق المطلق والمشروط

بنينا على وثاقة كل من وثقه ابن قولويه في كامله ، والقمي في تفسيره رضي الله عنهما ، كما قد بنينا على صحّة ما صحّ عن أصحاب الإجماع رضي الله عنهم في الطبقات الثلاث ، وأيضاً بنينا على وثاقة كل من ترصّى عنه الصدوق رضي الله عنه .

وبنينا على وثاقة مثل محمد بن سنان وسهل بن زياد وأضرابهما من المختلف فيهم ؛ لكن يجب التنبيه ؛ دفعاً للاغترار بالجهل أنّ الاعتماد على هؤلاء ، مشروط بشرطين :

الأوّل : أن لا ينافي ما رواه من استظهرنا وثاقته بالتوثيق العام ، أو بالترجيح كمحمد بن سنان رحمه الله ، ما رواه الثقة بالتوثيق الخاص ، أو المجمع على وثاقته ، كالفضل بن شاذان رضوان الله تعالى عليه ، والمتعين في مثل هذه الصورة الأخذ بما رواه الفضل وترك الآخر ؛ أخذاً بالمتيقن وترك المحتمل ، وهذا معلوم ضرورةً .

الثاني : أن لا ينافي أصول المذهب القطعية ، ولا الشهرة العظيمة الاطمئنانية ، التي عليها أهل الطائفة المرخومة أنار الله برهانهم من زمان المفيد رضي الله عنه إلى يومنا هذا ؛ ففي هذه الصورة يطرح الخبر ؛ فلا يعتمد في شيء من دين الله تعالى ، غاية الأمر نرجى علمه إلى عالمه منهم عليهم السلام ؛ فهم أعلم بصدق الخبر من كذبه .

ولطالما ظنّ غير واحد ، أنّ مثل المفيد ، أو الشيخ الطوسي ، أو العلامة رضي الله عنهم ، قد اضطرب في محمد بن سنان على سبيل المثال ، فمرّة يؤثقه ومرّة يضعّفه ..

ويجاء عن هذا بما ذكرناه ؛ فوثاقة مثل محمد بن سنان وأمثاله مشروطة بالشرطين الآنفين ؛ فإن لم يوف محمد بن سنان بهما فهو في خصوص هذا الفرض ضعيف ليس بحجة ، وإلّا فحجّة ، وقس على ذلك ، فلا تنافي ولا اضطراب إطلاقاً .

الفصل الأوّل

الوحي وإشكالية تباين العوالم

الإشكالية الأولى

امتناع إحاطة العالم الأدنى بالأعلى

العوالم - فيما يخص موضوعنا- على قسمين :

الأول : عالم الدنيا .

هو عالم الملك ، وحقيقة هذا العالم هي : الموت والعدم والفناء والهلاك ؛ إذ لا خلاف في كونه فانياً ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَيَّتَمَّا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ﴾ ولقوله سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ وللمتيقن من قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ أي أن كل شيء دنيوي هالك ، ضرورة أن عالم الدنيا في المآل، عين الفناء ، دون سواه من العوالم.

وبعبارة موجزة : عالم الدنيا -في المآل- عين الموت والفناء .

الثاني : عالم الملكوت.

هو -فيما قضى الله تعالى- عالم البقاء الذي لا عدم فيه ولا فناء ؛ لقوله تعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ ولقوله سبحانه : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ " وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ أي : عالم الحياة الأبدية المنزه عن الفناء ، والجنة أجلى مصداق للملكوت ، و: ﴿ الْحَيَوَانُ ﴾ مبالغة من الحياة ، كالرحمن من لفظ الرحيم .

عالم الملكوت ، وما فوقه ، هو وجه الله في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ويتعين تأويل الوجه بعالم الملكوت وما فوقه ؛ لخلوده وبقائه ؛ إذ لا يفنى ويهلك غير عالم الدنيا فيما هو معلوم ضرورة.

بلا تطويل : عالم الدنيا : عالم الموت والفناء ، وعالم الملكوت : عالم الحياة والبقاء.

قوله سبحانه: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(١) صريحٌ في عالمين :

الأول : عالم الدنيا ، وهو عالم الفناء وهو عالمٌ : ﴿يَنْفَدُ﴾ .

الثاني : عالم الآخرة ﴿=عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ و : ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ وهو عالم الملكوت والبقاء ، والملائكة من هذا العالم فيها هو معلوم ضرورة ؛ فقوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾^(٢) هم الملائكة بإجماع أهل القبلية المركب .

عالم الملكوت يبتدىء من حيث ينتهي عالم الدنيا ؛ والموت الدنيوي الذي تدور حقيقته مدار الفناء ، أول مراحل الانتقال من عالم الدنيا إلى عالم الملكوت ؛ فلا انكشاف تاماً على العالم الثاني إلا بعد ترك الأول ، ولا يحصل هذا عادةً إلا بالموت الدنيوي : ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٣) والآية بمعونة ما قبلها ، ظاهرة أن الانكشاف التام على عالم الملكوت ، لا يحصل إلا بعد الموت ، أو فناء الدنيا برمتها .

حاصل الإشكالية : جبرائيل من عالم الملكوت ، وهذا العالم عين الفعلية والحياة والبقاء ، والنبى كما هو صريح القرآن ، بشرٌ مقيدٌ في الدنيا بزنانة الموت والفناء ؛ وافترض اجتماع العالمين محال ، وإلا لزم انقلاب النبى ، بقيد الدنيوية ، ملكوتياً ، أو انقلاب جبرائيل بوصف ملكوتيته دنيوياً ، وكلاهما محال .

فكيف اطّلع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وهم بشرٌ في عالم الفناء ، على عالم البقاء والوحي والملكوت ، مع أنّهما عالمان متباينان تباين الفناء والبقاء؟! .

(١) سورة التوبة : ٢٢ .

(٢) سورة الأعراف : ٢٠٦ .

(٣) سورة مريم : ١٧-٢٠ .

كيف قدر إبراهيم عليه السلام على رؤية عالم الملكوت في قوله تعالى : ﴿ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾^(١) وهو في الدنيا بشرٌ ﴿ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ مقيد بعدم البقاء ، محبوسٌ في زناينة الفناء؟! .

أي قدرة عند مريم صلوات الله عليها وهي في الدنيا ؛ لتحاور جبرائيل رأساً برأس صلوات الله عليها في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾^(٢) .

ما هي خصائص النبي موسى التكوينية التي نال بها شرف : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(٣) صلوات الله عليه ليتجرد تماماً عن عالم الفناء إلى عالم القدس .

ما هي خصائص عيسى التكوينية ليجزم قائلاً صلوات الله عليه : ﴿ أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾^(٤) مع أنّ هذه الأفعال ملكوتية قدسية ، يعجز عنها كلٌّ من كان محبوساً في زناينة الدنيا والفناء ، عاجزاً ألبدياً دون استثناء .

بأي تكوينٍ مقدّس ، أحاط سيدنا الصبيّ الحضور يحيى عليه السلام ، وهو مجرد صبي ، بكلّ أحكام الملكوت وقاطبة علوم اللوح المحفوظ : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾^(٥)؟! .

(١) سورة الأنعام : ٧٥ .

(٢) سورة مريم : ١٧ - ٢٠ .

(٣) سورة النساء : ١٦٤ .

(٤) سورة آل عمران : ٤٩ .

(٥) سورة مريم : ١٢ .

وأخيراً بل آخرأ ، بأي خصائص تكوينية ارتقى سيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله ليكون كما قال الله تعالى : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿^{١١} ليعلو قدساً على جميع الكائنات ، مع كونه محبوباً في زانزانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ و : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .

زبدة الإشكال : العالمان متباينان تماماً ، تباين الوجود والعدم ، النقص والكمال .

الأول : هالك فان ، عين العدم والنقص والفقدان .

والثاني : خالد باق ، عين الفعلية والكمال والوجدان .

لا يمكن انكشاف الثاني -بقيد ملكوته- ، للأول -بقيد دنويته- للمحال ؛ وهو : إحاطة الدنيوي ، المقيد بالعدم والنقص والفناء ، بالملكوتي المطلق غير المقيد بالعدم والفناء ، واستحالته بديهية .

والبديهي هو أن التقييد بالفناء نقص وجودي ، وعدم التقييد كمال ، وإحاطة النقص بالكمال محال ؛ لذلك لا يرى أهل الدنيا أهل الآخرة استقلالاً ، وقد يحدث ببركة النبي كونه واسطة فيض ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ لاستحالة نزول السكينة على أحد من دون واسطة المعصوم عليه السلام .

وكذا التأيد بالجنود من الملائكة ؛ كقول النبي صلى الله عليه وآله : ﴿ ... لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنُ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴾ .

إشكالية موت الملائكة!!

ولا يقال : إنّ جبرائيل وملائكة السماء أيضاً يموتون ، كما ورد في صحيح يعقوب الأحمري عن الصادق عليه السلام!!

قلنا : لو سلمنا ذلك ، فإنّ موت الملائكة لا فناء فيه ولا فقدان ؛ غاية ما فيه انتقال أرواحهم المقدّسة من عالم التدبير إلى عالم أشرف منه ؛ أي من الكمال إلى الأكمل ، بخلاف موت أهل الدنيا المقيد بالنقص والعدم والفناء والتلاشي والهلاك .

فالموت : وإن كان انتقالاً من دار إلى دارٍ أشرف ، إلا أنّ موت الملائكة ملكوتي ؛ لا فقدان فيه ولا عدم ولا فناء ، بخلاف موت البشر الدنيوي ؛ ضرورة أنّه عين العدم والفقدان والفناء .

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيوب ، عن أبي المغراء قال : حدثني يعقوب الأحمري قال : دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام نمرزيه بإسماعيل ، فترحم عليه ثم قال : «إنّ الله عز وجل نعى إلى نبيه صلى الله عليه وآله نفسه ، فقال : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وقال : ﴿كلّ نفس ذائقة الموت﴾ ثمّ أنشأ يحدث فقال : «إنّه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد ، ثمّ يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلاّ ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل عليهم السلام» .

قال عليه السلام : «فيجيء ملك الموت عليه السلام ، حتى يقوم بين يدي الله عز وجل فيقال له : من بقي؟! وهو سبحانه أعلم» .

فيقول عزرائيل : يا رب ، لم يبق إلاّ ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل عليهم السلام» .

فيقال له : قل لجبرئيل وميكائيل فليموتا ، فتقول الملائكة عند ذلك : يا رب رسوليك وأمّينيك؟! .

فيقول سبحانه : «إني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت . ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقال له: من بقي؟! وهو أعلم.

فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحمله العرش . فيقول قل لحملة العرش فليموتوا. قال: ثم يجيء كئيباً حزيناً ، لا يرفع طرفه ، فيقال : من بقي؟! . فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت. فيقال له : مت يا ملك الموت ، فموت».

ثم يأخذ الأرض بيمينه والسموات بيمينه ويقول : أين الذين كانوا يدعون معي شريكاً ، أين الذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر^(١)؟! .

قلت : إسناده صحيح دون كلام.

وروى أهل السنّة ، كالطبري في تفسيره وغيره في غيره ، نحو ذلك عن أنس بن مالك وأبي هريرة بأسانيد ضعيفة ، ولعله فيما يقال لا يضرّ ؛ لفتوى أكثر قدماء ومتأخري أهل السنّة بمضامينها ، بل ذكر المناوي (١٠٣١هـ) الإجماع على ذلك قال : وأما الملائكة فيموتون بالنص والإجماع^(٢).

وربما قيل : لا نسلم موت الملائكة وبقية أهل الملكوت ؛ كالحور العين والغلمان المخلدين وزبانية جهنّم ؛ للزوم تكذيب القرآن ، الصريح بخلود الجنة وما فيها ؛ أي لا يعرض عليها وعلى ما فيها ، عدم وفقدان!!

والجواب عنه واضح ؛ ضرورة أنّ الموت الملكوتي ؛ كموت الحور العين والملائكة وقاطبة أهل الملكوت لو سلمناه ، لا فناء فيه ، لا يعرض عليه العدم ؛ غاية ما فيه الانتقال إلى وجود أشرف وعالم أكمل من دون فناء ، ولا مانع منه ، وربما قيل باستثناء الحور العين والغلمان والزبانية من الموت ، ولا مانع منه أيضاً ، ولا يسعنا البسط في هذا الآن .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٣: ٢٥٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

(٢) فيض القدير ٣: ٤٢٣ . رقم : ٣٨٥٤ . المكتبة التجارية الكبرى ، مصر.

مثال لعدم فناء الملكوتي

نذكر للتوضيح فقط ، أنّ قاطبة أهل القبلة ، سنّة وشيعة وغيرهم ، رووا واللفظ للبخاري قال : حدثنا الصلت بن محمد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن الجعد أبي عثمان ، عن أنس أنّ أمّ سليم أمّه ، عمدت الى مدّ من شعير جشته (=طحنته) وجعلت منه خفيفة^(١) ، ثمّ بعثتني إلى النبي ، فأتيته وهو في أصحابه فدعوته ، قال : «ومن معي»؟! . فخرج إليه أبو طلحة ، قال : يا رسول الله ، إنّها هو شيء صنعته أم سليم ، فدخل فجيء به ، وقال : «أدخل علي عشرة» فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قال : «أدخل علي عشرة» فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قال : «أدخل عليّ عشرة» حتى عد أربعين ، ثم أكل النبي ، ثم قام ، فجعلت أنظر ، هل نقص منها شيء؟!؟! .

وأخرجه مسلم بلفظ : فما زال يدخل عشرة ، ويخرج عشرة ، حتى لم يبق منهم أحد إلاّ دخل فأكل حتى شبع ، ثمّ هيأها ، فإذا هي مثلها حين أكلوا منها^(٢) .

قلت : معنى الحديث من ضروريّات أهل القبلة سنّة وشيعة ، من معاجز النبيّ القطعيّة صلى الله على محمد وآل محمد ، لا يحتاج إلى إسناد .

قول الصحابي : فإذا هي مثلها حين أكلوا منها صريحٌ في عدم طرورّ العدم والفقدان على ما كان ملكوتيّاً ، أو ما أضحي ملكوتيّاً ببركة النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلّم ، مع أنّ عدد مَنْ أكل من الصحابة ، بلغ ثمانين نفرًا كما في روايتين أخريين للبخاري ومسلم ، أو كلّ من حضر من الصحابة كما في نصّ آخر لأحدهما .

وإنّما سردنا هذا النّص ، حتّى لا يستوحش القارئ الكريم ممّا ذكرناه من عدم فناء الملكوتي ، ويعي ما قلناه ..

(١) الخطيفة : لبن يذر عليه الدقيق ، فيطبخ ويلعق لعقاً .

(٢) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٧ : ٨١ ، رقم : ٥٤٥٠ . دار طوق النجاة

(٣) صحيح مسلم ٤ : ١٧٨٤ ، رقم : ٧٠٦ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

جواب الإشكالية !!

الإشكالية بإيجاز : النبي في عالم الدنيا -أي نبي- بشرٌ مقيّدٌ بزنازة الموت الدنيوي والفقدان والفناء ، وافترض أطلاعاً على عالم الملكوت المنزه عن قيود الفقدان والفناء ، كما أطلع إبراهيم عليه السلام ، محال على ما عرفت .

قلنا -في الجملة- : بدن المعصوم ، نبياً كان ، أم وصياً ، أم ملكاً حين التمثّل ، كملائكة إبراهيم عليهم السلام ، من الملكوت ، أي من عالم البقاء الذي لا يطرأ عليه الفناء ، وستأتي النصوص القطعية عن الفريقين سنة وشيعة في ملكوتية أبدان المعصومين عليهم السلام ؛ وأنها من طينة جنّة عليين ، كما هو صريح النصّ الثابت الآتي .

أما روح المعصوم صلوات الله عليه ؛ فمن محلّ أرفع من الجنّة والملكوت ، هو عالم القدس والجبروت وسيأتي النصّ ؛ فلا إشكال في اطلاع المعصوم على الملكوت ؛ كروية المعصوم الوحي والملائكة والجنّة والنار وغير ذلك ، لتسانخ حقيقة المعصوم روحاً وبدناً مع عالمي الملكوت والجبروت .

ولزيد بيان نقول : أجمع أهل الحكمة ، بل أهل الإسلام في الجملة ، علاوة على النصوص الشرعية الثابتة ، بل القطعية في المقام ، أنّ عملية التواصل بين العالمين ، بأحد طريقين ، لا ثالث لهما؟! .

الأولى : التمثّل .

كما حصل لجبرائيل صلوات الله عليه في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ولا يعني هذا أنّه انقلب دنيوياً عليه السلام ، بل هو باق على ملكوتيته ؛ غاية الأمر أنّه عليه السلام لبس مظهراً دنيوياً ببدن ملكوتي (=من طين الجنّة) لا أكثر ، كما هو حال ملائكة إبراهيم في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ

سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴿٣٠﴾ إِذْ أَبَدَانَهُمْ
ملكوّتيّة محضة لا تحتاج إلى طعام أو شراب ، ولا يسعنا البسط في تفاصيل هذا ومغلفاته ،
لكن ما ذكرناه واضح في الجملة ، لا إشكال فيه ، وإنّما الإشكال البدوي في :

الثاني : العروج .

كما حصل لنبيّنا محمد وإبراهيم ، بل قاطبة من اصطفاهم الله تعالى من الأنبياء
والأوصياء عليهم السلام ؛ إذ كيف دخل النبيّ يوم المعراج الجنّة ، وأطلع على النار وما فيها
، وهما من الملكوت ، مع أنّه صلوات الله عليه وآله ما زال دنيويّاً لم يمت بعد؟!..

فرضان لا ثالث لهما : فإمّا أن نفترض دنيويّة الجنّة التي لا فناء فيها ، أو ملكوتيّة
النبيّ عليه السلام بدنّاً وروحاً ، والأوّل محال ، فتعيّن الثاني على ما أوضحنا ..

وهل معنى : ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ أنّ بدن جبرائيل هو عين
بدن النبيّ صلى الله عليه وآله ؛ كون كلاهما من الملكوت؟!..

قلنا : نعم في الجملة لا التفصيل ؛ فبدن جبرائيل حين التمثّل ، وإن كان في الأصل
عين بدن النبيّ عليه السلام ، كلاهما من طين الجنّة ، لكن بدن جبرائيل وملائكة إبراهيم
ولوط عليهم السلام ، محض ؛ أي : مجرّد عن الدنيويّة تماماً لا يهرم ، وبدن النبيّ ليس كذلك
؛ ضرورة أنّه يهرم ؛ فالله قضى أن يتناسل البشر عن طريق نبي هو آدم عليه السلام ، ولا
يتحقق هذا إلّا بروح الحيوان المعصومة ، وهي مجعولة في ذات الأنبياء كما سيّضح لاحقاً ،
ولازمها الأكل والشرب والجوع والعطش والألم والهرم وغير ذلك ، وهو لا ينافي بقاء
البدن على ملكوتيّة ؛ ضرورة أنّ شهوة التناسل المعصومة منزّهة عن الرجس تماماً ..

الحاصل : لا ارتياب أنّ أبدان المعصومين ملكوتيّة جتّيّة ، من طينة عليين ، وفي هذا
أخبار ثابتة دون كلام .. هاك بعضها ..

النص أن بدن المعصوم ملكوتي لا يفنى

من ذلك ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي بن عبد الله ، عن رجل ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : «إنّ الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين ، قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وخلق أبدان المؤمنين من دون ذلك...»^(١).

قلت : معناه ضروري، وهذا الإسناد صحيح ، فحماد من أصحاب الإجماع .

يشهد له وروى أحمد بن محمد بن محمد بن خالد البرقي رضي الله عنه (٢٧٤هـ) في المحاسن ، عن أبيه محمد البرقي ، عن فضالة بن أيوب ، عن عمرو بن أبان الكلبي ، عن جابر بن يزيد الجعفي قال : قال الباقر عليه السلام : «يا جابر ، إنّ الله خلق المؤمن من طينة الجنان ، وأجرى فيهم من ریح روحه...»^(٢).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

ورواه الكليني رضي الله عنه ، عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن أبي يحيى الواسطي ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنّ الله خلقنا من عليين ، وخلق أرواحنا من فوق ذلك ، وخلق أرواح شيعتنا من عليين ، وخلق أجسادهم من دون ذلك»^(٣).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد مبهم ببعض الأصحاب ، والأخبار في هذا كثيرة ، قطعية سنداً ودلالة ، معتضدة بعدم الخلاف ، لا يسعها مختصرنا .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٢. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) المحاسن (ت: جلال الحسيني) ١: ١٣٣. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٣٨٩. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

لذلك تسالم السنّة والشيعّة على ملكوتية أبدان الأنبياء ؛ أي لا يعرض عليها الفناء والهلاك والزوال كما هو حال أشياء الدنيا ..

ومما رواه أهل السنّة في هذا ، ما أخرجه أحمد بن حنبل قال : حدثنا حسين بن علي الجعفي، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أبي أوس قال: قال رسول الله: «إنّ الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم»^(١).

قلت: إسناده حسن صحيح بإجماع أهل السنّة ، معتضد بعد الخلاف عندهم فيما أعلم ، لم أجد مخالفاً.

ولما نحن فيه أصل قرآني ، هو: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾^(٢) ودلالة الأولى القطعية ، ظاهرة جداً في ملكوتية أبدان الأنبياء عليهم السلام ، لا يطرأ عليها الهلاك والفناء؛ ففي الأخبار الصحيحة أنّ بدن سليمان صلوات الله عليه بقي واقفاً سنة كاملة .

الحاصل: أبدان من اصطفاهم الله تعالى عليهم السلام ، مخلوقة من طينة عليين ، من عالم الملكوت ؛ لا يعرض عليها الفناء والهلاك ، كأبدان بقية الخلائق المخلوقة من الدنيا ؛ ضرورة أنّها في الأصل ليست دنيوية ؛ فكونها في الدنيا أخذت بعض خصائصها ؛ لغرض الابتلاء والتناسل ، لا يلغي ملكوتيتها ؛ ضرورة عدم طرؤ الهلاك والفناء عليها..

والفرق بين المعصوم عليه السلام والإنسان العادي ، من هذه الجهة ، أنّ الثاني ذو بدن فاسد هالك متلاش فان ؛ كونه من طين الدنيا الخسيس ، أمّا المعصوم فطينته جنتية ملكوتية شريفة ، لا تفتنى ولا تفسد.

(١) مسند أحمد (ت: شعيب الأرنؤوط) ٢٦: ٨٤، رقم: ١٦١٦٢. الرسالة، بيروت.

(٢) سبأ: ١٤.

يرتّب عليه أنّ الإنسان العادي يكاد يكون محبوساً تماماً في بدنه الدنيوي ، مقيّد بهذا النقص ، فلا يمكنه الاطلاع على الملكوت ابتداءً ، إلا إذا تنزّه بالطاعات والنوافل والقربات ؛ فإن فعل ذلك بدّل الله تعالى تكوينه الحسيس إلى شريف ؛ لقوله تعالى : ﴿ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾^(١).

بخلاف المعصوم ، نبياً كان أم وصياً عليه السلام ، فهو ابتداءً ووسطاً وانتهاءً ، غير مقيّد بهذا النقص ، غير محبوس ببدن دنيوي ؛ فيمكنه رؤية تمام الملكوت وهو في الدنيا من هذه الجهة ؛ لتناسخها التام .

لكن ليس هذا كلّ شيء ؛ فليست حقيقة النبيّ بدنه الملكوتي فقط ، وإنما مجموع روحه وبدنه الملكوتين ، ضرورة أنّ الروح هي حقيقة الإنسان ، وما البدن إلا لباس قضى الله تعالى به لغرض الابتلاء والامتحان ؛ لئلا يكون للناس حجة على الله سبحانه وتعالى ..

ويجب أن يعلم أنّ روح النبيّ ليست كروح الإنسان العادي ، بل أشرف بها لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ فروح الإنسان العادي من الملكوت ، أما روح النبيّ فمن أقدس محلّ من الملكوت وأرفعه ، هو عالم الجبروت .

وقد مرّ قبل قليل خبر الواسطي ، عن الصادق عليه السلام قال : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ الله خلقنا من عليين ، وخلق أرواحنا من فوق ذلك ».

الزبدة : روح قاطبة البشر ، بل عامّة ما خلق الله تعالى من الملكوت ، أما أرواح الأنبياء ، فمن عالم القدس والجبروت ، وقد صنّفنا هذه الوريقات لبيان هذا .

برهان قدسيّة روح المعصوم عليه السلام

أتضح البرهان ممّا سبق ، وهو : استحالة إحاطة عالم الدنيا ، المحكوم بالأعدام والحدود والقيود والفناء والفقدان والهلاك (=الموت) ، بعالم الملكوت الموصوف بالبقاء والفعليّة والوجدان والخلود ، إلّا إذا كان الموجود في الدنيا ، مسانخاً لعالم الملكوت منزلاً من عنده ؛ كأبدان الأنبياء المنزلة من عليين ، وأرواحهم المنزلة من فوق ذلك ، خلافاً لأبدان بقية البشر ، المخلوقة من نفس عالم الدنيا الهالك الفاني المتلاشي الخسيس .

هذا بالنسبة للبدن المملوك للمعصوم عليه السلام ، أمّا روحه فأولى بالكلام من البدن ؛ ضرورة مدار حقيقة الإنسان على الروح ؛ إذ البدن -فيما قلنا- لباس طارئ ، قضى الله سبحانه وتعالى به ؛ لغرض الابتلاء والامتحان ..

وأياً كان ، لا بدّ من افتراض قدسيّة روح المعصوم علاوة على ملكوتيتها ؛ لاستحالة اتصال المعصوم وهو في الدنيا ، بعالم الوحي الذي هو من عالم القدس ؛ إلّا إذا كانت روح المعصوم قدسيّة ؛ بدهاءة أنّ إحاطة العالم غير المقدّس بعالم القدس محال ، وسيّضح هذا أكثر في الفصل الآتي ؛ للأخبار القطعيّة الصريحة بقدسيّة روح المعصوم .

إذن ، روح المعصوم في الأصل قدسيّة ملكوتيّة ؛ فسانخت حقيقة الوحي التي هي قدسيّة ملكوتيّة.. وقد يقال : أليست أرواح غير المعصومين ، من بقية البشر ، ملكوتيّة أيضاً ؛ ضرورة عدم طرؤ الفناء والهلاك عليها؟! ..

قلنا : بلى ، لكن هذا لا يكفي لترى الملكوت وينكشف لها ، كونها :

أولاً : محبوسة في زنزانة البدن الدنيوي الخسيس ؛ كونه فان متلاش ، بخلاف بدن المعصوم المملوك الشريف .

وثانياً : أرواح غير المعصوم ليست قدسيّة ، وهذا يقودنا للعنوان الآتي ؛ ضرورة أنّ الروح وإن كانت ملكوتيّة ، إلّا أنّها على قسمين : قدسيّة وغير قدسيّة ..

الروح على قسمين : قدسيّة وغير قدسيّة

لا ارتياب - كما أوضحنا- أن أرواح البشر ، وربما قيل : كلّ الخلائق على الأظهر من أخبار أهل البيت عليهم السلام ، خبيثها وطيبها ، من الملكوت ؛ ضرورة خلودها ، وعدم طرّو العدم عليها ، على ما قضى الله سبحانه وتعالى ، لكن كونها من الملكوت شيء ، وقدرتها على الاطلاع عليه شيء آخر ؛ فيستحيل أن تطلّع عليه وهي محبوسة في زنزانه الزوال وخسة الفناء وقيود الجهل ..

نتساءل فيما نحن فيه : هل يمكن للأثم المذنب الخطّاء، أن يرى تدبير الملائكة في الملكوت ؛ كأن يرى نزول جبرائيل بالوحي والعلم، ويرى قبض عزرائيل للروح ، وإنزال ميكائيل المطر ...، كما كان يرى إبراهيم وبقية الأنبياء عليهم السلام...؟!.

قلنا : كلاً ، يمتنع هذا ، إلا لمن كانت روحه قدسيّة ، وهي أرواح المعصومين عليهم السلام ؛ ضرورة أن الروح على قسمين :

الأولى : الروح القدسيّة .

وهي التي يطلق عليها القرآن الكريم : روح القدس ، كما في قوله تعالى : ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ وهي أشرف ما في الملكوت ، بل هي من عالم الجبروت المنزه عن جلّ قيود الفقر وأعدام الإمكان ، سوى الافتقار إلى الله تعالى ، وهذه لم يقض بها الله تعالى إلا لصفوة عباده من الأنبياء والأوصياء والملائكة ، كلّ بحسبه ودرجته عليهم السلام .

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ لا يعدو ما ذكرناه ؛ إذ يستحيل اطلاع أهل الدنيا على تدبير ملائكة عالم الملكوت لعالم الدنيا ؛ كروية قبض عزرائيل للأرواح ، إلا لمن كانت روحه علاوة على ملكوتيتها ، قدسيّة نوريّة ، كروح أئبنا إبراهيم وبقية المعصومين ، كلّ حسب درجته عليهم السلام .

ومقصود أبينا إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾^(١) رؤية كيفية تدبير الإحياء تفصيلاً في عالم القدس والملكوت، لا إجمالاً كما هو يقين كل أهل التوحيد على اختلاف مللهم ..

فإبراهيم عليه السلام كان يريد الاطلاع على عملية إحياء الموتى في عالم الملكوت الأقدس قبل نزوله للعالم ؛ ضرورة أن أصل الإمامة والإحياء يُدبّر في عالم الملكوت قبل العالم الدنيا ، كما أنه يدبّر في عالم القدس قبل تحقّقه في عالم الملكوت ؛ فلا ينبغي الارتياح أن العالم السابق علة للعالم اللاحق وسيأتي البيان في فصل لاحق.

الثانية : الروح غير القدسيّة .

كأرواح بقية البشر من غير المعصومين ؛ فهي وإن كانت من الملكوت ، لا كلام في ذلك ، ضرورة خلودها وعدم طرؤ الفناء عليها ، على ما قضى الله سبحانه وتعالى ..

لكنّها ذات الوقت ، غير منزّهة تماماً من الرجس والخسّة ، فلا تسانخ قدس عالم الملكوت المنزّه عن ذلك ؛ لذلك هي غير قادرة مثلاً على رؤية الملائكة الذين ذكرهم سبحانه في قوله : ﴿ فَأَلْمَدَّبَرَاتِ أَمْرًا ﴾^(٢) وإلاّ اجتمع النقيضان ، المحدود بالفناء وغير المحدود به ..

الحاصل : لا يقتدر أهل الدنيا على رؤية عالم الملكوت إلاّ من كانت روحه قدسيّة نورية علاوة على ملكوتيتها؛ أي منزّهة عن كل دنس وخسّة ودنو ، وإلاّ اجتمع النقيضان ، أي : الوجدان والفقدان ، النقص والكمال ، الدنو والعلو ، واجتماعها محال .

ولبيان هذا المحال ، نقول : أمّا من جهة البدن ، ففقد اتّضح أن بدن غير المعصوم خسيسٌ فان ، فلا يسانخ واقع الآخرة والملكوت إطلاقاً ؛ ضرورة أن إحاطة ما يفنى بما لا يفنى ، من إحاطة الناقص المحدود بالكامل غير المحدود ، واستحالته بديهية ..

(١) البقرة : ٢٦٠ .

(٢) النازعات : ٥ .

وأما من جهة الروح ، فهي وإن كانت ملكوتية لا تنفى إلا أنها غير قدسية ، ومعنى عدم قدسيتها أنها في أحسن حالاتها تخطأ وتسهو ، وفي أسوأ حالاتها رجسٌ تأمر بالسوء والفحشاء والمنكر ..

وبالجملة : الطهر والرجس ، كمال ونقص ، شرف وخسة ، وجدان وفقدان لا يجتمعان ؛ لأنها نقيضان ؛ ضرورة أنّ الطهر كمال وجودي شريف ، والرجس نقص عدمي خسيس ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

ونبه أنّ الاطلاع على الملكوت على قسمين : أقدس أعلى ، ومقدس أدنى :

الملكوت الأعلى : الأقدس ، تدور حقيقته على تدبير أهله من الملائكة المقربين لما خلق الله تعالى بما أوتوا من العلم اللدني ؛ كتدبير جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، أمور أهل الدنيا ، من إماتة وإحياء ورزق ومطر ونصر وظفر وعلم ووحي وغير ذلك ، وهذا هو الذي قصده إبراهيم في قوله : ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ فلقد طلب علماً لدنياً حضورياً يحيط بذلك التدبير ، وهذا أقدس ما وهبه الله لأصفيائه ، لكن لا يتسنى هذا إلا لمن كانت روحه قدسية أقدس .

الملكوت الأدنى : المقدس ، وهو مجرد الاطلاع على الجنة والنار والملائكة ، دون الاطلاع على حقيقة التدبير هناك ، وهذا أيضاً ممتنع لغير المعصوم المحبوس في زنازة البدن الدنيوي الخسيس ، بلى يمكن للمؤمن شديد الإيثار من غير المعصومين أن يطلع على بعض ما هو مقدس من الملكوت ببركة المعصوم ؛ كما حصل لبعض أصحاب النبي والأئمة المخلصين ، وفي هذا الفرض لا بدّ أن نفترض ملكوتية مرضية لبدن هذا المؤمن شديد الإيثار ، وكذا رتبة مرضية من قدسية روحه ؛ ولا مانع منه عقلاً ، بل ثابت شرعاً كما في ملكوتية جسد سيدنا حمزة بن عبد المطلب عليه السلام ..

معنى الروح ومراتب وجودها الطولية !!

قلت : الروح على ثلاثة أقسام ، وهي ثلاثة مراتب وجودية كالاتي :

المرتبة الأول : الروح في عالم الجبروت .

عالم الجبروت ، هو عالم القدس ، وهو عالم النور ، وهو أشرف شيء خلقه الله تعالى على الإطلاق ، والروح في هذا العالم هو العقل عينه ، وهو عين الروح القدس ، وستأتي النصوص القطعية في الفصل الثاني أنّ هذا الروح الأقدس المقدس ، في ابتداء الخلق ، نوعٌ منحصرٌ بفرده واحد هو : نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيأتي البيان .

والمقصود بعالم القدس : العالم المجرد تماماً ، المنزه مطلقاً ، عن التعلّق بظلمات البدن ووزناته الجسد ، بقسميه الملكوتي الباقي والدينوي الفاني .

أصل روح المعصوم عليه السلام ، من هذا العالم ، بل هذا العالم للمعصوم خاصة نبياً كان أم وصياً أم ملكاً ، لا يشاركهم فيه أحد من الخلق .

الثاني : الروح في عالم الملكوت .

وهو عالم النفوس ؛ فالروح إذا تعلّقت ببدن ملكوتي ؛ كأبدان أهل عالم الذر ، قبل خلق الدنيا ، أو أبدان أهل الجنة والنار بعد فناء الدنيا ، سمّيت نفوساً ، وهي الأشباح كما ورد في الأخبار الصحيحة ، وقد يطلق عليها الظلال كما ورد في صحاح أخرى .

هذا العالم ، يشترك فيه كلّ الخلائق ، المعصوم وغيره .

الثالث : الروح في عالم الدنيا والفناء .

تسمّى الروح في هذا العالم : النفس الناطقة ، وهي التي تعلّقت ببدن دنيوي فإنّ هالكٍ خسيس ؛ أو جيفة كما يسمّيه أمير المؤمنين عليه السلام .

والمعصوم وإن كان من أهل هذا العالم ، لكنّه ملكوتي البدن جبروتي الروح .

أقوال أصحابنا في مراتب الروح الوجودية

المجلسي الأول (١٠٧٠هـ) رضي الله عنه

قال التقي المجلسي والد صاحب البحار في كتاب روضة المتقين : يطلق العقل على النفس الناطقة ، وهي لطيفة روحانية ، يكون الإنسان بها إنساناً ، وهي من عالم الأمر والمجردات ، وهو المكلف بتكاليفه تعالى ، وعلى لطيفة روحانية تكون بمنزلة الوزير للنفس ، وهو المسمى بالعقل الإلهي كما تقدم الإشارة إليه في الآيات والأخبار ، ويطلق على النفس إذا كان معها تلك اللطيفة أو إذا كملت بالعلوم والكمالات .

فإن النفس أولاً باعتبار تعلقها بالبدن ، مائلة إلى الشهوات واللذات وتسمى بالأمانة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ وتصير لومة بكثرة الطاعات ، والعبادات ، والمجاهدات إلى أن تعلم قبح المقابح وحسن المحاسن ؛ لكنها لألفتها بالمشتهيات ما يمكنها تركها بالكلية .

وفي هذه المرتبة تسمى بالقلب ؛ لتقلب أحوالها ، وعندها يكون مفتناً تواباً وقال تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ فإذا كملت بالمجاهدات تصير ملهمة بإلهامه تعالى كما قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ وفي هذه المرتبة تسمى بالعقل ؛ لكنها لم يحصل له جميع الكمالات ، وإنما هو في الترقى إلى أن يفنى عنها بالكلية ويبقى بربه تعالى ، وفي هذه المرتبة تسمى بالمطمئنة ويطمئن بذكره تعالى كما قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ويسمع مخاطباته تعالى أنا فأن كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ أي : المقربين الذين هم : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ .

﴿ وادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ وهي جنة القرب والوصال ، ولهذا أضافها إلى نفسه تعالى ، وفي هذه المرتبة تسمى بالروح إلى أن تصير سراً ، وبعده خفياً .

فالأخبار التي وردت في العقل بحسب هذه المراتب ، و عليك بالتدبر في تنزيلها على مراتبه^(١). انتهى كلامه رضي الله عنه .

الفيض رضي الله عنه

قال الفيض رضوان الله عليه : المراد بالروح هنا ما يشير إليه الإنسان بقوله : أنا، أعني : النفس الناطقة ، وقد تحير العقلاء في حقيقتها ، والمستفاد من الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام ، كما يأتي أنها شبح مثالي على صورة البدن ، وكذلك عرفها المتأهلون بمجاهداتهم ، وحققتها المحققون بمشاهداتهم ؛ فهي ليست بجسماني محض ، ولا بعقلاني صرف ، بل برزخ بين الأمرين ، ومتوسط بين النشأتين ، من عالم الملكوت .

وللأنبياء والأولياء عليهم السلام ، روح آخر فوق ذلك ، هي : عقلانية صرفة ، وجبروتية محضة ، وقد مرّ تحقيق ذلك في كتاب الإيمان والكفر^(٢). اهـ.

الشيخ البهائي رضي الله عنه

قال الشيخ بهاء الملة والدين في الأربعين : المراد بالروح ما يشير إليه الإنسان بقوله : أنا ، أعني النفس الناطقة وهو المعني بالروح في القرآن والحديث ، وقد تحير العقلاء في حقيقتها ، واعترف كثير منهم بالعجز عن معرفتها ، حتى قال بعض الأعلام : إن قول أمير المؤمنين عليه السلام : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » معناه أنه كما لا يمكن التوصل إلى معرفة النفس ، لا يمكن التوصل إلى معرفة الرب ، وقوله عزّ و علا : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٣) مما يعضد ذلك .

والذي عليه المحققون أنها غير داخله في البدن بالجزئية والحلول ، بل هي بريئة عن صفات الجسمية ، منزّهة عن العوارض المادية ، متعلقة به تعلق التدبير والتصرف فقط ،

(١) روضة المتقين(ت: حسين الكرمانى) ١٢ : ٢٣٥ . بنياد فرهنگ إسلامي .

(٢) الوافي ٢٤ : ٢٤٤ . مكتبة الإمام عليؑ ، مطبعة نشاط أصفهان .

(٣) سورة الإسراء : ٨٥ .

وهو مختار أعظم الحكماء الإلهيين ، وأكابر الصوفية والإشراقيين ، وعليه استقر رأي أكثر متكلمي الإمامية؛ كالشيخ المفيد ، وبني نوبخت ، والمحقق نصير الملة والدين ، والعلامة الحلبي ، ومن الأشاعرة الراغب الأصفهاني وأبي حامد الغزالي والفخر الرازي ، وهو المذهب المنصور ، الذي أشارت إليه الكتب السماوية ، وانطوت عليه الأنباء النبوية ، وعضدته الدلائل العقلية ، وأيدته الأمارات الحسبية ، والمكاشفات الذوقية^(١) . انتهى .

عدم تعلق القدرة بالمحال الذاتي

هل يمكن أن يُريَ الله سبحانه وتعالى ما هو مقدّس من الملكوت، لغير المعصوم من البشر الخطّائين ، كما أراه سبحانه لأبينا إبراهيم وبقية المعصومين عليهم السلام؟! .

جوابه مطوي ، فيما ذكر أهل الحكمة بل غيرهم ، أنّ قدرة الله تعالى لا تتعلّق بها كان في ذاته محال، وهذا من البديهيات دون كلام ، نبيّنه إجمالاً بهذا المثال البسيط :

الماءُ : سائلٌ يشرب للارتواء ، فلو أضحى بخاراً ، هل يصدق عليه الشرب أم الاستنشاق؟! .

لا ارتياب أنّه لا يصدق عليه الشرب إطلاقاً ؛ لاختصاص فعل الشرب تكويناً بالسوائل ، لكن ماذا لو افترض أحدٌ قائلاً : أريد من الماء أن يكون بخاراً ، ويصدق عليه الشرب لا الاستنشاق؟! .

نقول له : شرب ما لا يشرب (= مستنشق) ، جمع بين النقيضين ، وهذا الأمر في ذاته محالٌ ، وقدرة الله تعالى لا تتعلّق بها كان في ذاته محال .

فالسؤال المطروح : هل يمكن أن يريَ الله سبحانه وتعالى ما هو مقدّس من الملكوت ، لغير المقدّس من البشر الخطّائين؟! .

سؤالٌ خاطيء من الأساس، بل هو مغالطة بيّنة ؛ كقضية : شرب ما لا يشرب التي هي في ذاتها محالٌ وجمعٌ بين النقيضين .

فإطلاع غير المقدّس من بقية البشر الخطّائين ، المحبوسين في زناينة الخسة والفناء ، على الملكوتي المقدّس ؛ أي: المنزه عن كلّ خسة وفناء ، من جنس هذا المحال؛ ومن ذلك استحالة رؤية أهل الدنيا لعذاب أهل القبور ، في حين تواتر أنّ النبيّ عليه السلام ؛ لقدس ملكوتيّته ، كان يسمعهم ويراهم ويخاطبهم .

نصّان في امتناع اطلاع غير المقدّس على المقدّس استقلالاً

أخرج مسلم حدثنا يحيى بن أيوب، وأبو بكر بن أبي شيبة، جميعاً عن ابن عليّة - قال ابن أيوب: حدثنا ابن عليّة - قال: وأخبرنا سعيد الجريري، عن أبي نصرّة، عن أبي سعيد الخدري، عن زيد بن ثابت، قال أبو سعيد: ولم أشهده من النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن حدثني زيد بن ثابت، قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار، على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر»؟! فقال رجل: أنا.

قال النبيّ: فمتى مات هؤلاء؟! قال: ماتوا في الإشراك.

فقال: «إنّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدانفوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»^(١).

ومن ذلك ما رواه الفريقان واللفظ للبخاري قال: حدثنا محمد بن المثني، قال: حدثنا محمد بن خازم، قال: حدثنا الأعمش، عن مجاهد، عن طاوس، عن ابن عباس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين، فقال: «لئنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أمّا أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأمّا الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة. قالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟!.

قال عليه السلام: «لعلّه يخفف عنهما ما لم يبسا»^(٢).

وروى البخاري: حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا محمد بن فليح بن سليمان، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: هذه مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلقيهم «هل وجدتم ما وعدكم ربكم

(١) صحيح مسلم (ت: عبد الباقي) ٤: ٢١٩٩، رقم: ٢٨٦٩. إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ١: ٥٣، رقم: ٢١٨. دار طوق النجاة.

حقاً؟! قال موسى: قال نافع: قال عبد الله: قال ناس من أصحابه: يا رسول الله، تنادي ناساً أمواتاً؟!.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنتم بأسمع لما قلت منهم»^(١).

قلت: هذه الضرب من الأحاديث قطعيّ الصدور، لا يحتاج إلى إسناد، قال بمضمونه قاطبة أهل القبلة.

قوله صلى الله عليه وآله: (للعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه) ظاهرٌ في عدم إمكانية إطلاع غير المعصوم على شيء من الملكوت؛ كعذاب أهل القبور، إلاّ بدعاء النبيّ صلى الله عليه وآله وبركته؛ ضرورة أنّ المعصوم دون سواه، واسطة في نزول رحمة الله وعلمه سبحانه على العباد.

أما سماعهم عذاب أهل القبور على الاستقلال، من دون واسطة المعصوم، فمحال على ما عرفت؛ للزوم إحاطة النبيّ الناقص، بالملكوتي الكامل، وهذا ممتنع ذاتاً.

والمقصود ببركة المعصوم، إنزال الملكوتي إلى رتبة دنيوية شريفة جداً، كما في رؤية الصحابة لجبرائيل، برتبة إنسانية في صورة دحية الكلبي، وكما جعل النبيّ من مدّ الشعير الذي لا يكفي إلاّ للإنسان واحد، طعاماً لثمانين إنساناً، وما عدا هذا فممتنع.

ونبه أنّ هذا السماع من جنس العلم الحضورى بلا آلة، ليس حصولياً يتحقّق بالكسب والنظر والآلة، ولعلنا نشير إليه في فصل العلم الإجمالي والتفصيلي.

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٥: ٨٦، رقم: ٤٠٢٦. دار طوق النجاة.

مراتب رؤية الملكوت !!

هاتان المرتبتان منحصرتان استقلالاً بالمعصوم، وإلا لزم المحال، والمرتبتان كالاتي:

المرتبة الأولى : رؤية الملكوت المقدس .

تدور هذه المرتبة ، على رؤية الوجود الملكوتي الذي لا يفنى ؛ وهو : انكشاف الجنة والنار والملائكة ، للمعصوم عليه السلام انكشافاً تاماً ، كما رأى النبي صلى الله عليه وآله في المعراج .

رؤية هذا العالم ممتنعة لغير المقدس من الخلق على نحو الاستقلال ؛ فلا يمكن لغير المعصوم ، في الدنيا قبل الموت ، رؤية الملكوت والاطلاع عليه بالانكشاف التام .

ووجه الامتناع ، اجتماع النقيضين ، المقدس وغير المقدس (=شرب ما لا يشرب) .

الثانية : رؤية الملكوت الأقدس .

هذه المرتبة أشرف من سابقتها ؛ كونها تدور على العلم اللدني والاسم الأعظم ، وأدنى ما في هذه المرتبة نزول الوحي على المعصوم ، وأعلها الإحاطة بعلم الملائكة اللدني في تدبير أحوال أهل الدنيا ، من إماتة وإحياء ورزق وغير ذلك ، والأدنى والأعلى يتفاوتان من معصوم لآخر : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ كما تفاوت العلم بين موسى والخضر عليهما السلام .

هذه المرتبة -بأعلها وأدناها- منحصرة بالمعصوم ، تمتنع غيره ؛ لاجتماع النقيضين ، الأقدس وغير الأقدس (=شرب ما لا يشرب) .

إذا اتضحت المرتبتان الملكوتيتان ، أو الملكوتية والجبروتية : القدسية والأقدسية ، وأتتهما منحصران بالمعصوم ؛ فكيف نفسّر اطلاع غير المعصوم وهو في الدنيا قبل الموت ، على بعض ما في ملكوت الله سبحانه وتعالى؟! .

دفع إشكال !!

روى الشيعة والسنة، واللفظ للبخاري في صحيحه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك أنه قال: رأيت رسول الله وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله بوضوء، فوضع رسول الله في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال: «فرايت الماء ينبع من تحت أصابعه، حتى توضؤوا من عند آخرهم»^(١).

قلت: هذا من الضروريات عند أهل القبلة، لا يحتاج إلى إسناد.

ولا ارتياب أن ما رآه الصحابة، ليس دنيوياً خسيساً فانياً، بل ملكوتياً باقياً لا يطرأ عليه الفناء ولا تعمل فيه قوانين الدنيا، فما تفسير هذا؟!؟

وروى مسلم قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، حدثنا أبو علي الحنفي، حدثنا مالك وهو ابن أنس، عن أبي الزبير المكي، أن أبا الطفيل عامر بن واثلة، أخبره أن معاذ بن جبل أخبره، قال: خرجنا مع رسول الله عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، حتى إذا كان يوماً آخر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك، فصلى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال: «إنكم ستأتون غداً، إن شاء الله، عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي». فجتناها وقد سبقنا إليها رجлан، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء، قال فسألها رسول الله «هل مستتما من مائها شيئاً؟!؟». قال: نعم، فسبّهما النبي صلى الله عليه، وقال لهما ما شاء الله أن يقول. قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء، قال وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر»^(٢).

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٨: ١٠٥، رقم: ٦٥٠٢. دار طوق النجاة.

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٧٨٤، رقم: ٧٠٦. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

قلت : من ضروريات أهل القبلة لا يحتاج إلى إسناد .

ولا ارتياب أنّ هذا من الملكوت ؛ كونه وجداناً لا فقدان فيه ولا فناء ، قد رآه كل من حضر من الصحابة ، وفيهم من هو منافق ، فكيف يتحقق هذا لغير المعصوم ؟! .
قلنا : لم يمنع أحد من علماء الفريقين ، سنة وشيعة ، حكماء وغيرهم ، اطلاع الناس على بعض الملكوت ، وإنّما منعوا ما كان :

أولاً : اطلاعاً على جملة الملكوت ، بمعنى الانكشاف التام عليه ؛ كروية أبينا إبراهيم وبقية المعصومين عليهم السلام لجملة الملكوت ، وستأتي الأخبار القطعية في هذا .
وثانياً : اطلاعاً مباشراً على الملكوت بالاستقلال ، دون واسطة المعصوم .

اطلاع الصحابة ، وفيهم المنافق ، على جريان الماء من بين يدي النبي صلى الله عليه وآله ، وإن كان اطلاعاً على الملكوت ، لكنّه أولاً : جزئياً ، وثانياً : لا على الاستقلال وإنّما ببركة النبي صلى الله عليه وآله ، فلا إشكال .

فبعض ما رآه خواص أصحاب المعصومين من الأنبياء والأوصياء ، ببركة مَنْ معهم من المعصوم ، من الملكوت قطعاً ، وفي هذا أخبار ثابتة في مصادر الفريقين سنة وشيعة ، لا تسعنا الآن ، وهذا ممكن ، عقلاً وشرعاً ، لا مانع منه ؛ ضرورة أنّ قاطبة الأرواح من الملكوت ، لا تفنى ؛ فيمكن لها فيما قضى الله تعالى ، أن تلمح شيئاً من الملكوت الأدنى ، لكن لا على الاستقلال ، بل ببركة المعصوم ؛ ومن ذلك إنزال ﴿اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

النص على إمكانية ذلك ببركة المعصوم

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن الحسن بن محبوب ، عن داود الرقي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً إنّ عيسى ابن مريم كان من شرائع ، السيج في البلاد ، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير ، وكان كثير اللزوم لعيسى عليه السلام ، فلما انتهى عيسى إلى البحر قال : بسم الله بصحة يقين منه ، فمشى على ظهر الماء .

فقال الرجل القصير ، حين نظر إلى عيسى عليه السلام : بسم الله ، بصحة يقين منه فمشى على الماء ، ولحق بعيسى عليه السلام ، فدخله العجب بنفسه ، فقال : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء ، وأنا أمشي على الماء ، فما فضله عليّ؟! .

قال الصادق عليه السلام : «فرس في الماء ، فاستغاث بعيسى ، فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له عيسى : ما قلت يا قصير؟! .

قال القصير : قلت : هذا روح الله يمشي على الماء ، وأنا أمشي على الماء ، فدخلني من ذلك عجب .

فقال له عيسى عليه السلام : «لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه ، فمقتك الله على ما قلت ، فتب إلى الله عز وجل مما قلت . قال : فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها ، فاتقوا الله ، ولا يحسدنّ بعضكم بعضاً»^(١) .

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

الزبدة : إحاطة غير الملكوتي بعالم الملكوت ، وغير القدسي بعالم القدس ، ممتنع لغير المعصوم عليه السلام ، وإلاّ اجتمع النقيضان ، لكن قد يلح غير المعصوم شيئاً من الملكوت ببركة المعصوم ؛ كونه واسطة قدسية بين الله وعباده ، وهذا لا يمتنع ، بل واقع .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٣٠٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

ولكي نفهم ذلك بيقين ؛ فأشرف ما في الملكوت ، متوافر بين يدي قاطبة الناس ، وهو كتاب الله تعالى القرآن ، والجميع قد اطلع عليه في الجملة .

ولا ارتياب أن كتاب الله سبحانه وتعالى من الملكوت ، بل هو والله من عالم القدس والجبروت ، لكن في هذا أمرين تكوينيين :

الأول : استحالة وصوله إلينا ، لولا واسطة نبينا محمد القدسيّ صلى الله عليه وآله ، بيننا وبين الله تعالى ؛ حسبنا : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾^(١) . وهو صريح أن علم النبي صلى الله عليه وآله بالوحي ، لذني قدسي حضوري ليس كسبياً حصولياً .

وقد بينا علّة ذلك ؛ فبدن النبي -أي نبي وكذا الوصي- من عالم الملكوت ، وروحه من عالم القدس والجبروت ؛ لذلك أمكن تلقيه علوم اللدن التي هي من عالم القدس والملكوت ؛ للسنخية بينهما .

وثانياً : يمتنع اطلاع أحد من الخلق ، على المقدّس المكنون من علم القرآن ، إلاّ بنبينا محمد صلى الله عليه وآله ؛ يرشد إليه قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾^(٢) وهو ظاهرٌ في توقّف الإمام بعلم الله اللدنيّة ، وأسراره المطوية في القرآن ، على تبيان نبينا محمد وعترته المطهرين من بعده .

فأمّا النبي فواضح ؛ وأمّا عترته ؛ فللأحاديث القطعية ، كحديث الثقلين والكساء وغيرها ، فصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين المطهرين ، أبد الأبدين .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٣٠٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) سورة النمل: ٦ .

هل يمكن للعباد الارتقاء لروح القدس!؟

روح القدس على مرتبتين :

المرتبة الأولى : اللدنية بالاصطفاء .

وهي التي يجعلها الله سبحانه وتعالى في ذات من اصطفاهم ، وهم : الأنبياء والأوصياء والملائكة عليهم السلام ، بالجعل التكويني ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَيْدُنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ نَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمُهْدِ وَكَهَلًا ﴾ وسيأتي التفصيل في الفصل الثاني.

المرتبة الثانية : اللدنية بالطاعات .

وهي التي ينال العبد المطيع غير المعصوم ، ما ينال من مراتبها ، بالطاعات والنوافل والقربات ، حسب درجة طاعته ؛ فإن كانت طاعته لله ورسوله تامة ، وصل إلى رتبة الملائكة كما حصل لجعفر الطيار عليه السلام .

وبالجمل : قاطبة من اصطفاهم الله تعالى ، وهم : خصوص الرسل والأنبياء والأوصياء والملائكة ، أرواحهم قدسية لدنية مقدسة .

ومعنى القدسية : المنزهة عن خسة الحدود والقيود ، المبرّة من الخبث ، المطهرة من الرجس ، المعصومة من الخطأ ، لا تأمر بأيّ سوء ، لا يطرأ عليها العجب والغرور .

الروح القدسية (=روح القدس) عين الرحمة ، تحاكي أفعال الله سبحانه ، لا تضمحل لعباد الله وعمامة مخلوقاته إلا الرحمة والشفاعة والمغفرة والهداية كما سيتضح . روح القدس قادرة على الخلق والإيجاد بإذن الله تعالى ، وسيأتي الدليل على هذا في الأخبار القطعية .

لكن نساء هل يمكن لقاطبة العباد ، التنزه بالطاعات والقربات ، عن زناينة الخسة ، والارتقاء لروح القدس ، مع التنبيه أنّ كلامنا في الإمكان لا الوقوع!؟ .

قلنا بإجماع : نعم ، ولقد قال الله : ﴿ لَيْسَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وهذا أصل قطعي .

روى البخاري قال : حدثني محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبُّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(١).

ورواه الكليني من أصحابنا رضي الله تعالى عنهم قال : عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إسماعيل بن مهران ، عن أبي سعيد القمط ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما أسري بالنبي قال صلى الله عليه وآله لربّه سبحانه : «يا رب ما حال المؤمن عندك؟!».

قال : يا محمد ، من أهان لي ولياً ، فقد بارزني بالمحاربة...، وما يتقرب إليَّ عبد من عبادي بشيء أحبُّ إليَّ مما افترضت عليه ، وإنه ليتقرب إليَّ بالنافلة حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت إذا سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ؛ إن دعاني أجبتة ، وإن سألني أعطيتة»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني عليه السلام عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى وأبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار جميعاً ، عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن حماد بن بشير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله وساق مثله^(٣) .

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٨: ١٠٥، رقم: ٦٥٠٢. دار طوق النجاة .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٣٦٢. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٣٦٢. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد حسن ، رجاله ثقات ، سوى حماد الطنافسي ، وهو إمامي ، روى عنه الأجلة وأصحاب الإجماع دون طعن .

الزبدة : الله سبحانه لم يمنع ، قاطبة بني الإنسان ، من فضل الارتقاء لروح القدس بالطاعات والنوافل ، فيمكن لكل إنسان ذلك كما قال سبحانه : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وقال : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ والنصوص القرآنية في هذا لا تحصى .

لكن أخبرتنا كتب السماء ، أن من عدا الأنبياء والأوصياء والملائكة ، وقليل من الخلص الخواص دونهم ، أثر دون ذلك ، كما قال سبحانه : ﴿ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ ولا ملجأ إلا رحمة الله؛ وشفاعة محمد وآل محمد؛ فصلّى الله على محمد وآله الطاهرين المطهرين ، وخاب وتعس من لم ينل شفاعتهم صلوات الله عليهم .

نص على إمكانية نيل القدس بالطاعات

أجمع أهل القبلة ، بل علم ضرورة ، أن جعفر الطيار رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، ليس من الأنبياء ولا من المعصومين الأوصياء ، لكنّه رضي الله عنه ، بطاعة الله ورسوله ، وصل إلى رتبة قدسيّة عظيمة ؛ فلقد أضحى من جنس عالم الملائكة ..

فمما أخرج الفريقان واللفظ للبخاري قال : حدثني عمرو بن علي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، أن ابن عمر رضي الله عنهما ، كان إذا سلم على ابن جعفر ، قال : «السلام عليك يا ابن ذي الجناحين»^(١).

وأخرج الطبراني قال : حدثنا زكريا بن يحيى الساجي ، قال : ثنا عبد الله بن هارون بن موسى الأودي ، قال : حدثنا قدامة بن محمد الأشجعي ، عن مخرمة بن بكير ، عن أبيه ، عن علي بن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هنيئاً لك يا عبد الله ، أبوك يطير مع الملائكة في السماء»^(٢).

قال الهيثمي : رواه الطبراني وإسناده حسن^(٣).

وأخرج الطبراني قال : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، ثنا جبارة بن المغلس ، ثنا أبو شيبة ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رأيت جعفر بن أبي طالب ، ملكاً يطير في الجنة ، ذا جناحين يطير بهما ، حيث يشاء مقصوصة قوادمه بالدماء»^(٤).

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٥ : ٢٠ ، رقم : ٣٧٠٩ . دار طوق النجاة .

(٢) المعجم الكبير (ت: حمدي السلفي) ١٣ : ٧٧ ، رقم : ١٩٠ . مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

(٣) مجمع الزوائد : ٩٧٣ ، رقم : ١٥٤٩٦ . مكتبة القدسي ، القاهرة .

(٤) المعجم الكبير (ت: حمدي السلفي) ٢ : ١٠٧ ، رقم : ١٤٦٧ . مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن^(١).

قلت: صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير^(٢).

وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: وبالجمل؛ فلا يصح شيء من هذه الروايات والألفاظ إلا قوله صلى الله عليه وسلم: «رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين» وما في معناه؛ لمجيئه من طرق بعضها صحيح، كما تقدم بيانه في السلسلة الصحيحة ١٢٢٦^(٣).

لكن نتساءل ما هي خصال جعفر بن أبي طالب عليه السلام القدسيّة؛ إذ ما هي الطاعات التي نال بها هذه الرتبة من القدس والملكوت؟! هاك لترى ..

(١) مجمع الزوائد ٩: ٢٧٣، رقم: ١٥٤٩٦. مكتبة القدسي، القاهرة.

(٢) صحيح الجامع الصغير ١: ٦٥٣، رقم: ٣٤٦٥. المكتب الإسلامي.

(٣) السلسلة الضعيفة ١٤: ٧٨٥، رقم: ٦٨٤١. دار المعارف، الرياض.

بأيّ طاعة نال جعفر مرتبة قدسيّة؟!

أخرج الصدوق رضي الله عنه (٣٨١هـ) قال : حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي ، عن أبيه ، عن أحمد بن النضر الخزاز ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أوحى الله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إنّي شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال، فدعاه النبي صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال: لولا أنّ الله تبارك وتعالى أخبرك ما أخبرتك، وما شربت خمرأً قط؛ لأنّي علمت إنّي إن شربتها زال عقلي، وما كذبت قط؛ لأنّ الكذب ينقص المروة، وما زنيت قط لأنّي خفت أنّي إذا عملت عمل بي، وما عبدت صنماً قط لأنّي علمت أنّه لا يضر ولا ينفع.

قال: فضرب النبي صلى الله عليه وآله على عاتقه وقال: «حق الله تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنة»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

ورواه الصدوق رضي الله عنه في الأمالي قال : حدثني أبي ، عن محمد بن أحمد بن عليّ بن الصلت ، عن عمّه عبد الله بن الصلت ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن شمر به مثله أو قريب منه^(٢)

قلت : إسناده صحيح.

والفرق بين مثل جعفر رضوان الله عليه ، وبين المعصومين : أنّ المعصوم مجبول على العصمة بالجعل التكويني ؛ ضرورة أنّ القدسيّة هي حقيقته ؛ فهي عنده لدنيّة حضوريّة ،

(١) علل الشرائع (صادق بحر العلوم) ٢: ٥٥٩ . منشورات المكتبة الحيدريّة ، النجف .

(٢) الأمالي : ١٣٣ . مؤسسة البعثة ، قم .

من أول الإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ يَا مَعْجِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأْتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ وسيأتي في المتواترات ما يبيّن هذا بتفصيل ..

وأما جعفر رضوان الله عليه ، فقدسيته ليست لدنية حضورية ؛ كالتي عند الأنبياء والأوصياء والملائكة في ابتداء الإيجاد ، وإنما نال ما نال من القدسية بالطاعات والقربات كما هو صريح الخبر أعلاه ، والطريق مفتوح لجعفر رضي الله عنه وصلوات الله عليه ، بل غيره من الخلائق ؛ لينال كلّ منهم ، ما شاء من مراتب القدس الأعلى ، ولا يتحقق هذا إلا باتباع الأنبياء والأوصياء بالطاعات والقربات ، عقلاً ونصاً ..

لكن أخبرتنا النصوص أيضاً أنّ هذا لم يتحقق عند أكثر البشر ، مع استطاعتهم عليه ؛ حسبنا قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ .

الإشكالية الثانية

عويصة أفضليّة النبي ﷺ على جبرائيل !!؟

حاصل الإشكالية

النبي صلى الله عليه وآله ذاتاً وتكويناً ، أفضل من كل الخلائق...؛ أشرف منها ذاتاً وقدساً ونوراً وعلماً ورتبةً ؛ فإذا كان الأمر كذلك ، وهو كذلك نصّاً وإجماعاً بل ضرورةً ، وسيأتي نقل الإجماع في ذلك؛ فكيف يحتاج النبي محمد صلى الله عليه وآله إلى واسطة ، هي جبرائيل صلوات الله عليه ، كيما يوحي الله سبحانه وتعالى إليه...؟!.

أو ما تفسير توسط جبرائيل عليه الصلاة والسلام بين النبي محمد ، وبين الله سبحانه وتعالى ، حتى يتحقق نزول الوحي عليه صلى الله عليه وآله...!.

ولا يقال : إنّ جبرائيل عليه السلام مجرد ناقل للوحي ، ولا يشترط أن يكون الناقل أفضل من المنقول إليه في عرف العقلاء ، كما في حامل رسالة السلطان إلى سلطان آخر ؛ ضرورة أنّ الحامل أدنى شرفاً ورتبةً من السلطان!!!.

لأنّه يقال : هذا قياس مع الفارق ؛ في عدّة أمور :

الأمر الأول : النبي محمد صلى الله عليه وآله أشرف من كل الخلائق ، جبرائيل فمن دونه عليهم السلام ، ذاتاً وحقيقةً وتكويناً ، وأمّا أفضلية السلطان ، فاعتبارية محضة ، لا حقيقة لها ؛ فكلّ السلاطين على الإطلاق -عدا المعصوم- ليسوا أفضل ذاتاً وتكويناً وحقيقة ، وإنّما هم كذلك بالاعتبار والمجاز والتواطؤ.

الأمر الثاني : الوحي النازل على الأنبياء أمرٌ ذاتي تكويني ؛ ضرورة أنّه علمٌ لدنيّ ، وقضاءٌ رباني ، ونورٌ عرشي ، عين الحقّ والصدق والعصمة ، أمّا رسالة السلطان ، فاعتبارية عين النقص ، ضرورة طرؤ الخطأ والسهو والغفلة عليها ، فأين هذا من ذاك؟!.

الأمر الثالث : النبي محمد صلى الله عليه وآله تكويناً وحقيقةً ، هو واسطة الفيض ، بين الله وبين جبرائيل وغيره من المعصومين عليهم السلام ؛ فهو النور الأوّل في الإيجاد ، الحامل الأوّل لعرش الله تعالى ، خلقه الله تعالى قبل أن يخلق جبرائيل وجنس الملائكة فمن

دونهم بكذا الف سنة إلهية ، كما ستيفصل في الأخبار الصحيحة الآتية ، إذن فما تفسير أن يكون جبرائيل هو الوسطة التكوينية لعلوم الله اللدنية؟!.

الأمر الرابع : وثمة إشكال أكبر من هذا ، وهو لغوية الوحي ؛ فالله تعالى كلم نبينا محمد دون حجاب إلا حجاب الفقر إليه سبحانه؛ فلقد : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿ ومع هذا القرب ، لا حاجة للوحي جبرائيل وغيره من الملائكة المقربين عليهم الصلاة والسلام ، بل هو عين اللغو!!!.

إذا ما تفسير توسط جبرائيل بين الله تعالى وبين نبينا خاصة ، وبقية الأنبياء والأوصياء عليهم السلام عامة؟!.

هاك الجواب على الترتيب التالي..

النبي ﷺ أشرف الكائنات نصّاً وإجماعاً

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحجاج ، عن حماد ، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : قال أمير المؤمنين عليه السلام: « ما برأ الله نسمة خيراً من محمد صلى الله عليه وآله »^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام. والنسمة : الروح باتفاق أهل العلم .

وروى الكليني رضي الله عنه عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن عبد الله بن محمد ، ابن أخي حماد الكاتب ، عن الحسين بن عبد الله : قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كان رسول الله صلى الله عليه وآله سيد ولد آدم؟! .

فقال عليه السلام : « كان والله سيد من خلق الله ، وما برأ الله برية خيراً من محمد صلى الله عليه وآله »^(٢).

قلت : صحيح في الجملة ، وهذا الإسناد مجهول بعبد الله بن محمد . ولهذا أصول قرآنية قطعية ، ناهيك عن أخبار النور والطينة ؛ حسبنا ثلاث آيات :

الأولى : قوله تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾^(٣).

أخرج الإمام السنّي الكبير ابن أبي شيبّة (٢٣٥هـ) قال : حدثنا علي بن حفص ، عن المسعودي ، عن عاصم ، عن أبي وائل قال : قال عبد الله بن مسعود الصحابي : إنّ الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وإنّ صاحبكم خليل الله ، وإنّ محمداً أكرم الخلق على الله ، ثم قرأ : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾^(٤).

(١) الكافي(ت: علي غفاري) ١ : ٤٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي(ت: علي غفاري) ١ : ٤٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الإسراء : ٧٩ .

(٤) مصنف ابن أبي شيبّة(ت: كمال الحوت) ٦ : ٣١٠ ، رقم : ٣١٦٨٥ . مكتبة الرشد ، الرياض .

قلت : إسناده صحيح دون كلام بين أهل السنة ، رجاله ثقات على شرط الشيخين ، إلا المسعودي لم يخرج له الشيخان ، وهو ثقة دون كلام بينهم .

والحديث : صريحٌ في اصطفاء خاص لنبيِّنا محمد صلى الله على محمد وآل محمد ، دون قاطبة الخلائق.

الثانية : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) . مجموع النفي والاستثناء ، فيما قضى الله تعالى ، حصراً في توقّف نزول رحمة الله تعالى على كلّ العوالم ، على وجود النبيِّ محمد صلى الله عليه وآله ، والإطلاق حجة .

الثالثة : قوله : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(٢) . ومعنى : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ قسم الله سبحانه بحياة النبيِّ ، كقولنا لبعضنا : وحياتك عندي . وتقريب ذلك ، أنّ الله تعالى لم يقسم بحياة فرد من قاطبة ما خلق سبحانه ، إلاّ بحياة نبيِّنا محمد صلى الله عليه وآله .

وهذا من أدلّة أشرافية نبيِّنا محمد صلى الله عليه وآله على كلّ ما خلق الله ، ولا يعارضه أمثال : ﴿ وَالتِّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فهذا قسم بالنوع ، وهو تشریف إجمالي كما في : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ لا تفصيلي كما في شخص بعينه ، والفرق أنّ الإجماليّ يحتمل تخلف بعض الأفراد دون التفصيلي .

إذا اتّضح هذا ، فكيف أضحي محمداً أكرم الخلق على الله تعالى؟! بأيّ شيء نال ما لم ينله أحدٌ من العالمين؟!!! قلنا : بروح القدس أضحي صلى الله عليه وآله كذلك ، وسيأتي البيان في الفصل اللاحق ..

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٤٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

نص: تشرف قاطبة الملائكة بالنبی ﷺ

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) في العلل قال: حدثنا الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدب وعلي بن عبدالله الوراق، وأحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنهم قالوا: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن يحيى بن أبي عمران وصالح بن السندي، عن يونس بن عبدالرحمان قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: لأبي علة عرج الله بنبيه صلى الله عليه وآله إلى السماء، ومنها إلى سدرة المنتهى، ومنها إلى حجب النور، وخاطبه وناجاه هناك، والله لا يوصف بمكان؟!!!..

فقال عليه السلام: إن الله لا يوصف بمكان، ولا يجري عليه زمان، ولكنه عز وجل أراد أن يُشرف به ملائكته، وسكان سمواته، ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته، ما يخبر به بعد هبوطه...^(١).

قلت: إسناده صحيح.

الخبر بشهادة ما مرّ ويأتي، صريح أنّ ذات النبي أشرف من عامة الذوات السماوية على الإطلاق، ناهيك عن الأرضية، ملائكة وغيرهم؛ يشهد لهذا الخبر ما تقدّم من آيات الكتاب الثلاث في قدس نبينا. لكن هل التشريف تكويني حقيقي، أم اعتباري مجازي؟!.

قلنا: عالم الملائكة ملكوتي عين الفعلية والوجدان، مقاماته نورية قدسية حقيقية، ودرجاته ذاتية تكوينية، وبإيجاز حقيقة تلکم المراتب العلم والقدرة اللدنيين، ليس فيها اعتبار ومجاز وأوهام؛ فلا تغفلنّ عن هذا.

ولا بأس بالإشارة إلى أنّ سدرة المنتهى، موجودة في السماء السابعة، في آخر حدودها، كما في الأخبار المعتبرة؛ فقله عليه السلام: (ومنها إلى سدرة المنتهى، ومنها إلى حجب النور...) أي: إلى ما بعد السماء السابعة، إلى الأشرف وجوداً منها.

(١) علل الشرائع: ١: ١٣٢. منشورات المكتبة الحيدريّة، النجف.

رتبة جبرائيل قياساً بالنبي في المعراج

أخرج عليّ ابن إبراهيم القمي (٣٢٩هـ) في تفسيره قال : حدثني خالد ، عن الحسن بن محبوب ، عن محمد بن يسار (سيار) ، عن مالك الاسدي ، عن إسماعيل الجعفي قال : كنت في المسجد الحرام قاعداً وأبو جعفر عليه السلام في ناحية ، فرفع رأسه ، فنظر إلى السماء مرة ، وإلى الكعبة مرة ثم قال : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ وكرر ذلك ثلاث مرات ، ثم التفت إلي فقال عليه السلام : «أي شيء يقولون أهل العراق في هذه الآية يا عراقي»؟! .

قلت : يقولون أسرى به من المسجد الحرام إلى البيت المقدس؟! .

فقال عليه الصلاة والسلام : «لا ، ليس كما يقولون، ولكنّه أسرى به من هذه إلى هذه» وأشار بيده إلى السماء وقال : «ما بينهما حرم» قال عليه السلام : «فلما انتهى به إلى سدرة المنتهى تخلف عنه جبرئيل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا جبرئيل في هذا الموضع تخذلني»؟! .

فقال جبرائيل عليه السلام : «تقدم أمامك ، فو الله لقد بلغت مبلغاً ، لم يبلغه أحدٌ من خلق الله قبلك ، فرأيت من نور ربي...»^(١).

قلت : إسناد صحيح ، رجاله ثقات ، وإسماعيل هو بن جابر الجعفي ، وهو ثقة ، عدا هذا فالخبر من رواية ابن محبوب وهو من أصحاب الإجماع .

قوله عليه السلام : (يا جبرئيل في هذا الموضع تخذلني) تركني وحدي ؛ ضرورة أنّ تكوين جبرائيل عليه السلام لا ينهض بأكثر من هذه الرتبة من القرب القدسي .

قول جبرائيل عليه السلام : (فو الله لقد بلغت مبلغاً ، لم يبلغه أحدٌ من خلق الله قبلك) صريحٌ في أشرفيّة نبينا على قاطبة ما خلق الله تعالى .

(١) تفسير القمي(ت: طيب الجزائري) ٢: ٢٤٣ . مطبعة النجف ، منشورات دار الهدى .

وروى الكليني عن محمد بن أبي عبد الله ، عن علي بن أبي القاسم ، عن يعقوب بن إسحاق قال : كتبت إلى أبي محمد عليه السلام سألته : هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه سبحانه؟! . فوقع عليه الصلاة والسلام : «إنَّ الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه ، من نور عظمته ما أحب»^(١).

قلت : إسناده صحيح . والمقصود بالقلب ههنا ليس العضو الصنوبري ، وإنما الروح القدسية .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى وغيره ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي نصر ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لما أسري بي إلى السماء ، بلغ بي جبرئيل مكاناً ، لم يظأه قط جبرئيل ، فكُشِفَ له ، فأراه الله من نور عظمته ما أحب»^(٢).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن حماد بن عثمان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «لما عرج برسول الله صلى الله عليه وآله انتهى به جبرئيل إلى مكان ، فخلى عنه ، فقال له : يا جبرئيل تخليني على هذه الحالة؟! .

فقال جبرئيل عليه السلام : «امضه فو الله لقد وطئت مكاناً ، ما وطئه بشر ، وما مشى فيه بشرٌ قبلك»^(٣).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٩٥ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٩٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٤٤٣ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

وروى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمد الجوهري ، عن علي بن أبي حمزة قال : سألت أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام وأنا حاضر ، فقال : جعلت فداك كم عرج برسول الله صلى الله عليه وآله؟! .

فقال عليه السلام : «مرتين ، فأوقفه جبرئيل موقفاً ، فقال له : مكانك يا محمد ، فلقد وقفت موقفاً ، ما وقفه ملك قط ولا نبي...»^(١).

قلت : صحيح في الشواهد ، وهذا الإسناد معتبر ؛ الجوهري من أصحاب الكتب ، وثقه ابن قولويه في الكامل توثيقاً عاماً ، لكنّه مضعّف بالوقف ، وأمّا عليّ بن أبي حمزة البطائني الهالك ، فأصحابنا رووا عنه قبل الانحراف .

الإجماع أن النبي ﷺ أفضل الخلائق

أما نحن الشيعة؛ فإجماعنا في هذا محقق، بل من ضروريات أهل القبلة على الظاهر.

قال الشيخ الصدوق (٣٨١هـ) رضي الله تعالى عنه في كتابه اعتقادات الإمامية: يجب أن نعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمد والأئمة، وأنهم أحب الخلق إلى الله، وأكرمهم عليه، وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ الَّتِي بَرَّبْتُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾.

وأن الله تعالى بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأنبياء في الذر. وأن الله تعالى أعطى ما أعطى كل نبي على قدر معرفته نبينا، وسبقه إلى الإقرار به. وأن الله تعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته عليهم السلام، وأنه لولاهم، لما خلق الله السماء والأرض، ولا الجنة ولا النار، ولا آدم ولا حواء، ولا الملائكة، ولا شيئاً مما خلق، صلوات الله عليهم أجمعين^(١)..

وأما أهل السنة هذان الله وإياهم لمرضاته، فكذلك على التحقيق؛ فهناك لترى ما عندهم بإيجاز..

روى الإمام الترمذي (٢٧٩هـ) في سننه قال: حدثنا الحسين بن يزيد، قال: حدثنا عبد السلام بن حرب، عن يزيد أبي خالد، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أنا أول من تنشق عنه الأرض، فأكسى الحلة من حلال الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش، ليس أحد من الخلائق، يقوم ذلك المقام غيري».

قال الترمذي: هذا حديث حسن^(٢).

(١) اعتقادات الإمامية (ت: عصام السيد): ٩٣. دار المفيد، بيروت.

(٢) سنن الترمذي (ت: بشار عواد): ٦: ١٠، رقم: ٣٦١١. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

قال الملا علي الهروي القاري (١٠١٤هـ) : اعتقاد أهل السنة والجماعة : أن خواص البشر ، وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة ؛ كجبريل وميكائيل ، بل نقلوا الإجماع على أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق ، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم على ما رواه الترمذي ... ، وساق ما سردناه أعلاه^(١).

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى : وقد اتفق المسلمون ، على أنه صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق جاها عند الله ، لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه ، ولا شفاعة أعظم من شفاعته^(٢).

قلت : بحسب استقصاء القاصر ، لم أجد خلافاً في هذا عند أهل السنة عبر القرون .

(١) الرد على القائلين بوحدة الوجود (ت: علي رضا) : ٨٩ . دار المأمون للتراث ، دمشق .

(٢) مجموع الفتاوى (ت: عبد الرحمن قاسم) ١ : ٤٥ . مجمع الملك فهد .

رواية الحاكم: «لولا محمد ما خلقتك»

أخرج الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) قال: «حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل، حدثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل بن مسلمة، أنبا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟!».

قال آدم: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليّ ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب^(١).

قلت: رجاله ثقات، إلا عبد الله بن مسلم الفهري، لم يوثقه أحد، بيد أن تصحيح الحاكم لما تفرّد به الفهري توثيق، وأيضاً لم يطعن فيه أحد من قدماء أهل السنة؛ ومن ذلك أن البيهقي (٤٥٨هـ) أخرج الحديث في الدلائل ولم يطعن في الفهري بل قال: تفرّد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف. اهـ.

قلت: أجمع أهل السنة أن عبد الرحمن بن أسلم، صالح يكتب حديثه، حسن في نفسه، بل ثمة من وثقه، لكن بعضهم أخذ عليه سوء الحفظ، فلا يختلطن عليك.

(١) مستدرك الحاكم (ت: مصطفى عطا) ٣: ٦٧٣، رقم: ٤٢٢٨. دار الكتب العلمية، بيروت.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ أوّل طعن في تاريخ أهل السنّة لمضمون الحديث أعلاه ، ارتكبه الذهبي (٧٤٨هـ) في كتابه الميزان ؛ لاعتقاده ببطلان التوسّل بالنبيّ ، وقد تابعه كثير ممن جاء بعده من أهل السنّة إلى يومنا هذا متابعة عمياء ..

والحقّ فإنّهم على خطأ ، واعتقاد الذهبي هو الباطل ؛ للإجماع أنّ النبيّ أفضل الخلق ، ولما ثبت أنّ آدم ، بل كلّ الخلائق يوم الحشر ، يطلبون شفاعتنا نيّناً ، فأين الباطل في هذا؟! .

الحاصل : الحديث صحيح عند أساطين أهل السنّة ، غير مطعون فيه ، حتى يوم الذهبي (٧٤٨هـ) وشيخه ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) ؛ فقبلهما لم يطعن فيه طاعن .

شاهد لحديث الفهري

أضف إلى ذلك لم يتفرّد الفهري برواية الحديث أعلاه ؛ فلقد توبه بما رواه الطبراني في الأوسط والكبير قال : حدثنا محمد بن داود، ثنا أحمد بن سعيد الفهري، ثنا عبد الله بن إسماعيل المدني، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أذنب آدم الذي أذنبه، رفع رأسه إلى العرش، فقال: أسألك بحق محمد إلاّ غفرت لي، فأوحى الله إليه: وما محمد ، ومن محمد؟! .

فقال آدم عليه السلام : تبارك اسمك، لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب: لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله، فعلمت أنّه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه: يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك، وإنّ أمته آخر الأمم من ذريتك، ولولاه يا آدم ما خلقتك^(١).

قال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه من لم أعرفهم^(٢).

قلت : عبد الله بن إسماعيل المدني ، مجهول الحال .

(١) المعجم الصغير(ت: محمد إمرير) ٢: ١٨٢، رقم: ٩٩٢ . المكتب الإسلامي ، بيروت.

(٢) مجمع الزوائد ٨: ٢٥٣، رقم: ١٣٩١٧ . مكتبة القدسي ، القاهرة.

جواب الإشكالية!!

بيان هذه الإشكالية -بالنظر لمجموع ما تقدّم- متوقف على معرفة أنحاء وجود المعصوم في الوجود، وهي فيما نحن فيه، على نحوين:

الأول: النبي ﷺ بما هو معصوم.

سيّضح في النصوص الثابتة الآتية؛ كصحيح جابر الجعفي، عن الباقر عليه السلام أنّ حقيقة النبي صلى الله عليه وآله قبل خلق الدنيا نورٌ: «بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس» وهو صريحٌ أنّ ذات المعصوم -بما هو معصوم- نبياً كان أم وصياً، ليس إلاّ روح القدس فقط لا غير، وحاله في الجملة، حال جبرائيل صلوات الله عليه وبقية الملائكة عليهم السلام، لا أكثر ولا أقل.

فالنبي في عالم القدس قبل خلق الدنيا، نورٌ كجبرائيل، بل أشدّ نوراً منه ومن كلّ الملائكة؛ ضرورة أنّها مؤيدان بروح واحدة هي روح القدس لا غير، غاية ما في الأمر تفاوت ذاتيهما المقدستين في أشدّية الوجود، والنبي محمد في عالم النور؛ أي: بما هو وجودٌ مقدّس معصوم، أشرف من جبرائيل، دون أدنى كلام، لكن لا يقف الأمر على هذا.

الثاني: النبي ﷺ بما هو بشر.

ثبت أنّ النبي صلى الله عليه وآله في عالم القدس، ليس إلاّ نوراً، لكن قضى الله تعالى أنّ ينزله من ذلك العالم القدسي إلى عالم الابتلاء بشراً: ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ لكن لماذا فعل الله تعالى ذلك؟!.

قلنا: لتوقف نزول رحمة الله التامة على قاطبة العوالم، سيما السفلية الدنيوية، على إنزاله بشراً؛ حسبنا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) والإطلاق حجّة، سيما مع

اعتضاده بإجماع أهل القبلة سنة وشيعة دون نكير ، أن أعظم شافع بعد الله يوم القيامة ، هو سيّد الخلق نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، فاحفظ .

لكن لماذا أنزله الله تعالى بشراً؟! .

قلنا : يجب ذلك عقلاً وشرعاً ؛ فأما شرعاً ؛ فلقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾^(١) . لكن يبقى السؤال عقلاً : لماذا قضى الله أن ينزله بشراً؟! .

قلنا -عقلاً- : يجب أن ينزله الله تعالى بشراً ، وإلاّ امتنعت هداية الناس في الدنيا ؛ لما ذكرناه من استحالة إحاطة عالم الدنيا بعالم الوحي والملكوت ؛ فمحالّ أن يحيط البشر الدنيوي المحدود بالفناء ، بعالم الملكوت غير المحدود بالفناء ؛ لذلك يمتنع رؤية البشر للملائكة والجنّة والنار وغير ذلك ؛ لأنّه من إحاطة المحدود بالفناء بغير المحدود ، وهو ممتنع بالبديهية ؛ فتعيّن أن يكون النبيّ ذو الحقيقة القدسيّة بشريّاً ؛ كيما يمكن لبقية البشر أخذ الهداية عنه بالمشاهدة والسماع ؛ إذ يمتنع هذا في فرض كون المعصوم ملكاً أو نوراً ..

وقد بيّنا أوّل الكتاب أنّ حقيقة الدنيا وما فيها : العدم والفناء ، وأهلها لا يسانخون عالم القدس والملكوت الذي هو وجود وبقاء ؛ فمحالّ أن يتكشف لبقية البشر ما في الملكوت من الوحي والكتاب والعلم والهداية عن طريق الملائكة ، مع كونهم مقيدّين بزنانة الخسة وسجن الفناء ، ويستثنى ما كانت حقيقته ملكوتيّة قدسيّة كأهل العصمة ، كما بيّنا في جواب الإشكاليّة الأولى .

الزبدة : لا بدّ أن يجعل الله تعالى ملكوتيّة نبينا محمد ونوريّته صلى الله عليه وآله ، التي هي غير محدودة بالموت والفناء في عالم النور والروح القدس ، كما هو حال أهل ذلك العالم ، منكشفة لأهل الدنيا تمام الانكشاف ؛ ليتحقق غرض الله تعالى من هداية العباد ، لكن هذا

محال إلا بفرض تحديد ملكوتية النبي بلباس البشرية ؛ كيما تنكشف سبل الهداية والوحي لأهل الدنيا ، وإلا انتقض الغرض ؛ إذ لو بقي النبي نوراً مجرداً ولم يجعله الله تعالى بشراً من لحم ودم ، فكيف سنشاهده ونسمعه ونأخذ عنه القرآن وبيان القرآن ؟!

فلاحظ عزيزي القارئ عظمة نبينا محمد بن عبد الله ، التي لم ينهض بها حتى جبرائيل ؛ فلقد رضي صلى الله عليه وآله بقضاء الله شاكراً ، أن ينزل من عالم النور والجبروت ، وهي رتبة لم يبلغها حتى جبرائيل عليه السلام ، إلى عالم الدنيا الخسيس ؛ لتوقّف نزول رحمة الله على العباد على ذلك ؛ فصلى الله على محمد وآل محمد أبد الأبدين .

لكن لهذا ضريبة بيّنة ؛ وهي تقييد ملكوتية النبي ونورته وقديسته ببعض الأعدام الدنيوية ، وتحديدده ببعض الحثيات الفانية الخارجة عن حقيقته القدسية ؛ كالشيب والهرم والجوع والعطش ؛ ليتحقق هداية الخلق واستنزال الرحمة من الله تعالى عليهم ، وهذا لا يخلو من حاجبية ما عن الملكوت ؛ لذلك توسط جبرائيل بينه وبين الله تعالى ؛ ضرورة أنّ ذات جبرائيل عليه السلام ليست إلا روح واحدة ، هي روح القدس لا غير ..

يدلّ على ما ذكرنا النصوص القطعية الكثيرة ، منها : قول الصادق للمفضل : «يا مفضل إنّ الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح : روح الحياة فبه دب ودرج ، وروح القوة فبه نهض وجاهد ، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال ، وروح الإيثار فبه آمن وعدل ، وروح القدس فبه حمل النبوة...» .

وهو صريحٌ أنّ نورية النبي التي هي عين الفعلية والتحقق في عالم الملكوت والقدس ، أضحت مقيدة في عالم الدنيا ، بروح الحياة والشهوة والقوة ، أي لا بدّ أن يكون النبي في هذا العالم البشري ، محبوساً بالنطفة ثمّ العلقة ثمّ المضغة و... ، أي : الألم والجوع والعطش والهرم وغير ذلك ، وكلّ هذا قيود دنيوية وأعدام سفلية قياساً بحقيقته القدسية النورية ، التي هي روح القدس لا غير ..

الزبدة : عالم الدنيا ، هو : عالم الخروج من القوّة إلى الفعل ، إلى الوجدان بعد الفقدان ، وعالم الملكوت عين الفعلية والتحقّق والوجود ، فأين هذا من ذلك ..؟! .

ويجب التنبيه ، وهو ما سيتفصّل في الفصل القادم ، أنّ ملكوتية النبيّ ونوريّته المقدّسة ، أشرف من بشريّته المطهّرة فيما قضى الله تعالى ؛ ومعنى ذلك أنّ النبيّ قادرٌ أن ينسلخ عن عالم البشريّة ويتجرّد عن الدنيا برمتها، ليرجع إلى عالم النوريّة والروح القدس متى شاء ، وفي هذا الفرض لا يحتاج إلى واسطة بينه وبين الله تعالى ، لا جبرائيل ولا غيره من المقربين صلوات الله عليهم ، كما حصل له صلى الله عليه وآله في المعراج .

لكن لا يقف الأمر عند قدرة النبي الكاملة على التجرّد التام عن الدنيا والتنزّه عن قاطبة قيودها العدميّة ، وإنّما هل تأذن حكمة الله تعالى أن يفعل النبي ذلك ، مع ما ذكرناه من توقّف نزول رحمة الله وهداه على العالمين على جعل النبيّ النوري بشراً؟! .

ففي فرض أنّ حكمة الله تعالى لم تأذن للنبي بالانسلاخ عن البشريّة والتجرّد عن الدنيا ، وهو الغالب على حال النبيّ صلى الله عليه وآله في هذه الدار الخسيّة ؛ كما يتسنى نزول الرحمة على النَّاس ، والاهتداء بما جاءهم به ..

قلنا : في هذا الفرض يحتاج النبيّ أرواحنا له الفداء ، المقيّد ببعض الأعدام الدنيويّة البشريّة ، إلى واسطة جبرائيل المجرّد عن هذه الأعدام فيما هو معلوم ضرورة .

وأما ما عدا هذا الفرض ، كما في تجرّد النبي عن هذه الأعدام يوم المعراج ، أي لما أذن الله تعالى له صلوات الله عليه أن ينسلخ عن البشريّة ويتجرّد عن الدنيا بما آتاه سبحانه من روح القدس ، فلا يحتاج لا إلى جبرائيل ولا إلى غيره .

الزبدة في دفع الإشكال

الفرق ليس بين ذات النبيّ الأشرف الأقدس ، وبين ذات جبرائيل عليهما السلام الشريفة القدسيّة ، ليرد إشكال كيف يكون جبرائيل وسيطاً بين الله وبين النبي عليه السلام؛ لوضوح أنّ ذات النبيّ أشرف من كلّ ما خلق الله ، جبرائيل وغيره من المقربين صلوات الله عليهم أجمعين ؛ للنص بل الإجماع أنّه أفضل وأشرف الخلق .

الفرق كلّ الفرق أنّ عالم النبيّ النبيّ صلى الله عليه وآله ، بوصف كونه دنيوياً ، أدنى من عالم جبرائيل الملكوتي ، بوصف كونه ملكوتياً ، ولقد قضى الله أن يتقيّد النبيّ بالدنيوية والبشريّة ؛ تحقيقاً لغرض الله تعالى في رحمة العباد تكويناً وتشريعاً ؛ إذ يستحيل أن يحيط البشر الدنيوي بعلوم السماء الملكوتية اللدنيّة من دون بشريّة النبيّ .

لاستحالة إحاطة الأخسّ الأدنى بالأشرف الأعلى ، إلّا إذا أنزلها الله تعالى إليهم ، وهذا لا يكون إلّا بإنزال النبيّ من عالم النور إلى عالمهم الدنيوي ، ليكون بشراً مثلهم في الأعيان ، يتسنّى لهم مشاهدته وساعه والأخذ منه والاعتراف من معينه .

يدلّ على هذا أنّ الله سبحانه إذا أذن للنبيّ أن يتنزّه عن الدنيويّة ، ويعرج إلى عالم النور ؛ كون أصله نورياً ملكوتياً ، لا يحتاج لا إلى جبرائيل ولا إلى غيره صلوات الله عليهم ، حسبنا : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾^(١) لكنّ الله سبحانه قضى أن لا يأذن للنبيّ بالعروج غالباً ؛ كيما لا يفوت غرضه سبحانه في عالم الدنيا ، وهو هداية العباد تشريعاً ، وإنزال الرحمة والسكينة عليهم تكويناً .

وقد يقال : لماذا قضى الله تعالى أن يختار محمّداً دون غيره وسيطاً لهداية العباد ، لإنزال الرحمة إليهم بواسطته ، فيجعله بشراً في عالم الدنيا بعد أن كان نوراً في عالم القدس والنور ، فلماذا وقع الاختيار عليه ولم يقع على جبرائيل مثلاً؟! .

قلنا ببساطة : لأنّ ظرْفِيّة جبرائيل عليه السلام ، غير ناهضة ، لأن تكون واسطة فيض رحمة الله لكلّ العالمين ؛ هذا خاصّ بنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ؛ يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) .

قلت : أي أنّ واسطة نزول الرحمة على كلّ العوالم ، نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم ، وجبرائيل من هذه العوالم .

وقد مضى قول جبرائيل عليه السلام : « تقدم أمامك ، فو الله لقد بلغت مبلغاً ، لم يبلغه أحدٌ من خلق الله قبلك ؛ فقال النبيّ محمد : فرأيت من نور ربي... » وغير ذلك من الأخبار المعتضدة بعدم الخلاف ..

وهل النبي صلى الله عليه وآله قادر بإذن الله تعالى ، على العروج إلى الملكوت الأعلى والقدس الأسمى ؛ ليستغني عن جبرائيل عليه السلام؟! .

قلنا : بلى ، شرط أن يأذن الله تعالى له ؛ كيما لا يفوت غرض الله تعالى من تحقيق هداية البشر وإنزال الرحمة إليهم ..

يدلّ عليه ما تواتر يوم المعراج : ﴿ دَنَا فَتَلَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾^(٢) فالله تعالى أوحى إليه من دون واسطة جبرائيل عليهما السلام ، وإنّما بروح القدس ، فيما هو معلوم ضرورة .

إذ قد أجمع النّاس ، شيعة وسنّة أنّ الوحي هيهنا ليس جبرائيل ، ولا أيّ من الملائكة الآخرين صلوات الله عليهم أجمعين ، بل علمٌ آتاه الله نبيّنا صلى الله عليه وآله دون واسطة خارجية ، سوى روح القدس لا غير ، وروح القدس هي حقيقة العصمة كما سترى لاحقاً في الفصل القادم .

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) النجم : ٨ - ٩ .

النص على احتياج بشرية النبي إلى الوسطة

حسبنا قوله تعالى : ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾^(٢).

ولقد أوضحنا أن حقيقة المعصوم -بما هو معصوم- هو روح القدس لا غير ، فلا يحتاج كما حدث في المعراج ، إلى واسطة الملك جبرائيل أو غيره عليهم السلام ، ليعلم عن الله تعالى أمره ومشئته..

لكن قضى الله تعالى أن المعصوم ، بما هو بشر دنيوي، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، محكومٌ تكويناً بالواسطة ؛ لذلك تعينت الوسطة المملوكة بين الله تعالى وبين أهل الدنيا ، ولا خلاف أن النبي -بما هو بشر- من أهل الدنيا، مقيدٌ بكثيرٍ من قيودها ، خلافاً لجبرائيل وبقية المقربين عليهم الصلاة والسلام في هذا الفرض ؛ كونه ملكوتياً منزهاً عن كل قيود الدنيا ..

يدل على مجمل هذا ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد عن البرقي ، عن أبي طالب ، عن سدير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن قوما يزعمون أنكم آلهة ؛ يتلون بذلك علينا قرآنا : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾؟! .

فقال عليه السلام : « يا سدير ، سمعي ، وبصري ، وبشري ، ولحمي ، ودمي ، وشعري من هؤلاء براء ، وبريء الله منهم ، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي ، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة ، إلا وهو ساخط عليهم» .

قال : قلت : وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل ...؟! .

(١) الأنعام : ٥٠ .

(٢) الأحزاب : ٢ .

فقال عليه السلام : «يا سدير ، سمعي ، وبصري ، وشعري ، وبشري ، ولحمي ، ودمي ، من هؤلاء براء ، وبريء الله منهم ورسوله ، ما هؤلاء على ديني ، ولا على دين آبائي ، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم».

قال سدير فقلت : فما أنتم؟! .

قال عليه السلام : «نحن خزّان علم الله ، نحن ترجمة أمر الله ، نحن قومٌ معصومون ، أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ، ونهى عن معصيتنا ، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض»^(١).

قلت : إسناده حسن صحيح ، رجاله ثقات . أبو طالب الأنباري : عبد الله بن أبي زيد الأنباري ، ضعفه الشيخ الطوسي ؛ كونه واقفياً على الظاهر . لكن وثقه النجاشي قال : شيخ من أصحابنا، ثقة في الحديث ، عالمٌ به، كان قديماً من الواقعة .اهـ.

قلت : فلا إشكال .

المتيقّن من قوله عليه السلام : (نحن الحجة البالغة ، على من دون السماء ، وفوق الأرض) صريحٌ أنّ المعصوم صلوات الله عليه -بما هو بشر ذنوبي- حجة على مَنْ دون السماء مِنْ أهل الأرض ، وهم أهل الأرض لا غير ..

ضرورة أنّ عالم الدنيا الأدنى ، لا يكون حجة على الملكوت الأعلى ، وإلّا لزم المحال ؛ فالمعصوم في عالم الدنيا الأدنى -بوصف الأدنى- مضيّق بالبشريّة محدود بحدود عالم الفناء ، وعالم الملكوت الأعلى ، بوصف الأعلى ، غير محدود بذلك ، محكومٌ بالخلود والبقاء ، ومحال أن يحيط الأدنى المحدود بالفناء ، بعالم البقاء غير المحدود بالفناء ..

بلى المعصوم كنبينا عليه الصلاة والسلام -بما هو روح قدس- حجة على العالمين ، السماوات والأرضين؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ والآية بملاحظة

إجماع أهل القبلة أنّ النبي أشرف الكائنات ، ظاهرةً في احتياج جبرائيل بل كلّ ما خلق الله بواسطة نبينا بينهم وبين الله ، لنزول الرحمة والفيض عليهم .

لكنّه صلى الله عليه وآله -بما هو بشر دنيوي- بحاجة لواسطة ملكوتية قدسية كجبرائيل عليهم السلام جميعاً ، على ما بينا ، فاحفظ .

وقد تقول : أرى الله سبحانه وتعالى كلّ عالم الملكوت لأيننا إبراهيم عليه السلام فقال : ﴿ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ ونبينا محمد أشرف من إبراهيم نصّاً وإجماعاً وضرورة ، وعليه فلا حاجة لوساطة جبرائيل بينه صلى الله عليه وآله وبين الله سبحانه ..

قلنا : مضى بيان هذا عاجلاً ؛ فثمّة عالمان عدا عالم الدنيا الخسيس :

الأول : عالم الملكوت .

كعالم الذر ، وعالم الآخرة ، وعالم ملائكة التدبير ، ناهيك عن الجنة والنار والسرائر والحوض والأعراف ... وهذا العالم يراه -في الجملة- كلّ المعصومين .

الثاني : عالم الجبروت .

هو عالم القدس والنور ، أو هو عالم العلم اللدنيّ الأوّل ، أو عالم علم المشيئة ، ووحى جبرائيل من هذا العالم .

وعليه فرؤية الملكوت لا تلازم معرف الوحي ؛ لأنّ عالم الوحي من عالم القدس والجبروت ، والجنة والنار من عالم الملكوت وهو أدنى منه .

توهم المنافاة !!

ربما يقال : قول الصادق عليه السلام في صحيح سدير الأنف : «نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض»^(١).

ينافي ما رواه الكليني عن علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن موسى بن القاسم بن معاوية ح ..

ومحمد بن يحيى ، عن العمركي بن علي جميعاً ، عن علي بن جعفر ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «إنّ الله عز وجل خلقنا ، فأحسن خلقنا ، وصورنا فأحسن صورنا ، وجعلنا خزانة في سائه وأرضه ، ولنا نطق الشجرة ، وعبادتنا عبد الله عز وجل ، ولولانا ما عبد الله»^(٢).

قلت : إسناده الثاني صحيح دون كلام ، وكذا الأول على الأقوى .

قلنا : لا منافاة إطلاقاً ؛ فصحيح علي بن جعفر يدور مدار وجود أهل البيت القدسي النوري في العوالم وأتهم وسائط فيض رحمة الله لها ؛ من ذلك قول الله في نبينا : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

وأما صحيح سدير فيدور مدار وجودهم الإنساني البشري ، كما قال سبحانه في نبينا : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

فإذا تعلق أمر الله سبحانه وتعالى بكونهم رحمة للعالمين ، كانوا صلوات الله عليهم خزان السموات السبع والأرضين السبع ، وإن تعلق الأمر بالناس ، فهم عليهم السلام في هذا الفرض بشر ، حجة على من دون السماء وفوق الأرض ؛ لاقتضاء البشريّة هذا الحال على ما فصلنا كثيراً.

(١) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٦٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٦٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

الفصل الثاني

المعصوم عليّ وآلِهِ والروح القدس

معنى روح القدس !!؟

روح القدس - كما أشار القرآن- ذات مخلوقة مجردة من عالم النور ، حقيقتها العلم والقدرة اللدنيّين . ولك أن تقول : روح القدس هو : العقل المجرد ، أو : النور الأوّل .

الأصل القرآني فيه ، وستأتي الأخبار القطعيّة، قوله سبحانه : ﴿ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ نَكَلَمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمُوتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ (١) .

وقول عيسى عليه السلام : ﴿ قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمُوتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

ومجموعهما -بضميمة النصوص القطعيّة الآتية- ظاهرٌ أنّ كلام عيسى في المهدي، وعلمه بالكتاب والحكمة، وإبرائه الأكمه والأبرص، وخلقه من الطين طيراً ، متوقف على روحه القدسيّة صلوات الله عليه ، توقف المعلول على العلة ، على ما قضى الله سبحانه .

ومن عظيم شأن روح القدس أنّ عيسى صلوات الله عليه أوتي الكتاب والنبوة وهو في المهدي صبيّاً : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَبَدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (٤) .

(١) سورة المائدة : ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران : ٤٩ .

(٣) سورة مريم : ٣٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾^(١) .

وهو نصٌّ ظاهرٌ أنّ التأييد بروح القدس ، يتفاوت من معصوم لآخر شدةً وضعفاً ؛ فيجب أن يكون معلوماً ضرورةً أنّ الروح القدس مشترك معنوي في المعصومين عليهم السلام ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ ومردّد هذا التفاضل ، إلى تفاوتهم في أشدّيّة أرواحهم القدسيّة في رتبة الوجود .

فمعنى المشترك المعنوي فيما نحن فيه ، هو أنّ أرواح قاطبة المعصومين وإن كانت كلّها قدسيّة ؛ أي : منزّهة عن كلّ تعلّقات المادّة بقسميها المللكوتي والدينيوي ..

لكن قدسيّة روح نبينا محمّد صلّى عليه وآله أشدّ وجوداً ، من قدسيّة بقيّة المعصومين عليهم السلام ؛ لقوله تعالى : ﴿ ذَنَّا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ وهذه رتبة ، من عالم النور والجبروت ، لم ينلها أحدٌ من الخلق ، والجبروت أشرف من عالم المللكوت المذكور في قوله تعالى : ﴿ نُزِّيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

ونشير إلى أنّ لفظ المللكوت في وريقاتنا المتواضعة هذه ، ربما يتناول عالم الجبروت الذي هو أشرف من عالم المللكوت ؛ ضرورةً أنّ المللكوت معلول في الوجود للجبروت ؛ فلربما تسامحنا في استعمال لفظ المللكوت للأعم منها في بعض المواضع ؛ وإنّما قد نرتكب هذا التسامح ؛ دفعاً للتشتيت الحاصل من التفصيل الذي لا يأنس به القارئ الكريم كثيراً .

(١) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(٢) سورة البقرة : ٨٧ .

التأييد بروح القدس جعل تكويني

الأصل فيه قوله تعالى: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ وهو جعل تكويني..

يدلّ عليه ، ما رواه الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن جابر الجعفي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ..

فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام ، وخاصة الله من خلقه ، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس ، فبه عرفوا الأشياء ، وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عز وجل ، وأيدهم بروح القوة فبه قدروا على طاعة الله ، وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتها طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته ، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويحيئون ، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فبه خافوا الله ، وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتها طاعة الله ، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويحيئون»^(١) .

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه الصلاة والسلام : «جعل فيهم خمسة أرواح : أيدهم بروح القدس» نصّ في دخول روح القدس ، في ماهية المعصوم دخولاً ذاتياً اتحادياً بالجعل التكويني ، كدخول الناطقية في حقيقة الإنسان ، لا انضمامياً كالرمل والسكر ، بل إنّ حقيقة المعصوم هو روح القدس لا غير ، وسيأتي هذا في نصوص عالم النور .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٧٢ . دار الكتب الإسلامية طهران .

شواهد أنّ روح القدس جعل تكويني

ثمّة شواهد لصحيح جابر بن يزيد الجعفي رضي الله عنه ، صريحة في حقيقة الروح القدس ، وأنّه مجعول تكوينياً في ذات المعصوم خاصّة ، هاك منها :

معتبر المفضل بن عمر

يشهد له ما رواه الكليني عليه السلام أيضاً عن الحسين بن محمد ، عن المعل بن محمد ، عن عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخي عليه ستره؟! .

فقال عليه السلام : «يا مفضل إنّ الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح : روح الحياة فيه دب ودرج ، وروح القوة فيه نهض وجاهد ، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال ، وروح الإيثار فيه آمن وعدل ، وروح القدس فيه حمل النبوة ؛ فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام ، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو ، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو ، وروح القدس كان يرى به»^(١).

قلت : إسناده صحيح على الأظهر الأقوى ، المعل بن سنان موثقان فيهما ضعف .

قوله : (انتقل روح القدس فصار إلى الإمام) كناية عن انتقال إمامة المعصوم السابق إلى اللاحق الناطق بعد أن كان صامتاً ؛ ضرورة أنّ روح القدس لا ينتقل ولا يوصف بحركة ؛ كون الانتقال والحركة خصائص عدميّة ، تنزّه عنها الملكوت وما فوقه .

والمرئي في قوله عليه السلام : (وروح القدس كان يرى به) الملكوت والملائكة والوحي وعالم التدبير... كما رأى إبراهيم صلوات الله عليه ، وكلّ معصوم بحسبه .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٧٢ . دار الكتب الإسلاميّة طهران .

مرسل درست شاهداً

وروى الصفار (٢٩٠هـ) قال: حدثنا عمران بن موسى بن جعفر، عن علي بن معبد، عن عبد الله بن عبد الله الواسطي، عن درست بن أبي منصور، عن ذكره، عن جابر قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الروح؟!.

فقال عليه السلام: «يا جابر، إن الله خلق الخلق على ثلاث طبقات، وانزلهم ثلاث منازل وبين ذلك في كتابه حيث قال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ فأما ما ذكر من السابقين، فهم أنبياء مرسلون، وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن، وبين ذلك في كتابه حيث قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(١) ثم قال سبحانه في جميعهم: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾^(٢) فبروح القدس بعثوا أنبياء، مرسلين وغير مرسلين، وبروح القدس عملوا جميع الأشياء...»^(٣).

قلت: صحيح، وهذا الإسناد مرسل سقناه استشهداً واعتباراً.

ورواه الكليني رضي الله تعالى عنه عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، رفعه عن محمد بن داود الغنوي، عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام وساق مثله^(٤).

قلت: صحيح، وهذا الإسناد مرفوع، سقناه شاهداً للاعتبار.

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) البقرة: ٢٥٣.

(٣) بصائر الدرجات (ت: كوجة باغي): ٤٤٦. مطبعة الأحمدي، طهران.

(٤) الكافي (ت: علي غفاري): ٢: ٢٨١. دار الكتب الإسلامية، طهران.

معتبر الأصبغ بن نباتة رضي الله عنه

ورواه الصفار (٢٩٠هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن محمد بن داود ، عن ابن هارون العبدي ، عن محمد ، عن الأصبغ قريب منه^(١).

معتبر المنخل الأسدي

يشهد له ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن موسى بن عمر ، عن محمد بن سنان ، عن عمار بن مروان (من بني ثوبان ، هو وأخوه ثقتان) ، عن المنخل (بن) جميل ، ضعيف) ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألت عن علم العالم؟! .

فقال لي عليه السلام : « يا جابر ، إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الإيثار ، وروح الحياة ، وروح القوة ، وروح الشهوة .

فبروح القدس يا جابر عرفوا : ما تحت العرش ، إلى ما تحت الثرى ..؛ يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثنان ، إلا روح القدس ؛ فإنها لا تلهو ولا تلعب^(٢) .
قلت : صحيح بالشواهد ، وهذا الإسناد ضعيف بالمنخل الأسدي .

خبر الحسن بن الجهم

وأخرج الصفار قال : حدثنا عبد الله بن محمد ، عن إبراهيم بن محمد ، أخبرنا يحيى بن صالح ، حدثنا محمد بن خالد الأسدي ، عن الحسن بن جهم ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال : « في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح البدن وروح القدس وروح القوة وروح الشهوة وروح الإيثار » .

(١) بصائر الدرجات (ت: كوجة باغي) : ٤٤٦ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) : ١ : ٢٧٢ . دار الكتب الإسلامية طهران .

ثم قال عليه السلام: «وفي المؤمنين أربعة أرواح -أفقدتها روح القدس- : روح البدن وروح الشهوة وروح الايمان».

ثم قال عليه السلام: «وفي الكفار ثلاثة أرواح: روح البدن وروح القوة وروح الشهوة». ثم قال عليه السلام: «روح الايمان يلزم الجسد مالم يعمل بكبيرة؛ فإذا عمل بكبيرة، فارقه الروح. وروح القدس من سكن فيه فإنه لا يعمل بكبيرة أبداً»^(١).

قلت: صحيح، وهذا الإسناد مجهول. فيه من لم أعرفه.

الحاصل: النصوص في هذا المعنى كثيرة جداً، سيعرض لها هذا الكتاب هنا وهناك، منها صحيح الحلبي في العنوان الآتي، وهي صريحة أن روح القدس مجعول في ذات المعصوم بالجعل التكويني.

وكما قلنا: فحقيقة المعصوم، نبيّاً كان، كنبينا محمد، أم وصياً من الأوصياء كالخضر وأصف، أم ملكاً من الملائكة كجبرائيل عليهم السلام، هو: روح القدس لا غير، والفرق بين آحاد المعصومين إنما في مراتبه الوجودية المتفاوتة بين الأشد الأكمل وبين الشديد الكامل، وبين هاتين المرتبتين مراتب كثيرة بعدد من أوجد الله تعالى من المعصومين، وسيأتي بيان هذا بشيء من التفصيل.

(١) بصائر الدرجات (ت: كوجة باغي): ٤٤٦. مطبعة الأحدي، طهران.

النص أن روح القدس عين القدرة اللدنية

وأخرج الصفار (٢٩٠هـ) رحمه الله قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ...، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١)؟! قال عليه السلام : «من قدرته»^(٢) .

قلت : إسناده صحيح ، في أعلى درجات الصحة .

والقدرة هي هنا لدنية في مرتبة الفعل والخلق والإيجاد كما هو واضح ، لا التي في مرتبة الذات التي هي عين الذات ، وقوله تعالى : ﴿مِنْ رُوحِهِ﴾ إضافة ملك واختصاص ، كما في قوله تعالى : ﴿وَطَهَّرَ بَنِيَّ لِلطَّائِفِينَ﴾ .

والحديث ، بضميمة ما مضى ويأتي ، نص أن الروح القدس عين القدرة فيما قضى الله تعالى ؛ تلك القدرة التي قال عنها عيسى : ﴿أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنُ اللَّهُ وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمُؤْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣) .

يدل على كل هذا ما أخرجه الصدوق عليه السلام (٣٨١هـ) في كتابه التوحيد قال : أبي رحمه الله ، قال : حدثنا سعد بن عبد الله ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن محمد ابن عيسى ، عن ابن فضال ، عن محمد بن شعبة الحلبي وزرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : «إن الله تبارك وتعالى أحد ، صمد ، ليس له جوف ، وإنما الروح ، خلق من خلقه ، نصر ، وتأيد ، وقوة ، يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين»^(٤) .

(١) سورة السجدة : ٩ .

(٢) بصائر الدرجات (ت : كوجة باغي) : ٤٤٦ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

(٣) آل عمران : ٤٩ .

(٤) التوحيد : ١٧١ .

قلت : صحيح ، رجاله ثقات دون كلام .

ورواه الصفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ويعقوب بن يزيد ، عن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبي جميلة المفضل بن صالح الأسدي ، عن محمد (=بن علي بن أبي شعبة) الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عز وجل : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (١٩) .!

قال عليه السلام : «إنَّ الله تبارك وتعالى أحدُ صمدٌ ، والصمد الشيء الذي ليس له جوف ؛ وإنما الروح خلقٌ من خلقه ، له بصرٌ ، وقوَّةٌ ، وتأييدٌ ، يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين» (٣) .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد مختلف فيه ، رجاله ثقات دون كلام ، سوى المفضل بن صالح ، فمختلف فيه ؛ ضعفه النجاشي ، والأقوى اعتماده في الشواهد؛ لكثرة رواية أصحاب الإجماع عنه ، سيما ابن أبي عمير الذي لا يروي إلا عن ثقة ، عدا هذا فالرجل وثقه القمي وابن قولويه في كتابيهما ، وفيما نحن فيه صحيح بالشواهد الكثيرة .

قلت : في ما رواه الصدوق رضي الله عنه : (الروح : خلق من خلقه ، نصرٌ ، وتأييدٌ ، وقوَّةٌ) وفيما رواه الصفار رضي الله عنه : (الروح خلقٌ من خلقه ، له بصرٌ...).

ولا منافاة بينها مضموناً ، وقد يرجح ما رواه الصدوق ؛ للاتفاق على وثاقة رواته ، بخلاف ما رواه الصفار ؛ ففيه المفضل بن صالح الأسدي ، وهو مختلف فيه .

الزبدة : الروح القدس - على ما رواه الصدوق - : عين النصر والتأييد والقوَّة والقدرة . أو عين القدرة كما روى الصفار في صحيح أبي بصير ، وهما بمعنى ولا مشأحة في اللفظ .

(١) الإسرائاء: ٨٥ .

(٢) بصائر الدرجات (ت: كوجه باغي) : ٤٨٣ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

نص : روح القدس داخل في حقيقة العصمة

أخرج الصفار (٢٩٠هـ) في بصائر الدرجات قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١).

قال عليه السلام : « منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيه ما صعد إلى السماء، وإنه لفينا »^(٢).

قلت: إسناده صحيح دون أدنى كلام.

قوله عليه السلام : وإنه لفينا داخل في حقيقتنا ، دخولا اتحاديا ذاتيا تكوينيا ، موجدا لذواتنا ، نظير دخول الناطقية في ذات الإنسانية .

ورواه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن أسباط ، عن أسباط بن سالم قال : سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر عن قول الله وساق مثله^(٣) .

قلت : إسناده صحيح على الأظهر ، رجاله ثقات ، وأسباط من أصحاب الأصول ، لم يطعن بشيء ، كما أنه من مشايخ ابن أبي عمير ، وكلهم ثقات على الأظهر .

ورواه الصفار في البصائر قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن البرقي ، عن أبي الجهم ، عن علي بن أسباط عن الصادق عليه السلام مثله^(٤) .

(١) الاسراء: ٨٥ .

(٢) بصائر الدرجات : ٤٧٧ . باب الروح . مطبعة الأحمدية ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٧٣ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٤) بصائر الدرجات : ٤٧٧ . باب الروح . مطبعة الأحمدية ، طهران .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد صحيح على الأظهر الأقوى ، رجاله ثقات إلا أبا الجهم ؛ فمجهول عند السيّد الخوئي ، ولا يضرّ لكونه من مشايخ ابن أبي عمير ، وهو لا يروي إلا عن ثقة .

كما قد رواه قال : حدثنا محمد بن الحسين ، عن علي بن أسباط به مضمراً مثله^(١) .

قلت : إسناده صحيح . وعليّ بن أسباط سمع الصادق عليه السلام وروى عنه دون كلام ، وكونه يروي عنه بواسطة أحياناً لا يضرّ ، فلا تغفل .

قول الباقر عليه السلام : (وإنه لفينا) أي مجعول فينا بالجعل التكويني ، وهو شاهد لما رواه جابر الجعفي عن الصادق : « جعل فيهم خمسة أرواح : أيدهم بروح القدس... » .

وكذا صحيح الحلبي وزرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « إنها الروح ، خلق من خلقه ، نصرّ ، وتأييدٌ ، وقوةٌ ، يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين » وغيرها .

ومقصود الباقر عليه السلام : (ما صعد إلى السماء) بقاء العصمة والإمامة في الأرض إلى قيام القائم ؛ ضرورة أنّ العصمة تدور مدار الروح القدس وجوداً وهدماً ، بل العصمة هي الروح القدس ؛ فإذا ذهبت العصمة والإمامة من الأرض بعد فناء الدنيا ، رجع روح القدس إلى محلّه من عالم الملكوت أو الجبروت .

نظير رجوع أرواح قاطبة الخلائق إلى محلها من السماء ؛ أي الملكوت ، بالموت وفناء الدنيا ، والمقصود بالسماء ههنا ، ليس سماء الدنيا ، بل ما بعد الدنيا ، وهذه لا يقتدر عليها الخلق إلا بالموت ، أو بالعروج .

(١) بصائر الدرجات : ٤٧٧ . باب الروح . مطبعة الأحمدي ، طهران .

النص أن روح القدس مع المعصوم

نؤكد أن روح القدس متحد بذات المعصوم منذ أن أوجده الله تعالى حتى ما بعد مماته ، داخل في حقيقته بالجعل التكويني ، كدخول الفصل في النوع ، كما يجب أن يعلم أن ولاية التكوين وطائفة من المعاجز الصادرة عن المعصوم ، معلولة لروح القدس ، أو العلم اللدني ، أو اسم الله الأعظم ، ما شئت فعبّر ..

الزبدة : فالنبي محمد صلى الله عليه وآله ، وكذا بقية الأنبياء وقاطبة أهل العصمة ، عالمون بالله عارفون بالإيمان ، من أول وجودهم المقدس إلى الأبد ، كل حسب درجته ، وقد مضى وسيأتي كثيرٌ من النصوص القطعية ، وهي صريحة فيما اعتقدناه ..

وقد مضى قبل قليل ما أخرجه الصفار عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ... جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾^(١).

قال عليه السلام : «منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيه ما صعد إلى السماء، وإنه لفينا»^(٢).

وروى الكليني علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي أيوب الخزاز ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾!؟.

قال عليه السلام : «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، لم يكن مع أحد من مضى غير محمد صلى الله عليه وآله ، وهو مع الأئمة يسددهم ، وليس كل ما طلب وجد»^(٣).

قلت : إسناده صحيح ، دون أدنى كلام .

(١) الاسراء: ٨٥ .

(٢) بصائر الدرجات : ٤٧٧ . باب الروح . مطبعة الأحدي ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٧٣ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

ومعوية الروح القدس للأئمة في قوله عليه السلام : (مع الأئمة يسددهم) عين المعنى في قوله عليه السلام : (وإنه لفينا) إذ الروح القدس مجعول بالجعل التكويني في ذات المعصوم عليه السلام ..

وإنما عبّر المعصوم تارة بالمعوية في قوله عليه السلام : (مع الأئمة) وتارة أخرى بالمداخلة الاتحادية التكوينية في قوله : (وإنه لفينا) لتعدد الاعتبار ؛ فثمة اعتباران :

الاعتبار الأول : فقوله عليه السلام : (مع الأئمة) باعتبار اللزوم الذاتي ، بمعنى عدم مفارقة روح القدس لذواتهم ؛ كلزوم الزوجية للأربعة لزوماً ذاتياً .

الاعتبار الثاني : قوله عليه السلام : (وإنه لفينا) باعتبار الدخول في حقيقة المعصوم بالجعل التكويني دخولاً اتحادياً.

والمنفي في قوله عليه السلام : (لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله) الرتبة الأشد لروح القدس في الوجود ، وسيأتي النص القطعي الصريح في هذا ، في أخبار النور الثابتة .

هذه الرتبة الأشد ، منحصرة بالنبي محمد عليه السلام ، وهي لا تنافي وجود الرتبة الشديدة في غير سيد الخلق محمد من بقية المعصومين أنبياء وملائكة وأوصياء صلوات الله عليهم جميعاً وسيأتي البيان .

الروح القدس عين العلم والفهم

قال سبحانه وتعالى: ﴿ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾^(١).

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾^(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٣).

وقال تقدّست أسماؤه: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

قلت: الروح في كل هذه الآيات، هو روح القدس.

يدلّ عليه في النصوص القطعية، ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن علي بن أسباط، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم، أهو علم يتعلمه العالم من أفواه الرجال، أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟!..

قال عليه السلام: «الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾.

(١) سورة النحل: ١٠٢.

(٢) القدر: ١-٤.

(٣) الإسراء: ٨٥.

ثم قال عليه السلام: «أي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية؛ أيقرون أنه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟!».

فقلت: لا أدري جعلت فداك ما يقولون.

فقال لي عليه السلام: «بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب، فلما أوحاها إليه، علم بها العلم والفهم وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء؛ فإذا أعطاها عبداً علمه الفهم»^(١).

قلت: إسناده حسن، بل صحيح، عمران بن موسى الأشعري ثقة وهو عينه الزيتوني. وموسى بن جعفر هو ابن وهب البغدادي، وثقة ابن قولويه في الكامل، وهو من أصحاب الكتب والأصول، وهؤلاء حسان إذا لم يطعنوا بشيء. وعلي بن أسباط بياع الزطي، ثقة فطحي، تاب فيما قيل، وهو الأقوى.

وقد أنبأت النصوص الثابتة، سيأتي بعضها، أن الله تعالى جعل فيه هذه الروح قبل خلق الدنيا بكذا ألف سنة، لما كان نوراً حول العرش.

وقد مضى خبر جابر عن الباقر عليه السلام: «فبروح القدس يا جابر، عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى..؛ يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس؛ فإنها لا تلهو ولا تلعب».

وكذا خبر المفضل الصحيح عن الصادق: «وروح القدس فيه حمل النبوة؛ فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام...» وغيرها.

وروى الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن أسباط، عن الحسين بن أبي العلاء، عن سعد الإسكاف قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟!.

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٧٣. دار الكتب الإسلامية طهران.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «جبرئيل عليه السلام من الملائكة والروح غير جبرئيل» فكرر ذلك على الرجل.

فقال له الرجل: لقد قلت عظيماً من القول، ما أحد يزعم أن الروح غير جبرئيل؟!.

فقال عليه السلام: «إِنَّكَ ضَالٌّ، تروي عن أهل الضلال؛ يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١) يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(١) والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم»^(٢).

قلت: مرسل صحيح؛ سعد بن طريف الإسكافي، لم يدرك علياً، والبقية ثقات.

وروى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؟!.

قال عليه السلام: «خلق من خلق الله عز وجل، أعظم من جبرئيل، وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله، يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده»^(٣).

قلت: إسناده صحيح.

وأخرج الكليني عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾؟!.

(١) سورة النحل: ١.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٧٣. دار الكتب الإسلامية طهران.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٧٣. دار الكتب الإسلامية، طهران.

قال عليه السلام: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو مع الأئمة، وهو من الملكوت»^(١).

قلت: إسناده صحيح.

المعوية في قوله عليه السلام: (كان مع رسول الله، وهو مع الأئمة) الجعل التكويني كما تقدّم صراحة في الأخبار القطعية الأخرى، وإنما عبّر بالمعوية باعتبار الملازمة الذاتية، وعدم المفارقة.

قوله عليه السلام: (وهو من الملكوت) لا يتنافى كونه من عالم القدس والجبروت؛ فلروح القدس مراتب ثلاث: الأولى في عالم النور والجبروت، والثانية: في عالم التدبير والملكوت، والثالثة: في عالم الدنيا مجمولة في ذوات خصوص المعصومين عليهم السلام.

وإنما ذكر الإمام عليه السلام الملكوت دون غيره، باعتبار تعلقه بتدبير أمر الخلق وهدايتهم، والله سبحانه أذن للمعصوم عليه السلام، نبياً كان أم وصياً أم ملكاً أن يراه، كما رآه إبراهيم، كل حسب درجته، وأما ما قبل عالم الملكوت مما خلق الله، وهو عالم العرش أو عالم المشيئة فيما سترى مفضلاً في فصل لاحق، فلا يحيط به المعصوم إلا إذا شاء الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ لذلك قال عليه السلام: (وهو من الملكوت) كون المعصوم يحيط بهذا العالم دون عالم المشيئة.

وبالجملة: عالم الملكوت الذي يراه المعصوم إنما رآه بروح القدس في رتبة الملكوت، وليس بروح القدس التي في رتبة عالم الجبروت، أو عالم النور، أو عالم العرش، أو عالم المشيئة، ما شئت فعبر، وهذا لا يراه المعصوم إلا إذا شاء الله أن يطلعه على بعضه، وسيأتي التفصيل في فصل العرش.

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٧٣. دار الكتب الإسلامية، طهران.

وقفه مع : ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾

قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

اعتاص على الكثير ، سيما أهل السنّة هداهم الله ، تفسير قوله تعالى : ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ .

ولقد زعم بعض حشويّة الخوارج من أتباع بني أمية قالوا : ظاهر الآية أنّ النبيّ محمد كان جاهلاً حتّى بعثه الله تعالى نبياً في سنّ الأربعين ، بل قد تناول طائفة منهم ، فقالوا بكفر النبيّ صلى الله عليه وآله قبل البعثة ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم .

قلنا : يتعيّن منع الظهور لو سلمناه ؛ لقوله تعالى : ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا... جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ والروح في خصوص الآية ، ليست شريعة توحى أو أحكاماً تتلى ، بل هي ذات قدسيّة نوريةّ مجعولة تكوينياً في ذات المعصوم وهو في بطن أمّه .

هذه الروح هي روح القدس فيما بان ، وهي مقومة لذات النبيّ منذ أن أوجده الله تعالى قبل خلق الدنيا ، وهي غير القرآن والشريعة التي نزلت عليه بعد سنّ الأربعين ، وقد سردنا بعض الأخبار الثابتة أنّه جعل تكويني متحد مع ذات المعصوم .

لكن لماذا عبّر الله سبحانه وتعالى بلفظ : ﴿أَوْحَيْنَا﴾ مع أنّ الموحى روحاً مجعولة بالتكوين ، ليست شريعةً مجعولة بالاعتبار كالصوم والصلاة؟! .

قلنا ببساطة : لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ أي علماً لديناً ، وقد مرّ وسيأتي في النصوص القطعية ، أن حقيقة الروح القدس ، هي العلم اللدني الأول ، فناسب لفظ الوحي من هذه الجهة ..

ومن جهة أخرى ؛ لكون هذا العلم اللدني ، ذاتٌ قدسية ، حيّة قادرةٌ فاعلةٌ بإذن الله تعالى ، ناسب لفظ الجعل من الجهة الثانية ، وقد نطق القرآن أنّ الروح القدس ذاتٌ قادرة حيّة فاعلة في قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَيْدُتَكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ..

وقد جمع الله تعالى الجهتين في قوله تعالى : ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ .

والأمر هو الأمر في قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾^(١) فلقد بعض أهل السنة أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان على الضلال قبل البعثة ، متناسين ما راه أهل القبلة بإسناد صحيح عن النبي قال : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» أو أنه صلى الله عليه وآله كان نوراً قبل خلق الخلق وغير ذلك مما يدل على قدسه العظيم ؛ فتعيّن تفسير الآية بما يلائم هذه الثوابت الشرعية .

وننبّه أن لفظ الضال في قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ مشترك لفظي ؛ فلا يسوغ حمل اللفظ على معنى دون آخر إلا بقريئة ، وعند عدم القريئة لا يسوغ التفسير ، لكونه من التفسير بالمجمل والمجل ليس بحجة إجماعاً ..

والمعتين في تفسير الظال في الآية ، التقدير ؛ أي كنت عند قومك ضالاً ؛ لمباينة ما جئت به لعقيدتهم ؛ فهدهم الله إليك ..

روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بإسناد معتبر قال : حدثنا : علي بن الحسين ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن خالد بن يزيد ، عن أبي الهيثم ، عن زرارة ، عن الامامين عليهما السلام في قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ أي فأوى إليك الناس ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ أي هدى إليك قوماً لا يعرفونك حتى عرفوك : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ أي وجدك تعول أقواما فأغناهم بعلمك .

قال علي بن إبراهيم ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ قال : وجدك ضالاً في قوم لا يعرفون فضل نبوتك فهداهم الله بك ^(١).

يشهد له ما رواه الصدوق قال : حدثنا أحمد بن الحسن القطان ، قال : حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال : حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب ، قال : حدثنا تميم بن بهلول ، عن أبيه ، عن أبي الحسن العبدى ، عن سليمان بن مهران ، عن عباية ، عن ابن عباس ، قال : سألت عن قول الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾؟! قال : إنما سمي يتيماً لأنه لم يكن له نظير على وجه الأرض من الأولين ولا من الآخرين فقال الله عز وجل ممتنا عليه بنعمته : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا ﴾ أي وحيداً لا نظير لك ﴿ فَآوَى ﴾ إليك الناس وعرفهم فضلك حتى عرفوك ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ يقول : منسوباً عند قومك إلى الضلالة فهداهم لمعرفة ^(٢).

ولا يرد أن هذين مجرد خبرين اثنين لا غير؟!.

قلنا : الأصل في تفسير الآيات الماضية الأصل القرآني القطعي ، المبين بالروايات الصحيحة المستفيضة أن حقيقة نبينا في عالم النور ، هي روح القدس لا غير ، أوجده الله مع أهل بيته عليهم السلام يطوفون حول عرشه بعدونه ، قبل أن يخلق الخلق بكذا ألف سنة ، ومن كانت حاله هكذا كيف يوصف بالجهل بل الكفر كما هملج بعض حشوية أهل السنة؟!.

(١) تفسير القمي (ت: طيب الجزائري) ٢ : ٤٢٧ . مطبعة النجف .

(٢) معاني الأخبار (ت: علي غفاري) : ٥٣ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

النص أن النور هو روح القدس

حقيقة المعصوم عليه السلام - بما هو معصوم - روح القدس أو النور لا غير، وأما بما هو: ﴿بَأَكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فحقيقته مجموع الأرواح الخمس الآتية ..

يدل على الأوّل صريحاً، وأنّ روح القدس: نور، ما مضى، ما رواه الصّفار بإسناده الصحيح عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

قال عليه السلام: «منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيّه ما صعد إلى السماء، وإنّه لفينا»^(٢).

كما يدل عليه ما رواه الكليني، بإسناد صحيح، عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «يا جابر إنّ الله أوّل ما خلق، خلق محمداً صلى الله عليه وآله، وعترته الهداة المهتدين؛ فكانوا أشباح نور بين يدي الله...، ظلّ النور، أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله وعترته؛ ولذلك خلقهم علماء بررة أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل، ويصلون الصلوات ويحجون ويصومون»^(٣).

وقوله: (بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي: روح القدس) صريح أن ذوات محمد وآله في عالم الأنوار، منزّهة عن الأرواح الخمس سوى روح القدس؛ إذ تقدّم أنّ مجموع الأرواح الخمس من مختصات عالم الدنيا، أمّا عالم الجبروت الأقدس، وهو عالم النور، فروح واحدة هي روح القدس لا غير.

(١) الاسراء: ٨٥.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٧٧. باب الروح. مطبعة الأحمدي، طهران.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٤٤٢. رقم: ١٠. دار الكتب الإسلامية طهران.

قوله عليه السلام في بيان الأشباح : (ظَلَّ النور، أبدان نورانية بلا أرواح...) سيَتَّضح معناه لاحقاً؛ فثمة إشكال هو :

منافاة قوله عليه السلام : (ظَلَّ النور) لما ورد في الأخبار الصحيحة أنَّ النبي وآل بيته المطهرين كانوا أنواراً حول العرش ، ولقوله تعالى : ﴿جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ فهل هم عليهم السلام نور ، أم ظل النور ، أم أنَّ هناك معنى خفياً يحتاج لبيان؟! .

سيأتي بيانه تحت عنوان الوحدة والكثرة ، فانتظر ، لكن لا مانع من أن نذكر ههنا في الجملة ، أنَّ النور الحق ، هو ذات الله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ضرورة أنَّه لا حدّ له سبحانه ، وأما نورية المعصوم فهي محدودة بالضرورة ؛ كونها مخلوقة معلولة في الوجود لنور الله ؛ وكلّ ما كان مخلوقاً فهو فقير إليه سبحانه ، ظلّ له تعالى ..

فمعنى : (ظَلَّ النور) أنَّهم عليهم السلام نورٌ محدود مخلوق مرئوب ، فقير إلى الله سبحانه في وجوده حدوداً وبقاءً ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يحتل في : (ظَلَّ النور) وجودهم الملكوتي المتعلّق بأبدان المثال النورية ، الذي هو ظل وجودهم النوري القدسي المجرد ..

قلت : كل من الاحتمالين في نفسه ثابت بالبرهان والبيان لا كلام فيه ، وإنّما الكلام في : ما هو مقصود الإمام عليه السلام من خصوص هذا اللفظ ، هاك لترى ..

بيان المجلسي والمازندراني عليهما السلام للحديث

قال المازندراني رضي الله تعالى عنه : قوله عليه السلام (ظل النور) الإضافة لامية ، والظل : الفيء الحاصل من الحاجز ، بينك وبين الشمس مثلاً ، والمراد به هنا على سبيل التشبيه.

قوله عليه السلام : (أبدانٌ نورانية) غير جسمانية كثيفة (بلا أرواح) حيوانية ، وقوى جسمانية كائنة في الأبدان الحيوانية ، والنور المضاف إليه إما الروح أو النور المعروف (وكان) ذلك الظل (مؤيداً بروح واحدة ، وهي : روح القدس) وقد مرّ أنه كان مع النبي صلى الله عليه وآله ، وهو أعظم من جبرئيل وغيره .

فبذلك الروح كان النبي وعترته صلى الله عليه وآله يعبدون الله تعالى (ولذلك) يعني : لتأييدهم بذلك الروح في أول الفطرة الروحانية (خلقهم) في النشأة اليهودية (حلماء علماء بررة أصفياء) في أول الفطرة اليهودية الجسمانية^(١).

قلت : قوله الشريف : بلا أرواح حيوانية ، تام جداً ، وهو صريح الحديث .

قال المجلسي رضي الله تعالى عنه في المرأة : قوله عليه السلام : (بلا أرواح) بلا أرواح حيوانية ، أو الروح مجرداً كان أو جسماً لطيفاً ؛ ليستقيم أيضاً ؛ لأنّ الأرواح ما لم تتعلق بالأبدان ، فهي مستقلة بنفسها^(٢).

وقال رضي الله عنه في البحار : بيان : قوله عليه السلام : (أشباح نور) لعل الإضافة بيانية ، أي أشباحاً نورانية ؛ والمراد إمّا : الأجساد المثالية ..؛ فقول : (بلا أرواح) بلا أرواح الحيوانية ، أو الروح مجرداً كان أو جسماً لطيفاً ، فيستقيم أيضاً ؛ لأنّ الأرواح ما لم تتعلق بالأبدان فهي مستقلة بنفسها ، أرواح من جهة وأجساد من جهة ، فهي أبدان نورانية لم

(١) شرح أصول الكافي (ت: علي عاشور) ٧: ١٥١ . إحياء التراث العربي ، بيروت.

(٢) مرآة العقول ٥: ١٩٦ .

تتعلق بها أرواح آخر، و: (ظل النور) أيضاً إضافته بيانية، ويسمى عالم الأرواح والمثال بعالم الظلال؛ لأنها ظلال ذلك العالم وتابعة لها..

أو لأنها ؛ لتجردها أو لعدم كثافتها شبيهة بالظل، وعلى الاحتمال الثاني يحتمل أن تكون الاضافة لامية، بأن يكون المراد بالنور نور ذاته تعالى، فإنها من آثار تلك النور، والمعنى دقيق، فتفطن^(١). اهـ.

وقال رضي الله عنه : قوله عليه السلام : (وكان مؤيداً بروح واحد) أي في عالم الأرواح ، أو في عالم الأجساد ، والأول أظهر^(٢). اهـ.

قلت : مقصوده الشريف من عالم الأجساد ، عالم المثال ، وهو عالم الملكوت ؛ لقوله الشريف الأنف : والمراد إمّا : الأجساد المثالية...، أو لأنها ؛ لتجردها أو لعدم كثافتها شبيهة بالظل .

وربما يرد عليه رضي الله عنه ، أنّ أنوار أهل البيت ، مخلوقة قبل خلق عالم الملكوت وقبل عالم الظلال بمعنى المثال ، وهذا يدعوننا لإفراد عنوان هاكه ..

(١) بحار الأنوار(ت: اليهودي) ١٥ : ٢٥ . مؤسسة الوفاء ، بيروت.

(٢) بحار الأنوار(ت: اليهودي) ٥٨ : ١٤٣ . مؤسسة الوفاء ، بيروت.

الإضافة في : (ظَلَّ النور) بيانية أم لامية؟!.

الإضافة على أربعة أقسام : تشبيهية وظرفية وبيانية ولامية ، ما يخصنا ههنا : البيانية واللامية ، والفرق بينهما كالآتي :

الأولى : الإضافة البيانية.

تتماز عن غيرها من الإضافات ، بتقدير لفظ : (من) البيانية ؛ كما في قولنا : هذا بابُ خشبٍ ، أي : من خشبٍ ؛ فإضافة الخشب إلى الباب تفصيلٌ وبيان .

الثانية : الإضافة اللامية .

تتماز بتقدير : اللام ، وهي : لام الملك والاختصاص ؛ لذلك أطلق عليها اللامية ، كما في قولنا : هذا قبرُ الحسينِ ؛ أي : قبرٌ للحسين عليه السلام .

إذا أتضح هذا فقوله عليه السلام : (ظَلَّ النور) أهو من إضافة البيان ؛ ليكون : ظَلَّ مخلوقٌ من النور . أم من إضافة الملك والاختصاص ؛ ليكون : ظَلَّ لنور الله تعالى؟! . والكلام هو الكلام في قوله عليه السلام : (أشباح نور) .

قلت : الإنصاف أن كلاً منهما محتمل ، لا يتنافيان ، مع التنبيه أن كلاً منهما بحد ذاته تامٌ صحيح ؛ إذ لا ريب أن أشباح أهل البيت وكذا أنوارهم ملكٌ لله تعالى ؛ فالإضافة على هذا لامية .

كما لا ريب أن النور من عالم القدس والعقل ، وهو منزّه عن أيّ بدن ، مجرد عن كلّ علائق المادة بقسميها المثالي المملوكي ، ناهيك عن الدنيويّ ، وعلى هذا فالإضافة بيانية .

كما لا ريب ثالثاً أن الأشباح ألصق بعالم الملكوت ؛ أي عالم المثال ، من الجبروت أي عالم النور والعقل ؛ ضرورة أن أصل الشبح ما تعلّق ببدن مثالي لطيف .

ولا ثمرة كبيرة ؛ لتعيين أحد الاحتمالين من كلام المعصوم ؛ ضرورة أن كلاً منهما صحيح في نفسه ، قام عليه البرهان وشهد له البيان ..

ولله درّ المجلسي صاحب البحار (١١١١هـ) في قوله الشريف : الاختلافات الواردة في أزمنة سبق الأنوار ، يمكن حملها : على اختلاف معاني الخلق ، ومراتب ظهوراتهم في العوالم المختلفة ؛ فإنّ الخلق يكون بمعنى : التقدير ، وقد ينسب إلى الأرواح وإلى الأجساد المثالية وإلى الطينات ، ولكلّ منها مراتب شتى^(١) .

وقال أيضاً رضي الله عنه : قوله عليه السلام : (وكان مؤيدا بروح واحد) أي : في عالم الأرواح ، أو في عالم الأجساد ، والأول أظهر . (ولذلك) أي لتأييدهم بذلك الروح في أول الفطرة الروحانية ، خلقهم في الفطرة الجسائية (حلماء علماء...) . قوله عليه السلام : (ويصلون) كأنّه تأكيد لما مر ، أو المراد بقوله : (خلقهم) خلقهم في عالم الأرواح ، أي كانوا يعبدون الله في هذا العالم ، وكانوا فيه علماء ، بخلاف سائر الأرواح ؛ لتأييدهم حينئذ بروح القدس ، فقوله عليه السلام : (ويصلون) أي في عالم الأجساد فلا تكرر^(٢) .

قال والده التقيّ المجلسي (١٠٧١هـ) رضي الله تعالى عنه : قوله عليه السلام : (خلقكم الله أنواراً ، فجعلكم بعرشه محققين) أي مطيفين أي مستفيضين من علمه . أو : طائفين بالعرش الصوري في الأجساد المثالية ؛ كالطواف بالبيت (حتى من علينا بكم) بأن جعلكم أئمتنا^(٣) .

قلت : سيأتي بيان قول التقيّ المجلسي في فصل العرش ، ولا بأس أن نعرض ههنا في الجملة ، لبعض ما يجب بيانه ، كالآتي ..

(١) بحار الأنوار(ت: اليهودي) ٢٥ : ٢٥ . مؤسسة الوفاء ، بيروت .
 (٢) بحار الأنوار(ت: اليهودي) ٥٨ : ١٤٣ . مؤسسة الوفاء ، بيروت .
 (٣) روضة المتقين(ت: حسين كرماني) ٥ : ٤٨٤ . بنياد فرهنگ إسلامي

تحقيق في معنى البدن النوري والشبح!!

الشبح في قوله عليه السلام : (فكانوا أشباح نور بين يدي الله... ظلّ النور، أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس).

وسياتي في معتبر أبي حمزة الثمالي رضوان الله عليه قال : سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول : «إنّ الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده ، من نور عظمته ، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره ، يعبدونه قبل خلق الخلق ، يسبحون الله ويقدمونه ، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره ، يعبدونه قبل خلق الخلق».

قلنا : الشبح هو : بدن الروح ، ويتميز عن الجسد الدنيوي أنّ الثاني ذو أبعاد خسيصة فانية ، وهي : الطول والعرض والارتفاع ، وهذا عين الفقر ، وكونه خروج من القوّة إلى الفعل .

أمّا الأوّل فأبعاده مثاليّة ملكوتيّة شريفة ؛ وهي مثاليّة ؛ لقوله تعالى : ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ وأمّا ملكوتيتها ؛ فلاّتها من طين الجنّة ، أو : لأّتها من عالم الملكوت لا تفنى ، ومن ذلك أيضاً بدن أهل النّار ، فهو ملكوتي لا يفنى كما في قوله تعالى : ﴿نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ .

وأيضاً : فعالم النور ، أو عالم القدس ، أو عالم الروح ، أو عالم العقل ، أو عالم الجبروت ، ما شئت فعبر ، عالم منزه مجرّد ، ليس بجسم ولا جسماني .

إذا أتضح هذا ، فالظاهر البدوي من قوله عليه السلام : (أشباح نور) هو عالم الأبدان المثاليّة ، أو عالم الملكوت ما شئت فعبر ، وهذا تام في نفسه ؛ ضرورة أنّ عالم الأشباح هو عالم الأبدان المثاليّة ، كما في أبدان البشر في عالم الذر ، وكما هي أبدان أهل الجنّة ، وكما هي أبدان أهل النّار ؛ ضرورة أنّ الجميع لا يعرض عليه العدم والفناء .

لكن قوله عليه السلام : (إنَّ اللهَ أوَّلَ ما خلقَ، خلقَ محمداً) وقول السجّاد في صحيح الثمالي : (يعبدونه قبل خلق الخلق) ربما هو ظاهرٌ في عالم الجبروت ؛ أي : عالم العقل والنور المجرّد عن كلّ بدن .

فلو سلّمنا مثل هذا الظهور ؛ فما معنى (أشباح نور) مع أنّ الأشباح من مختصات عالم الملكوت والأبدان ، لا عالم الجبروت والنور المجرّد؟! .

قلنا : لو سلّمنا الظاهر ، وفيه نظر وتردد عند أساطين أصحابنا رضي الله عنهم فيما عرفت ، فيمكن تأويل الشبح في عالم المجردات بحد وجود النور وفقره إلى خالقه ، شدّة وضعفاً ، فيكون شبح على معنى الحد في الوجود ، لا الصورة البدنيّة ، فيرتفع إشكال التنافي وأنّ الشبح هو البدن المثالي الذي لا وجود له في عالم النور والجبروت .

فروح نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، أشدّ وجوداً ، وأشرف رتبة ، وأكثر علماً ، من بقيّة أرواح المعصومين ؛ فيكون معنى الشبح هي هنا الرتبة في شدّة وجود النور ، أو روح القدس ، أو علم اللدن أو العقل ، قياساً بمن دونه من الخلائق ، والله أعلم .

يدلّ على جملة هذا ما رواه الكليني رضي الله تعالى عنه ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن عاصم بن حميد ، قال : قال أبو عبد الله : «الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر...»^(١) .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات دون كلام .

قوله عليه الصلاة والسلام : (نور الحجاب...، نور الستر) الحد الوجودي للمخلوق ، بلا بدن .

(١) الكافي(ت: علي غفاري) ١ : ٩٨ . دار الكتب الإسلاميّة طهران .

النّص أنّ حقيقة المعصوم ملائكيّة متجرّدة

بان أنّ حقيقة المعصوم عليه السلام ، بما هو وجود قدسيّ ، نور ، وهو : روح القدس ، فهي ذاته وحقيقته لا غير ، وما يلزم أن يعلم أنّ هذه الذات ذات ملائكيّة ؛ إذ حقيقة الملك هي روح القدس لا غير ، والتفاوت بين المعصومين في ذلك ، أنبياء وأوصياء وملائكة ، إنّما هو في شدّة وأشدّيّة نوريّة وجود الروح القدس المجعولة في ذواتهم ..

أخرج القميّ رضي الله عنه (٣٢٩هـ) في تفسيره قال : حدثني أبي ، عن عبد الله بن المغيرة الخزاز ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا سألتم الله ، فاسألوه الوسيلة ، فسألنا النبي صلى الله عليه وآله عن الوسيلة؟!» .

فقال صلى الله عليه وآله : «هي درجتي في الجنّة ، وهي ألف مرقاة جوهرة ، إلى مرقاة زبرجد ، إلى مرقاة لؤلؤ ، إلى مرقاة ذهب ، إلى مرقاة فضة ، فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين ، وهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب ، فلا يبقى يومئذ نبي ولا شهيد ولا صديق إلّا قال طوبى لمن كانت هذه درجته ، فينادي المنادي ويسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين : هذه درجة محمد صلى الله عليه وآله .

قال النبيّ صلى الله عليه وآله : فأقبل يومئذ متزراً بريطة من نور ، على رأسي تاج الملك ، مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، علي ولي الله ، المفلحون هم الفائزون بالله ، وإذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكان مقربان ، وإذا مررنا بالملائكة قالوا : هذان ملكان لم نعرفهما ولم نرهما...»^(١) .

قلت : إسناده صحيح ، في أعلى درجات الصّحة ، رواه أجلاء الطائفة ، وأساطين الدراية والحديث ، اثنان منهم من أصحاب الإجماع .

(١) تفسير القمي (ت: طيب الجزائري) ٢ : ٣٢٥ . مطبة النجف .

ورواه الصدوق (٣٨١هـ) في العلل قال : ابى رحمه الله قال : حدثنا سعد بن عبد الله ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى ، عن العباس بن معروف ، عن عبد الله بن المغيرة الخزاز ، عن أبي حفص العبدي ، عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وساق مثله ^(١) .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد صحيح ؛ فابن المغيرة رضي الله عنه من أصحاب الإجماع الذين أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم .

الحاصل : حقيقة المعصوم في الدنيا بشر ؛ لمجموع الأرواح الخمس ، أمّا في عالمي الملكوت والجبروت ، فحقيقتها ملائكية ، ولكي لا يستوحش القارئ الكريم ممّا ذكرناه ؛ نذكره بما أجمع عليه أهل القبلة ، من أنّ جعفر الطيّار عليه السلام ، بشرٌ أضحى ، ملكاً مع الملائكة .

قال الإمام السنّي الهيثمي في كتاب مجمع الزوائد : وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتُ جعفر بن أبي طالب ملكاً ، يطير في الجنة ، ذا جناحين ، يطير بهما حيث شاء ، مقصوفة قوادمه بالدماء » .

رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن ^(٢) .

قلت : بل هذا من ضروريّات أهل القبلة التي لا تحتاج إلى إسناد ، وننبّه أنّ جعفرأ أضحى كذلك بالطاعات ، لا الجعل اللدنيّ الاصطفائي كما في المعصوم عليه السلام ، وقد بيّنا هذا في الفصل السابق .

(١) علل الشرائع (ت: صادق بحر العلوم) ١: ١٦٥ . المكتبة الحيدريّة ، النجف .

(٢) مجمع الزوائد ٩: ٢٧٣ ، رقم: ١٥٤٩٦ . مكتبة القدسي ، القاهرة .

شواهد معتبرة أنّ روح القدس نور

مضى ما رواه محمد بن الحسن الصفّار (هـ ٢٩٠) بإسناده الصحيح عن زرارة ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله عزوجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا ... ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾^(١).

قال ❦ : «منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيّه ما صعد إلى السماء، وإنّه لفينا».

وروى الصفّار (هـ ٢٩٠) قال : حدثنا أحمد بن اسحق ، عن الحسن بن عباس بن حريش ، عن إمامنا أبي جعفر عليه السلام قال : سأل أبا عبد الله عليه السلام رجلاً من أهل بيته عن سورة : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾؟! .

فقال عليه السلام : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ نور عند الأنبياء والأوصياء ، لا يريدون حاجة من السماء ، ولا من الأرض ، إلاّ ذكروها لذلك النور فأتاهم بها...^(٢).

قلت : صحيح بالشواهد ، وهذا الإسناد معتبر، رجاله ثقات . العباس الحريشي مختلف فيه ، وقد بيّنا أوّل الكتاب أنّه في خصوص تفسير ليلة القدر من الكافي معتمد عند الكليني رضي الله عنه .

روى الكليني رضي الله تعالى عنه عن محمد بن أحمد ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن عمار السبابطي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «إذا ورد علينا الشيء الذي ليس عندنا ، تلقانا به روح القدس»^(٣).

قلت : إسناده موثّق ، بل صحيح .

(١) الاسراء: ٨٥ .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه): ٣٠٠ . مطبعة الأحمدية، طهران.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٣٩٨ . دار الكتب الإسلامية، طهران.

والأخبار في هذا كثيرة ، حاصلها : أنّ روح القدس هو النور. والنور هو : روح القدس ، وسيأتي النص الصحيح الصريح أنّه مخلوق .

وقد مضى صحيح جابر عن الباقر عليه السلام قال : «ظَلَّ النُّورُ، أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس» وهو ظاهرٌ ، بل بضميمة الأخبار الآتية ، صريحٌ أنّ روح القدس نور ، والنور هو العلم والقدرة اللدنيين كما علمت إجمالاً وستعلم تفصيلاً ..

صحيح الثمالي عن السجّاد عليه السلام

يشهد للعنوان أعلاه ما أخرجه الكليني، عن محمد بن يحيى (الطارقة)، عن محمد بن أحمد (بن يحيى الأشعري، ثقة)، عن محمد بن الحسين (بن أبي الخطاب ثقة جليل)، عن أبي سعيد العصفوري (عباد، موثق بالتوثيق العام لا أقل) عن عمرو بن ثابت (بن أبي المقدام، ثقة بالتوثيق العام لا أقل) عن أبي حمزة (الثمالي رضوان الله عليه) قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «إِنَّ الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده، من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدمون له، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

قلت: إسناده حسن بل صحيح، ناهيك عن الانجبار بالسيرة والشهرة، وهناك ما يلزم تحقيقه في حال عبّاد العصفري أو العصفوري تصحيفاً، لم أر من تعرض له كما يجب قبل السيّد الخوئي رحمته الله، خلاصته أنّ الرجل، ثقة من الأجلء؛ لا يسعه مختصرنا الآن.

يشهد له ما رواه الصدوق في العلل قال: حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا أبو العباس القطان قال: حدثنا محمد بن اسماعيل البرمكي قال: حدثنا عبد الله بن داهر قال: حدثنا أبي، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: «يا مفضل أما علمت أنّ الله تبارك وتعالى بعث رسول صلى الله عليه وآله وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام، وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام»^(٢).

قلت: إسناده ضعيف، ابن داهر ضعيف، لكنّه ممن يستشهد به.

وروى الصدوق قال: حدثنا أبو علي أحمد بن يحيى المكتب قال: حدثنا أحمد بن محمد الوراق، قال: حدثنا بشر بن سعيد بن قلبويه المعدل بالرافقه قال: حدثنا عبد الجبار بن كثير التميمي البياي قال: سمعت محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة عن الصادق عليه

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٥٣١. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) علل الشرائع ١: ١٦١. منشورات مكتبة الحيدرية، النجف.

السلام قال : «أما علمت أنّ محمداً وعلياً صلوات الله عليهما ، كانا نوراً بين يدي الله عزوجل قبل خلق الخلق بألفي عام ، وأنّ الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع فقالت : إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟! فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم هذا نورٌ من نوري أصله نبوة وفرعه إمامة، أما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي وأما الامامة فلعلي حجتي ووليي ، ولولاها ما خلقت خلقي...»^(١).

قلت : سقناه شاهداً ، وثمة شواهد معتبرة بل صحيحة ستأتي؛ كخبر الزيارة الجامعة الصحيح وغيره .

قال المازندراني رضي الله عنه : قوله عليه السلام : (من نور عظمته) هناك ثلاثة أشياء بحسب لحاظ العقل : (١) الذات . (٢) وعظمته (٣) ونور عظمته .

وعظمته سبحانه عبارة عن : تجاوز قدره عن حد العقول ، حتى لا يكون لها سبيل إلى معرفة كنهه وحقيقته ، والنور هو : الظاهر بنفسه المظهر لغيره ، ولعلّ المراد بنور عظمته : الحجاب^(٢) . اهـ .

قلت : قول المازندراني : (ولعلّ المراد بنور عظمته : الحجاب) أي الحد الوجودي لما خلق الله في عالم النور ، أو رتبة المخلوق في الوجود الفقير إليه سبحانه، ولأهميّة هذا نفرده العنوان الآتي ، فهأكه ..

(١) علل الشرائع ١ : ١٧٤ . منشورات امكتبة الحيدرية ، النجف .

(٢) شرح أصول الكافي (ت: علي عاشور) ٧ : ٣٧٠ . إحياء التراث العربي ، بيروت .

بيان: «أقامهم أشباحاً في ضياء نوره»

الشبح على معنيين، كما هو ثابت في النقل والعقل، كالآتي:

المعنى الأول: البدن المثالي.

أي الذات المحددة بالبدن المثالي؛ أي المتشخصة في الوجود بهذا البدن الشريف، ونقصد بالمثالي: الملكوتي الباقي؛ الذي لا يطرأ عليه فقدان وهلاك وزوال.

كما في أبدان الحور العين، والغلمان المخلدین، والملائكة حين التمثيل؛ كملائكة إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّوْطِقِينَ .

ووجه إطلاق لفظ الشبح عليه؛ لكونه لطيفاً منزهاً عن الخسّة، لا يرى، أو لا يكاد يرى.

المعنى الثاني: الرتبة في الوجود.

أثبتت الحكمة علاوة على النقل الثابت الصحيح، أن البدن الدنيوي من شؤونات عالم الدنيا؛ لاستكمال الفعلية أي: الخروج من القوّة إلى الفعل.

وأما عالم الملكوت؛ فهو أيضاً يحتاج إلى بدن، لكنّه مثالي ملكوتي غير فان، وليست الحاجة إليه كحاجة أبدان أهل الدنيا؛ لاستكمال الفعلية والخروج من القوّة إلى الفعل، وإنّما هو استكمال من الفعلية إلى ما هو أشد منها، كما في أبدان أهل الجنة.

أما عالم الجبروت والقدس والأمر والنور، ما شئت فعبّر، فمتمّزه عن الحاجة للبدن بقسميه الأنفين؛ لأنّه كما ورد في الصحاح الآنفه: عين العلم والفهم والفعلية والقوّة ..

فقد ورد مثلاً في صحيح الحلبي وزرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّما

الروح، خلق من خلقه، نصرّاً، وتأيداً، وقوّة، يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين» .

إذ لا ينبغي الريب أن المعصوم في عالم القدس والنور، وجودٌ جبروتيّ، لا يحتاج إلى بدن؛ لما اتّضح أن حقيقته عليه السلام في ذلك العالم: روح القدس لا غير، والروح بما هي روح قدسيّة نورية، عين العلم اللدني والفهم والقوة؛ فهي إذن كمال لا يحتاج إلى بدن للاستكمال، وسيأتي في خبر عليّ بن حديد المعتبر، قول الله في الحديث القدسي: «يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً، يعني روحاً بلا بدن».

إذا اتّضح هذا نقول: يشترك قاطبة المعصومين، أنبياء وأوصياء وملائكة، في نورية روح القدس، بالاشتراك المعنوي؛ وفي روح القدس مرتبتين: أشدّ وشديدة، كما أن بين الأشدّ والشديدة مراتب كثيرة.. هذه المراتب تحديد لرتبة وجود كلّ معصوم من عالم القدس والنور؛ وكأنّ هذا التحديد تشخيص خارجي، يشبه تشخيص الروح بالبدن، مع أنّه لا بدن في عالم النور إطلاقاً.

إذن: فوجه إطلاق الشبح على ما كان نوراً لا بدن له، هو هذا التحديد في رتبة الوجود؛ وأشدّها وجوداً ما كان لنبيّنا صلّى الله عليه وآله ثمّ الأمثل فالأمثل..

فمعنى: (أشباح نور...) ظلّ النور، أبدان نورانية) أتهم عليهم السلام نورٌ محدود مخلوق مربوب، فقير إلى الله سبحانه في وجوده، حدوثاً وبقاءً، وهذا قبل خلق الخلق، أي قبل خلق الجنة والنار والطين وكلّ شيء، كما هو صريح النصوص الآتية..

خبر الزيارة الجامعة الصحيح شاهداً

أخرجه الصدوق رضي الله تعالى عنه (٣٨١هـ) قال : حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي الله عنه، ومحمد بن أحمد السناني، وعلي بن عبد الوراق، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، قالوا : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي وأبو الحسين الأسدي قالوا : حدثنا محمد بن إسماعيل المكي البرمكي قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي قال : قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام : علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم؟! .

فقال الهادي صلوات الله عليه كما في زيارة الجامعة : «...وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطَبِيتَكُمْ وَاحِدَةٌ، طَابَتْ وَطَهَّرَتْ ، بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَاراً ، فَجَعَلَكُمْ بَعْزُهُمْ مُخَدِّقِينَ ، حَتَّى مَنْ عَلَيْنَا بِكُمْ ، فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ، وَجَعَلَ صَلَوَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طَيِّباً لِحَلِّقِنَا ، وَطَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا ، وَتَرْكِيَةً لَنَا ، وَكَفَارَةً لِدُنُوبِنَا...»^(١).

قلت: إسناده حسن صحيح، رجاله ثقات دون كلام. وموسى بن عمران النخعي ثقة، وثقه علي بن إبراهيم وابن قولويه ، روى عنه الأجلاء دون طعن.

والشيخ المفيد جزم في المسائل السروية بصحة حديث أشباح النور^(٢)، ولا حاجة للبسط في ذكر أقوال أصحابنا في ذلك ؛ فكثرة طرق حديث النور ، وبعضها صحيح قطعاً ، يغني عن كثير من الكلام .

(١) عيون أخبار الرضا (ت: حسين الأعلمي) ٢: ٣٠٥ . الأعلمي ، بيروت .

(٢) المسائل السروية (ت: صائب عبد الحميد) : ٤٠ . دار المفيد للطباعة .

معتبر المفضل شاهداً

وروى الكليني عن علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن علي بن إبراهيم ، عن علي بن حماد ، عن المفضل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟! .

فقال عليه السلام : «يا مفضل ، كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا ، في ظلة خضراء نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده ، وما من ملك مقرب ، ولا ذي روح غيرنا ، حتى بدا له في خلق الأشياء ، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ، ثم أنهى علم ذلك إلينا»^(١) .

قلت : إسناده معتبر ، رجاله موثقون ولو بالتوثيق العام ، في بعضهم كلام ، سقناه شاهداً ، لم يترك أصحابنا الاستشهاد به حتى من قال بضعف إسناده .

قوله عليه السلام : (ولا ذي روح غيرنا) ، حتى بدا له في خلق الأشياء) ظاهر أنهم عليهم السلام لا شيءية لهم إلا كونهم أرواحاً قدسية ، وأنواراً عليّة ، وعقولاً مجردة ، هذه هي حقيقتهم المقدسة في ذاك العالم .

وسؤال المفضل : (كنتم في الأظلة) بيّنه صحيح جابر بن يزيد الجعفي رضي الله عنه ، عن الباقر عليه السلام : «ظّل النور، أبدان نورانية بلا أرواح ، وكان مؤيداً بروح واحدة ، وهي روح القدس ، فبه كان يعبد الله وعترته ، ولذلك خلقهم حلماً علماء بررة أصفياء»

وقد بان أنّ المقصود بالظّل ، على الأظهر من مجموع النصين : الحجاب ، لا البدن المثالي ؛ أي : أنهم عليهم السلام مخلوقون مربوبون محدودون ، فقراء إلى الله ، مدبرون بتدبير الخالق سبحانه ؛ لقوله عليه السلام : (حتى بدا له في خلق الأشياء) .

خبر علي بن حديد شاهداً

روى الكليني عليه السلام عن أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبد الله ، عن محمد بن عيسى ومحمد بن عبد الله ، عن علي بن حديد ، عن مرازم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «قال الله تبارك وتعالى : يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً ، يعني روحاً بلا بدن ، قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري ، فلم تزل تهلني وتمجدي ، ثم جمعت روكيما فجعلتها واحدة ، فكانت تمجدي وتقديسي وتهلني ، ثم قسمتها ثنتين ، وقسمت الثنتين ثنتين ، فصارت أربعة محمد واحد ، وعلي واحد ، والحسن والحسين ثنتان ، ثم خلق الله فاطمة من نور ، ابتدأها روحاً بلا بدن ، ثم مسحنا بيمينه ، فأفضى نوره فينا»^(١).

قلت : معناه في الجملة صحيح ، وهذا الإسناد ضعيف على المشهور ، رجاله ثقات إلا علي بن حديد ؛ ضعفه الشيخ الطوسي عليه السلام في موضع من الاستبصار جداً .

لكن في هذا تأمل شديد جداً ؛ ضرورة أنّ الشيخ الطوسي رضي الله عنه ، احتج بكلّ مرويات ابن حديد في كتابيه ، إلا في موردين أو ثلاثة خالف فيها ابن حديد بنظر الشيخ رضي الله عنه .

فابن حديد شيخ مشهور من أصحاب الكتب ، وثقه القمي وابن قولويه توثيقاً عاماً ، كما أنّه من مشايخ ابن أبي عمير وأحمد بن محمد بن عيسى ، وهما رضي الله عنهما لا يرويان إلا عن ثقة على الأظهر .

الحاصل : الرجل ثقة شرط ألا يخالف ، وإطلاق القول بسقوط مروياته كما ذكر بعض المبتدئين ، مجازفة بيّنة ، لا يرتكبها محصل ، يشهد له احتجاج شيخ الطائفة بمروياته إذا لم يخالف ، ناهيك عن غيره من جهابذة أصحابنا إلى يومك هذا ، وسيأتي بيان الخبر لاحقاً ؛ فيه مغاليت تحتاج إلى أفراد عنوان خاص .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٤٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

معتبر الحسين بن خالد الخفاف شاهداً

روى الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثنا محمد بن علي ماجيلويه وأحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم وأحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنهم قالوا : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن الحسين بن خالد ، عن الرضا علي بن موسى ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لكلّ أمة صديق وفاروق ، وصديق هذه الأمة فاروقها علي بن أبي طالب عليه السلام ، وإنه سفينة نجاتها ، وباب حطتها ، وإنه يوشعها وشمعونها وذو قرنيها ، معاشر الناس : إنّ علياً خليفة الله ، وخليفتي عليكم بعدي ، وإنه لأمر المؤمنين وخير الوصيين ، من نازعه فقد نازعني ، ومن ظلمه فقد ظلمني ، ومن غلبه فقد غلبني ، ومن بره فقد برني ، ومن جفاه فقد جفاني ، ومن عاداه فقد عاداني ، ومن والاه فقد والاني ، وذلك إنه أخي ووزيري ، ومخلوق من طيبتني ، وكنت أنا وهو ، نوراً واحداً»^(١) .

قلت : إسناده معتبر حسن ، رجاله ثقات . عليّ بن معبد البغدادي مشهور من أصحاب الإمام الهادي عليه الصلاة والسلام ، كما أنّه من أصحاب الكتب والإجازة ، لم يُطعن بشيء ، طريق الشيخ إلى كتابه صحيح ، ومثله كما هو مبني جماعة من أساطين أصحابنا رضي الله عنهم ، لا ينزل عن رتبة الحسن . الحسين بن خالد ، هو : الخفاف الثقة ، وثقه علي بن إبراهيم في تفسيره توثيقاً عاماً .

(١) عيون أخبار الرضا (ت: حسين الأعلمي) ١٦:١ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت.

خبر الهروي شاهداً

روى الصدوق رضي الله تعالى عنه قال : حدثنا الحسن بن محمد سعيد الهاشمي ، قال: حدثنا فرات بن إبراهيم ابن فرات الكوفي قال: حدثنا محمد بن أحمد بن علي الهمداني قال: حدثني أبو الفضل العباس بن عبد الله البخاري ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: حدثنا عبد السلام بن صالح الهروي ، عن علي بن موسى الرضا ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ، ولا أكرم عليه منّي».

قال علي عليه السلام : فقلت يا رسول الله : فأنت أفضل أم جبرئيل؟!.

فقال صلى الله عليه وآله : «يا عليّ، إنّ الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين ، على ملائكته المقربين ، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي ، وللأئمة من بعدك، وأنّ الملائكة لخدمانا وخدام محيينا. يا علي، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسييحه وتهليله وتقديسه..؟ أول ما خلق الله عزوجل أرواحنا ، فانطقنا بتوحيده وتحميده، ثمّ خلق الملائكة ، فلما شاهدوا أرواحنا ، نوراً واحداً ، استعظموا أمرنا ، فسبحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون، وأنّه منزّه عن صفاتنا...» .

وإنّه لما عرج بي إلى السماء ، أذن جبرئيل مثني مثني ، وأقام مثني مثني ، ثم قال لي تقدم يا محمد، فقلت له يا جبرئيل أتقدم عليك؟! . فقال: نعم، لأنّ الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه على ملائكته أجمعين، وفضلك خاصة. فتقدمت فصليت بهم ولا فخر، فلما انتهيت إلى

حجب النور ، قال لي جبرئيل: تقدم يا محمد وتخلف عني، فقلت يا جبرئيل : في مثل هذا الموضوع تفارقني؟! .

فقال جبرئيل : يا محمد، إنَّ انتهاء حدي الذي وضعني الله عزوجل فيه إلى هذا المكان ؛ فإن تجاوزته أحرقت أجنحتي ، بتعدي حدود ربي جل جلاله ؛ فزج بي في النور زجة ، حتى أنتهيت إلى حيث ما شاء الله من علو ملكة ، فنوديت يا محمد، فقلت: لبيك ربي وسعديك ، تباركت وتعاليت، فنوديت : يا محمد أنت عبدي ، وأنا ربك ، فأياي فاعبد وعلي فتوكل، فإنك نوري في عبادي ، ورسولي إلى خلقي ، وحجتي على بريتي^(١) .

قلت : معتبر في الشواهد ، سقناه شاهداً وهو صالحٌ لذلك ، وهذا الإسناد مجهول ، لم أقف على حال بعض رواته ؛ فليُنظر .

قوله عليه السلام : (شاهدوا أرواحنا ، نوراً واحداً) صريحٌ أنّ مرّد كل أرواح المعصومين إلى نور واحد .

الزبدة :

النور في مجموع هذه الأخبار ، هو عين الروح القدس .

(١) علل الشرائع ١ : ٥ . منشورات المكتبة الحيدريّة ، النجف .

خبر معاذ بن جبل شاهداً

أخرج الصدوق رضي الله عنه قال : حدثنا ابراهيم بن هارون الهيتي قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال حدثنا عيسى بن مهران قال: حدثنا منذر الشراك قال : حدثنا إسماعيل بن عليّة ، قال : أخبرني أسلم بن ميسرة العجلي ، عن أنس بن مالك عن معاذ بن جبل: أنّ رسول الله قال: إنّ الله عزوجل خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام». قلت : فاين كنتم يارسول؟!.

قال ﷺ: «قدام العرش ، نسبح الله تعالى ونحمده ونقدسه ونمجده».

قال أنس بن مالك : على أيّ مثال؟!.

قال ﷺ: «أشباح نور ، حتى إذا أراد الله عزوجل أن يخلق صورنا ، صيرنا عمود نور ، ثم قذفنا في صلب آدم ، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الامهات ، ولا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر ، يسعد بنا قوم ، ويشق بنا آخرون، فلما صيرنا إلى صلب عبدالمطلب ، أخرج ذلك النور فشقه نصفين ، فجعل نصفه في عبدالله ، ونصفه في أبي طالب ، ثم أخرج النصف الذي لي إلى آمنة ، والنصف إلى فاطمة بنت أسد ، فأخرجتني آمنة ، وأخرجت فاطمة علياً ، ثم أعاد عزوجل العمود إليّ ، فخرجت مني فاطمة ثم أعاد عزوجل العمود إلى علي ، فخرج منه الحسن والحسين ، يعنى من النصفين جميعاً ، فما كان من نور عليّ فصار في ولد الحسن، وما كان من نوري ، صار في ولد الحسين ، فهو ينتقل في الأئمة من ولده إلى يوم القيامة»^(١).

قلت : معتبر في الجملة ، وهذا الإسناد مجهول ، سقناه استشهداً.

(١) علل الشرائع ١: ٢٣ . منشورات المكتبة الحيدريّة ، النجف .

النص أنّ عالم النور مجرد عن البدن

مضى معتبر عليّ بن حديد ، عن مرزم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال الله تبارك وتعالى : يا محمد إنّي خلقتك وعلياً نوراً ، يعني : روحاً بلا بدن ، قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري... ».

قلت : وهو صريح أنّ وجودهم عليهم السلام في عالم النور ، مجرد عن كلّ بدن ، مثالياً كان أم دنيوياً ..

يشهد له ما رواه الكليني رضي الله عنه ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن الحسن ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن محمد بن شعيب ، عن عمران بن إسحاق الزعفراني ، عن محمد بن مروان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : « خلقنا الله من نور عظمته ، ثمّ صورّ خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش ، فاسكن ذلك النور فيه ، فكنا نحن... خُلِقْنَا نورانيين... »^(١).

قلت : معتبر ، وهذا الإسناد مجهول بعمران الزعفراني ، ترجم له الشيخ في رجاله وآنه من أصحاب الصادق دون طعن ، لكن في موضع من الاستبصار قال : مجهول .
وقال التقيّ المجلسي في الروضة: قويّ كالصحيح^(٢) .

قلت : لعلّ القوّة كونه من أصحاب الصادق عليه السلام ، وأياً كان فإننا سقناه شاهداً ، وهو معتبر بكثرة الشواهد .

قوله عليه السلام : « خلقنا الله من نور عظمته » أي : خلقنا نوراً مجرداً عن كلّ بدن يدلّ عليه قوله عليه السلام : (ثمّ صورّ خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش) .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٣٨٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) روضة المتقين (ت: حسين كرماني) ١٣ : ٢٢٢ . بنياد إسلامي .

ومضى خبر المفضل عن الصادق قال عليه السلام: «يا مفضل، كُنَّا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا، في ظلة خضراء؛ نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده، وما من ملك مقرب، ولا ذي روح غيرنا، حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم».

قلت: (حتى بدا له في خلق الأشياء...) ظاهرٌ أنَّ عالم النور مجرد عن البدن بقسميه: المثالي الملكوتي والذنيوي.

يشهد له ما رواه الكليني عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبد الله الصغير، عن محمد بن إبراهيم الجعفري، عن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار، الذي نورت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كَوْن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليه السلام»^(١).

قلت: إسناده مجهول، سقناه استشهاداً؛ لبيان كثرة الطرق، والكثرة يقوي بعضها بعضاً بإجماع علماء الفريقين كما أخبرناك أول الكتاب، ناهيك عن اعتضادها بعدم الخلاف في الجملة، بل بالأخبار الصحيحة الآنفة، علاوة على الأصل القرآني: ﴿جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾.

نورية النبي قبل آدم باثنين وعشرين ألف عام

رواه الصدوق رضي الله تعالى عنه (٣٨١هـ) في أماليه وخصاله قال : حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنه قال : حدثنا الحسين بن محمد بن عامر ، عن معلى بن محمد البصري ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البنزطي ، عن علي بن جعفر قال : سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجهاً .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «حبيبي جبرئيل ، لم أرك في مثل هذه الصورة»؟! .

قال الملك عليه الصلَام : «لست بجبرئيل ، أنا محمود، بعثني الله عز وجل أن أزوج النور من النور..؛ فاطمة من عليّ .

فلما ولي الملك ، إذا بين كتفيه محمد رسول الله ، عليّ وصيه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : منذ كم كتب هذا بين كتفيك؟! .

فقال الملك عليه السلام : «من قبل أن يخلق الله آدم باثنين وعشرين ألف عام»^(١) .

ورواه الكليني رضي الله عنه ، عن الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن علي ، عن علي بن جعفر به مثله أو قريباً منه ^(٢) .

قلت : إسناده الصدوق صحيح على الأقوى ، رجاله ثقات إلا المعلى البصري ، فمختلف فيه ، وهو ثقة على الأقوى ، ونحتمل تصحيحاً في إسناده الكليني ، فلاحظ .

(١) الأمالي : ٦٨٨ . مؤسسة البعثة ، قم .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٤٦١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

النص أن علياً نورٌ حول العرش

أخرج الكليني (٣٢٩هـ) رضي الله تعالى عنه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في حديث المعراج الطويل : « فقال جبرئيل عليه السلام : قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة. فقالت الملائكة : هي لشيعته إلى يوم القيامة ، ثم اجتمعت الملائكة وقالت : كيف تركت أخاك؟! . فقلت لهم : وتعرفونه؟! . قالوا : نعرفه وشيعته ، وهم نورٌ حول عرش الله ، وإن في البيت المعمور لرقاً من نور ، فيه كتاب من نور ، فيه : اسم : محمد وعلي والحسن والحسين والأئمة ، وشيعتهم إلى يوم القيامة ، لا يزيد فيهم رجل ، ولا ينقص منهم رجل ، وإنه لميثاقنا ، وإنه ليقرأ علينا كل يوم جمعة...»^(١).

قلت : حديث صحيح دون أدنى كلام ، له أكثر من طريق سرد بعضها الصدوق رضي الله عنه ، وهذا الإسناد -أعلاه- حسنٌ صحيح دون أدنى كلام.

ونبّه الصدوق رواه بلفظ : (وهو نورٌ حول عرش الله)^(٢) أي أمير المؤمنين علي عليه السلام خاصة دون شيعته المكرمين ، وهو أوفق بالقواعد اليقينية ، والأخبار القطعية .

كما نبّه أن قوله عليه السلام : (لا يزيد فيهم رجل ، ولا ينقص منهم رجل) حق لا يلزم منه الجبر بأي حال ، وهو ما فصلناه في كتابنا الفرقة الناجية ..

فالمقصود بهذا النص ، الشيعة الكمل ، وعددهم في هذه الأمة المرحومة إلى يوم القيامة ، كما في النصوص القطعية الواردة في مصادر الفريقين سنة وشيعة : سبعون الفاً لا يزيدون ولا ينقصون ، وهذا اصطفاً في طول اصطفاء الأنبياء والأوصياء ، واصطفاء أشخاص بأعيانهم ، لا يلزم منه الجبر في بقية الشيعة ولا بقية العباد ، فاحفظ .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٣ : ٤٨٥ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) علل الشرائع (ت: بحر العلوم) ٢ : ٣١٤ . المكتبة الحيدرية ، النجف .

النص أن النور (=روح القدس) حقيقة الإمامة

مضى قول الصادق عليه السلام : « بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب ، فلما أوحاها إليه ، علم بها العلم والفهم وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء ؛ فإذا أعطها عبداً علمه الفهم »^(١).

ومضى خبر جابر عن الباقر عليه السلام : « فروح القدس يا جابر ، عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى .. ؛ يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثنان إلا روح القدس ؛ فإنها لا تلهو ولا تلعب ».

وكذا خبر المفضل الصحيح عن الصادق : « وروح القدس فبه حمل النبوة ؛ فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام ... » وغيرها .

يشهد لكل هذه الأخبار الكثيرة ، ما رواه الكليني رضي الله تعالى عنه ، عن علي بن محمد ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن الحسن بن شمون ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصبم ، عن عبد الله بن القاسم عن صالح بن سهل الهمداني قال : قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ الحسن عليه السلام ﴿ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ الحسين عليه السلام ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ يكاد العلم ينفجر بها ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يهدي الله للأئمة عليهم السلام من يشاء ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ الأول وصاحبه: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ الثالث ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ ظلمات الثاني ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ معاوية وفتن بني أمية إذا أخرج يده المؤمن في ظلمة فتنّتهم، لم يكذبها ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ إماماً من ولد فاطمة عليها السلام ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ إمام يوم القيامة.

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾: أئمة المؤمنين، يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبأيانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة.

ورواه الكليني عن، علي بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن موسى بن القاسم البجلي عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام ..

ورواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن العمركي بن علي جميعاً، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام مثله^(١).

قلت: صحيح، وفيه ثلاثة أسانيد سردها الكليني رضي الله عنه: ثالثها صحيح دون كلام، وثانيها: صحيح على الأقوى، رجاله ثقات سوى سهل الأديمي فمختلف فيه، وهو ثقة على الأقوى. وأولها: ضعيف جداً بالأصم.

قوله عليه السلام: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام منها بعد إمام، بضميمة ما تقدّم من الأخبار القطعية، ظاهرٌ قطعاً أنّ حقيقة الإمام هي النور، وليس النور إلّا روح القدس أو العلم اللدنيّ ما شئت فعبّر.

وكما يقول أهل المعقول بل غيرهم: إنّ حقيقة النوع فصله؛ فحقيقة الإنسان على سبيل المثال روحه، أو نفسه الناطقة لا غير.

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٤٦١. دار الكتب الإسلامية، طهران.

وقد مضى أن حقيقة الإمام في عالم القدس -بما هو معصوم- روحه القدسية المجعولة في ذاته تكويناً لا غير ، وإن شئت قلت : العلم والقدرة اللدنيين ، وهذا فيما بيننا ، لا ينافي أن المعصوم ، بما هو بشر دنيوي ، مجموع الأرواح الخمس .

ونبهه أن الاحتجاج بهذا الخبر وغيره مما سيأتي ، متأسس على أصل قرآني ، هو قوله تعالى : ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ وهو مبین بأخبار الأرواح الخمس الكثيرة وغيرها ، فتذكر ولا تغفل .

فجلّ الأخبار التي ذكرناها في هذا الفصل خاصة ، والكتاب عامة ، إمّا كثيرة الطرق ، أو متأسسة على أصل قرآني ظاهر ، أو منجبرة بالشهرة العظيمة ، بل الإجماع القطعي ..

يشهد له ما رواه الكليني عن أحمد بن مهران ، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني ، عن علي بن أسباط والحسن بن محبوب ، عن أبي أيوب ، عن أبي خالد الكابلي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى : ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾؟! .

فقال عليه السلام : يا أبا خالد ، النور والله الأئمة عليهم السلام ، يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين ، أنور من الشمس المضيئة بالنهار ، وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين ، ويحجب الله نورهم عمّن يشاء ، فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها^(١) .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد معتبر ، أحمد بن مهران ضعفه الغضائري ، ولا عبرة بتضعيفاته عند غير واحد من أساطين النقد .

قول الباقر عليه السلام : (النور والله الأئمة عليهم السلام) الروح القدس ؛ لما بان أن حقيقة المعصوم -بما هو معصوم- روح القدس لا غير . وقد مضى قول الباقر في صحيح الجعفي : « ظلّ النور ، أبدان نورانية بلا أرواح ، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس » فاجمع واحفظ .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٩٥ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

النص أن روح القدس عاموداً من نور

روى الصفّار في البصائر قال : حدثنا محمد بن الحسين ، عن أبي داود المسترق ، عن محمد بن مروان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول : «إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْإِمَامَ ، أَنْزَلَ قَطْرَةً مِنْ مَاءِ الْمِزْنِ ، فَيَقَعُ عَلَى كُلِّ شَجَرَةٍ ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ ، ثُمَّ يَوَاقِعُ ، فَيَخْلُقُ اللَّهُ الْإِمَامَ فَيَسْمَعُ الصَّوْتُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ؛ فَاذَا وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، رَفَعَ لَهُ مَنَارًا مِنْ نُورٍ ، يَرَى أَعْمَالَ الْعِبَادِ...»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن الربيع بن محمد المسلي ، عن محمد بن مروان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إِنَّ الْإِمَامَ لَيَسْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، فَاذَا وَلَدَ خَطَّ بَيْنَ كَتْفَيْهِ : ﴿ وَنَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فَاذَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ عَمُودًا مِنْ نُورٍ ، يَبْصُرُ بِهِ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ كُلِّ بَلَدَةٍ»^(٢).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد مجهول على بعض المباني ، ولا يضرّ فالخبر من رواية الحسن وهو من أصحاب الإجماع .

وروى الصفّار (٢٩٠هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن محمد بن مروان قال : قال أبو جعفر عليه السلام : «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ عَلَى الْإِمَامِ ، فَلْيَنْظُرْ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ ، فَإِنَّ الْإِمَامَ يَسْمَعُ الْكَلَامَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، فَاذَا هِيَ وَضَعَتْهُ سَطَعَ لَهَا نُورٌ سَاطِعٌ إِلَى السَّمَاءِ ، وَسَقَطَ فِي عِضْدِهِ الْأَيْمَنِ مَكْتُوبٌ : ﴿ وَنَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٥١ . مطبعة الأحمدية، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٣٨٧ . دار الكتب الإسلامية، طهران.

لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠﴾ فإذا هو تكلم رفع الله له عموداً ، يشرف به على الأرض يعلم به أعمالهم»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الصفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن سيف بن عميرة ، عن إسحاق بن عمار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «الإمام يسمع وساق قريب منه»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه السلام : (إذا أراد الله أن يخلق الإمام...، فيأكل منه ، ثم يواقع) صريح في خلق بدن المعصوم خلقاً دنيوياً ، ولقد بان أنّ حقيقة المعصوم هو النور أو روح القدس ما شئت فعبّر لا غير ، والتعبير بالعمود كناية عن طولية وجود النور والروح القدس ، ابتداءً من العالم الأعلى ، وهو عالم القدس والجبروت إلى العالم الدنيوي الأدنى .

ضرورة أنّ وجود الإمام في عالم الدنيا مقيد ببدن دنيوي وإن كان وجوداً شريفاً ، لكنّه أدنى من وجوده القدسي الأشرف المجرد عن البدن في عالم القدس والنور ، أو الجبروت ما شئت فعبّر ..

مع التنبيه أنّ هذا التفاوت في الشرف عرضياً ليس ذاتياً ؛ ضرورة أنّ حقيقة المعصوم ليست إلّا روحه القدسيّة ، وهي ذاتاً وحقيقةً ، الأشرف في كلّ العوالم الثلاثة ، غاية الأمر قضى الله تعالى بالبدن للمعصوم في الدنيا ؛ لتوقف نزول رحمة الله على العالمين وهدايتهم على هذا القضاء.

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٥١ . مطبعة الأحمدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٥١ . مطبعة الأحمدي، طهران.

نص أن عمود النور هو روح القدس

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي رضي الله عنه قال: حدثني أبي قال: حدثنا أحمد بن علي الأنصاري، عن الحسن بن الجهم قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام: قال الرسول صلى الله عليه وآله: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله، وما من مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور الله، على قدر إيمانه، ومبلغ استبصاره وعلمه، وقد جمع الله للأئمة منّا، ما فرقه في جميع المؤمنين، وقال عز وجل في محكم كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ فأول المتوسمين رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أمير المؤمنين عليه السلام، من بعده ثم الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين عليهم السلام إلى يوم القيامة.

ثم قال الرضا عليه السلام: «أيدنا بروح منه؛ مقدسة مطهرة، ليست بمملّك، لم تكن مع أحد ممن مضى إلا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي مع الأئمة منّا، تسددهم وتوفقهم، وهو: عمود من نور، بيننا وبين الله عز وجل»^(١).

قلت: صحيح بكثرة الطرق والشواهد؛ منها قوله عليه السلام: (كان مؤيداً بروح واحدة هي روح القدس). وهذا الإسناد ضعيف بالأنصاري، وهو أبو علي الخراساني، من رواه أهل السنة، ترجم له أبو نعيم (٤٧٣هـ) في كتابه تاريخ أصبهان دون طعن^(٢)، وضعفه غيره.

وقد تقول: فإن لم يكن روح القدس ملكاً فأيش هو!!؟

قلنا: هو نوع، لا وجود إلا بأفراده، وأولها وأشرفها نبينا محمد وسيأتي الكلام في عنوان الوحدة والكثرة.

(١) عيون أخبار الرضا (ت: حسين الأعلمي) ٢: ٢١٦. مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(٢) تاريخ أصبهان (ت: كسروي حسن) ١: ١٧٤، رقم: ١٧٣. دار الكتب العلمية، بيروت.

إشكالية أن النور ملكٌ من الملائكة

روى الكليني رضي الله عنه ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد قال : كنت أنا وابن فضال جلوساً ، إذ أقبل يونس فقال : دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقلت له : جعلت فداك ، قد أكثر الناس في العمود؟! .

قال فقال لي عليه السلام : «يا يونس ما تراه؟! أتراه عموداً من حديد يُرفع لصاحبك عليه السلام؟! .»

قال يونس رضي الله عنه : قلت : ما أدري .

قال عليه السلام : «لكنه ملكٌ موكلٌ بكلّ بلدة ، يرفع الله به أعمال تلك البلدة» .

قال محمد بن عيسى رضي الله عنه : فقام ابن فضال فقبل رأسه ، وقال : رحمك الله يا أبا محمد لا تزال تحيىء بالحديث الحق الذي يفرح الله به عنا^(١) .

قلت : إسناده صحيح عند أكثر أصحابنا رضي الله عنهم ، ولا عبرة بمن شذ.

وقد أجاب عنه التقي المجلسي رضي الله عنه قال : روي في الأخبار الكثيرة أنّ لهم عموداً يعرفون به أحوال العالمين ، والظاهر أنّه كناية عن سعة علمهم؛ لتجردهم عن العلائق الكونية... ، والظاهر أنّ ذلك أيضاً بقدر عقولهم ، بل لا يحتاجون إلى الملك ، ويمكن أن يكون المراد به الروح القدس التي تكون معهم ، وورد أنّه أعظم من جبرئيل ، وهو : تقدس أرواحهم القدسية^(٢) .

قلت : لا داعي لتردد التقي المجلسي رضوان الله تعالى عليه ، والجواب الحقّ فيما نحن فيه أن يقال :

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٣٨٨. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٣٨٨. دار الكتب الإسلامية، طهران.

الحديث صريحٌ أنّ عمود النور ملكٌ من الملائكة ، ولا داعي لتأويله مع إمكان تفسيره ، ضرورة عدم منافاة أن يكون الروح القدس هو الإمام المعصوم عليه السلام ، وأن يكون أيضاً ملكاً من الملائكة ؛ لما قلناه وسنقوله مراراً وتكراراً : إنّ حقيقة المعصوم نبياً كان أم وصياً أم ملكاً ، هي روح القدس لا غير ..

غاية الأمر ، تفاوت الإمام المعصوم مع الملك ، في رتبة روح القدس الوجودية ؛ فرتبة روح القدس الموجدة لحقيقة الإمام ، أشرف من رتبة الملك ، الموجدة لحقيقته الملائكية ، وسيأتي البيان والتبيان تحت عنوان الوحدة والكثرة ..

إذا اتّضح -وسيأتي البيان كما قلنا- فلا منافاة بين أن يقصد الرضا عليه السلام بعمود النور الوارد في الحديث الأول : روح القدس الموجد لحقيقة الإمام المعصوم ، تلك المجعولة فيه بالجعل التكويني ؛ والنصوص في هذا قطعيةٌ سردنا كثير منها في هذا الفصل ..
وبين أن يقصد الرضا عليه السلام بعمود النور في الحديث أعلاه : أحد الملائكة كجبرائيل عليه السلام .

ضرورة أنّ حقيقة كلّ من الإمام المعصوم ، والملك ، روح القدس لا غير ، غاية الأمر أنّ رتبة الروح القدس الوجودية ، أو النور ما شئت فعبر ، في المعصوم أشرف منها في الملائكة عليهم السلام جميعاً .

وبالجملة : لا مانع من أن يعلم الإمام أمر السماء من طريقتين : الأول : من خلال ذاته التي حقيقتها روح القدس لا غير ، والثاني : من خلال جبرائيل عليه السلام ، كما تحقق لفاطمة عليها السلام ، فحقيقة جبرائيل هو الآخر روح القدس لا غير ، فكلّ منهما مصداق تام لروح القدس ، وإن تفاوتتا في رتبة الوجود .

رواية ابن المغازلي شاهداً

أخرجه الإمام المالكي علي بن محمد بن محمد بن الطيّب ، ابن المغازلي (٤٨٣هـ) في مناقبه قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازة ، أن أبا أحمد عمر بن عبد الله بن شوذب أخبرهم قال: حدثنا محمد بن الحسين بن زياد، حدثنا أحمد بن الخليل (ببلخ) حدثني محمد بن أبي محمود، حدثنا يحيى بن أبي معروف، حدثنا محمد بن سهل البغدادي ، عن موسى بن القاسم ، عن عليّ بن جعفر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿كَمْشَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ ١؟.

قال الكاظم : «المشكاة فاطمة، والمصباح الحسن، والحسين الزجاجة، ﴿كأنها كوكبٌ دريٌّ﴾ قال: كانت فاطمة كوكباً درياً من نساء العالمين ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ الشجرة المباركة إبراهيم ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ قال: يكاد العلم أن ينطق منها ﴿ولو لم تمسه نارٌ نورٌ على نور﴾ قال فيها: إمام بعد إمام ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ قال: يهدي الله عز وجل لولايتنا من يشاء»^(١).

قلت: في الإسناد ، حسب قواعد أهل السنّة ، من لم أعرفه .

والحقّ فإنّ ما أخرجه ابن المغازلي ليس شاهداً ، وإنّما متابعة لما روياه عن إمامنا أبي الحسن الكاظم عليه السلام ، سردناه ههنا لعموم الفائدة .

(١) مناقب ابن المغازلي (تركي الوادعي) : ٣٨٣ ، رقم : ٣٦١ . دار الآثار ، صنعاء .

خبر ابن حرب الهلالي شاهداً

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثنا أبو علي أحمد بن يحيى المكتب قال : حدثنا أبو الطيب أحمد بن محمد الوراق ، قال : حدثنا بشر بن سعيد بن قلبويه المعدل بالرافقه قال : حدثنا عبد الجبار بن كثير التميمي قال : سمعت محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة يقول: سألت جعفر بن محمد فقلت له : يا ابن رسول الله في نفسي مسألة أريد ان أسألك عنها؟! .

فقال عليه السلام : «إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني ، وإن شئت فسل» .

قال : قلت له : يا بن رسول الله ، وبأي شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالي؟! .

فقال عليه السلام : «بالتوسم والتفرس ، أما سمعت قول الله عزوجل : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وآله : اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله؟!» .

إلى أن قال عليه السلام : وقد قال علي عليه السلام : «أنا من أحمد صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوء ، أما علمت أن محمداً وعلياً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله عزوجل قبل خلق الخلق بألفي عام ، وأن الملائكة لما رأتهن ذلك النور ، رأتهن له اصلاً قد تشعب منه شعاع لامع فقالت : إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟!» .

فأوحى الله إليهم : «هذا نورٌ من نوري ، أصله نبوة وفرعه إمامة ، أمّا النبوة فلمحمد عبدي ورسولي ، وأمّا الإمامة فلعلي حجتي ووليي ، ولولاهما ما خلقت خلقي»^(١) .

قلت : معتبر ، سقناه استشهاداً وهو صالح لذلك ، وهذا الإسناد مهمل عندنا نحن الشيعة ، أهملت مصادرنا ترجمة بشر بن سعيد وعبد الرحمن ، وهما من رواة أهل السنة هداهم الله ، وهما مقبولان في الشواهد عند أهل السنة ؛ إذ لم يطعن فيهما نقادهم ، روى عن كل منهما ثقتان فأكثر ، وما كان هذا حاله ، لا يترك عندهم في الشواهد .

(١) علل الشرائع (ت: صادق بحر العلوم) ١: ١٧٤ . منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف .

ما رواه أهل السنة من حديث النور

أخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠هـ) في فضائله قال : حدثنا الحسن ، قال حدثنا أحمد بن المقدام العجلي ، قال حدثنا الفضيل بن عياض ، قال حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن زاذان، عن سلمان قال: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كُنَّا أَنَا وَعَلِيٌّ نَوْرًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ قَسَمَ ذَلِكَ النُّورَ جَزَائِنَ، فَجَزَأَ أَنَا، وَجَزَأَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(١).

قلت : رجاله رجال الصحيح ، سوى الحسن بن علي بن زكريا العدوي ؛ فأساطين أهل السنة قالوا : كذاب ، لكن والله أعجب كثيراً من عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وهو حافظ كبير ؛ إذ كيف يروي عن كذاب مجمع على كذبه، أم أن في الأمر شيئاً؟!.

وأياً كان ، له شاهد رواه ابن المغازلي قال : أخبرنا أبو طالب محمد بن أحمد بن عثمان، حدثنا محمد الحسن بن سليمان، حدثنا عبد الله بن محمد العكبري، حدثنا عبد الله بن محمد بن أحمد بن عثمان، حدثنا محمد بن عتاب الهروي، حدثنا جابر بن سهل بن عمر بن حفص، حدثنا أبي عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كنت أنا وعلي نوراً عن يمين العرش ، يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلم أزل أنا وعلي في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب»^(٢).

قلت : في إسناده من لم أعرفهم ، لم يترجم لهم الفريقان سنة وشيعة.

وروى ابن عساكر (٥٧١هـ) قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله أنا أبو بكر الخطيب ، أنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل ، أنا أبو علي الحسين بن صفوا البردعي ، نا

(١) فضائل الصحابة (ت: وصي عباس) ٢ : ٦٦٢ ، رقم : ١١٣٠ . الرسالة ، بيروت .

(٢) مناقب ابن المغازلي (تركي الوادعي) : ١٤٦ ، رقم : ١٣٢ . دار الآثار ، صنعاء .

محمد بن سهل العطار ، حدثني أبو ذكوان ، نا حرب بن بيان الضرير من أهل قيسارية ، حدثني أحمد بن عمرو ، نا أحمد بن عبد الله عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «خلق الله قضيباً من نور قبل أن يخلق الله الدنيا بأربعين ألف عام ، فجعله أمام العرش ، حتى كان أول مبعثي ، فشق منه نصفاً فخلق منه نبيكم ، والنصف الآخر علي بن أبي طالب»^(١).

قلت : لا بأس برجاله ، سوى محمد بن سهل العطار ، فمتهم بالكذب .

وأخرج ابن المغازلي (٤٨٣هـ) في كتابه المناقب قال : أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل النحوي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي ابن أخت مهدي السقطي الواسطي - إملاء- قال: حدثنا أحمد بن علي القواريري الواسطي، حدثنا محمد بن عبد الله بن ثابت، حدثنا محمد بن مصفى (بن بهلول ، صدوق حافظ) ، حدثنا بقية بن الوليد (الكلاعي احتج به البخاري ومسلم) ، عن سويد بن عبد العزيز (السلمي الدمشقي ، ليس بقوي) ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل أنزل قطعة من نور ، فأسكنها في صلب آدم، فساقها حتى قسمها جزئين: جزءاً في صلب عبد الله، وجزءاً في صلب أبي طالب ، فأخرجني نبياً ، وأخرج علياً وصياً»^(٢).

قلت : لا بأس برجاله ، سوى الأشناني محمد بن ثابت ، قال الدارقطني : دجال .

(١) تاريخ ابن عساكر(ت: عمرو العمروي) ٤٢: ٦٧ . دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت.

(٢) مناقب ابن المغازلي (تركي الوادعي): ١٤٦ ، رقم : ١٣٢ . دار الآثار ، صنعاء .

الروح القدس واسم الله الأعظم !!

يظن أكثر الناس جهلاً أنّ اسم الله الأعظم ، يتكوّن من مجموعة حروف ملفوظة ، إذا حازها الإنسان ، فألّف بينها بطريقة حسائيّة معيّنة ، استطاع أن يفعل الخوارق والمعاجز ويرى الملكوت ، وهذا عين الجهل والضلال والانحراف ، ومن النَّاس من يعمد إلى السحر والشعبذة ، وقد حرّمها الله بالأدلة الأربعة ، ليحوز ذلك ، وهذا والله ضلالٌ بيّن ، بل لعلّه كفرٌ في بعض الموارد ، والعياذ بالله تعالى ..

اسم الله الأعظم هو : علم اللدّن ، أو روح القدس ، أو النور الأوّل ، أو العقل الأوّل وهو : عين القوّة والنصر والتأييد .

يشهد له ما مضى من قول المعصوم عليه السلام : « الروح ، خلق من خلقه ، نصرٌ ، وتأييدٌ ، وقوّةٌ ، يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين » .

وهو مشترك معنوي ، يتفاوت من معصوم لآخر بين المرتبتين الشديدة والأشدّ ، حسب درجته من الاضطفاء ، يمتنع أن يحيط بمرتبته الشديدة غير المعصوم ؛ وإلّا لزم إحاطة غير المقدّس ، المقيد بالظلمة والخسّة والسفالة ، بالمقدّس غير المقيد بشيء سوى أمر الله ، واستحالته بديهيّة .

وقد يحيط غير المعصوم بما دون مرتبته الشديدة ، إذا كان مؤمناً شديد الإيمان ، لكن لا من طريق الاضطفاء والاجتباء كما عند المعصوم ، وإنّما من طريق الطاعات ، وقد مضى ما رواه الفريقان صحيحاً عن النبي قال : « ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه »

هذا العلم ، هو المقصود بقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾^(١).

وفي يحيى صلوات الله عليه : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾^(٢).

وفي داود عليه السلام : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾^(٣).

وأما نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فعنده أشرف وأشد مراتب الاسم الأعظم ؛ يدل عليه ، بضميمة النصوص الآتية ، مجموع هذه الآيات كالاتي :

قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾^(٤) وهو صريح أن تفصيل آيات الكتاب علم لدي .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾^(٥) . وقال سبحانه : ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾^(٦) وغير ذلك .

(١) الكهف : ٦٥ .

(٢) سورة مريم : ١٣ .

(٣) سورة ص : ٢٥ .

(٤) سورة هود : ١ .

(٥) سورة النمل : ٦ .

(٦) طه : ٩٩ .

النص أن حقيقة الاسم الأعظم قدرة لدنيّة

روى الإمام السنّي الترمذي (٢٧٩هـ) في كتابه السنن قال : حدثنا جعفر بن محمد بن عمران قال: حدثنا زيد بن حباب، عن مالك بن مغول، عن عبد الله بن بريدة الأسلمي، عن أبيه، قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو وهو يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» قال: فقال: «والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى».

قال الترمذي : هذا حديث حسن ^(١).

وهذا المعنى عندنا ، بل عند غيرنا ، من الضروريات ؛ فمن طرقتنا الثابتة ما أخرج به الصّفّار قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن عليّ بن الحكم ، عن شعيب العقرقوبي ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان سليمان عنده اسم الله الأكبر ، الذي إذا سأله أعطى ، وإذا دعا به أجاب ، ولو كان اليوم لاحتاج إلينا^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

والنص -بملاحظة كلّ ما مرّ ويأتي- ظاهرٌ ، بل صريحٌ ، أن :

الاسم الأعظم : العلم والقدرة اللدنيّين .

قضى الله تعالى أن تتحد مع المعصوم بالجعل التكويني ، وقد مضى بيان : ﴿أَيَّدْتَكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ... ، تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ .

(١) سنن الترمذي (ت: بشار عواد) ٥ : ٣٩٢ ، رقم : ٣٤٧٥ . الغرب الإسلامي ، بيروت .

(٢) بصائر الدرجات : ٢٣٢ . باب الروح . مطبعة الأحمدي ، طهران .

النص أنّ حقيقة الاسم الأعظم : علم لديّ

روى الكليني عن الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن عبد الله ، عن علي بن محمد النوفلي ، عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال : سمعته يقول : «اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرفاً ، فتكلّم به ، فانخرقت له الأرض ، فيما بينه وبين سبأ ، فتناول عرش بلقيس ، حتى صيره إلى سليمان ، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين ، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب»^(١).

قلت : إسناده معتبر ، رجاله موثّقون في بعضهم كلام ، له شواهد كثيرة ستأتي.

وروى الكليني رضي الله عنه ، عن علي بن محمد ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن موسى بن القاسم ح ..

ومحمد بن يحيى ، عن العمركي بن عليّ ، جميعاً ، عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : «إنّ الله تبارك وتعالى علمين : علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله ، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه ، فقد علمناه . وعلماً استأثر به ، فإذا بدا الله في شيء منه ، أعلمنا ذلك ، وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا»^(٢).

قلت : إسناده صحيح . والأخبار في هذا قطعيّة ، بل - في الجملة - ضروريّة .

مجموعهما صريح أنّ اسم الله الأعظم ، هو العلم اللدنيّ المفاض على المعصوم عليه السلام ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ أي مجعول فيه بالجعل التكويني .

يشهد لما نحن فيه ما رواه الكليني ، عن محمد بن يحيى وغيره ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن محمد بن الفضيل قال : أخبرني شريس الواشبي ، عن جابر ، عن أبي

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٣٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٥٥ . باب الأئمة يعلمون جميع العلوم . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

جعفر عليه السلام قال : «إنَّ اسمَ الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وإنَّها كان عند آصف منها حرف واحد ، فتكلّم به فخشف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ، حتى تناول السرير بيده ، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(١).

قلت : معتبر ، وهذا الإسناد مجهول بشريس .

وروى الصّفّار قال : حدثنا عبد الله بن محمد ، عن محمد بن الحسين ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنَّ لله علماً علمه ملائكته وأنبيائه ورسله ، فنحن نعلمه ، وعلما لم يطلع عليه أحد من خلق الله».

قلت : إسناده صحيح على الأقوى ، رجاله ثقات ، وعبد الله هو : ابن خالد الطيالسي .

والأخبار في هذا العنوان كثيرة جداً في كتب القدماء الأربعة وغيرها ، لا يسعها مختصر ما نحن فيه .. زبدتها :

أنَّ الاسم الأعظم : العلم والقدرة اللدنيّين .

ومعنى اللدنيّ : ما أفاضه الله سبحانه وتعالى لصفوة عباده من المعصومين ، أنبياء وأوصياء وملائكة ، كلُّ حسب درجته من القدس المطلق سبحانه .

خبط أهل السنة في معنى روح القدس

اختلف أهل السنة هداهم الله ، في معنى روح القدس على ثلاثة أقوال :

الأول : الروح القدس هو : جبرائيل عليه السلام .

الثاني : الروح القدس هو : الإنجيل .

الثالث : الروح القدس هو : اسم الله الأعظم .

والأولان باطلان بالضرورة ؛ لأمرين :

الأول : لعدم الدليل عليها في القرآن والسنة إلا رأيي عن بعض التابعين ، ولا عبرة بالرأي في دين الله ؛ ضرورة أن الدين إما قرآن أو سنة أو إجماع أو عقل قطعي .

وثانياً : افتراض أن الروح القدس هو جبرائيل ، تكذيب لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾^(١) .

وهو -بضميمة الصحاح الآتفة عن أهل البيت عليهم السلام- ظاهرٌ بل صريحٌ ، أن الروح غير الملائكة ؛ للفصل بينهما بحرف الواو ، والأصل المغايرة ، ولا قرينة على الخلاف ، لا في كتاب الله ولا في سنة نبيه .

وأما مزعمة أن روح القدس هو الإنجيل ، فسخيفٌ جداً ؛ بل تكذيب لقول الله تعالى لنبيه محمد في نزول القرآن : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ فهل الإنجيل هو من نزل القرآن؟! .

وأما الثالث وأن روح القدس هو اسم الله الأعظم ؛ ففيه رواية عن حبر الأمة رضي الله عنه ، أخرجها الطبري في تفسيره قال : حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عماره ،

عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قال: «هو الاسم الذي كان يحيي عيسى به الموتى»^(١).

ورواه أبو حاتم في التفسير قال: حدثنا أبو زرعة ثنا منجاب بن الحارث به مثله^(٢).

قلت: رجاله ثقات حسان، إلا بشر بن عمارة فضعيف الحديث.

لكن يشهد القرآن في الجملة لمعناه، كقوله تعالى: ﴿أَيَّدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمُهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتِكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ على ما تفصل في طيات هذا الفصل.

والاسم الأعظم هو العلم والقدرة اللدنيين كما ورد عن أهل البيت بأسانيد صحيحة، سردنا بعضها قبل قليل، فالاسم الأعظم وهو النور الأول؛ كما أن حقيقة روح القدس ليس غير هذا العلم اللدني، وهو عينه الإسم الأعظم، ولا يسعنا البسط بأكثر مما قلناه وبيناه.

ونبه أن كل مصادر أهل السنة في الحديث، عريئة عن أيّ خير مسند عن النبي محمد صلى الله عليه وآله فيما نحن فيه من معنى الروح القدس، باستثناء ما رواه الخبر ابن عباس رضي الله عنه أعلاه، وهو مقبول بشهادة القرآن، ناهيك عما رواه أهل البيت عليهم السلام في الأخبار القطعية.

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد شاكر) ٢: ٣٢٠، رقم: ١٤٩١. مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (ت: أسعد الطيب) ١: ١٦٩، رقم: ٨٨٦. مكتبة نزار السعودية.

النص أن روح القدس معصوم

مرّت آيات الكتاب ، الصريحة في تأييد الرسل وبقية المعصومين بروح القدس ، وأن حقيقة المعصوم -بما هو معصوم- روح القدس لا غير ، كما هو صريح صحيح جابر عن الباقر عليه السلام ، ولا بأس بسررد بعض الأخبار في ذلك ..

روى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن فضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر : «إن الله عز وجل أدب نبيه فأحسن أدبه ، فلما أكمل له الأدب قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ؛ ليسوس عباده فقال عز وجل : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس ، لا يزل ولا يخطيء في شيء مما يسوس به الخلق...»^(١).

قلت : إسناده حسن صحيح دون أدنى كلام .

وقد مضى خبر المنخل عن جابر عن الباقر : (الأربعة أرواح يصيها الحدثنان ، إلا روح القدس ؛ فإنها لا تلهو ولا تلعب).

ومضى الصحيح عن الصادق عليه السلام: (وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو ، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو ، وروح القدس كان يرى به)

قوله عليه السلام : (فوض إليه أمر الدين والأمة) كلفه بها خلال ما أفاض عليه من العلم بالكتاب ناهيك عن الحكمة والعصمة ، لا التفويض بمعنى : رفع اليد الإلهية عن الخلق ، وإيكالها مطلقاً إلى النبي والعياذ بالله ؛ فهذا باطلٌ ، بل ممتنعٌ محال ، وسنعرض لهذا لخطورته بعد قليل .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٣٩٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

روى الكليني رضي الله تعالى عنه عن محمد بن أحمد ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن عمار الساباطي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : بما تحكمون إذا حكمتم؟! .

قال عليه السلام : «بحكم الله ، وحكم داود ؛ فإذا ورد علينا الشيء الذي ليس عندنا ، تلقانا به روح القدس»^(١) .

قلت : إسناده موثق ، بل صحيح .

قوله عليه السلام : (بحكم الله...، تلقانا به روح القدس) ظاهرٌ في العصمة .

وأخرجه الصفّار قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن عمار أو غيره قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام فيما تحكمون إذا حكمتم؟! .

فقال عليه السلام : «بحكم الله ، وحكم داود ، وحكم محمد صلى الله عليه وآله ، فإذا ورد علينا ما ليس في كتاب عليّ ، تلقانا به روح القدس ، وأهمنّا الله الهاماً»^(٢) .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات إلا التردد ، ولا يضّر ؛ فالحسن بن محبوب من أصحاب الإجماع .

وروى الكليني عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن خالد ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن حمران بن أعين ، عن جعيد الهمداني ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : سألته بأي حكم تحكمون؟! .

قال عليه السلام : «بحكم آل داود ، فإن أعيانا شيء ، تلقانا به روح القدس»^(٣) .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد مجهول بجعيد ، والبقية ثقات .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٣٩٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة) : ٤٧١ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٣٩٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

لكن رواه الصَّفَّار قال: حدثنا محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى، عن أبي خالد القمط، عن حمran بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بها تحكمون؟! قال عليه السلام: بحكم آل داود، فاذا ورد علينا شيء ليس عندنا، تلقانا به روح القدس».

قلت: إسناده صحيح، وحمran قال المعصوم فيه: مؤمن.

يشهد له ما رواه الكليني رضي الله عنه، عن أحمد بن مهران رحمه الله، عن محمد بن علي، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن عمار الساباطي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما منزلة الأنمة؟!.

قال عليه السلام: «كمنزلة ذي القرنين، وكمنزلة يوشع، وكمنزلة آصف صاحب سليمان». قال فيها تحكمون?!.

قال عليه السلام: «بحكم الله، وحكم آل داود، وحكم محمد صلى الله عليه وآله؛ ويتلقانا به روح القدس»^(١).

قلت: حديث صحيح، وهذا الإسناد قويٌّ معتبر.

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٣٩٨. دار الكتب الإسلامية، طهران.

النص أن الله فوّض لنبّيه أمر الدين والأمة

مضى صحيح الفضيل عن الصادق عليه السلام : «إنّ الله عز وجل أدب نبّيه فأحسن أدبه ، فلما أكمل له الأدب قال : ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ ثمّ فوّض إليه أمر الدين والأمة ؛ ليسوس عباده فقال عز وجل : ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدداً موفّقاً مؤيداً بروح القدس ، لا يزل ولا يخطيء في شيء ممّا يسوس به الخلق...»^(١).

قلت : إسناده حسن صحيح دون أدنى كلام .

وروى الكليني أيضاً عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي نجران ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي إسحاق النحوي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : وساق مثل أو نحو ما تقدّم ثمّ قال عليه السلام : «وإنّ نبّي الله فوّض إلى عليّ وائتمنه ، فسلمتم وجحد الناس ؛ فو الله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا ، وأن تصمتوا إذا صمتنا ، ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل ، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحجال ، عن ثعلبة ، عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر وأبا عبد الله عليه السلام يقولان : «إنّ الله عز وجل فوّض إلى نبّيه صلى الله عليه وآله أمر خلقه ؛ لينظر سبحانه كيف طاعتهم ثم تلا هذه الآية : ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾»^(٣).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٣٩٨. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٦٥. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٦٥. دار الكتب الإسلامية، طهران.

وروى الكليني عن أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن عبيس بن هشام ، عن عبد الله بن سليمان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الإمام فوض الله إليه ، كما فوض إلى سليمان بن داود؟! فقال عليه السلام : « نعم ؛ وذلك أنّ رجلاً سأله عن مسألة فأجابه فيها ، وسأله آخر عن تلك المسألة فأجابه بغير جواب الأول ، ثمّ سأله آخر فأجابه بغير جواب الأولين ثم قال : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ ﴾ اعط **﴿ بغير حساب ﴾** وهكذا هي في قراءة علي عليه السلام».

قال قلت : أصلحك الله ، فحين أجابهم بهذا الجواب يعرفهم الإمام؟!.

قال عليه السلام : « سبحان الله ، أما تسمع الله يقول : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾ وهم الأئمة **﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾** لا يخرج منها أبداً».

ثم قال لي عليه السلام : « نعم إنّ الإمام إذا أبصر إلى الرجل عرفه ، وعرف لونه وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه ، وعرف ما هو إنّ الله يقول : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ و من آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين وهم العلماء ، فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق به ، إلاّ عرفه ناج أو هالك ؛ فلذلك يجيبهم بالذي يجيبهم»^(١).

قلت : إسناده معتبر ، رجاله ثقات ، سوى عبد الله بن سليمان وهو من أصحاب الكتب لم يطعن بشيء .

التفويض يعني الإرادة بروح القدس

ذكرنا أنّ قوله عليه السلام : (فوض إليه أمر الدين والأمة) يعني أنّ الله سبحانه وتعالى كلفه بإدارتها ، خلال ما أفاض عليه من العلم والعصمة ، وأوحى إليه من الكتاب والحكمة ؛ كونه مؤيداً بروح القدس بالجعل التكويني ..

أمّا التفويض بمعنى : رفع اليد الإلهية عن الخلق ، وإيكالها إلى النبي ومطلق المعصوم والعياذ بالله ؛ فهذا والله الكفر البواح ، والشرك الصّراح ، لا أعلم أحداً قاتلاً به الآن من أهل القبلة ، اللهمّ إلاّ المقوضة الأوائل لعنهم الله ، الذين ورد عن النبي فيهم : «القدرية مجوس هذه الأمة» كما قد ورد فيهم عنه صلى الله عليه وآله : «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية» .

قلت : وكلاهما متواتر ، أو قطعيّ الصدور عند علماء الفريقين .

ويجب أن يُعلم أنّ الشيعة الإمامية عن بكرة أبيهم ، أجمعوا إجماعاً محققاً ضرورياً ، كإبراً عن كابر رضوان الله تعالى عليهم ، أنّ من اعتقد بهذا الضرب من التفويض ، كفر كُفراً بواحاً ، بجعله النبي أو غيره من المعصومين ، شريكاً لله الواحد الأحد سبحانه ، والعياذ بالله ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً .

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، قال : وجدت في نوادر محمد بن سنان ، عن عبد الله بن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «لا والله ، ما فوّض الله إلى أحد من خلقه ، إلاّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإلى الأئمة قال عز وجل : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ وهي جارية في الأوصياء «عليهم السلام»^(١).

قلت : إسناده صحيح على الأظهر الأقوى .

قلنا: الإراءة: ليس اجتهاد أو غيره؛ وإنما هي كما قال إمامنا الصادق عليه السلام: «نحکم بحکم الله، وحکم داود، وحکم محمد صلی الله علیه وآله، فاذا ورد علينا ما ليس في كتاب عليّ، تلقانا به روح القدس، وأهمننا الله الهاماً»^(١).

وفي مؤتق الساباطي قال عليه السلام: «نحکم بحکم الله، وحکم داود؛ فإذا ورد علينا الشيء الذي ليس عندنا، تلقانا به روح القدس»^(٢).

قلت: وهو صريحٌ أنّ المعصوم عليه السلام، نبياً كان أم وصياً، قد يرد عليه الشيء، مما يتعلّق بوظائف إمامته المقدّسة، لا يعلمه؛ فيريه الله تعالى ذلك بروح القدس إلهاماً، وهذا يجب على الله تعالى من باب اللطف، وإلاّ انتقض الغرض وهو سفهٌ محال.

وقول الله لسيد الخلق أجمعين: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يبطل عقيدة المعنى الكفري للتفويض من رأس؛ فتعيّن حمل التفويض على ما قلناه، وهو إراءة الله المعصوم ما يجب عليه في هداية العباد وإرشاد الخليقة بما جعل سبحانه فيه من روح القدس، كما هو نصّ صحيح عبد الله بن سنان رضي الله عنه.

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه): ٤٧١. مطبعة الأحمدية، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٣٩٨. دار الكتب الإسلامية، طهران.

النص أن روح القدس من الملكوت

أخرج الكليني رضي الله تعالى عنه في الكافي ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١)؟! .

قال عليه السلام : «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو مع الأئمة ، وهو من الملكوت» (٢) .

قلت : إسناده صحيح .

وهو - وقد تقدّم ما يعضده - ظاهرٌ وصريحٌ في أمور :

الأول : المقصود بالروح في الآية ، خصوص روح القدس ، لا مطلق الروح كما توهم أكثر الناس ، وقد مرّ ما يبيّن ذلك صراحة في النصوص الصحيحة .

الثاني : روح القدس من الملكوت ؛ أي من عالم تدبير العالم الأعلى للعالم الأدنى ؛ وإنّما قال عليه السلام : «من الملكوت» ولم يقل الجبروت ؛ لأنّه تعلق بأبدان المعصومين أنبياء وأوصياء وملائكة في عالم الملكوت ؛ للنص : «وهو مع الأئمة» .

الثالث : روح القدس : ذات نوريّة حقيقتها العلم والقدرة اللدنيّين ، قادرة على الاتحاد مع كلّ أصناف المعصومين ، أنبياء ، أوصياء ، رسل ، ملائكة ؛ ضرورة أنّ روح القدس نور ، يسع جميع أهل النور ، سخيٌّ لكلّ من شاء الاقتباس منه ، استقلالاً كما في المعصومين ، وتبعاً كما في خلّص المؤمنين المرضيين ، وقد مرّت وتأتى النصوص القطعيّة ، لكلّ ما ذكرنا .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٧٣ . دار الكتب الإسلاميّة، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٧٣ . دار الكتب الإسلاميّة، طهران .

النص أن روح القدس ذات عالمة لديناً

لهذا أصل قرآني ، هو قوله سبحانه : ﴿ نَزَّلَهُ رُوحَ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾^(١) وهو صريح أن روح القدس في عالم التدبير ، ذات عالمة قادرة فاعلة حيّة بإذن الله تعالى ؛ لقوله صريحاً : ﴿ نَزَّلَهُ رُوحٌ ... ﴾ وهو : أي الإنزال ، فعُلِّ فاعلٍ قدسيّ حكيمٍ عاقلٍ قادرٍ بإذن الله تعالى .

بيّنه في الأخبار ما رواه الكليني روى الصفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن عليّ بن نعمان (=النخعي من وجوه أصحابنا) ، عن يزيد بن إسحاق يلقب شعر ، عن ابن أبي حمزة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إِنَّ مَنْ لَمْ يَنْكُتْ فِي أُذُنِهِ ، وَإِنَّ مَنْ لَمْ يُوْتَى فِي مَنْامِهِ ، وَإِنَّ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ الصَّوْتِ مِثْلَ صَوْتِ السَّلْسَلَةِ يَقَعُ عَلَى الطَّسْتِ ، وَإِنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ صُورَةٌ ، أُعْظِمَ مِنْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ»^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . وابن أبي حمزة ليس البطائني ، وإنما هارون بن حمزة الغنوي ، وسيأتي بيان الإسناد.

وهو ظاهرٌ ، بل صريحٌ أن روح القدس صورة أعظم من جبرائيل ؛ ومعنى الصورة ههنا : ذات نورية حقيقتها العلم اللدني ، لها مراتب في الوجود ، كلّ مرتبة متّحدة بفرد بعينه ، اتحاداً تكوينياً ، كما في جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ..

يشهد له في الأخبار المعتمدة ، ما رواه الكليني رضي الله عنه أن آدم وإبليس تنازعا أول الخلق الديني فاحتكما عند الروح القدس ، هاك لترى ..

(١) سورة النحل : ١٠٢ .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه) : ١٤٧ . مطبعة الأحمدية ، طهران .

احتكام آدم وإبليس عند الروح القدس

أخرجه الكليني رضي الله عنه عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ح .. ، وعن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد وسهل بن زياد جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن خالد بن جرير ، عن أبي الربيع الشامي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أصل الخمر ، كيف كان بدء حلالها وحرامها ، ومتى اتخذ الخمر؟! .

فقال عليه السلام : إن آدم عليه السلام ، لما هبط من الجنة اشتهى من ثمارها ، فأنزل الله عز وجل عليه قضيين من عنب فغرسهما ، فلما أن أورقا وأثمرأ وبلغا ، جاء إبليس لعنه الله ، فحاط عليهما حائطاً . فقال آدم عليه السلام : ما حالك يا ملعون؟! .

فقال إبليس : إنهما لي . فقال له آدم عليه السلام : كذبت .

فرضيا بينهما روح القدس ، فلما انتهيا إليه قص عليه آدم عليه السلام قصته ، وأخذ روح القدس ضعفاً من نار ، ورمى به عليهما ، والعنب في أغصانها ، حتى ظن آدم عليه السلام أنه لم يبق منهما شيء ، وظن إبليس لعنه الله مثل ذلك ، فدخلت النار حيث دخلت ، وقد ذهب منها ثلثهما ، وبقي الثلث .

فقال الروح القدس صلوات الله عليه : «أما ما ذهب منها ، فحظ إبليس لعنه الله ، وما بقي فلك يا آدم» .

وبالإسناد أعلاه عن الحسن بن محبوب ، عن خالد بن نافع ، عن الصادق عليه السلام مثله^(١) .

قلت : إسناده حسنٌ صحيح ، رجاله ثقات وأجلاء^(٢) ، ناهيك عن أن الحسن رضي الله عنه من أصحاب الإجماع .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٦ : ٣٩٣ . دار الكتب الإسلامية طهران .

وفي الخبر ظهورٌ قويٌّ جداً أنّ روح القدس فرد ، ولا ينافي أنّه نوع ؛ وسيأتي بيان أنّ أول أفرادهِ نبينا محمد صلى الله عليه وآله ..

فمن أهمّ خصائص الروح القدس ، أنّه واحدٌ ، قادرٌ على الاتحاد مع كلّ الخلائق ، متكثرٌ بكثرتها ؛ ضرورةً إمكانيّةً اتحاد العلم مع ذات كلّ عالم ، كلّ حسب استعدادهِ ..

بل إنّ روح القدس ، وهو العلم الأوّل المبذول للخلائق متحدٌ - في أدنى مراتبه - بالجعل التكويني العام ، مع كلّ إنسان ؛ لقوله: ﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ فَعَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾^(١) وليست الفطرة إلاّ رُشحة من روح القدس .

أمّا أعلى مراتب العلم اللدني ، فهو ما اتحد - بالجعل التكويني - مع ذات المعصوم فحقّق فيه العصمة ، وسيأتي بيان المرتبتين ، بل الثلاث ، في العنوان الآتي ..

لكن نمة إشكال فلقد روى الكليني عن أبي علي الأشعري ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن عثمان بن عيسى ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ إبليس لعنه الله نازع نوحاً عليه السلام في الكرم ، فأناه جبرئيل عليه السلام فقال : إنّ له حقاً فأعطه ، فأعطاه الثلث ، فلم يرض إبليس ثمّ أعطاه النصف ، فلم يرض ، فطرح جبرئيل

(١) أبو الربيع الشامي ، خالد ، أو خلود بن أوفى ، شيعي من أصحاب الصادق عليه السلام ، من أصحاب الكتب لم يطعن بشيء ، روى كتابه عنه عبد الله بن مسكان ، وابن مسكان من أصحاب الإجماع ، وثقه علي بن إبراهيم رضي الله عنه في تفسيره ؛ فالرجل معتمد .

و أمّا خالد بن جرير البجلي ، فقد قال ابن فضال : كان صالحاً ، بل قال له الصادق عليه السلام ، كما رواه الكشي - بإسناد صحيح قطعاً - عن جعفر بن أحمد بن أيوب ، عن جعفر بن بشير البجلي ، عن أبي سلمة الجمال سالم بن مكرم : قال دخل خالد البجلي على أبي عبد الله عليه السلام فقال له عليه السلام : « سلني فوالله لا تسألني عن شيء إلاّ حدثتك به على حدّه لا أكتمك .

قلت : قوله عليه السلام : « حدثتك به على حدّه لا أكتمك » صريحةٌ في قوّة إيمانه ، وظاهرةٌ في اعتماده ، بل جلالته .

ناراً ، فأحرقت الثلثين وبقي الثلث ، فقال : ما أحرقت النار فهو نصيبه ، وما بقي فهو لك يا نوح حلال^(١) .

قلت : إسناده موثق .

ففي الخبر الأوّل احتكم آدم وإبليس عند روح القدس ، وفي الخبر الثاني احتكم نوح وإبليس عند جبرائيل؟!!

قلنا : بتكرار الواقعة ؛ فالأولى حصلت عهد آدم عليه السلام ، والثانية عهد نوح صلوات الله عليه ..

ويتعيّن القول بتكرار الواقعة ؛ فإنّ كلاً من الواقعتين رويت بأكثر من طريق معتبر ، لم نسردهما إلاّ طريقاً لكلّ واقعة دفعاً للتطويل ؛ فلا مجال للقول باتحادهما ، سيما أنّ أحداً من العلماء لم يذكر ذلك ..

ولا مانع أن يستظهر من أحاديث النور والخلق الأوّل ، أنّ الروح القدس الذي احتكم عنده آدم وإبليس هو الفرد الأوّل له ، وليس هو غير نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله ، لما ثبت أنّ أوّل من خلق الله تعالى ، هو نور محمد صلى الله عليه وآله ، ولم يكن النبيّ في عالم النور ، إلاّ روحاً واحدة هي روح القدس ، وأمّا في قضية نوح فهو جبرائيل ؛ فكّل من النبيّ محمّد وجبرائيل فرداً للروح القدس ، لكنّه أشرف وأشدّ وجوداً عند نبيّنا كما علمت ..

فلنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله ، بل مطلق المعصوم ، نحوان من الوجود:

الأوّل : الوجود النوري .

في عالم النور ، ولم يكن النبيّ في هذا العالم إلاّ روحاً واحدة ، هي روح القدس لا غير ، كما هو صريح الأخبار الصحيحة الماضية .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٦ : ٣٩٥ . دار الكتب الإسلاميّة طهران .

الثاني : الوجود البشري .

في عالم الدنيا ، والنبي في هذا العالم ، مجموع الأرواح الخمس فيما عرفت .

نريد أن نقول : الوجودان وإن كانا متغايرين في رتبة الوجود القدسي ؛ ضرورة تغاير العالمين ، لكن مردّ الثاني إلى الأوّل ؛ فما الثاني إلا لباس لبسه النبي صلى الله عليه وآله ليرسله الله رحمة للعالمين ، وهذا لا ينافي أشرفيته على الخلائق ، وقد عرضنا لهذا في الفصل الأوّل ، أوّل الكتاب فراجع .

وأما الوجود الملکوتي ، كوجود المعصوم عليه السلام في عالم الذر مثلاً ، أو عند البيت المعمور في السماء الرابعة ، فبين بين ؛ أي : بين عالم النور المجرد ، وبين عالم الدنيا المقيّد بالأرواح الخمس .

مراتب روح القدس: الأعلى والأدنى

روح القدس قدّسه الله تعالى ، مشترك معنوي ، له مراتب وجودية ثلاث ، حسب استعداد المخلوق في تلقي الفيض ، كالآتي :

المرتبة الأولى : روح القدس .

وهي المرتبة الأشد في الوجود ؛ لتنزهها عن كلّ علائق العدم والحدّ ، سوى أنّها مخلوقة لله تعالى ، والروح القدس في هذه المرتبة هو : ما اتحد مع ذات المعصوم عليه السلام ؛ لتحقيق العصمة ، سواء أكان المعصوم نبياً ، أم وصياً ، أم ملكاً من الملائكة .

ضرورة أنّ حقيقة الملائكة ؛ كجبرائيل عليه السلام ، رتبة وجودية طولية لروح القدس عظّمه الله تعالى ، وكذا الحال بالنسبة للأنبياء والأوصياء .

المرتبة الثانية : روح الإيـمان .

وهي مرتبة شديدة يطلق عليها : روح الإيـمان ، وهي ما اتحد مع ذات المؤمن ؛ لتحقيق الإيـمان ، دون العصمة ، وهذه الروح خاصّة بالمؤمنين الكملّ ؛ كأبي ذر ، وجعفر الطيّار ، وحذيفة ، وسلمان ، والمقداد ، وعتمار ، وأبي التيهان ، وأضرابهم من كملّ الإيـمان .

ونبّه أنّ أهل هذه المرتبة ، كملّاً في رتبة روح الإيـمان ، لكنهم رضوان الله تعالى عليهم ، ليسوا من أهل القدس والعلم اللدني كالأنبياء ؛ لضيق ظرفهم عن ذلك ..

يدلّ عليه -عدا ما سيأتي- ما رواه الكليني رضي الله تعالى عنه بأكثر من طريق صحيح ، منها: ما رواه عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس ، عن جميل قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيْمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾؟! .

قال عليه السلام: «هو الإيمان»^(١).

قلت: صحيح بإجماع، وهذا الإسناد صحيح.

قلت: روح الإيمان هو عين روح القدس، لكنها أضعف في الوجود وأدنى رتبة، بل معلولة لها فيما يلزم أن يكون معلوماً ضرورة؛ فتغايراً من هذه الجهة.

المرتبة الثالثة: روح الفطرة.

وهي التي من الله تعالى بها على كل الخلائق دون استثناء؛ لقوله تعالى في قاطبة ما خلق: ﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

ولقوله سبحانه في خصوص الناس: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(٢) وليست الفطرة إلا رشحاً من روح القدس، أو المرتبة الوجودية الأدنى لروح القدس، وسيأتي التفصيل أكثر لاحقاً.

وما يلزم أن يعلم أمران:

الأول: جميع هذه المراتب، تدور على تلك الروح، فإذا تنزهت عن كل القيود والأعدام والحدود، سوى الافتقار إلى الله تعالى، سميت روح القدس؛ فالقدسي هو المنزه عن تلك الحدود والقيود، ومحله عالم الجبروت، وإذا ابتليت ببعض الحدود؛ لغرض التدبير وضيق الظرف، سميت روح الإيمان ومحلها الملكوت، وإذا سجت في زنانة الحدود والقيود والمادة الفانية سميت فطرة، ومحلها الدنيا.

لكن نتساءل من هو السجان، ومن فرض على روح القدس الحدود والقيود ليجعلها محبوسة في الدنو والخسة بعد أن كانت في المحل النوري الأشرف!!!.

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ١٥. دار الكتب الإسلامية طهران.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

قلنا : حسبك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا ... ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾^(١) ولا نطيل.

الثاني : المراتب الثلاث لروح القدس مجعولة في ذوات قاطبة الخلائق بالجعل التكويني ، لكنها في المرتبتين الثانية والثالثة ، لا تحقق عصمة ، أقصى ما تحققه في المرتبة الثانية ، الإيمان عند المؤمن . كما أن أقصى ما تحققه في المرتبة الثالثة : معرفة الخالق ، والخير والشر ، وأن الخير حُسنٌ وجمالٌ وكمالٌ وسعادة ، وأن الشرَّ قبحٌ ونقصٌ وفقدانٌ وشقاء ..

كل إنسان حتى الجاحد الكافر يعلم هذا ، بما أودع الله فيه من الفطرة ، لكن كما قال الرحمان الرحيم ، أصدق الصادقين ، رب العالمين : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْأٰخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾^(٢).

(١) سورة الأعراف : ١٧٦ .

(٢) سورة النحل : ١٠٨ .

النص أن روح الفطرة جعل تكويني وعلم لدي

روى البرقي (٢٧٤هـ) عن الحسن بن عليّ الوشاء ، عن أبان الأحمر بن عثمان ، عن فضل أبي العباس ، بقباق قال : سألت أبا عبد الله عن قول الله : ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ هل لهم غير ذلك صنع؟! .

قال عليه السلام : «لا» .

قلت : إسناده حجة صحيح دون كلام ، وبقباق هو الفضل بن عبد الملك وهو ثقة عين رضي الله عنه .

روى البرقي (٢٧٤هـ) رضي الله عنه ، في المحاسن عن الحسن بن عليّ الوشاء ، عن أبان الأحمر ، عن الحسن بن زياد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان ، هل للعباد فيه صنع؟! .

قال عليه السلام : «لا ، ولا كرامة ، بل هو من الله وفضله» .

روى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام كيف أجابوا ، وهم ذر ، في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قَالُوا بَلَىٰ ﴿٣٧﴾؟! .

قال عليه السلام : «جعل فيهم ، ما إذا سألهم أجابوه ، يعني في الميثاق» .

(١) المحاسن (ت: جلال الحسيني) ١ : ١٩٩ . دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) المحاسن (ت: جلال الحسيني) ١ : ١٩٩ . دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٣) الأعراف : ١٧٢ .

(٤) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ١٢ . دار الكتب الإسلامية، طهران.

قلت : حديث صحيح ، معناه ضروري ، وهذا الإسناد صحيح ، والإبهام ببعض الأصحاب لا يضر ؛ فابن أبي عمير من أصحاب الإجماع ، لا يروي إلا عن ثقة .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن علي بن رثاب ، عن زارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۗ ؟ ! ۗ ۙ ﴾ .

قال عليه السلام : « فطرهم جميعاً على التوحيد »^(١) .

قلت : إسناده صحيح ، ضروري المعنى ، والأخبار في هذا متواترة .

قوله عليه السلام : (جعله فيهم) صريح في الجعل التكويني لروح الفطرة في ذوات الخلائق ، سيما الإنسان .

كما أنّ الفطرة علم لدني حضور ، ليس كسبياً تحصيلياً ؛ لقول الحسن بن زياد : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان ، هل للعباد فيه صنع ؟ ! . قال عليه السلام : « لا ، ولا كرامة ، بل هو من الله وفضله » .

مقارنة بين روح الفطرة وروح القدس !!

لكي تفهم ما قلناه ، على النحو الجيد ، هاك هذين النصين ، لتقارن بينهما :

الأول : روى الكليني عليه السلام عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « الفطرة يعني: المعرفة بأنَّ الله عز وجل خالقه » وإسناده صحيح بإجماع .

الثاني : مضى صحيح جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام قال في المعصومين : « جعل فيهم خمسة أرواح : أيدهم بروح القدس ؛ فبه عرفوا الأشياء » .

وحاصلها : أنَّ علَّة المعرفة هي الروح ، خلال مراتبها الطولية في الوجود : روح القدس ، ثمَّ روح الإيمان ، ثمَّ روح الفطرة ؛ فبواسطة هذه الروح تتم المعرفة ، وهي على مراتب ، فلكلُّ مخلوق من الإنس والجنّ ، بل غيرهما كما هو التحقيق ، مرتبة من المعرفة ؛ لكن بأيّ شيء يتميّز الروح القدس عن روح الفطرة ؟!

قلنا : حسبنا ما مضى من الصحاح ، كصحيح المفصل ، عن الصادق قال عليه السلام : « روح القدس ، به حمل النبوة » .

ولا ريب أنَّ الروح القدس في مرتبة الفطرة عاجز عن ذلك ، وكذا في مرتبة الإيمان ، فافهم المقصود .

النص أن أهل البيت أول من خلق الله

هذا العنوان مقدّمة ضروريّة للعنوان الآتي وهو : روح القدس بين الوحدة والكثرة ، فاستوعبه كما يجب كالآتي ..

مضى ما أخرجه الكليني بإسناد صحيح ، عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «يا جابر إنَّ الله أول ما خلق، خلق محمداً صلى الله عليه وآله، وعترته الهداة المهتدين؛ فكانوا أشباح نور بين يدي الله». قلت: وما الأشباح؟!.

قال عليه الصلاة والسلام: «ظّلّ النور، أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس ، فبه كان يعبد الله وعترته ؛ ولذلك خلقهم حلماً علماء بررة أصفياء يعبدون الله بالصلاة والصوم ، والسجود والتسبيح والتهليل ويصلون الصلوات ويحجون ويصومون».

قال المجلسي رضي الله تعالى عنه : الأخبار الدالة على أن أوّل الموجودات أرواحهم عليهم السلام كثيرةٌ ، ويمكن الاستدلال بها على حدوث الجميع ، بانضمام ما سيأتي من الأخبار الدالة على أن الفاصلة بين خلق الأرواح والأجساد بزمان متناه ، إذ الزائد على المتناهي ، بزمان متناه ، يكون لا محالة متناهيًا^(١) .

قلت : قوله الشريف : (الأخبار الدالة... كثيرة) بضميمة عدم الخلاف في أصحابنا رضوان الله عليهم ، يورث القطع بالصدور ، فاحفظ واغتنم.

قال الفيض (١٠٩١هـ) رضي الله تعالى عنه في الوافي : قوله عليه السلام : (ولذلك خلقهم) أي : ولأجل كونهم مؤيدين بروح القدس ، خلقهم يعني في هذا العالم^(٢) .

قلت : مقصوده أن الله خلقهم ، حلماً بروح القدس ، المَجْعول تكويناً في ذواتهم.

(١) بحار الأنوار(ت: اليهودي) ٥٤: ١٩٨ . مؤسسة الوفاء ، بيروت.

(٢) الوافي(ت: ضياء الحسيني) ٣: ٦٨٢ . مكتبة الإمام علي ، أصفهان.

وأخرج الكليني ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن الحسين ، عن أبي سعيد العصفوري (عباد، ثقة) عن عمرو بن ثابت ، عن أبي حمزة الثمالي رضوان الله عليه قال : سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول : «إنّ الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده، من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدمونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

قلت : إسناده حسن صحيح .

يشهد له ما رواه الكليني أيضاً عن الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن أبي الفضل عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن سنان قال : كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة!! فقال عليه السلام : «يا محمد ، إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدايته ، ثمّ خلق محمداً وعلياً وفاطمة ، فمكثوا ألف دهر ، ثمّ خلق جميع الأشياء ، فأشهدهم خلقها ، وأجرى طاعتهم عليها ، وفوض أمورها إليهم ، فهم يحلون ما يشاؤون ، ويمرحون ما يشاءون ، ولن يشاؤوا إلاّ أن يشاء الله تبارك وتعالى...»^(٢).

قلت : إسناده معتبر في الشواهد ، رجاله غير متروكين ، بل ثقات على بعض المباني.

وروى الكليني عليه السلام عن أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبد الله ، عن محمد بن عيسى ومحمد بن عبد الله ، عن عليّ بن حديد ، عن مرّام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «قال الله تبارك وتعالى : يا محمد إنّّي خلقتك وعلياً نوراً ، يعني روحاً بلا بدن ، قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري»^(٣).

قلت : إسناده معتبر ، رجاله ثقات إلاّ ابن حديد وهو حجة إذا لم يخالف ، ولم يخالف .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٥٣١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٤٤١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٤٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

ويشهد لما نحن فيه أيضاً ، مما مضى ، ما رواه الكليني بإسناد معتبر عن عليّ بن حماد ، عن المفضل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟! .

فقال عليه السلام : «يا مفضل ، كنتا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا ، في ظلة خضراء نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده ، وما من ملك مقرب ، ولا ذي روح غيرنا ، حتى بدا له في خلق الأشياء ، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ، ثم أنهى علم ذلك إلينا»^(١).

قلت : إسناده معتبر .

يشهد له ما رواه الكليني عن أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبد الله الصغير ، عن محمد بن إبراهيم الجعفري ، عن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنّ الله كان إذ لا كان ، فخلق الكان والمكان ، وخلق نور الأنوار ، الذي نورت منه الأنوار ، وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار ، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً ، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كوّن قبلهما ، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة ، حتى افترقا في أظهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليه السلام»^(٢).

قلت : إسناده مجهول ، أحمد بن عليّ لم أقف على حاله ، سقناه استشهاداً .

قال المجلسي رضي الله عنه : نور الأنوار عبارة : عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والأنوار عن أوصيائه المعصومين...^(٣).

والأخبار في ذلك كثيرة ، لا يسعها ما نحن فيه ؛ فإذا اتّضح هذا ، هاك العنوان الآتي ، فلقد حارت فيه بعض الأفهام دون داع ..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٤٤١ . دار الكتب الإسلامية طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٤٤٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) مرآة العقول ٥ : ١٩٦ .

روح القدس بين الوحدة والكثرة!!

أتضح سابقاً أنّ أهل البيت أوّل من خلق الله تعالى في عالم النور والجبروت ، كما قد بان أنّ الروح القدس ، ذاتٌ نورية مخلوقة من نور العظمة في عالم الجبروت ، وعالم النور هو عالم العرش كما ستعلم في فصلٍ لاحقٍ ..

يبين الأئمة عليهم السلام أنّ الروح القدس هو هذا النور ؛ ففي صحيح جابر الجعفي ، قال الباقر عليه السلام : « ظَلَّ النُّورُ... ، وكان مؤيداً بروح واحدة ، وهي روح القدس » وأصله في القرآن قوله تعالى : ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ... ، جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ .

كما قد مضى قول النبي صلى الله عليه وآله - في معتبر الخفاف - : « إِنَّ عَلِيًّا خَلِيفَةُ اللَّهِ... ، وكنت أنا وهو ، نوراً واحداً » .

ومروي الزيارة الجامعة ، بإسناد صحيح ، عن الإمام الهادي عليه السلام قال : « إِنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطَيْبَتِكُمْ وَاحِدَةٌ ، طَابَتْ وَطَهَّرَتْ ، بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَاراً ، فَجَعَلَكُمْ بَعْرَاشِهِ مُخَدِّقِينَ » .

وخبر الهروي ، عن الرضا عليه السلام : « أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَرْوَاحَنَا ، فانطقنا بتوحيده وتحميده ، ثم خلق الملائكة ، فلما شاهدوا أرواحنا ، نوراً واحداً »

وخبر علي بن حديد ، عن مرزم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال الله تبارك وتعالى : يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً ... ، فجعلتهما واحدة ، ثم قسمتها ثنتين ، وقسمت الثنتين ثنتين ، فصارت أربعة محمد واحد ، وعلي واحد ، والحسن والحسين ثنتان ، ثم خلق الله فاطمة من نور ، ابتدأها روحاً بلا بدن ، ثم مسحنا بيمينه ، فأفضى نوره فينا »^(١) .

وأخرج الصدوق (٣٨١هـ) قال : أبي رحمه الله قال: حدثنا محمد بن معقل القرمسيني، عن محمد بن زيد الجزري، عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، عن عبد الله بن

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٤٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

حماد ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له لم سميت فاطمة الزهراء عليها السلام زهراء؟! .

فقال عليه السلام : «لأنَّ الله عزوجل خلقها من نور عظمته ، فلما أشرقت أضواء السموات والأرض بنورها ، وغشيت أبصار الملائكة ، وخرت الملائكة ساجدين وقالوا : إلهنا وسيدنا ما لهذا النور؟! .

فأوحى الله اليهم : «هذا نور من نوري ، اسكنته في سمائي ، خلقتة من عظمتي ، أخرجته من صلب نبي من أنبيائي ، أفضله على جميع الأنبياء ، وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمرى ، يهدون إلى حقي ، واجعلهم خلفائي في أرض بعد انقضاء وخيي»^(١) .

قلت : في إسناده ضعف ، بل هو ضعيف ؛ فيه من لم أعرفه ، سقناه شاهداً .

يؤيد ذلك ما ذكره الحسن بن سليمان الحلبي (ق ٩هـ) في مختصر البصائر قال : ومن كتاب الواحدة : روى عن محمد بن الحسن بن عبد الله الأطروش الكوفي ، قال : حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد البجلي ، قال : حدثني أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، قال : حدثني عبد الرحمن بن أبي نجران ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : «إنَّ الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرد في وحدانيته ، ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً ، ثم خلق من ذلك النور محمداً صلى الله عليه وآله ، وخلقني وذريتي ، ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً ، فأسكنه الله في ذلك النور ، واسكنه في أبداننا ، فنحن روح الله وكلماته ، فبنا احتج على خلقه ، فما زلنا في ظلة خضراء ، حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ، ولا عين تطرف نعبده ونقدسه ونسبحه ، وذلك قبل أن يخلق الخلق»^(٢) .

قلت : إسناده معتبر .

(١) الإمامة والتبصرة : ١٣٣ . مدرسة الإمام المهدي ، قم المقدسة .

(٢) مختصر بصائر الدرجات : ٣٣ . المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف .

هذه الأخبار الكثيرة -بمجموعها- ظاهرة أنّ النور الأوّل في الإيجاد، وإن شئت قلت: الروح القدس، نوعٌ واحدٌ، لا فرد له في ابتداء الإيجاد، إلاّ نبينا محمد، قضى الله تعالى أن يتكثّر الخلق منه صلّى الله عليه وآله، الأمثل فالأمثل.

لصريح قول الصادق عليه السلام: «خلقتك وعلياً نوراً، ثمّ قسمتها ثنتين، وقسمت الثنتين ثنتين...».

الجميع يشترك في هذا النور، اشتراكاً معنوياً، فكما تقول: محمد صلّى الله عليه وآله إنسان، إلى أدنى فرد في الإنسانيّة، إنسان؛ لاشتراك كلّ أفراد الإنسان، شريفها وخسيسها دون استثناء، بنوع الإنسانيّة.

كذلك ما نحن فيه: فنبينا محمد صلّى الله عليه وآله، نور، و: أهل البيت عليهم السلام نور، وقاطبة الأنبياء والأوصياء نور، وعامة الملائكة نور؛ ضرورة اشتراك ذوات الجميع في هذا النور اشتراكاً تكوينياً طويلاً؛ بالضبط كما أنّ النفس الناطقة وهي واحدة، متكثّرة في ذوات كلّ أفراد الإنسان تكثراً تكوينياً طويلاً.

غاية الأمر أنّ أشدّ رتبة وجوديّة لهذا النور، منحصرة بفرد نبينا محمد؛ لعدم الوساطة في إيجاده صلّى الله عليه وآله سوى قدرة الله ومشيئته سبحانه، أمّا عليّ صلوات الله عليه، فهو بواسطة نور النبيّ. ثمّ الحسن والحسين عليهما السلام، بواسطتين هما: النبيّ وعليّ، وهكذا تكثّرت الوسائط الطوليّة، الأمثل فالأمثل..

ثمّ يدلّ عليه، ما رواه الصدوق رضي الله عنه (٣٨١هـ) قال: حدثنا حمزة بن محمد العلوي رحمه الله، قال: أخبرنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه الصلاة والسلام، عن قوله الله عز وجل: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾؟!.

قال الباقر عليه السلام : «روح اختاره الله ، واصطفاه ، وخلقه إلى نفسه ، وفضّله على جميع الأرواح ، فأمر فنفخ منه في آدم»^(١).

قلت : إسناده صحيح على الأظهر ، رجاله ثقات ، وحزبة بن محمد القزويني العلوي من الأجلاء فيما يظهر ، ترضى الصدوق عنه كثيراً ، لم يطعن فيه أحد .

قوله عليه السلام : (فنفخ منه في آدم) بضميمة خبر ابن حديد ، وكذا قوله تعالى : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ صريحٌ في وحدة الروح القدس (=النور الأول) ، وعدم كثرتها إلا بأفراده الطوليّة التالية لوجوده ، وإلا فليس هو قبل الكثرة إلا نوع منحصرٌ بفرده .

وما رواه الصدوق : حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله ، قال : حدثنا علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن أبي جعفر الأصم ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الروح التي في آدم عليه السلام والتي في عيسى عليه السلام ماهما؟! قال عليه السلام : «روحان مخلوقان ، اختارهما واصطفاهما ، روح آدم عليه السلام وروح عيسى عليه السلام»^(٢).

قلت : إسناده صحيح ؛ فابن أبي عمير من أصحاب الإجماع . وهو ناظر لفردين من الروح القدس ؛ فكما نفخ منه في آدم أولاً ، نفخ منه أيضاً في عيسى عليهما السلام ثانياً ، وكذا بقية الأفراد ، الأمثل فالأمثل .

(١) التوحيد(ت: هاشم الطهراني) : ١٧٠ . جماعة المدرسين ، قم .

(٢) التوحيد(ت: هاشم الطهراني) : ١٧٠ . جماعة المدرسين ، قم .

بيان حديث النبي: «حسينٌ مني وأنا منه»

أخرج الإمام الترمذي قال: حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن راشد، عن يعلي بن مرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حسينٌ مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط».

قال الترمذي: هذا حديث حسن^(١).

أخرج ابن ماجة قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وسويد بن سعيد، وإسماعيل بن موسى، قالوا: حدثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن حبشي بن جنادة، قال: سمعت رسول الله يقول: «عليٌّ مني وأنا منه، ولا يؤدّي عني إلاّ عليٌّ».

قال الألباني: حسن^(٢).

كما أخرجه أحمد -متابعة لشريك- مع زيادة فقال: حدثنا يحيى بن آدم، وابن أبي بكير، قالوا: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حبشي بن جنادة (السلولي، صحابي شهد حجة الوداع) قال: قال رسول الله: «عليٌّ مني وأنا منه، ولا يؤدّي عني إلاّ أنا أو عليٌّ».

قلت: هذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين بإجماع؛ ولا تضر هيئتنا، عنعنة أبي إسحاق السبيعي؛ لإجماع العلماء أنّ رواية إسرائيل عنه -وهو سبطه- في غاية الاتقان^(٣).

وبعين هذا السند رواه أحمد في الفضائل بلفظ: «عليٌّ مني، وأنا منه، ولا يقضي عني ديني إلاّ أنا أو عليٌّ»، قال ابن آدم: «ولا يؤدّي عني إلاّ أنا أو عليٌّ»^(٤).

(١) سنن الترمذي (ت: بشار عواد) ٦: ١٢٣، رقم: ٣٧٧٥. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٢) سنن ابن ماجة ١: ٤٤، رقم: ١١٩. محمد فؤاد عبد الباقي، ومذيل بأحكام الألباني.

(٣) ممن ذكر ذلك شعيب الأرنؤوط نفسه في مسند أحمد ١: ٤٤٣، رقم: ٣٧٨. الرسالة.

(٤) فضائل أحمد (ت: وصي عباس) ٢: ٦٥٧، رقم: ١١٢٠. مؤسسة الرسالة.

وفي فضائل أحمد: وكتب إلينا محمد بن عبد الله، يذكر أن سويد بن سعيد حدثهم قتنا عمرو بن ثابت، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن عليّ قال: لما كان يوم أحد وفرّ الناس فقلت: ما كان النبي ليفرّ، فحملت على القوم، فإذا أنا برسول الله، فقال جبريل: إن هذه هي المواسة، فقال النبي: «إنه منّي، وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكم»^(١).

وأخرجه الترمذي قال: حدثنا إسماعيل بن موسى، قال: حدثنا شريك، عن أبي إسحاق به مثله. وقال: حسن غريب صحيح^(٢).

وأخرجه ابن عساكر قال: أخبرناه أبو علي الحداد في كتابه ثم حدثني أبو مسعود عبد الرحيم بن علي عنه، أنا أبو نعيم الحافظ، نا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال سمعت جبير بن هارون، نا محمد بن حميد، نا حكام، عن عنبة، عن أبي إسحاق، عن حبشي بن جنادة السلولي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «علي منّي وأنا منه ولا يبلغ عني إلا أنا أو علي» قاله في حجة الوداع^(٣).

قلت: إسناده نحسن، رجاله ثقات وموثقون، ومحمد بن حميد حافظ ثقة ضعفه البعض دون بيان.

قوله صلى الله عليه وآله: (حسين منّي وأنا من حسين) هو عين المعنى في قوله عليه السلام: «يا محمد إنّي خلقتك وعلياً نوراً...، فجعلتهما واحدة، ثمّ قسمتها ثنتين، وقسمت الثنتين ثنتين، فصارت أربعة محمد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين ثنتان» فمردّ كثرة الأنوار إلى نور واحد، هو نور النبيّ صلى الله عليه وآله.

فنور النبيّ هو النوع المنحصر به فقط في ابتداء الإيجاد صلى الله عليه وآله، ثمّ أوجد الله تعالى منه فرداً ثانياً هو عليّ، ثم الحسن والحسين وهكذا الأمثل فالأمثل.

(١) فضائل أحمد (ت: وصي عباس) ٢: ٦٥٦، رقم: ١١١٩. مؤسسة الرسالة. ط: ١.

(٢) سنن الترمذي (بشار) ٦: ٧٩، رقم: ٣٧١٩. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٣٤٦.

بيان قول جبرائيل: «وأنا منكم»

في فضائل أحمد ما نصّه: وكتب إلينا محمد بن عبد الله، يذكر أنّ سويد بن سعيد حدثهم قال: حدثنا عمرو بن ثابت، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن عليّ قال: لما كان يوم أحد وفرّ الناس فقلت: ما كان النبي ليفرّ، فحملت على القوم، فإذا أنا برسول الله، فقال جبريل: إن هذه هي المواساة، فقال النبي: «إنه منّي، وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكم»^(١).

وأخرجه الترمذي قال: حدثنا إسماعيل بن موسى، قال: حدثنا شريك، عن أبي إسحاق به مثله. وقال: حسن غريب صحيح^(٢).

أقول: إسناده حسن؛ سيما في المتابعات؛ رجاله ثقات سوى عمرو بن ثابت البكري، ضعف حديثه الأكثر إذا انفرد، لكن قال البزار: حدث عنه أهل العلم، ورووا عنه، على أنّه كان رجلاً يتشيع، ولم يترك حديثه. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، يكتب حديثه، كان رديء الرأي، شديد التشيع.

وقال أبو داود: رافضي خبيث رجل سوء، ولكنه كان صدوقاً في الحديث.

وفي فضائل أحمد أيضاً ما نصّه: فيما كتب إلينا محمد بن عبد الله بن سليمان مطين، يذكر أنّ علي بن حكيم الأودي حدثهم، قننا حبان بن علي، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده قال: لما قتل عليّ أصحاب الألوية يوم أحد قال جبريل: يا رسول الله، إن هذه هي المواساة، فقال له النبي: «إنه مني، وأنا منه، قال جبريل: وأنا منكم يا رسول الله»^(٣).

(١) فضائل أحمد (ت: وصي عباس) ٢: ٦٥٦، رقم: ١١١٩. مؤسسة الرسالة. ط: ١.

(٢) سنن الترمذي (بشار) ٦: ٧٩، رقم: ٣٧١٩. دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٣) فضائل أحمد (ت: وصي عباس) ٢: ٦٥٤، رقم: ١١١٩.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا علي بن حكيم الأودي به مثله^(١).

قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه حبان بن علي وهو ضعيف ووثقه ابن معين في رواية، ومحمد بن عبيد الله بن أبي رافع وثقه ابن حبان، ضعيف عند الجمهور^(٢).

ومن طريق آخر أخرجه البزار قال: حدثنا محمد بن موسى الواسطي، ثنا معلى بن عبد الرحمن، ثنا شريك، وعمرو بن أبي المقدام، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر، قال: دخل علي رضي الله عنه على فاطمة رحمة الله عليها يوم أحد...، فقال جبريل: يا محمد، هذا وأبيك المواساة، فقال النبي: «يا جبريل، إنّه منّي فقال جبريل: وأنا منكم»^(٣).

قال الهيثمي: رواه البزار، وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي، وهو ضعيف جداً، وقال ابن عدي: أرجو أنّه لا بأس به^(٤).

قلت: اختلط على أكثر الناس بيان هذه الأخبار الشريفة؛ وقد نظنّ أنّ معناها أضحى واضحاً..

ويإيجاز شديد: فمقصود النبيّ بقوله صلى الله عليه وآله: (حسين مني وأنا منه). وقوله صلى الله عليه وآله لعليّ: (عليّ مني وأنا منه). وقول جبرائيل: (وأنا منكم) وما شاكل هذه الأخبار الشريفة، لا يعدو ما ذكرناه من الاشتراك المعنوي، أو أصالة الوجود كما يقول أهل الحكمة؛ فمردّة كثرة هؤلاء المقدّسين الطوليّة، إلى وحدة النور الأوّل في الإيجاد، وهو النوع المنحصر بفرد نبيّنا، عنه تكثر الخلق صلوات الله عليه. وفي قول جبرائيل: (وأنا منكم) إشارة إلى أنّه بعدهما في الوجود الطولي.

(١) معجم الطبراني الكبير ١: ٣١٨، رقم: ٩٤١. ت: حمدي السلفي.

(٢) مجمع الزوائد ٦: ١١٤، رقم: ١٠٠٨٥. ت: حسام القدسي.

(٣) كشف الأستار في زوائد البزار (الهيثمي) ٢: ٣٢٩، رقم: ١٧٨٩.

(٤) مجمع الزوائد ٦: ١٢٢، رقم: ١٠١١٦. ت: حسام القدسي.

كلمة تامة لصدر الدين الشيرازي رحمته الله

قال رضوان الله تعالى عليه في شرح الكافي: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ قالوا: إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهِ ، وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ بِرَتَبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمْرِيَّ هُوَ : حَقِيقَةُ ذَاتِهِ...؛ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ رُوحٍ وَاحِدَةٍ ، هِيَ رُوحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ فَرُوحُهُ أَصْلُ الْأَرْوَاحِ ، فَكَمَا كَانَ آدَمُ أَبَا الْبَشَرِ وَخَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ .

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَبَا الْأَرْوَاحِ ، وَخَلِيفَةَ اللَّهِ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ ، فَالرُّوحُ خَلِيفَةُ اللَّهِ ، وَجَمَّعَ صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةَ ، كَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةَ وَالْقُدْرَةَ وَالْإِرَادَةَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلامَ وَالْبَقَاءَ ، وَالْجَسَدَ خَلِيفَةَ الرُّوحِ ، وَهُوَ جَمَّعَ صِفَاتِهِ الْفِعْلِيَّةَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ رُوحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ آخَرَ حَتَّى يَنْسَبَ أَوْ يُضَافَ إِلَيْهِ الرُّوحُ غَيْرَ اللَّهِ ، بَلْ كَانَ رُوحُهُ أَوَّلَ شَيْءٍ تَعَلَّقَتْ بِهِ الْقُدْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ ، وَلِذَلِكَ شَرَّفَهُ بِتَشْرِيفِ الْإِضَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ فَسَمَّاهُ : رُوحِي ، كَمَا سَمَّى أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَهُ لِلنَّاسِ وَشَرَّفَهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ : بَيْتِي .

ثُمَّ حِينَ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ سَوَّاهُ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، أَي : مِنْ الرُّوحِ الْمَضَافِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَهُوَ رُوحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَمَا قَالَ : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وَلَمْ يَقُلْ : نَفَخْتُ فِيهِ رُوحِي بَدُونَ ﴿مِنْ﴾ لِيَكُونَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الرُّوحَ الْمَنْفُوخَ فِي آدَمَ ، هُوَ بَعِينَةُ رُوحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بَلْ كَانَ رُوحَ آدَمَ مَتَوَلِّدًا مِنْهُ ، فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْأَبُ الرُّوحَانِي لِأَبِ الْبَشَرِ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَبُو الْبَشَرِ الْأَبُ الْجَسْمَانِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَائِرِ الْبَشَرِ .

وَكَذَلِكَ أَرْوَاحُ أَوْلَادِ آدَمَ ، مَخْلُوقَةٌ مِنْ رُوحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ وَكَذَلِكَ قَالَ فِي حَقِّ رُوحِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ فَكَانَتِ النَّفْخَةُ لِجَبْرَائِيلَ ،

والروح من روح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ الْمُضَافِ إِلَى الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، ولأجل كون حقيقة الروح على هذه المنزلة والشرف ، قصرت أفهام الناس وتلاشت العقول من دركها ، كما تتلاشى أنوار الأبصار في شعاع الشمس ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فافهم هذا المقال ؛ فإنه مدرك عزيز المنال^(١). اهـ.

قلت : ما قاله صدر الدين الشيرازي رضي الله عنه ، تامّ ؛ يدلّ عليه في الأخبار الصحيحة كلّ ما سردناه آنفاً ؛ سيما صحيح محمد بن مسلم ، عن الباقر عليه السلام قال في تفسير : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ : «روح اختاره الله ، واصطفاه ، وخلقه إلى نفسه ، وفضله على جميع الأرواح ، فأمر فنفخ منه في آدم»^(٢).

أقول -والحقّ يقال- : إنّ ما قال رضي الله عنه في خصوص الوحدة والكثرة ، مدرك عزيز المنال ، وفي بعض ما قال عدا هذا ، كلام لا يهمننا الآن .

(١) شرح أصول الكافي ٣ : ٢٨٣ .

(٢) التوحيد(ت: هاشم الطهراني) : ١٧٠ . جماعة المدرسين ، قم .

كلمة تامة للمازندراني رضي الله عنه

قال المازندراني (١٠٨١هـ) رضي الله عنه : الأنوار كلها حقيقة واحدة ، لا تفاوت بينها في المهية وعوارضها ، بل في الشدة والضعف ، والكمال والنقص ، في أصل التورية والوجود ، والله أعلم بحقيقة الحال^(١).

قلت : وهو صريحٌ فيما قلناه من أصالة الوجود ، وأن كثرة النور الواحد ، كثرة وجودية طولية ، من النور الواحد الأشد نوراً ، إلى الأضعف وجوداً ، الأمثل فالأمثل .

وقال في موضع آخر رضي الله عنه : قد يطلق العقل على الجوهر المفارق عن المادة في ذاته وفعله ، ويقال إنه أول خلق من الروحانيين ، وإنه كثير العدد ، كثرة لا مثل كثرة الأشخاص المدرجة تحت نوع واحد ، ولا مثل كثرة الأنواع المدرجة تحت جنس واحد ؛ لأن تلك الكثرة من توابع المادة ، والعالم القدسي منزّه عنها ، بل هي مراتب وجودية نورانية بسيطة ، مختلفة في الشدة والضعف في النورية ، متفاوتة في الكمال والقرب إلى نور الأنوار ، وأنه (=العقل) روح النفس الناطقة ، وحالة لها ، ومتعلق بها ، كتعلق النفس بالبدن ، وبإضاءاته وإشراقاته ، تضيء النفس وتشرق وتبصر ما في عالم الملك والملكوت ، وتعرف منافعها ومضارّها ، فتطلب الأول وتجتنب عن الثاني ، وأنه لا بعد في ذلك التعلق ؛ لأنه إذا جاز تعلق النفس بالبدن مع المباينة بينهما في التجرد والمادية ، جاز تعلق ذلك الجوهر بالنفس مع المناسبة بينهما في التجرد بالطريق الأولى .

والحق أن وجود ذلك الجوهر أمر ممكن ، دلّ عليه ظاهر كثير من الروايات ، لكن لا على الوجه الذي ذهب إليه طائفة من الفلاسفة من أنه موجد للأفلاك وما فيها وما تحتها من الأجسام والعناصر وغيرها ؛ فإن وجوده على هذا الوجه غير ثابت ، لا عقلاً ولا نقلاً ، بل باطل بالنظر إلى الآيات والروايات الدالة على أن موجد ما ذكر ليس إلا الله جل شأنه ، وأن تكثره وتعلقه بالنفس على الوجه المذكور أيضاً أمر ممكن

(١) شرح أصول الكافي ١ : ٢٠٥ . إحياء التراث العربي ، بيروت.

قال رضي الله تعالى عنه : قوله عليه السلام : (ثم قال له : أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر) كأنّ المراد إقباله إلى ما يصلح أن يؤمر به من الطاعة ، وإدباره عما ينهى عنه من المعصية ، أو إقباله إلى المقامات العالية والدرجات الرفيعة التي يمكنه الوصول إليها ، وإدباره عن تلك المقامات ، ونزوله في منازل الطبيعة الجسائيّة ، وهبوطه مواطن الظلمة البشريّة ؛ ولعلّ الغرض من الأمر بالاقبال إراءة مقاماته وإظهار درجاته ؛ ليستيقظ في العالم السفلي من نوم الجهالة ، وسنة البطالة ، ويتذكّر بأنّ له سوى هذه النشأة الدنيّة ، نشأة أخرى أحسن وأفضل منها بل لا نسبة بينهما^(١) . اهـ .

قلت : ما ذكره رضوان الله تعالى عليه في ما يخصّ وحدة العقل وكثرتّه ، مبني على أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة ، وهو حقّ في غاية التمام ، موافق للأخبار القطعيّة والبراهين اليقينيّة ، وعليه أكثر أصحابنا في القرون الأخيرة ، بل جلّ أهل الحكمة على التحقيق .

(١) شرح أصول الكافي (ت: علي عاشور) ١: ٦٧ . إحياء التراث العربي ، بيروت .

وحدة العقل وكثرته!!

قال المازندراني رضي الله عنه في سرد معاني العقل : وقد يطلق العقل : على الجوهر المفارق عن المادة ، في ذاته وفعله . ويقال : إنه أول خلق من الروحانيين ، وإنه كثير العدد كثيرة ، لا مثل كثرة الأشخاص المدرجة تحت نوع واحد ، ولا مثل كثرة الأنواع المدرجة تحت جنس واحد ؛ لأن تلك الكثرة من توابع المادة ، والعالم القدسي منزّه عنها ، بل هي مراتب وجودية نورانية بسيطة ، مختلفة في الشدة والضعف في النورية ، متفاوتة في الكمال والقرب إلى نور الأنوار^(١) . اهـ .

لعمرك الله ، أجاد المازندراني وأفاد رضي الله عنه ، وقد لا أجازف إذا قلت : إن لازم الفهم التام لكلامه الشريف أعلاه ، فهمٌ لجلّ ما جاء في الحكمة . ونبّه أنّ التبيان التام والاستدلال العام ، لما نحن فيه ، متقوم على مجموع كلّ أخبار أهل البيت في أبواب الروح ، والعقل ، والنور ، والعرش وغير ذلك ، فعليك باستيعاب المجموع الموثق في كتابنا المتواضع هذا ، وفهمه بما هو مجموع ، وإلا فُدع الأمر لأهله ..

وفيما نحن فيه روى البرقي (٢٧٤هـ) رضي الله عنه ، عن الحسن بن محبوب ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «لما خلق الله العقل استنطقه ، ثمّ قال له : أقبل فأقبل . ثمّ قال له : أدبر فأدبر . ثمّ قال له : وعزّي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ، ولا أكملك إلاّ فيمن أحب»^(٢) .

ورواه الكليني ، وهو أوّل أحاديث كتابه الكافي ، قال : حدثني عدة من أصحابنا ، منهم : محمد بن يحيى العطار ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب به مثله^(٣) .

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

(١) شرح الكافي (ت: علي عاشور) ١: ٦٧ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢) المحاسن (ت: جلال الحسيني) ١: ١٩٣ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قوله عليه السلام : (ولا أكملك إلا فيمن أحب) ظاهرٌ ، بل صريحٌ أنّ للعقل ، مراتباً وجوديةً طوليةً بنحو الإشتراك المعنوي ، من الأعلى إلى الأدنى ؛ أكمل هذه المراتب وأشدّها وجوداً ، هو روح القدس ، جعله الله تعالى فيمن أحبّ من خلقه تكويناً ، وهو بضميمة الأخبار القطعية المتقدمة نبينا محمد صلّى الله عليه وآله . وأمّا من لم يحبه الله ، بقرينة المقابلة ، ففيه أدنى مراتب العقل ، وهو روح الفطرة .

وأخرج البرقي رضي الله عنه ، عن أبيه محمد بن خالد ، عن عبد الله بن الفضل النوفلي ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «خلق الله العقل فقال له: أدبر فأدبر. ثم قال: له أقبل فأقبل. ثم قال : «ما خلقت خلقاً أحبُّ إليّ منك. قال : «فأعطى الله محمداً صلى الله عليه وآله تسعة وتسعين جزءاً ، ثم قسم بين العباد جزءاً واحداً»^(١).

قلت : إسناده قويٌّ ، رجاله ثقات ، عبد الله بن الفضل بن عبد الله النوفلي ، ثقة ، وأمّا أبوه الفضل النوفلي فمجهول الحال ، لكنّه من أصحاب الصادق لم يطعن بشيء .

وروى البرقي (٢٧٤هـ) رضي الله عنه عن محمد بن عيسى اليقطيني ، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان ، عن درست بن أبي منصور الواسطي ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : «ما بعث الله نبياً قط إلا عاقلاً ، وبعض النبيين أرجح من بعض ، وما استخلف داود سليمان حتى اختبر عقله ، واستخلف داود سليمان ، وهو : ابن ثلاثة عشر سنة ، وملك ذو القرنين وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، ومكث في ملكه ثلاثين سنة»^(٢).

قلت : إسناده ضعيف بالدهقان ، والبقية ثقات .

(١) المحاسن (ت: جلال الحسيني) ١ : ١٩٣ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) المحاسن (ت: جلال الحسيني) ١ : ١٩٣ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

وروى الكليني عن جماعة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن علي بن فضال ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما كَلَّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قط .»

وقال عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم النَّاس على قدر عقولهم»^(١).

قلت : قويّ معتبر ، وهذا الإسناد مبهم ببعض أصحابنا ، صحيحٌ على مبنى المحقق الخليّ ، وأيضاً فهو من رواية ابن فضال وهو من أصحاب الإجماع على قول .

ومضى ما رواه الكليني بإسناد صحيح عن حمّاد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما برأ الله نسمة خيراً من محمد صلى الله عليه وآله»^(٢).

والنسمة : الروح باتفاق أهل العلم واللسان ، وهي أوّل وأكمل مخلوق خلقه الله سبحانه وتعالى .

وروى الكليني عن محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن ابن أبي نجران ، عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «لما خلق الله العقل قال له : أقبل فأقبل . ثمّ قال له : أدبر فأدبر ، فقال : وعزّي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك...»^(٣).

قلت : إسناده صحيح على الأقوى ، سهل مختلف فيه ، جزم بوثاقته أساطين .

وروى الكليني رضي الله عنه عن أبي عبد الله العاصمي عن علي بن الحسن عن علي بن أسباط عن الحسن بن الجهم عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : «إنّ الله خلق العقل

(١) الكافي(ت: علي غفاري) ١: ١٠. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي(ت: علي غفاري) ١: ٤٤٠. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي(ت: علي غفاري) ١: ٢٦. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

فقال له: أُقبل فأقبل. وقال له: أدبر فأدبر، فقال وعزتي وجلالي ما خلقت شيئاً أحسن منك أو أحبُّ إلي منك»^(١).

قلت: إسناده صحيح، أو موثق على اصطلاح المتأخرين.

الزبدة: في المجموع، بضميمة أخبار النور وروح القدس القطعيين، دلالة ظاهرة أن أشد مراتب وجود العقل عند نبينا، وأدناها في أدنى المخلوقات التي برأها الله تعالى.

والكلام في وحدة العقل وكثرته، عين الكلام في وحدة روح القدس وكثرته؛ إذ العقل في رتبة عالم القدس والجبروت هو عين الروح القدس؛ لتنزهه عن كل قيود الإمكان سوى كونه مخلوقاً لله تعالى، كما بيّنا سابقاً في هذا الفصل.

قال المجلسي رضي الله عنه في المرأة: وبهذا التحقيق يمكن الجمع بين ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أول ما خلق الله نوري» وبين ما روي أنّ: «أول ما خلق الله العقل» وما روي أنّ: «أول ما خلق الله النور» إنّ صحت أسانيدها، وتحقيق هذا الكلام على ما ينبغي يحتاج إلى نوع من البسط والإطناب، ولو وفينا حقه لكتنا أخلفنا ما وعدناه في صدر الكتاب^(٢).

قلت: في قول المجلسي رضي الله عنه: (إنّ صحت أسانيدها) ما يلزم إفراد عنوان لبيانه، فهাকে ..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٨. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) مرآة العقول (ت: هاشم الرسولي) ١: ٣١. دار الكتب الإسلامية، طهران.

كلمة تامة للمجلسي رضي الله عنه

نَبّه أنّ مقصود المجلسي رضي الله عنه بقوله الشريف : (إنّ صحت أسانيدها) خصوص الأخبار الواردة بلفظ : (أول ما خلق) لا أخبار خلق العقل أو النور ؛ فكلاهما متواتر قطعيّ الصدور ..

قال رضي الله عنه : خبر : (أول ما خلق الله العقل) ما وجدته في الأخبار المعتبرة، وإنّما هو مأخوذ من أخبار العامة^(١).

وقال في موضع آخر : مر في بعض الأخبار : أنّ أول ما خلق الله النور ، وفي بعضها : نور النبي صلى الله عليه وآله . وفي بعضها : نوره مع أنوار الأئمة عليهم السلام . وفي بعض الأخبار العامة عن النبي صلى الله عليه وآله : أول ما خلق الله روعي.

فيمكن أن يكون المراد بالجميع واحداً ، ويكون خلق الأرواح قبل خلق الماء وسائر الأجسام ، وتكون أولية الماء بالنسبة إلى العناصر والأفلاك ؛ فإنّ بعض الأخبار يدل على تقدم خلق الملائكة على خلق العناصر والأفلاك كما مرّ ، ودلت الأخبار الكثيرة على تقدم خلق أرواحهم وأنوارهم عليهم السلام على كلّ شيء .

وروى الكليني وغيره بأسانيدهم الكثيرة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إنّ الله خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره ...، وأمّا خبر (أول ما خلق الله العقل) فلم أجده في طرقنا، وإنّما هو في طرق العامة، وعلى تقديره يمكن أن يراد به نفس الرسول صلى الله عليه وآله؛ لأنّه أحد إطلاقات العقل^(٢). اهـ.

قلت : كلامه تام رضي الله عنه .

(١) بحار الأنوار(ت: البهبودي) ١ : ١٠٢ . مؤسسة الوفاء ، بيروت .

(٢) بحار الأنوار(ت: البهبودي) ٥٤ : ٣٠٩ . مؤسسة الوفاء ، بيروت .

إثبات أن العقل الأول هو نبينا محمد صلى الله عليه وآله

مضى صحيح محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ، ولا أكملك إلا فيمن أحب» .

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن حديد ، عن سماعه بن مهران قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «إن الله عز وجل خلق العقل ، وهو أول خلق من الروحانيين ، عن يمين العرش ، من نوره ، فقال له : أدبر فأدبر ، ثم قال له : أقبل فأقبل . فقال الله تبارك وتعالى : خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي...»^(١) .

قلت : إسناده معتبر .

وقد مضى في الأخبار الكثيرة الواردة في الروح القدس والواردة النور ، أن أكرم مخلوق على الله هو نبينا صلى الله عليه وآله ..

فقد مضى معتبر الحسين بن عبد الله : قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «كان رسول الله صلى الله عليه وآله سيد من خلق الله»^(٢) .

مجموع هذه الأخبار الكثيرة ، في أبواب الروح القدس والنور والعقل ، وهي أكثر من أن تحصى بسهولة ، ظاهرة أن مردّ الجميع إلى حقيقة واحدة ، وطبيعة واحدة ، وهي : العلم والقدرة اللدنيين ، أشرف أفرادها من الخلق محمد وآل محمد .

وتسمية هذه الطبيعة تارة نور ، وتارة أخرى : روح قدس ، وثالثة : عقل ، لا ينافي الحقيقة الواحدة ، وإنما هو اعتبار لا أكثر ، فهو نور باعتبار الكشف والانكشاف ، وهو عقل باعتبار التعقل والتعلم والعلم واستلام الفيض عن المفيض سبحانه ، وهو روح قدس باعتبار تنزهه عن جلّ قيود النقص والإمكان ؛ كالبدن والشهوة ونحوه .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٤٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

كلمة تامة للفيض رضي الله عنه

قال رضي الله عنه (١٠٩١هـ): هذا الحديث^(١) مما روته العامة والخاصة ، بأسانيده مختلفة ، وألفاظ متغايرة ، والعقل : جوهر ملكوتي نوراني ، خلقه الله سبحانه من نور عظمته ، وبه أقام السماوات والأرضين ، وما فيهن وما بينهن من الخيرات ، ولأجله ألبس الجميع حلّة نور الوجود ، وبوساطته فتح أبواب الكرم والجلود ، ولولاه لكنا جميعاً في ظلمة العدم ، ولأغلقت دوننا أبواب النعم ، وهو أول خلق من الروحانيين ، عن يمين العرش ، وهو بعينه نور نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وروحه^(٢) الذي تشعب منه أنوار أوصيائه المعصومين ، وأرواح الأنبياء والمرسلين سلام الله عليهم أجمعين ، ثم خلقت من شعاعها أرواح شيعتهم من الأولين والآخرين .

قال نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم : «أول ما خلق الله تعالى نوري» . وفي رواية أخرى «روحي» . وفي الحديث القدسي مخاطباً إياه «لولاك لما خلقت الأفلاك» وفي هذا المعنى وردت روايات كثيرة^(٣) . اهـ .

قلت : ما ذكره رضوان الله عليه في غاية الجمال والتمام ، إلا جزمه بحديث : (أول ما خلق الله نوري) أو : (روحي) فلم أجده بهذين اللفظين أو أحدهما ، مسنداً معتبراً ، وكذا لفظ : (لولاك ما خلقت الأفلاك) .

فانتبه ؛ فمقصود الفيض رضي الله عنه الجزم بصدور المعنى لا اللفظ ؛ لقوله الشريف : وفي هذا المعنى وردت روايات كثيرة . اهـ . والأمر كما قال رضي الله عنه ، وأخبار هذا الفصل شاهد قطعيّ لما قال طيّب الله ترتيبه الشريفة .

(١) يقصد عليه السلام حديث : « لما خلق الله العقل قال له : أقبل فأقبل... » .

(٢) أي : والعقل بعينه روحه الذي

(٣) الوافي (ت: ضياء الحسيني) ١ : ٥٢ . مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام ، أصفهان .

حقيقة العقل : العلم اللدني.

هذا ما يظهر من مجموع الأخبار المعتبرة في الباب ، منها : المقابلة بين العقل والجهل ، ضرورة أنّ ما يقابل الجهل هو العلم .

قال المجلسي في البحار : في بعض الأخبار يطلق العقل على نفس العلم النافع ، المورث للنجاة ، المستلزم لحصول السعادات ^(١).

لكن يجب التنبيه أنّ العقل ، له مراتب وجودية ثلاث في العوالم الثلاثة :

المرتبة الأولى : العقل في عالم النور والجبروت .

هو : نور مجرد ، وهو عينه الروح القدس ، وهو علم لدني مجرد بسيط ، وهو نوع منحصر بفرد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو هنا منزّه عن التعلّق المادّي بقسميه المثالي الملكوتي الذي لا يطرأ عليه الفناء ، والديوي الفاني الخسيس .

المرتبة الثانية : العقل في عالم الملكوت .

وهو روح الإيوان ، ويطلق عليه : النفس ؛ لتعلّقه في هذا العالم ، ببدن مثالي ، وتنزّهه عن خبث الحيوانية ؛ كالبول والغائط والمهرم .

المرتبة الثالثة : العقل في عالم الدنيا .

وهو روح الفطرة ، ويطلق عليه : النفس الناطقة الحيوانية ؛ لتعلّقه ببدن حيواني فانّ متلاش خسيس ، أو جيفة كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام .

لكن كلّ هذه المراتب ، يجمعها العلم .

(١) مرآة العقول (ت: هاشم الرسولي) ١ : ٢٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

وثمة أمورٌ يجب أن تعرف :

الأوّل : العلم اللدنيّ الذي هو حقيقة الروح القدس ، وإن شئت قلت : النور الأوّل، ليس علم الذات الأحديّة الذي هو عين الذات ؛ وإنّما هو : علم الفعل والخلق والإيجاد والقضاء والتدبير ما شئت فعبر ، وهو مترشّح عن علم الذات..؛ أفاضه الله تعالى إفاضة تكوينيّة ، لما أراد سبحانه أن يخلق الخلق ؛ قال له سبحانه : كن فكان .

وإنّما أطلق عليه غير واحد من العلماء : علم القضاء الأوّل ، أو : العلم القضائي ، أو علم التكوين ؛ لقوله سبحانه : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١) كونه تعلق بقضاء الله الأوّل في إيجاد المخلوقات أنواعاً وأفراداً .

الثاني : العلم اللدني الأوّل (=الروح القدس = النور الأوّل) فردٌ منحصراً بنوع ؛ منه أوجد الله سبحانه ، الأفراد وعامة ما خلق الله تعالى ، وأشرف أفراد النور التي خلقها الله سبحانه ، نبينا محمد صلى الله عليه وآله ..

يدلّ عليه ما مضى من الخبر عن الصادق عليه السلام قال : «وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً ، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كَوْن قبلهما» ناهيك عن قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وإضافة الروح إليه سبحانه وتعالى ، إضافة ملك ؛ كما يقول أحدنا : قلمي ، بيتي ، فانتبه .

وهو صريحٌ أنّ محمداً وعلياً عليهما السلام ، فردان من ذلك النور، ومعنى : (لا شيء كَوْن قبلهما) أنّها أوّل من خلق الله سبحانه وتعالى ، وقد مضى في عنوان مستقل سرد الأخبار الصحيحة الثابتة أنّ محمداً أوّل ما خلق الله ، لكن خلقاً نورياً بلا بدن ، في عالم القدس والنور والجبروت ما شئت فعبر ؛ أي قبل خلق عالمي الدنيا والملكوت .

وقد مضى قول الباقر عليه السلام: «روح اختاره الله، واصطفاه، وخلقته إلى نفسه، وفضله على جميع الأرواح، فأمر فنفخ منه في آدم» أي من ذلك النوع المنحصر بفرد نبينا خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وأوجده طولياً.

الثالث: قوله تعالى في آدم عليه السلام: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أهو تبعيض بمعنى التجزئة، أم أمر آخر؟!.

قلنا: التجزئة محال عقلاً وشرعاً؛ لأنها من صفات المادّة والأبعاد الدنيويّة، والروح القدس ليس مادة ولا أبعاداً جسميّة دنيويّة، وإنّما هو: نورٌ قدسيّ، وعلمٌ لدنيّ وقدرة على الإيجاد؛ قضى الله تعالى به لتكوين الكائنات وإيجاد الموجودات.

وأيضاً؛ فلازم القول بالتجزئة، النقص الجليّ في قدرة الله تعالى؛ ضرورة أنّ التجزئة تعني: نقص الكلّ بمقدار الجزء المأخوذ منه، وهذا باطل؛ لقوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَائِدٍ﴾.

بيّنه ما رواه الصدوق قال: حدثنا محمد بن أحمد السناني، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، وعلي ابن أحمد بن محمد بن عمران رضي الله عنهم قالوا: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثنا علي بن العباس، قال: حدثنا عبيس بن هشام، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾؟!.

قال: «إنّ الله عز وجل خلق خلقاً، وخلق روحاً، ثمّ أمر ملكاً فنفخ فيه، فليست بالتي نقصت من قدرة الله شيئاً»^(١).

قلت: إسناده حسن صحيح، رجاله ثقات إلاّ علي بن عباس، الذي يروي عنه محمد بن إسماعيل البرمكي، وهذا ثقة، وثقه علي بن إبراهيم القميّ في تفسيره توثيقاً عاماً.

(١) التوحيد(ت: هاشم الطهراني): ١٧٠. جماعة المدرسين، قم.

الرابع: إذن ما معنى الانقسام في قوله عليه السلام: (قسمتها ثنتين)؟!.

قلنا: ما بيناه، وهو أنّ نوع النور واحد، يشترك أفراده فيه اشتراكاً معنوياً، أشدّ مراتبه، مختصّ بفرد نبينا محمد صلى الله عليه وآله، يتلوها كما هو صريح النصوص الثابتة، مرتبة عليّ، ثمّ الحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، ثمّ الأئمة فالأمثل من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين إلى بقية أفراد البشر؛ فالجميع يشترك في هذا النور اشتراكاً معنوياً؛ كلّ رتبة أشدّ من التي تليها، بل علّة لوجودها فيما قضى الله تعالى.

فما يميّز بين الأفراد، هو التفاوت بين شدة وأشدية النور المجعول تكويناً في ذات هذا الفرد أو ذاك؛ هذا التفاوت بمثابة الحد الوجودي الفاصل بين الأفراد، مع أنّ الحقيقة واحدة، بالضبط كوحدة إنسانية كلّ أفراد الإنسان، وإنّها يتمايز أفراد الإنسان في شدة أو ضعف وجود النفس الناطقة المجعولة في ذواتهم بالجعل التكويني.

ولا يوجب هذا الجعل التكويني في الأفراد المتكثرة، تجزئة، أو نقص في وحدة الروح القدس، حتى لو تكثرت الأفراد، إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى..

ومن الأمثلة الوجدانية، شعاع الشمس إذا خرج عنها؛ فتارة لا يتكثر، وأخرى يتكثر إذا اعترضه الماء والزجاج إلى تسعة ألوان، مع أنّ الشعاع هو الشعاع على كلا التقديرين، لم ينقص منه أيّ شيء.

ولكي تعي ما قلناه أكثر، هاك هذا المثال المعلوم بالوجدان والضرورة، لكل مسلم، بل كل البشر؛ فحينما اغترف الصحابة علم الوحي النازل على رسول الله، هل تجزأ العلم، هل نقص منه شيئاً؟! ما نحن فيه من هذا القبيل.

وحتى تستيقن هذا الشيء محسوساً، تذكّر سردناه في الفصل الأوّل ممّا تواتر عن نبيّ الرحمة، عن أنس أنّ أمّ سليم أمّه، عمدت إلى مدّ من شعير...، فما زال يدخل عشرة،

ويخرج عشرة ، حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ، ثم هياها النبي عليه الصلاة والسلام ، فإذا هي مثلها حين أكلوا منها»^(١).

الخامس : قوله عليه السلام : «خلقتك وعلياً نوراً ، ثم قسمتها ثنتين ، وقسمت الثنتين ثنتين...» وكذا عشرات النصوص من هذا القبيل ، بيانها محال إلا على القول بأصالة الوجود ، ومعنى أصالة الوجود ما ذكرناه من الاشتراك المعنوي .

فأصالة الوجود فيما نحن فيه بأبسط عبارة ، هو أن النور وجودٌ واحد لا كثرة فيه ، والكثرة التي نراها إنما هي أفراد طولية له ، مبدؤها الأشد وجوداً وهو نبينا محمد ، ثم عليّ ، ثم الأمثل فالأمثل حتى الحجر والمدر ؛ ضرورة أن الحجر وجود واقعي ، يناقض ظلمة العدم ؛ فهو إذن نور ، لكن في أدنى مراتب النورية .

الزبدة :

أول ما خلق الله تعالى النور ، وهو ذات مخلوقة حقيقتها : العلم والقدرة والحكمة ، وهو الروح القدس ، كثرة الله تعالى فيمن اصطفى من عباده ، وهم : الأنبياء والأوصياء عليه السلام ؛ لقوله تعالى : ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٢) .

هذا النور ، نوع منحصرٌ بفرد نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، منه تكثر الخلق ، الأمثل فالأمثل .

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٧٨٤ ، رقم : ٧٠٦ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢) سورة غافر : ١٥ .

زبدة الفصل : خصائص روح القدس التكوينية

تحصل أن لاتحاد روح القدس بذات المعصوم آثار تكوينية ، كالاتي :

أولاً : بروح القدس يعلم المعصوم .

فيه عرف المعصوم الأشياء ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمُهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾

يبينه قول الباقر في صحيح جابر الجعفي : « جعل فيهم خمسة أرواح : أبدهم بروح القدس ؛ فيه عرفوا الأشياء » .

وقول الصادق عليه السلام : « فبروح القدس يا جابر عرفوا : ما تحت العرش ، إلى ما تحت الثرى » وفي هذا المعنى نصوص قطعية كثيرة جداً مضى بعضها ، وسيأتي بعضها في فصل آخر ، روى بعضها أهل السنة هداهم الله .

ثانياً : بروح القدس تحققت العصمة .

نبياً كان المعصوم أم وصياً ؛ ضرورة أن العصمة ، فيما قضى الله تعالى ، متوقفة على روح القدس توقف المعلول على العلة ؛ لمجموع قوله تعالى : قوله تعالى : ﴿ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمُهْدِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ فلولا أنه مؤيد بروح القدس ما نطق بالنبوة ، ويمتنع أن يؤتیه الكتاب .

يبينه قول الصادق في صحيح المفضل : « وروح القدس ؛ فيه حمل النبوة » وخبر جابر عن الباقر عليه السلام : « فبروح القدس ، بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين » وغيرهما .

ثالثاً : بروح القدس تتحقق ولاية التكوين .

لما مرّ في خبر جابر رضي الله عنه ، عن الباقر عليه السلام قال : « وبروح القدس عملوا جميع الأشياء » ..

وصحيح محمد بن شعبة الحلبي وزرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «الروح ، خلق من خلقه: نصرٌ ، وتأيدٌ ، وقوةٌ ، يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين» .

وأصله في القرآن فيما أكرنا ؛ كقول الله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾^(١) .

وقول عيسى عليه السلام : ﴿ قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُتْبِعُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) .

الزبدة : روح القدس : عين العلم اللدني والقدرة ، والنصر ، والتأييد ، والسكينة ، والعقل ، والقوة ، والفهم ، والحكمة ، وهو اسم الله الأعظم .

(١) سورة المائدة : ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران : ٤٩ .

الفصل الثالث

هل يوحى إلى الإمام المعصوم عليه السلام؟! .!

أقسام الوحي :

للوحي أقسام يجب معرفتها ، هي في الجملة ، كالاتي :

الأول : بواسطة المَلَك معابنة وسامعاً .

كما كان يوحى لأولي العزم الخمسة بواسطة جبرائيل ، بما هو وحي نازل بشريعة شاملة ؛ للنصوص القطعية وستأتي ؛ والخمسة هم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ؛ فهؤلاء صلوات الله عليهم كانوا يسمعون ويعاينون جبرائيل أثناء الإيحاء ، وهذا القسم من الوحي قليل ؛ فالتيقن من النصوص القطعية أنه لا يتحقق إلا إذا نزل جبرائيل بشريعة شاملة ، ولا يبعد شموله للرسل الخمس والعشرين .

وسياتي أن لجبرائيل أنحاء من الوجود ؛ فامتناع أن يراه بقية المعصومين بوصف كونه وحيًا نازل بشريعة إلا الخمسة أعلاه ، لا ينافي أن ينزل على بقية المعصومين بوصف كونه ملكاً غير نازل بشريعة ، وسياتي البيان والتبيان .

الثاني : بواسطة الملك سماعاً دون معابنة .

كما هو حال جلّ المعصومين ، أنبياء وأوصياء ، دون الخمسة أولي العزم أعلاه ؛ فهؤلاء عليهم السلام كانوا يسمعون المَلَك دون أن يعاينوه ، وهذا القسم من الوحي كثير بكثرة الأنبياء والأوصياء ، والأصل في الوحي النازل على هؤلاء التأييد والتسيد لما نزل من شرائع أولي العزم أعلاه ، لا تأسيس شريعة قبل ما جاؤوا به .

من ذلك قول الله سبحانه على لسان صاموئيل النبي عليه السلام : ﴿ وَقَالَ هُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ هُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ

مِنْ رَبِّكُمْ وَيَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

القسم الثالث : النكت في القلوب .

وهو المسمّى بالإلهام ، كما هو صريح النصوص الآتية ، وهذا في أعلى مراتبه الوجوديّة ، أشرف علوم المعصومين ، أنبياء وأوصياء وملائكة ؛ ضرورة أنّ نفس علم جبرائيل عليه السلام ، هو هذا القسم من الوحي ؛ إنّه النكت في القلب، أو الإلهام .

وأما الدليل على كونه أشرف وأكمل وأقدس ، فهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾^(١) ولا ريب أنّه نكت في القلب ، بلا واسطة جبرائيل ، بل هي رتبة تقاصر عنها جبرائيل وعمامة من خلق الله من المقرّبين صلوات الله عليهم ، يشهد له الأخبار القطعيّة عن أهل البيت عليهم السلام في كون هذا الوحي أعظم من وحي جبرائيل عليه السلام .

قلت : وإنّما قدمنا التقسيم الأنف في صدر هذا الفصل ، وهو زبدة مجموع أخبار أهل البيت وآيات القرآن في هذا الشأن وستأتيك تباعاً ؛ لأنّ كثيراً من علماء التفسير والعقيدة ربما اختلط عليهم معنى الوحي ؛ غفلة عن أقسامه الأنفة .

فلقد ترتبت إشكاليّات عظيمة ؛ غفلة عن أنّ الوحي بروح القدس أشرف من وحي جبرائيل ؛ ضرورة أنّ هذا بواسطة وذاك بلا واسطة ، وما تنزه عن الوسطة أشرف عقلاً ونقلاً وضرورة ؛ للنص القطعي : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ في موضع تقاصر عنه حتى جبرائيل عليه السلام .

هاك البيان والتبيان لترى ..

(١) سورة البقرة : ٢٤٧ .

(٢) سورة النجم : ٨-١١ .

نص قرآني : أقسام الوحي ثلاثة

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِحَكِيمٍ ﴾^(١).

ربما اعتاص تفسير هذه الآية على كثير من المفسرين ، ولا قيمة لما قالوا من دون بيان أهل البيت عليهم السلام ؛ فتكليم الله سبحانه عباده ، ولك أن تقول الوحي ، على ثلاثة أنحاء ومراتب في أخبارهم صلوات الله عليهم ؛ ضرورة أن التكليم وحي ، بالمعنى العام للفظ الوحي ؛ هاكها كالاتي :

الأول : بواسطة جبرائيل عليه السلام .

معاينته وسماعه صلوات الله عليه ، أو سماعه دون معاينته أحياناً ، كما هو حال بعض الأنبياء غير الرسل ، وهو المقصود بقوله تعالى : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ ﴾ فالرسول هي هنا الملك جبرائيل عليه السلام بإجماع المفسرين دون كلام .

الثاني : نقر في الأسماع .

من دون معاينة ، وهو المقصود بقوله تعالى : ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

فهذا كما هو واضح ظاهر : نقر في الأسماع بمشاهدة ملك ؛ والقرينة عليه : ﴿ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي... ﴾ وظاهر الخطاب والأمر في من عدا الرسل والأنبياء عليهم السلام ، السماع والمشاهدة ، دون المعاينة .

الثالث : النكت في القلوب .

وهو الذي يطلق عليه في أخبار أهل البيت عليهم السلام القطعية ، المنجبرة بعدم الخلاف : الإلهام ، وقد مضى في صحيح هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله الصادق عليه الصلاة والسلام قال : « إذا ورد علينا ما ليس في كتاب عليّ ، تلقانا به روح القدس ، وأهمنّا الله الهاماً »^(١).

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النكت أو الإلهام في قول أكثر المفسرين ، بخلاف الآية السابقة .

روى الصفّار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن حماد بن عثمان ، عن الحارث بن المغيرة النصري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما علم عالمكم ، أجملة يقذف في قلبه ، أو ينكت في أذنه؟! .

فقال عليه السلام : « وحي كوشي أم موسى »^(٢).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

قوله عليه السلام : (وحي كوشي أم موسى) ما يتناول القسمين : النكت في القلوب . و: النقر في الأسعاع، كما توضّح أعلاه ، وسيأتي في صحيح ابن يقطين وغيره .

وهو المقصود بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ فهذا الوحي هو روح القدس المجعل في تكوين المعصوم ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ وقد مضى ، وسيأتي التفصيل ، أنّه ليس جبرائيل عليه السلام ، وإنّما هو أول الإيجاد ، نوعٌ منحصر بفرد ، منه تكثّر الأفراد بإذن الله تعالى .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٧١ . مطبعة الأحمدية، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٧١ . مطبعة الأحمدية، طهران.

النص أن علم المعصوم : نقرّ ونكتُ

روى محمد بن الحسن الصفّار عليه السلام (٢٩٠هـ) في البصائر قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن الحسين بن علي بن يقطين ، عن أبيه قال سألت : أبا الحسن عليه السلام عن شيء من أمر العالم عليه السلام؟! .

فقال أبو الحسن الكاظم عليه السلام : «نكت في القلب ، ونقر في الأسماع ، وقد يكونان معاً»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام.

وروى الصفّار قال : حدثنا محمد بن عبد الحميد ، عن يونس بن يعقوب ، عن الحرث بن المغيرة قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : هذا العلم الذي يعلمه عالمكم ، أشيءٌ ، يلقي في قلبه ، أو ينكت في أذنه؟! قال عليه السلام : «ذاك وذاك»^(٢).

قلت : إسناده صحيح دون كلام.

وروى الصفّار أيضاً قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام الذي يسأل الامام ، وليس عنده فيه شيء ، من أين يعلمه؟! .

قال عليه السلام : «ينكت في القلب نكتاً ، أو ينقر في الأذن نقرأ»^(٣).

قلت : إسناده صحيح على الأقوى ، رجاله ثقات ، والباطني ثقة قبل انحرافه ؛ لاستبعاد أن يروي عنه أساطين الطائفة بعد ارتداده لعنه الله تعالى.

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٣٣٦ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٣٣٦ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٣) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٣٣٦ . مطبعة الأحدي، طهران.

وروى الصفار أيضاً رضي الله عنه قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيوب ، عن داود بن فرقد ، عن الحارث بن المغيرة النصري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ، الذي يُسئل عنه الإمام ، وليس عنده فيه شيء ، من أين يعلمه؟! .

قال عليه السلام : «ينكت في القلب نكتاً ، أو ينقر في الأذان نقراً»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الصفار قال : حدثنا الحسن بن موسى الخشاب ، عن إبراهيم بن أبي سماك ، عن داود ، عن الحارث النصري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : الإمام يسأل الشيء الذي ليس عنده شيء ، من أين يعلمه؟! .

قال عليه السلام : «ينكت في القلب نكتاً ، وينقر في الأذن نقراً»^(٢).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد موثق صحيح . إبراهيم بن أبي سماك مصحف سماك وأبالعكس ، وثقه النجاشي وغيره ، واقفي .

قلت : فهذه هي أنحاء الوحي النازل من الله على عباده المعصومين ، وقد ورد فيها نصوصٌ كثيرة ، صرح بعضها أنّ النكت هو الإلهام عينه وستأتيك قريباً..

لكن يلزم التنبيه أنّ في صحيح الحارث بن المغيرة النصري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما علم عالمكم ، أجملةً يقذف في قلبه ، أو ينكت في أذنه؟! . قوّة احتمال تصحيف : ينقر في أذنه) إلى : ينكت في أذنه) إذ في كلّ أخبار هذا الباب ورد النقر في الأذان ، وأمّا النكت ففي القلوب .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٣٣٦ . مطبعة الأحمدى، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٣٣٦ . مطبعة الأحمدى، طهران.

النّص أنّ النكت هو الإلهام

أخرج محمد بن محمد بن حسن الصفّار رضي الله تعالى عنه (٢٩٠هـ) قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن أحمد بن الحسن ، عن محمد بن أبي حمزة ، عن عليّ بن يقطين قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : علم عالمكم استماع أو إلهام؟! .

قال عليه السلام : «يكون سماعاً ، ويكون إلهاماً ، ويكونان معاً»^(١).

قلت : إسناده صحيح . أحمد بن الحسن هو : ابن عليّ بن فضال ، وهو موثّق دون كلام . ومحمد بن أبي حمزة الثمالي ثقة ، والبقية ثقات معروفون .

وأخرج أيضاً ، وقد سردناه قبل قليل ، بإسناده الصحيح عن الحارث بن المغيرة النصري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ، الذي يُسئل عنه الإمام ، وليس عنده فيه شيء ، من أين يعلمه؟! .

قال عليه السلام : «ينكت في القلب نكتاً ، أو ينقر في الأذان نقرأ» .

ومجموعهما صريحٌ أنّ :

الإلهام هو : النكت في القلوب .

والسمع هو : النقر في الأسماع ، أي : الأذان ، مجموعُ أذن .

النكت في القلب (=الإلهام) : إيجاد الله العلم في ذات المعصوم إيجاداً لَدُنْيَا تكوينيّاً ، وهو العلم الحضورى .

بالضبط كما أوجد الله تعالى العلم في ذات النحل : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا... ﴾ وكما أوجدها سبحانه في قاطبة البشر : ﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ .

نصُّ أن النكت : نورٌ، وعلمٌ، وإيمانٌ، وروحٌ

أما كون النكت نوراً، فباعتبار المباينة مع الظلمة .

وأما كونه علماً؛ فباعتبار المباينة مع الجهل .

وأما كونه إيماناً؛ فباعتبار المباينة مع الكفر .

وأما كونه روحاً؛ فباعتباره وجود شريف، منزّه عن خسة التعلّق ببدن.

هذه المعاني وإن تغايرت مفهوماً واعتباراً، لكنّها حقيقة وجوديّة واحدة، وهي العلم اللدنيّ، أو النور الموجد لحقيقة المؤمن العالم الطاهر في الجملة، على نحو الإشتراك المعنوي كما سيأتي بعد قليل ..

أصل كلّ ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ أشرف أفراده في الوجود نبينا صلّى الله عليه وآله .

يشهد له في النصوص القطعيّة ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الحميد بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً، نكت في قلبه نكتة من نور، فأضاء لها سمعه وقلبه، حتى يكون أحرص على ما في أيديكم منكم، وإذا أراد بعبد سوءً، نكت في قلبه نكتة سوداء، فأظلم لها سمعه وقلبه، ثم تلا هذه الآية^(١): ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾^(٢).

قلت: إسناده صحيح دون أدنى كلام .

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٢١٤. دار الكتب الإسلامية، طهران.

روى الكليني عن علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله أو قريب منه ^(١).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد حسن صحيح على الأظهر . رجاله ثقات ، محمد بن حمران بن أعين معتمد ، كما أنه من مشايخ ابن أبي عمير ، وهو لا يروي إلا عن ثقة ، وسليمان هو الدهقان وهو ثقة ، وثقه أيوب بن نوح .

وهما صريحان أنّ النكت : نورٌ يجعله الله سبحانه وتعالى في القلب بالجعل التكويني ، هذا النور هو حقيقة المؤمن بما هو مؤمن . ويقابل هذا ما ذكره عليه السلام في قوله : (نكت في قلبه نكتة سوداء ، فأظلم لها سمعه وقلبه) ضرورة أنّ الظلمة تباين النور .

ورواه الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنّ الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً أن نكت في قلبه نكتة بيضاء...» ^(٢) والباقي نحوه .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد معتمد حسن ، ابن حمران ، وثقه جماعة وجهله آخرون ، وهو معتمد .

يشهد له ما رواه البرقي (٢٧٤هـ) رضي الله عنه في المحاسن ، عن فضالة بن أيوب ، عن القاسم بن بريد ، عن سليمان بن خالد ، قال قال أبو عبد الله عليه السلام : «إذا أراد الله بعبد خيراً ، نكت في قلبه نكتة بيضاء ، فجال القلب يطلب الحق ، ثم هو إلى أمركم ، أسرع من الطير إلى وكره» ^(٣).

قلت : إسناده صحيح دون كلام ، وربما يقع في بعض المصادر : القاسم بن يزيد ، وهو خطأ نسخ أو طباعة باتفاق أهل النقد .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٦٦ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٢١٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) المحاسن ١: ٢٠١ .

روى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن كليب بن معاوية الصيداوي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : «إياكم والنّاس ؛ إنّ الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً ، نكت في قلبه نكتة ، فتركه وهو يجول لذلك ويطلبه»^(١).

قلت : إسناده حسن صحيح دون كلام ، وكليب معتمد عند أصحابنا وأجلّائنا.

قوله عليه السلام : (إياكم والنّاس) حذر الشهرة المنافية لحفظ الدم والنفس، وليبان أنّ أصل الهداية من الله تعالى ، يشهد له ..

ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن إسماعيل ، عن أبي إسماعيل السراج ، عن ابن مسكان ، عن ثابت أبي سعيد قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : «يا ثابت ، ما لكم وللنّاس ، كفّوا عن النّاس ، ولا تدعوا أحداً إلى أمركم ؛ فو الله لو أنّ أهل السماء وأهل الأرض ، اجتمعوا على أن يضلّوا عبداً ، يُريدُ الله هُذاه ، ما استطاعوا ، كفّوا عن النّاس ولا يقول أحدكم أخي وابن عمي وجاري ؛ فإنّ الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً ، طيّبَ روحه ، فلا يسمع بمعروف إلاّ عرفه ، ولا بمنكر إلاّ أنكره ، ثم يقذف الله في قلبه كلمة ، يجمع بها أمره»^(٢).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد قويّ معتبر ، رجاله ثقات سوى ثابت البجلي ، فمجهول الحال ، عدّه بعض أصحابنا من الحسان ، وليس ببعيد .

قوله عليه السلام : (طيّبَ روحه... يقذف الله في قلبه كلمة ، يجمع بها أمره) صريحٌ أنّ النكت في قلب المؤمن تطهيرٌ من الرجس ، وبيانه الإركاس .

وروى الكليني : علي بن إبراهيم ، عن صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن صباح الحذاء ، عن أبي أسامة قال : زاملت أبا عبد الله عليه السلام قال : فقال لي عليه

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٢١٢. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٨: ١٦٨. دار الكتب الإسلامية، طهران.

السلام : «اقرأ». فافتتحت سورة من القرآن فقرأتها ، فرق وبكى ، ثم قال عليه السلام : «يا أبا أسامة ، ارعوا قلوبكم بذكر الله عز وجل واحذروا النكت؛ فإنه يأتي على القلب تارات ، أو ساعات الشك ، من صباح ليس فيه إيمان ولا كفر ، شبه الخرقه البالية ، أو العظم النخر ، يا أبا أسامة : «أليس ربها تفقدت قلبك ، فلا تذكر به خيراً ولا شراً ، ولا تدري أين هو»؟! .

قال : قلت له : بلى ، إنه ليصيبني ، وأراه يصيب الناس .

قال عليه الصلاة والسلام : «أجل ليس يعرى منه أحد ؛ فإذا كان ذلك فاذكروا الله عز وجل واحذروا النكت ؛ فإنه إذا أراد بعبد خيراً نكت إيماناً ، وإذا أراد به غير ذلك ، نكت غير ذلك» .

قلت : ما غير ذلك جعلت فداك ، ما هو؟! .

قال عليه السلام : «إذا أراد كفراً ، نكت كفراً»^(١) .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد حسن رواته ثقات على الأظهر ، صباح بن صبيح الحذاء ثقة . وأبو أسامة ، هو : زيد الشحام الثقة .

قوله عليه السلام : (إذا أراد بعبد خيراً نكت إيماناً ... ، وإذا أراد كفراً ، نكت كفراً) بضميمة صحيح أبي العلاء وغيره ، صريحٌ أنّ النكت : نورٌ وإيمان وعلم ورفعة ، وبيانه الظلمة والكفر والجهل والخسة .

وبالجملة : النكت جعل تكويني ؛ فإمّا هو قدس وإيمان ونور وعلم وطهارة ، وإمّا هو كفر وظلمة وجهل ورجس وخسة .

ولقد قضى الله تعالى ، ولا رادّ لقضائه ، أنّ ما ينكته سبحانه في قلب العبد ، متوقّف على اختيار العبد؛ فإن اختار الإيمان نكت في قلبه أي روحه نكتة بيضاء ، وإلا فسوداء .

حديث : المؤمن ينظر بنور الله

تّضح أنّ النّور ، هو : الروح القدس ، وحقيقته : العلم والقدرة اللدنيّين ، وله بالنظر لأخبار النكت الماضية ؛ كقول الصادق في صحيح ابن أبي العلاء : «نكت في قلبه نكتة من نور ، فأضاء لها سمعه وقلبه» وغيرها ممّا سيأتي ، مراتب وجوديّة ثلاث :

المرتبة الأولى : أشدّ المراتب ، وهي : الروح القدس ؛ هذه الروح متحدة بذات المعصوم خاصّة ، دون بقية الخلائق ، بالجعل التكويني ، بل هي حقيقة العصمة .

وثانيها : أدنى منها وهي : روح الإيمان ، وهو نورٌ ، متحدٌ بذات خصوص المؤمنين الكمل ؛ كحذيفة بن اليمان وسلمان والمقداد وأضرابهم ، بالجعل التكويني .

وثالثها : روح الفطرة ، وهي متحدة بذات من دونهم من الخلائق ، وقد بيّنا هذا سابقاً ، لكن تلزم الإشارة العاجلة إلى أنّ المرتبة الأولى تشتمل على ما دونها من المرتبتين بالأولى ، والثانية تشتمل على الثالثة ، كما أنّ الأدنى في مرتبة المعلول للأعلى ، أو هي عين الأعلى لكن في مرتبة المعلول ، والأعلى عين الأدنى لكن في مرتبة العلة .

ومن النصوص القطعيّة في بيان هذه المراتب ، ما رواه الكليني عن محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن ربيعي بن عبد الله ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾^(١)؟! .

قال الباقر عليه السلام : «هم الأئمة عليهم السلام ..» قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنّه ينظر بنور الله عز وجل»^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، ولا يضرّ القطع -إن سلمناه- بين الكليني وابن بزيع رضي الله عنهما ؛ ضرورة أنّ كتاب ابن بزيع عند الكليني ، ناهيك عن طرق الكليني إليه .

(١) سورة الحجر : ٧٥ .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢١٨ . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران .

والحديث صريح في رتبة نور المعصوم عليه السلام ، التي علم بها علوم اللوح المحفوظ . وهي لا تنافي رتبة نور من دون المعصوم عليه السلام من المؤمنين ، التي عرف بها المؤمنون الحق فاتبعوه ، والباطل فاجتنبوه ؛ لما ذكرناه من الاشتراك المعنوي .

وروى الصفار رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن سليمان بن جعفر الجعفري قال كنت عند أبي الحسن عليه السلام قال : «ياسليمان ، اتق فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله» .

قال سليمان : فسكت عليه السلام ، حتى أصبت خلوة فقلت : جعلت فداك سمعتك تقول : اتق فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله؟! .

قال عليه السلام : «نعم يا سليمان ؛ إنّ الله خلق المؤمن من نوره ، وصبغهم في رحمته ، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية ، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه..؛ أبوه التور وأمه الرحمة ؛ وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه»^(١) .

ورواه أحمد بن محمد بن خالد البرقي رضي الله عنه (٢٧٤هـ) في كتابه المحاسن ، عن أبيه ، عن سليمان بن جعفر الجعفري مثله^(٢) .

قلت : إسنادهما صحيحان دون كلام .

قلت : وهو ناظر لرتبة النور الثانية ، وهي رتبة المؤمنين ، وهي يشترك فيها المعصوم والمؤمن الكامل ، واشتراك المعصوم بالأولوية ؛ أي أشدّية الوجود على ما بيّنا .

في قوله عليه الصلاة والسلام : (إنّ الله خلق المؤمن من نوره ، وصبغهم في رحمته) ظهور قويّ أنّ عالم النور مجرّد عن البدن ؛ فمعنى : (وصبغهم في رحمته) صور أرواحهم بأبدان بعد أن كانت منزّهة عنها في عالم التجرّد أو عالم القدس ما شئت فعبّر .

(١) بصائر الدرجات : ٤٧٧ . باب الروح . مطبعة الأحمدية ، طهران .

(٢) المحاسن (ت: جلال الحسيني) : ١٣١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

وروى الكليني علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمرو بن أبي المقدم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : خرجت أنا وأبي عليه السلام : حتى إذا كنا بين القبر والمنبر ، إذا هو بأناس من الشيعة فسلم عليهم .

ثم قال عليه السلام : «إني والله لأحبُّ رياحكم وأرواحكم ، فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد ، واعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلاّ بالورع والاجتهاد...، شيعتنا ينطقون بنور الله عز وجل ، ومن يخالفهم ينطقون بتفّلت».

وقال عليه السلام : «والله ما من عبد من شيعتنا ينام ، إلاّ أصدد الله عز وجل روحه إلى السماء ، فيبارك عليها ؛ فإن كان قد أتى عليها أجلها ، جعلها في كنوز رحمته ، وفي رياض جنة ، وفي ظلّ عرشه ، وإن كان أجلها متأخراً ، بعث بها مع أمته من الملائكة ، ليردوها إلى الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه..؛ والله إنّ حاجكم وعماركم لخاصّة الله عز وجل ، وإنّ فقراءكم لأهل الغنى ، وإنّ أغنياءكم لأهل القناعة ، وإنكم كلّكم لأهل دعوته وأهل إجابته»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

والمقصود خصوص الشيعة الكملّ؛ كحذيفة بن اليمان وجعفر الطيار وسلمان وأبي ذر وأبي التيهان وخزيمة بن ثابت وعمار ، وأضرابهم رضوان الله عليهم ، وستأتي تنمة الكلام ، وكذا أدلّة الرتبة الثالثة ، وهي روح الفطرة .

حذيفة رضي الله عنه مثلاً

قد علم ضرورة أنّ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، اختصّه النبي محمد صلى الله عليه وآله ، بسرّ قدسيّ ملكوتيّ من علوم اللدن ، لا يتستىّ لغير المعصوم ، وهو العلم بالمنافقين ومعرفة أحوالهم ، وهذا محال إلّا أن نفترض أمرين ، كما قدّمنا في بداية الكتاب :

الأوّل : وهو الحقّ ، طهارة ذات حذيفة رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، بما عنده من مرتبة شديدة من روح الإيوان ، لذلك نهض بأعباء حمل هذا السرّ السماوي .

الثاني : استحالة هذا من دون واسطة المعصوم وهو النبيّ وآل بيته صلى الله على محمد وآل محمد ؛ ضرورة أنّ روح الإيوان متفرّعة في الوجود على روح القدس ، وروح القدس مختصّة بالمعصوم لا غير ، لامتناع إحاطة غير المعصوم بها ، كما بسطنا في الفصل الأوّل .

أخرج البخاري قال : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : ذهب علقمة إلى الشام ، فلما دخل المسجد ، قال : اللهم يسر لي جليسا صالحا ، فجلس إلى أبي الدرداء ، فقال أبو الدرداء : ممن أنت؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : أليس فيكم ، أو منكم ، صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، يعني حذيفة...^(١) .

خرّج ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في المطالب العالية قال : وقال مسدد: حدثنا يحيى ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، قال : سمعت حذيفة رضي الله عنه ، يقول : مات رجل من المنافقين ، فلم أصل عليه ، فقال عمر رضي الله عنه : ما منعك أن تصلي عليه؟! قلت : إنّه منهم . فقال عمر : أبالله منهم أنا؟! قلت : لا . قال : فبكى رضي الله عنه^(٢) .

قال ابن حجر : إسناده صحيح^(٣) .

(١) صحيح البخاري ٥ : ٢٥ ، رقم : ٣٧٤٣ . دار طوق النجاة . ت : محمد زهير الناصر .

(٢) الكافي (ت : علي غفاري) ٢ : ٢١٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) المطالب العالية (ت : سعد الشري) ١٤ : ٧٠٢ ، رقم : ٣٦٢٣ . دار العاصمة .

النكت مشترك معنوي بين المعصوم والمؤمن

مضت الصحاح أنّ المؤمن ينكت الله في قلبه نكتة نور ، منها : صحيح عن عبد الحميد بن أبي العلاء ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنّ الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً ، نكت في قلبه نكتة من نور ، فأضاء لها سمعه وقلبه... ».

وكذا صحيح سليمان الجعفري عن الرضا عليه السلام : « اتق فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله » وغير ذلك ، والمعنى قطعي الصدور ؛ لكثرة الأخبار في ذلك .

كما قد مضت النصوص القطعية أنّ أحد أقسام الوحي المتحقق عند المعصوم النكت في القلب ، والأخبار في هذا كثيرة جداً ..

روى الكليني عدا ما سقناه آنفاً ، عن أبي علي الأشعري ، عن محمد بن حسان ، عن محمد بن علي ، عن عبد الله بن القاسم ، عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا نَقَرْنَا فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾؟! .

قال عليه السلام : « إنّ منّا إماماً مظفراً مستتراً ؛ فإذا أراد الله عز ذكره إظهار أمره ، نكت في قلبه نكتة ، فظهر فقام بأمر الله تبارك وتعالى »^(١).

قلت : خبر صحيح بالشواهد العديدة والطرق الكثيرة ، منها ما سقناه قبل قليل ، وهذا الإسناد ضعيف .

مجموع هاتين الطائفتين من الأخبار ، وهي : النكت في قلب المعصوم كما هو صريح الطائفة الأولى . والنكت في قلب المؤمن دون المعصوم كما هو صريح الطائفة الثانية ..

قلت : مجموع الطائفتين ظاهر أنّ النكت مشترك معنوي ، أشد مراتبه عند المعصوم ، وأدنى منه في قلب المؤمن .

(١) المدثر : ٨-٩ .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٦٦ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

مرتبنا النكت في قلب المؤمن

يتحصّل من مجموع الطائفتين أمران :

الأمر الأوّل : النكت نورٌ يجعله الله تعالى في ذات المؤمن الكامل بالجعل التكويني ، وهو الروح القدس ، أو رتبة وجوديّة منه فيمن هو دون المعصوم ، حسب درجة الإيمان .

الأمر الثاني : النكت غير خاص بالمعصوم ؛ ضرورة أنّ النكت أي الإلهام على مرتبتين شريفتين :

المرتبة الأولى : مرتبة النكت الكاملة ، وهي خاصّة بالمعصوم ، بها أحاط المعصوم علماً بها كان وما يكون إلى يوم القيامة ، وستأتي الأخبار المتواترة عن الفريقين أنّ المعصوم عالم بما كان وما يكون في فصل مستقل .

المرتبة الثانية : مرتبة النكت الناقصة ، وهي المجعولة في ذوات المؤمنين دون المعصوم ، كلّ حسب درجته ، ومن أعلى درجاتها فيمن دون المعصوم ما عند رشيد الهجري العالم بالمايا والبلايا وسيأتي النص الصحيح ، وكذا ما عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه العالم بحقائق المؤمنين والمنافقين ، بأشخاصهم أو أحوالهم وسيباهم ، وقد مرّت وستأتي النصوص الثابتة في هذا الأمر قريباً .

وثمة مرتبة ثالثة ، هي المجعولة في ذوات بقيّة البشر حتّى الكفّار ؛ فالله تعالى جعل في ذات حتّى الكافر الجاحد ، ما به يعرف الخالق والخير والسعادة والكمال ، وهي الفطرة كما في آية الفطرة ، وكما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾^(١).

الإشترك المعنوي بين المعصوم والمؤمن ، المنايا مثلاً

بيّنا أنّ أكمل مراتب العلم اللدنيّ والنور ، موجودة عند المعصوم عليه السلام بالجعل التكويني ، به علم المعصوم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، ومن ذلك إحاطة المعصوم بالبلايا والمنايا الجارية على العباد بإذن الله سبحانه ..

ستأتي أخبار إحاطة المعصوم بعلم المنايا والبلايا ، وكذا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة في فصل مستقل ، هاك منها الآن : ما رواه الكليني (٣٢٩هـ) رضي الله تعالى عنه بإسناده الصحيح ، عن عبد الله بن جندب البجلي الثقة رضي الله عنه ، أنّ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه : «أما بعد فإنّ محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه ، فلما قبض صلى الله عليه وآله كُنّا أهل البيت ورثته ، فتحن أمناء الله في أرضه ، عندنا علم البلايا والمنايا...»^(١).

هذا بالنسبة للمعصوم عليه السلام ، أمّا من دونه من خلّص المؤمنين المرضيين ؛ فلما رواه محمد بن الحسن النصفار (٢٩٠هـ) رضي الله تعالى عنه قال : حدثنا الحسن بن علي بن فضال ، عن معاوية ، عن إسحق قال : كنت عند أبي الحسن عليه السلام ودخل عليه رجل فقال له أبو الحسن عليه السلام يا فلان ، إنك تموت إلى شهر قال : فأضمرت في نفسي كأنه يعلم آجال شيعته!!!.

قال عليه السلام : «يا إسحق ، وما تنكرون من ذلك ، وقد كان رشيد المهجري مستضعفاً ، وكان يعلم علم المنايا والبلايا ؛ فالامام أولى بذلك...؛ يا إسحق تموت إلى سنتين ، ويشتت أهلك وولدك ، وعيالك وأهل بيتك ، ويفلسون إفلاساً شديداً»^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، ومعاوية مردد بين ثلاثة ، كلهم ثقات ، وسيأتي الكلام.

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٦٢ . باب الرد إلى الكتاب والسنة . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة) : ٢٨٥ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

أقسام علم المعصوم ثلاثة

علم المعصوم على ثلاثة أقسام ومراتب ، كما ورد في النصوص القطعية ، والأقسام الثلاثة كالآتي ، فاستوعبها جيداً:

القسم الأول : العلم الماضي .

وهو العلم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة وهو مجموع ما في اللوح المحفوظ ، وهذا أحاط به أهل البيت عليهم السلام ، سماعاً عن آبائهم ، عن رسول الله ، عن جبرائيل صلوات الله عليهم أجمعين .

ويقابله الحادث كما هو صريح النصوص القطعية الآتية ؛ وإنما سمي ماضياً ؛ لأن المعصوم عليه السلام ، قد أحاط بكله فعلاً قبل خلق الدنيا ، في عالم الذر والميثاق ، أو قبل ذلك وسيأتي البيان ..

القسم الثاني : العالم الغابر (=المزبور).

وهو العلم الذي تحقّق عند أهل البيت عليهم السلام ، بما وصل إليهم من كتب الرسل وصحف الأنبياء ؛ كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى ، وكتاب عليّ وهو الصحيفة الجامعة ، الذي فيه حتّى أرش الخدش ، ومن هذا القسم مصحف مولاتنا فاطمة الذي حوى أخبار الأئمة من أولادها عليها السلام إلى يوم القيامة ، ناهيك عن أخبار من عاصروهم من الملوك والسلاطين والطغاة .

القسم الثالث : العلم الحادث.

ثمة إشكال ، لأجله صنّف القاصر كلّ هذا الكتاب المتواضع ، حاصل الإشكال : إذا كان المعصوم عليه السلام محيطاً بالعلم الماضي والغابر ، وهو العلم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش ؛ فيكون علمهم الحادث لغواً وتحصيلاً للحاصل؟!!!

قلنا بإجماع : العلم الحادث هو علم المعصوم بالمحتوم من أمر الله تعالى ، أمّا علمه الماضي فمما قد يطرأ عليه البداء ؛ لقوله تعالى : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ..

ورثنا أطلقنا عليه العلم الحادث ؛ للنصوص القطعية ..

منها : ما أخرجه الصَّفَّار (٢٩٠هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن هشام بن سالم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كلامٌ سمعته عن أبي الخطاب؟! ..

فقال عليه السلام : «اعرضه عليّ» .

قال فقلت : يقول : إنكم تعلمون الحلال والحرام ، وفصل ما بين الناس ، فلما أردت القيام أخذ بيدي ، فقال عليه السلام : «علم القرآن والحلال والحرام ، يسير في جنب العلم الذي يحدث في الليل والنهار»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وهو صريحٌ في العلوم الثلاثة :

الأوّل والثاني : الماضي والغابر . وهو علم القرآن والحلال والحرام ، وهو ما علموه عن آبائهم ، عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، مدوناً ومسموعاً .

الثالث : الحادث . وهو : (العلم الذي يحدث في الليل والنهار) .

صحيح السائي في هذه الأقسام !!

عدا ما ذكرناه قبل قليل ، وهو صحيح هشام بن سالم ، روى أصحابنا أخباراً كثيرةً في الأقسام الآتية جملةً وتفصيلاً ..

أهمّها ما رواه الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن إسماعيل ، عن عمّه حمزة بن بزيع ، عن علي السائي ، عن أبي الحسن الأول موسى عليه السلام قال : «مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه : ماضٍ وغابرٍ وحادثٍ ؛ فأما الماضي فمفسر ، وأما الغابر فمزبور ، وأما الحادث فقذف في القلوب ، ونقر في الأسماع ، وهو أفضل علمنا ، ولانبيّ بعد نبينا»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات. عليّ السائي ، هو ابن سويد الثقة ، من أصحاب الإمامين أبي الحسن الأوّل الكاظم ، وأبي الحسن الثاني الرضا عليهما السلام ، والسائي نسبة إلى قرية ساءة ؛ قرية قريبة من المدينة.

ورواه الكليني رضي الله تعالى عنه ، في موضع آخر من الكافي ، عن عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن إسماعيل بن مهران ، عن محمد بن منصور الخزاعي عن علي بن سويد به مثله ..

ورواه الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع به مثله .

ورواه عن الحسن بن محمد ، عن محمد بن أحمد النهدي ، عن إسماعيل بن مهران ، عن محمد بن منصور ، عن علي بن سويد مثله^(٢).

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٣٩٨. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٨: ١٢٢. دار الكتب الإسلامية، طهران.

يشهد له ما رواه الصفّار (٢٩٠هـ) أيضاً قال : حدثنا إبراهيم بن هاشم ، عن محمد بن الفضيل أو عمّن رواه ، عن محمد بن الفضيل قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : روينا عن أبي عبدالله أنّه قال : «إنّ علمنا : غابر ، و: مزبور . و: نكت في القلب ونقر في الإسماع»؟! .

قال عليه السلام : «فأما الغابر : فما تقدم من علمنا . وأما المزبور : فما يأتينا . وأما النكت في القلوب فالهام . وأما النقر في الأسماع : فإنّه من المَلَك»^(١) .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد صحيح لولا التردد .

وقد رواه الكليني عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عمّن حدثه ، عن المفضل بن عمر قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام مثله سوى : «وأما النقر في الأسماع فأمرُ الملك»^(٢) .

قلت : قوله (ماضٍ وغابرٍ وحادثٍ) بيّننا معنى الماضي ، وهو كلّ ما ورثوه من علوم الأنبياء والأوصياء الماضين صلوات الله عليهم .

والغابر هو : المزبور ، أي : المكتوب ؛ وهو : المكتوب في كتب الرسل وكتب الأنبياء والأوصياء ؛ كصحف إبراهيم وآدم وموسى ، والتوراة والإنجيل والزبور ؛ وكذا المكتوب في الجامعة وكتاب عليّ ، ومصحف فاطمة ؛ لقوله تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي في كتاب مكتوب .

وأما الحادث ، فأصله : النكت في القلوب بواسطة الروح القدس ، وقد يكون علاوة على النكت ، نقرأ في الأسماع ، أو مجموعهما .

ومعنى النكت كما بيّننا : إيجاد العلم تكويناً في ذات المعصوم ، كما في النحل .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٣٣٦ . مطبعة الأحمدية، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٦٤ . دار الكتب الإسلامية، طهران.

معنى أن أهل العصمة : مُحَدَّثُونَ مُفَهَّمُونَ؟! .

كذا ورد في النصوص القطعية ، وبإيجاز فمعنى :

أولاً : المفهَّم :

الفهم : نتيجة النكت في القلب تكويناً ، وهو كما بيّنا : إيجاد الله تعالى العلم تكويناً في ذات المعصوم ، بواسطة روح القدس .

وقد مضى حسن أبي حمزة ، عن الصادق عليه السلام قال في شأن نبينا صلى الله عليه وآله : «...بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب ، فلما أوحاها إليه ، علم بها العلم والفهم وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء ؛ فإذا أعطها عبداً علّمه الفهم»^(١).

ثانياً : المُحَدَّث .

وهو نتيجة النقر في الإسماع من قبل الملائكة ، جبرائيل أو غيره عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

روى الكليني في هذا عن أحمد بن محمد ومحمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن إساعيل قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : «الأئمة علماء صادقون ، مُفَهَّمُونَ مُحَدَّثُونَ»^(٢).

قلت : إسناده صحيح دون كلام ، معتضد بالضرورة والإجماع .

وروى الكليني أيضاً عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن حماد بن عيسى ، عن الحسين بن المختار ، عن الحارث بن المغيرة ، عن همران بن أعين

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٧٣ . دار الكتب الإسلامية طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٧٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قال : قال أبو جعفر عليه السلام : «إِنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مُحَدِّثًا...؛ كصاحب سليمان ، أو كصاحب موسى ، أو كذي القرنين ، أو ما بلغكم أَنَّهُ قَالَ : وَفِيكُمْ مِثْلُهُ»^(١).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد موثق على اصطلاح المتأخرين ، رجاله ثقات . الحسين بن المختار القلانسي ثقة ، لكنّه واقفي .

له في الجملة والتفصيل ، شواهد كثيرة جداً ، منها : ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحجال ، عن القاسم بن محمد ، عن عبيد بن زرارة قال : أرسل أبو جعفر عليه السلام إلى زرارة أن يُعَلِّمَ الحَكَمَ بن عتيبة ، أن : «أوصياء محمد عليه وعليهم السلام ، مُحَدِّثُونَ»^(٢).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد مختلف فيه ، رواه ثقات سوى القاسم فمختلف فيه .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ومحمد بن أبي عبد الله . .ح . ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد جميعاً عن الحسن بن العباس بن الحريش ، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس : «إِنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَإِنَّهُ يَنْزِلُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، أَمْرُ السَّنَةِ ، وَلِذَلِكَ الْأَمْرُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» . فقال ابن عباس : من هم؟! .

قال عليه السلام : «أنا وأحد عشر من صليبي ، أئمة مُحَدِّثُونَ»^(٣).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد بخصوصه معتمد ، وقد ذكرنا أول الكتاب أن ما رواه الكليني رضي الله عنه في الكافي ، عن الحريشي في تفسير ليلة القدر ، حجة معتمد عند الكليني ، وإن كان الحريشي ضعيفاً على رأي جماعة .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٧٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٧٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٧٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ... ﴾ ولا مُحَدَّث

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ ما الرسول وما النبي؟! .

قال : النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك . والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك .

قلت : الإمام ما منزلته؟! .

قال عليه السلام : «يسمع الصوت ، ولا يرى ، ولا يعاين الملك ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ ولا مُحَدَّث»^(١) .

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن زياد بن سوفة ، عن الحكم بن عتيبة قال : دخلت على علي بن الحسين عليه السلام يوماً ، فقال : «يا حكم هل تدري الآية التي كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعرف قاتله بها ، ويعرف بها الأمور العظام ، التي كان يُحَدِّثُ بها الناس؟! .

قال الحكم : فقلت في نفسي : قد وقعت على علم ، من علم علي بن الحسين ، أعلم بذلك تلك الأمور العظام ، فقلت : لا والله لا أعلم ، الآية تخبرني بها يا ابن رسول الله؟! .

قال عليه السلام : «هو والله قول الله عز ذكره : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ ولا مُحَدَّث ، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام مُحَدَّثًا»^(٢) .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٧٦ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٧٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد يصحح بابن محبوب فهو من أصحاب الإجماع ، رجاله ثقات سوى الحكم بن عتيبة الكندي الكوفي ، وهو عامي بتري ، مختلف فيه ، أكثر أصحابنا على ضعفه وذمه ؛ منهم من وثقه لرواية الأجلة عنه .

الرجل أجمع أهل السنة على جلالته ووثاقته ، حتى مع إكثاره من رواية فضائل أهل البيت عليهم السلام عندهم ، احتج به البخاري ومسلم في صحيحيهما ، ناهيك عن غيرهما من أصحاب السنن .

وروى الكليني ، عن أحمد بن محمد ومحمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن حسان ، عن ابن فضال ، عن علي بن يعقوب الهاشمي ، عن مروان بن مسلم ، عن بريد ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ وَلَا تُحَدِّثْ .

قلت : جعلت فداك ، ليست هذه قراءتنا ، فما الرسول والنبي والمحدث...^(١) .

قلت : صحيح في الجملة ، وهذا الإسناد مضعّف .

ولم نفرّد في قرائة : (وَلَا تُحَدِّثْ) فقد أثبتته أهل السنة عن ابن عباس .

ما رواه أهل السنة في قرائة ابن عباس : ولا محدث!!؟

قال البخاري : حدثنا يحيى بن قرعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون» فإن يك في أمتي أحد، فإنه عمر .

قال البخاري : قال ابن عباس : «من نبي ولا محدث»^(١).

قلت : أجمع علماء الفريقين إجماعاً مركباً أنّ المحدث : هو الملهم للصواب .

قال ابن حجر العسقلاني في الفتح : قوله : قال بن عباس : «من نبي ولا محدث» أي في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى... ﴾ كان بن عباس زاد فيها : (ولا محدث) أخرجه سفيان بن عيينة في أواخر جامعه ، وأخرجه عبد بن حميد من طريقه وإسناده إلى ابن عباس صحيح ، ولفظه عن عمرو بن دينار قال : كان ابن عباس يقرأ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدِّثٍ ﴾^(٢).

وقال ابن تيمية (٧٢٨هـ) في كتاب الدقائق : كان في الحرف الآخر الذي كان يقرأ به ابن عباس وغيره : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدِّثٍ... ﴾^(٣).

إن قلت : ثمّة إشكال كبير ؛ فهذه القرائة لو ثبتت ، وهي ثابتة عند أهل السنة من طريق صحيح عن الخبر ابن عباس ، فالقرآن الذي بين أيدينا اليوم محرّف بالنقصان!!؟ قلنا : كلا؛ فثمّة تحريجان أو ثلاثة لذلك ، هاك لترى ..

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٥: ١٢، رقم: ٣٦٨٩. دار طوق النجاة .

(٢) فتح الباري ٧: ١٥ . دار المعرفة ، بيروت.

(٣) دقائق التفسير (ت: محمد السيد) ٢: ٢٢٢ . مؤسسة علوم القرآن دمشق .

تخريج قراءة : (ولا مُحَدَّثِ)

قلت : ثمة تخريجان أو ثلاثة لهذه القراءة ، عند أهل القبلة ، سنة شيعة ، تندفع بها إشكاليّة تحريف القرآن ونقصه ، كالاتي :

التخريج الأوّل : قوله عليه السلام : (ولا مُحَدَّثِ) قيل : والقائل جماعة من أساطين أهل السنّة كالبخاري وابن حجر العسقلاني وأكثر أهل السنّة ، هو إحدى القراءات القرآنيّة ، ولقد ذكروا أنّ القراءة ثابتة عن ابن عباس ، وأنّه كان يقرأ هكذا ، يشهد له ما روي عن أهل البيت عليهم السلام في ذلك ، وقد سردناه قبل قليل .

قلنا : هذا لا يوجب القول بتحريف القرآن ونقصانه ؛ لأمرين :

الأوّل : إثبات قراءة ، والقراءة حتى لو جوّزناها ، فهي غير القرآن إجماعاً وضرورة ؛ من قبيل زيادة حرف الطاء تشديداً في : ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ كما في قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر عنه ، يدلّ على ما قلنا قطعاً ..

الثاني : إنّ القراءة كما في زيادة : (ولا مُحَدَّثِ) تثبت بخبر الآحاد الصحيح كما هو المشهور عند الفريقين ؛ لذلك ربما تسوغ القراءة بها على الأرجح ، لكن من دون إثباتها في أصل القرآن و متن المصحف ؛ إذا لا يسوغ هذا إلاّ بنصّ متواتر بإجماع السنّة والشيعة ؛ نظير إجماعهم أنّ السنّة لا تنسخ القرآن إلاّ إذا كانت متواترة ، وكلّ ما روي عند أهل القبلة سنة وشيعة ، في زيادة : (ولا مُحَدَّثِ) أخبار آحاد ليست متواترة ، لا توجب علماً .

التخريج الثاني : قيل : (ولا مُحَدَّثِ) بيان للآية مأخوذ عن النبيّ محمد ، وتفسير لمجمل الكتاب الكريم بها ورد عنه صلى الله على محمد وآله ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ فما نحن فيه بيان النبي للآية ، كما بيّن صلى الله عليه وآله قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ بالصلوات الخمس ، وأنّ الصبح ركعتان والظهر أربع وهكذا ، لا أكثر ولا أقل .

وربما يقال : لا إشكال في التخريج الأول ، بناءً على عقيدة أهل السنة في نسخ التلاوة ؛ فنسخت الشريعة لفظ : (ولا مُحَدَّث) من الآية وبقي حكمه .

ونشير إلى أن أصحابنا رضي الله تعالى عنهم ؛ كالسيد المرتضى والشيخ الطوسي والعلامة والمحقق وغيرهم رضي الله عنهم ، ذكروا عدم امتناع القول بنسخ التلاوة عقلاً ؛ ضرورة أنه جائز عقلاً .

لكن كونه جائزاً عقلاً لا ينفع إطلاقاً ؛ ضرورة أن الأخبار الواردة في نسخ التلاوة فيما نحن فيه آحاد ، لم تتواتر ؛ فلا توجب علماً ، وقد أجمع علماء الفريقين أن نسخ تلاوة القرآن بالسنة ، لا يسوغ إلا إذا كانت السنة متواترة ، وما نحن فيه ليس كذلك قطعاً ، إنما هو عند أهل السنة خبرٌ عن ابن عباس موقوف عليه ، وخبرٌ أو خبران عندنا لا غير .

وأياً كان : فتحتى لو جوّزنا قرائته : (ولا مُحَدَّث) بناءً على التخريج الأول ؛ لثبوتها من طريقٍ صحيح عند الفريقين ، لكن لا نجوّز إثباتها في أصل القرآن و متن المصحف ؛ كونها زيادة واضحة في متن المصحف ، لم تثبت بنصّ متواتر .

بخلاف زيادة حرفي الطاء والهاء في : ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ مع التشديد ؛ فهذه لا مانع من إثباتها في أصل المصحف هكذا : ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ ضرورة أنها لا توجب زيادة منفصلة في أصل المصحف و رسمه و حروفه ، وإنما هي زيادة في لفظ اللسان و حركة الإعراب لا غير ، فأين هذا من ذاك؟! لذلك فالأحوط عدم تلاوتها في الصلاة الواجبة .

بطلان حديث أن عمر محدثاً

الفقرة الأولى، وهي قول النبي صلى الله عليه وآله: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون» ثابتة دون كلام، وأما: «إنا إن يك في أمتي أحد، فإنه عمر» فليست من كلام النبي قطعاً، للزوم كذب النبي وحاشا محمد سيّد الأنبياء والمرسلين الكذب.

أخرج مسلم (٢٦١هـ) في صحيحه قال: حدثني عبد الله بن هاشم العبدي، حدثنا يحيى يعني ابن سعيد القطان، عن شعبة، قال: حدثني الحكم، عن زر، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه، أن رجلاً أتى عمر، فقال: إني أجنب فلم أجد ماء. فقال عمر بن الخطاب: لا تصل.

فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين، إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكت في التراب واصلت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنها كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض، ثم تنفخ، ثم تمسح بها وجهك، وكفيك». فقال عمر بن الخطاب: اتق الله يا عمار.

قال عمار بن ياسر: إن شئت لم أحدث به^(١).

قلت: حديث مقطوع الصدور، وهذا الإسناد صحيح دون كلام.

كيف يكون عمر بن الخطاب محدثاً، وهو لا يعي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ التي يعيها أجهل مسلم في عصرنا الحاضر، فكيف بمن عاصر الرسالة والنبوة ونزول القرآن؟!.

كيف يكون عمر محدثاً وقد جهل كثيراً من أحكام الدين!!!؟.

(١) صحيح مسلم ١: ٢٨٠، رقم: ٣٦٨. إحياء التراث العربي، بيروت.

النص أن العلم الحادث أفضل من الماضي

مضى قبل قليل صحيح السائي ، عن الكاظم عليه السلام قال : «مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه : ماض وغابر وحادث ؛ فأما الماضي فمفسر ، وأما الغابر فمزبور ، وأما الحادث فقذف في القلوب ، ونقر في الأسعاع ، وهو أفضل علمنا» .

العلم الحادث : إما النكت في القلب ، وهو : الإلهام . وإما النقر في الأسعاع ، وإما مجموعهما ؛ وإنما هو أفضل علمهم عليهم السلام ؛ لسببين :

الأول : كونه بلا واسطة خارجيّة ، وإنما يتلقى المعصوم العلم مباشرة عن الله ، بواسطة روح القدس ، المعجول في ذواتهم بالتكوين ، بل هو حقيقتهم على الحقيقة ، وهو أي : روح القدس أعظم من جبرائيل وقاطبة الملائكة كما هو صريح النص القطعي .

أما ما عندهم عليهم السلام ، من العلم الماضي والغابر ؛ فكثيرٌ منه وصلهم بواسطة بشر وهم الأنبياء عليهم السلام ، ولا ارتياب أن ما تجرد عن الوساطة بين الله والمعصوم ، أشرف مما كان مع الوساطة ، والنصوص الماضية ظاهرة في هذا ظهوراً قطعياً .

الثاني : لأنّ أشرف ما أنزل الله سبحانه من العلم على المعصومين ، هو الحادث ساعة بساعة ، وأنا فأن ؛ لتعلقه بالمشيئة ، كما سيأتي في الأخبار القطعية في الفصول الآتية ..

ضرورة أنّ العلوم الماضية والغابرة قضى الله سبحانه أن يكون كثيراً منها معلّقاً ؛ أي في معرض البداء والمحو والإثبات ، وأما الحادث فهو من المحتوم المكنون الذي لا يعلم به إلا الله تعالى قبل الإنزال ، وهو ؛ لكونه : علماً مكنوناً ، وغيباً مستوراً ، وحتماً مقضياً ، أشرف من كلّ علم ؛ لقربه من عالم المشيئة ؛ لذلك قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

وحي روح القدس أشرف الثلاثة عقلاً ونقلاً

مضت الروايات القطعية أنّ روح القدس أعظم ما خلق الله تعالى ، وهو متحد مع ذوات المعصومين ، أنبياء ، وأوصياء ، وملائكة كجبرائيل ، اتحاداً تكوينياً بنحو الإشتراك المعنوي كما بيّنا كثيراً . وعليه فالعلم المتحقق بروح القدس أشرف من العلم المتحقق بما يأتي به جبرائيل ؛ ضرورة أنّ جبرائيل نفسه إنّها يتحقق عنده العلم عن الله بواسطة روح القدس الموجد لحقيقته صلوات الله عليه .

فلقد تقدّم البسط أنّ روح القدس - في عالم القدس - هو : حقيقة المعصوم ، سواء أكان المعصوم رسولاً أم نبياً أم وصياً أم ملكاً .

روى الصفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن علي بن نعمان (=النخعي من وجوه أصحابنا) ، عن يزيد بن إسحاق يلقب شعر ، عن ابن أبي حمزة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إِنَّ مَنْ لَمِنْ يَنْكُتُ فِي أُذُنِهِ ، وَإِنَّ مَنْ لَمِنْ يُؤْتَى فِي مَنْامِهِ ، وَإِنَّ مَنْ لَمِنْ يَسْمَعُ الصَّوْتِ مِثْلَ صَوْتِ السَّلْسَلَةِ يَقَعُ عَلَى الطَّسْتِ ، وَإِنَّ مَنْ لَمِنْ يَأْتِيهِ صُورَةُ أَعْظَمٍ^(١) مِنْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ^(٢)» .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، وابن أبي حمزة هو : هارون بن حمزة الغنوي الثقة ، وليس هو ابن أبي حمزة الباطني كما ربما يتوهم بسبب تصحيف من النسخ ؛ ضرورة عدم رواية يزيد بن إسحاق إلاّ عن الغنوي ، فانتبه .

وهو صريح أنّ ما ينزل به الروح القدس من أمر الله ، أعظم ممّا يأتي به جبرائيل وميكائيل عليهما السلام ؛ لما ذكرناه من السببين الآنفين .

(١) ستأتي النصوص الصحيحة الثابتة أنّ هذه الصورة هي الهيئة النورية القدسية لنبينا صلى الله عليه وآله ؛ فسيأتي أنّ العلم الحادث لا يصل إلى الأئمة الاثني عشر عليهم السلام إلاّ عن طريق نبينا محمد ، فانتظر .
(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة): ١٤٧ . مطبعة الأحمدي، طهران .

يشهد له ما رواه الصفّار أيضاً قال : حدثنا بعض أصحابنا ، عن محمد بن حماد ، عن أحمد بن رزين ، عن الوليد الطائفي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «إنّ منّا لمن يوقر في قلبه ، ومنّا من يسمع بإذنه ، ومنّا من ينكت ، وأفضل من يسمع»^(١).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد ضعيف ، سقناه شاهداً لصحيح السائي عن الكاظم عليه السلام : «وأما الحادث فقذف في القلوب ، ونقر في الأسماع ، وهو أفضل علمنا».

يشهد للخبر روى الصفّار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا علي بن إسماعيل ، عن محمد بن عمرو الزيات ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : «إنّ منّا لمن يعاين معاينة ، وإنّ منّا لمن يوقر في قلبه كيت وكيت ، وإنّ منّا لمن يسمع كما يقع السلسلة في الطست»^(٢).

قال قلت : فالذين يُعَايِنُونَ ما هم؟! .!

قال عليه السلام : «خلقتُ أعظم من جبرئيل وميكائيل».

قلت : إسناده قويّ معتبر ، بل حسنٌ صحيح. الزيات هو المدائني ، وهو ثقة دون كلام. عليّ بن إسماعيل ، هو : ابن عيسى القميّ ، وثقه ابن قولويه في الكامل ، روى عنه الأجلّة العظام ، لم يقدح فيه أحد . وعلي هو البطائني الهالك الملعون ، لكن لم يرو عنه أصحابنا بعد انحرافه على الأقوى.

قوله عليه السلام : (خلقتُ أعظم من جبرئيل وميكائيل) هو روح القدس عظّمه الله سبحانه وتعالى .

قوله عليه السلام : (منّا لمن يعاين معاينة) هو رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فلا يرى جبرائيل بوصف كونه وحياً ، غير رسول الله ، ولا مانع من رؤية بقيّة المعصومين

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٧ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٧ . مطبعة الأحدي، طهران.

جبرائيل بوصف كونه ملكاً، أمّا وحياً فمحال، وإلا تعددت شريعة محمد صلى الله عليه وآله، وهو عين الباطل، وسنبيّن هذا بعد قليل.

وأخرج الصفّار قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم الجوهري، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّا لنزاد في الليل والنهار، ولو لم نزد لنفد ما عندنا».

قال أبو بصير: جعلت فداك من يأتيكم به؟!.

قال عليه السلام: «إنّ منّا من يعاين، وإنّ منّا لمن ينقر في قلبه كيت وكيت، وإنّ منّا لمن يسمع بإذنه وقعاً كوقع السلسلة في الطست».

فقلت له: «من الذي يأتيكم بذلك».

قال عليه السلام: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل»^(١).

قلت: صحيح، وهذا الإسناد صحيح على الأظهر، رجاله ثقات ولو بالتوثيق العام، والقاسم بن محمد الجوهري مضعّف.

وقد تابعه الصفّار قال: حدثنا الحسين بن علي، عن عبد الله عن عيسى بن هشام، عن الحسن بن أشيم، عن علي، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام وساق مثله^(٢).

وروى الصفّار قال: حدثنا أحمد بن اسحق، عن الحسن بن عباس بن حريش، عن إمامنا أبي جعفر عليه السلام قال: سأل أبا عبدالله عليه السلام رجلاً من أهل بيته عن سورة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾؟!.

فقال أبو عبد الله الصادق: «ويلك سألت عن عظيم، إياك والسؤال عن مثل هذا».

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٧. مطبعة الأحدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٧. مطبعة الأحدي، طهران.

قال الحرishi : فقام الرجل ، فأتيته يوماً ، فأقبلت عليه فسألته؟! .

فقال عليه السلام : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ نورٌ عند الأنبياء والأوصياء ، لا يريدون حاجة من السماء ، ولا من الأرض ، إلا ذكروها لذلك النور فأتاهم بها...^(١) .

قلت : إسناده معتبر . أحمد هو : ابن إسحاق الأشعري ، ثقة عدلٌ من وجوه الطائفة ، من أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام . والحرishi مضى الكلام فيه .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾^(٢) كما قد قال سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ .

وواضح -بضميمة كل ما مر- أن النور ههنا هو روح القدس ، وهو حقيقة المعصوم في عالم النور والجبروت .

وقوله عليه السلام : (لا يريدون حاجة من السماء ، ولا من الأرض ، إلا ذكروها لذلك النور فأتاهم بها) ليس مطلقاً ؛ فالمعصوم نبيّاً كان أم وصياً أم ملكاً ، لا يسأل الله شيئاً أبداً ، إلا ما تتقوّم به عبوديته التامة لربه ، وإمامته هداية العباد ، وما عدا ذلك لا يكون ، ولا يتدنه المعصوم ، إلا إذا شاء الله تعالى ؛ لما تواتر في شدة أدب المعصوم مع الله تعالى ، وسيأتي بيان هذا في الفصل اللاحق ، فلا تتوهمنّ ما لا يسوغ .

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه): ٣٠٠ . مطبعة الأحمدية، طهران.

(٢) النساء : ١٧٤ .

العلم الحادث هو : علم العضلات

أخرج الصفّار (٢٩٠هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن الحسين ، عن الحسن بن محبوب ، عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « كان عليّ يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ؛ فإذا ورد عليه الشيء الحادث : الذي ليس في الكتاب ، ولا في السنة ، أطمه الله الحق فيه إلهاماً ؛ وذلك -والله- من العضلات »^(١).

قلت : إسناده صحيح بإجماع أصحابنا .

وأخرجه الصفّار رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن الحسين ، عن عبد الله بن هلال ، عن العلاء به مثله^(٢).

قلت : إسناده صحيح فيما هو واضح .

وأخرجه أيضاً قال : حدثنا عبد الله بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن العلاء بن رزين به مثله^(٣).

قلت : إسناده صحيح ، وعبد الله هو الطيالسي ، وهو ثقة .

قلت : أخرجه الشيخ المفيد (٤١٣هـ) رضي الله عنه في الاختصاص ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن أبي عمير ، عن محمد بن يحيى الخثعمي ، عن عبد الرحيم القصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قريباً منه .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد موثّق ، رجاله ثقات ، سوى الخثعمي ؛ وهو ثقة على مبنى أنّ ابن أبي عمير لا روي إلاّ عن ثقة ، وهو الأظهر .

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه) : ٢٥٥ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه) : ٢٥٥ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

(٣) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه) : ٢٥٥ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

ومن طريق آخر أخرجه (٤١٣هـ) رضي الله عنه في نفس كتاب الاختصاص ، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، ومحمد بن خالد البرقي، عن النضر بن سويد، عن عيسى بن عمران الحلبي ، عن عبد الله بن مسكان، عن عبد الرحيم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام مثله أو قريب منه^(١).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد ضعيف بالحلبي .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً ، بلغت التواتر المعنوي ، منها معتبر الحريشي عن الصادق عليه السلام قال : « لا يريدون حاجة من السماء ، ولا من الأرض ، إلا ذكروها لذلك التور فأتاهم بها » وهو صريح فيما نحن فيه ، وستأتي أخبار كثيرة أنّ المعصوم قد تعرض عليه المسألة ليس عنده فيها شيء ؛ فينتظر ما يفيضه الله عليه على ما تقضي به مشيئته سبحانه ، وهذا هو المعضل ..

ولهذا أصل عظيم، هو قوله تعالى على لسان نبينا صلى الله عليه وآله : ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾^(٢).

لذلك أقسم عليه السلام وقال : (وذلك الله من المعضلات).

فالمعضل - كما نصّت الأخبار - : الحادث، الذي لا وجود لحكمه، في الكتاب والسنة.

أو : ما لا وجود لحكمه في اللوح المحفوظ .

لكن في هذا إشكال ذكرناه قبل عدة صفحات ، وأي إشكال هو لعمر الله ، خلاصته : منافاة هذه الأخبار القطعية ، أخباراً قطعية أخرى ، ستأتي في فصل مستقل، تنص أنّ المعصوم عليه السلام : عالم بما كان وما يكون ، ممّا في السماوات السبع والأرضين السبع ،

(١) الاختصاص(ت: علي غفاري): ٣١٠ . منشورات جماعة المدرسين ، قم.

(٢) يونس : ٢٠ .

إلى يوم القيامة ، ناهيك عن أخبار الصحيفة الجامعة القطعية التي تنصّ أنّ فيها كلّ حلال محمد وكل حرامه ، حتّى حكم أرش الخدش، بل ربما دون ذلك ..

من هذا الأخبار ما رواه الكليني ، بإسناد صحيح ، عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام؟! .

فقال عليه السلام : «حلال محمد حلال أبداً ، إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام أبداً ، إلى يوم القيامة ، لا يكون غيره ، ولا يجيء غيره»^(١).

فما المخرج من هذا التناقض؟! .

قلت : لعمر الله ، إنّما صنّفت كلّ هذا الكتاب المتواضع ، بفصوله العشرة أو أكثر ؛ للجواب عن هذا الإشكال الشمولي لا غير ، فسيتّضح أولاً عدم المنافاة ، وثانياً : كلّ الإشكاليّات الواردة في علم المعصوم ، ستتلاشى ؛ كونها مترتبة أساساً على الإشكال أعلاه ، بل سيتّضح أنّ كثرة الإشكاليّات فيما نحن فيه ، دليلٌ على الخلط والخطب في مسألة علم المعصوم صلوات الله عليه ، فانتظر .

نصّ في الفرق بين جبرائيل والروح القدس

أخرجه الصّفّار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا محمد بن عيسى بن عبيد ، عن ابن اسباط ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزوجل : ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾؟! .

فقال عليه السلام : « جبرئيل : الذي نزل على الأنبياء . والروح : تكون معهم ، ومع الأوصياء ، لانفارقهم ؛ تفقههم وتسددهم من عند الله »

قال الصّفّار : وروى بعض أصحابنا ، عن موسى بن عمر بن بزيع ، عن علي بن اسباط ، هذا الحديث بهذا الاسناد بعينه .^(١)

قلت : إسناداهما صحيح على الأقوى ، رجالهما ثقات ، والبطائني كذلك قبل انحرافه لعنه الله ؛ ويستبعد أن يروي عنه المشايخ أمثال علي بن اسباط رضي الله عنهم ، بعد انحرافه وارتداده أركسه الله في جهنم .

الفرق بين الملك ؛ كجبرائيل عليه السلام ، وبين روح القدس ، أنّ روح القدس صلوات الله عليه متّحدٌ مع ذات المعصوم بالجعل التكويني ، سواء أكان المعصوم رسولاً نبياً ، أم وصياً ، أم ملكاً كجبرائيل عليه السلام .

فجبرائيل صلوات الله عليه ، فردٌ من هؤلاء المعصومين الذين اتّحد روح القدس مع ذواتهم المقدّسة ؛ غاية الأمر أنّ روح القدس مشترك معنوي ؛ لذلك تفاضلت درجات المعصومين فيما بينهم ؛ إذ مردّ التفاوت هو رتبة وجود روح القدس في ذواتهم المقدّسة .

الزبدة : جبرائيل واسطة خارجيّة للمعصوم نبياً كان أم وصياً أم ملكاً ، والروح القدس عين ذات المعصوم ، متّحدة مع الذات ؛ فهي أشرف بالضرورة .

(١) بصائر الدرجات : ٤٧٧ . باب الروح . مطبعة الأحمدية ، طهران .

توهم الفرق الذاتي بين الأنبياء والأوصياء

نعرض لهذا ؛ بياناً لأموّرٍ اعتاصت على كثير من أهل العلم، بل حار فيها غير واحد من العلماء ، منها : عدم نزول جبرائيل ، بوصف كونه وحياً، على الأوصياء المحدثين كأمر المؤمنين عليّ والحسن والحسين عليهم السلام ، وإنما على خصوص الأنبياء الرسل عليهم السلام ، وهذا نقص بيّن..

بيان العويص في هذا الإشكال : بطلان عقيدة أفضليّة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على بعض الرسل عليهم السلام ؛ كعيسى صلوات الله عليه ؛ فعليّ فيما هو معلوم ضرورة لم ينزل عليه جبرائيل -بوصف كونه وحياً- في حين نزل على عيسى بهذا الوصف ، وهذا فارق لا ينكره إلاّ مكابر ، بل مكذّب بما جاء في القرآن ..

قلنا : هذا وهمٌ شنيع ، مردّه إلى عدم فهم حقيقة الروح القدس الذي هو أشرف وأعظم من جبرائيل صلوات الله عليه..؛ لذلك يجاب عن هذا الوهم الفاسد بأموّر :

الأوّل : أصناف المعصومين الثلاثة أعلاه ، الرسول والنبى والوصي ، علاوة على الملائكة ، مفاهيم متغايرة اعتباراً ، مردّها إلى حقيقة وجوديّة واحدة ، هي روح القدس لا غير ؛ فروح القدس حقيقة العصمة في كلّ الأصناف الثلاثة أعلاه ، غاية الأمر أنّ رتبة وجود الروح القدس في هذا الصنف من المعصومين أو ذاك ، هذا الفرد منهم أو ذاك متفاوتة بين الشديدة والأشدّ .

الثاني : اتّضح -بما لا يقبل الريب- أنّ أشرف واسطة جعلها الله في صفوة عبادة ؛ لإنزال المكنون من علمه اللدنيّ عليهم ، هو روح القدس ؛ ضرورة كونه واسطة ذاتيّة داخلية ، ليست خارجيّة كما في جبرائيل عليه السلام ؛ ولقد ورد في الصحيح المستفيض أنّ روح القدس أعظم من جبرائيل عليه السلام ومن قاطبة الملائكة .

الثالث : العلم المتحقق عند المعصوم ، بواسطة روح القدس علم حضوري ليس كسبياً ، وكذلك العلم المتحقق بواسطة جبرائيل ، لكن الأول أشرف من الثاني ؛ فذاك بلا واسطة خارجية ، وهذا مع واسطة خارجية ؛ أي خارجة عن ذات المعصوم .

الرابع : نزول جبرائيل - بوصف كونه وحياً جاء بشريعة - على أحد المعصومين ، من بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله ممتنع ذاتاً ، فنزول جبرائيل بوصف الوحي والشريعة ، بعد موت النبي ، يعني نقص شريعة محمد أو بطلانها ، وهذا عين الباطل ؛ لما علم ضرورة أنها خاتمة الشرائع والرسالات ، ولقول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١) .

الزبدة : العقيدة الحق أن شريعة محمد صلى الله عليه وآله كاملة ، مع افتراض نزول شريعة بعد موت النبي ، ممتنع ذاتاً ؛ لاجتماع الكمال والنقص ، وهو محال ، ناهيك عن اللغوية وتكذيب القرآن .

أما نزول جبرائيل بوصف كونه ملكاً كريماً مسدداً مؤيداً ، من دون شريعة ، فلا مانع منه إطلاقاً ؛ فلقد ثبت قطعاً ويقيناً نزوله على الأوصياء المعصومين بالوصف أعلاه ؛ كما نزل على أم موسى ، وكما نزل على مريم ، وكما نزل على فاطمة سيّدة نساء العالمين صلوات الله عليهنّ أجمعين .

إذا اتضح هذا ، يجب أن تقرأ نصوص أهل البيت الصحيحة فيما نحن فيه ، كما أراد الله ورسوله وأهل البيت عليهم السلام ، لا كما أرادت الوسوس والظنون والأوهام .

الفرق بين النبي والرسول والمحدث!!

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن الأحول قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث؟! .

قال عليه السلام : «الرسول : الذي يأتيه جبرئيل قبلاً ، فيراه ويكلّمه ، فهذا الرسول . وأما النبي ، فهو : الذي يرى في منامه ، نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ، ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة ، قبل الوحي ، حتى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى بالرسالة ، وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله سبحانه وتعالى ، يجيئه بها جبرئيل ويكلّمه بها قبلاً . ومن الأنبياء من جمع له النبوة ، ويرى في منامه ، ويأتيه الروح ويكلّمه ويحدّثه من غير أن يكون يرى في اليقظة .

وأما المحدث فهو : الذي يُحدّث فيسمع ، ولا يعاين ، ولا يرى في منامه»^(١) .

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

روى الكليني عليه السلام عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ما الرسول وما النبي؟! .

قال الباقر عليه السلام : «النبي الذي يرى في منامه ، ويسمع الصوت ، ولا يعاين الملك . والرسول الذي يسمع الصوت ، ويرى في المنام ، ويعاين الملك» .

قال زرارة : قلت : الإمام ما منزلته؟! .

قال عليه السلام : «يسمع الصوت ، ولا يرى ، ولا يعاين الملك»^(٢) .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٧٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٧٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : إسناده صحيح دون كلام ، رواه أساطين الطائفة ، وأعمدة الملة .

هذه النصوص تقرأ بالنظر لكل ما تقدم كالاتي :

إنّ أشرف ما في ذات المعصوم ، نبياً كان المعصوم أم وصياً ، أم ملكاً كجبرائيل ، هو روح القدس ، بل إنّ المعصوم -بما هو معصوم- ليس غير روح القدس ..

فحتّى جبرائيل لا يتلقّى الوحي عن الله تعالى مباشرة ، بل المباشرة محال ..، إنّما يتلقّى جبرائيل عن الله سبحانه ، بواسطة روح القدس التي هي متّحدة مع ذاته ، الموجدة لحقيقته المقدّسة صلوات الله عليه ..

الزبدة :

المعصوم -بوصف كونه معصوماً- لا يحتاج إلى واسطة مع الله سبحانه وتعالى غير الروح القدس ، سواء أكان المعصوم ملكاً كجبرائيل أم نبياً كمحمد ، أم وصياً كأمر المؤمنين عليّ عليهم الصلاة والسلام .

لكن إذا كان الأمر كذلك ، لماذا احتاج النبيّ صلى الله عليه وآله ، وهو أشرف من جبرائيل ، إلى الواسطة بينه وبين الله تعالى !!؟

قلنا : أجبنا عن هذا في الفصل الأوّل ، وهو جواب الإشكاليّة الثانية هناك ، فلقد ذكرنا هناك ما حاصله :

أنّ النبيّ -باعتباره روحاً ونوراً- أشرف من كلّ ما خلق الله تعالى ، وهو صلى الله عليه وآله بهذا الاعتبار ليس بحاجة لا إلى جبرائيل ولا إلى غيره من المقربين عليهم السلام ، كما قد حصل له يوم المعراج ، ضرورة أنّ النبيّ وبقية المعصومين في ذاك العالم القدسي النوري ، ليست ذاتهم إلّا روح القدس فقط ، وليس هو غير علم اللدن والفهم والحكمة والقوّة والتأييد ؛ فليسوا بحاجة للواسطة الخارجيّة إطلاقاً .

لكنّ النبيّ ، باعتباره بشراً : ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(١) مقيد بروح الشهوة والحیوان ؛ لغرض حفظ النسل المحمدي في دار البلاء ، ناهيك عن كونه واسطة الله في هداية البشر ونزول الرحمة ، والنبيّ صلى الله عليه وآله في هذا الفرض ، عدا يوم المعراج ، مقيد بأمر الله تعالى بقيود الدنيويّة غالباً ، فاحتاج إلى الواسطة ..

مع التنبيه أنّ النبيّ قادرٌ في عالم الدنيا أن يتنزّه عن روح الشهوة والبشريّة بإذن الله ، فلا يحتاج في هذا الفرض إلى واسطة جبرائيل ، كما حصل يوم المعراج ، لكن هذا الفرض غير مراد دائماً لله تعالى القائل : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَكَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾^(٢) فلقد أراد الله تعالى من النبيّ أن ينزل إلى عالم الدنيا نزولاً بشرياً كاملاً ، يجوع ويعطش ويتناسل ويفرح ويحزن ويتألم ويهرم ؛ ليتحقق غرض الله التام من الهداية ..

ضرورة أنّ البشر لا يسمعون إلّا من بشرٍ محسوسٍ مثلهم يعاينونه كما هو صريح القرآن ، بل يمتنع غير ذلك ؛ لامتناع إحاطة البشري المحبوس في زناينة الحسنة وهم أكثر البشر ، بالملكوتي المنزه عن ذلك ؛ فتعيّن أن يجعل الله تعالى من نور نبيّنا القدسي بشراً ؛ ليراه الناس ويأخذوا عنه ..

ولم يأذن الله تعالى لنبيّه محمد صلى الله عليه وآله ، أن يتجرّد عن بشريّته ، حتّى مع استطاعته صلّى الله عليه وآله على ذلك بإذن الله تعالى ، إلّا أوقات العروج القليلة ؛ حتى لا يفوت الغرض من هداية العباد ورحمتهم ، لكن لهذا ضريّة ، وهو احتياج النبيّ صلى الله عليه وآله في فرض عدم الإذن ، إلى واسطة جبرائيل .

ولا يوجد فيمن خلق الله تعالى ، بقادرٍ على أن ينوء بمهمة تحقيق غرض الله تعالى التشريعي والتكويني في العباد إلّا نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله ؛ لقوله سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

نص: رؤية أهل البيت لجبرائيل عليه السلام

أخرج الصفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا محمد بن الحسين ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن عبد الكريم ، عن ابن أبي يعفور قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : «إنا نقول : إن علياً كان ينكت في قلبه ، أو صدره ، أو في أذنه؟!» .

فقال عليه السلام : «إن علياً عليه السلام كان محدثاً...؛ إن علياً عليه السلام ، كان يوم بني قريظة والنضير ، جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ؛ يحدثانه»^(١).

قلت : حديث متواتر أو قطعي الصدور ، رواه الفريقان كما سيتضح قريباً ، وهذا الإسناد صحيح أو موثق على اصطلاح المتأخرين ، فبعد الكريم الخثعمي كان واقفاً .

وأخرج الصفار رضي الله تعالى عنه ، قال : حدثنا العباس بن معروف ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «كنت بالمدينة فلما شدوا على دوابهم وقع في نفسي شيء من أمر المحدث ، فأتيت أبا جعفر عليه السلام فاستأذنت ، فقال من هذا؟!» .

قلت : زرارة قال : «ادخل» ثم قال عليه السلام : «كان رسول الله صلى الله عليه واله يملئ على عليّ عليه السلام ، فنعس ونام نومة ، فلما رجع نظر إلى الكتاب ، فمدّ يده قال من أملئ هذا عليك؟!» .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «أنت» .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : «لا ، بل جبرئيل»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

(١) بصائر الدرجات : ٤٧٧ . باب الروح . مطبعة الأحمدي ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات : ٤٧٧ . باب الروح . مطبعة الأحمدي ، طهران .

وأخرج الصفار رضي الله عنه ، قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة ، عن أبان ، عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : بينا أبي في داره مع جاريت له إذا أقبل رجل قاطب الوجه ، فلما رأيته علمت أنه ملك الموت ، فاستقبله رجل آخر طلق الوجه وحسن البشر فقال : إنك لست بهذا أمرت ، فيينا أنا أحدث الجارية وأعجبها مما رأيت فقبضت».

فقال أبو عبد الله عليه السلام فكسرت البيت الذي رأى أبي فيه ما رأى ، فليت ما هدمت من الدار آتي لم أكسره»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله أساطين الطائفة .

قوله عليه السلام : (فلما رأيته علمت أنه ملك الموت) صريحٌ في رؤية المعصوم لعزرائيل صلوات الله عليه ، وقوله عليه السلام : (فاستقبله رجل آخر طلق الوجه وحسن البشر) جبرائيل صلوات الله عليه .

يشهد له ما أخرجه الصفار قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن الحسن بن علي ، عن جعفر بن عمر ، عن أبان ، عن معبد قال : كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فجاء يمشي حتى دخل مسجداً ، كان يتعبد فيه أبوه ، وهو يصلي في موضع من المسجد ، فلما انصرف قال عليه السلام : «يا معبد أترى هذا الموضع»؟!.

قال معبد : قلت : نعم جعلت فداك .

قال عليه السلام : «بينما أبي قائم يصلي في هذا المكان ، إذ جائه شيخ يمشي حسن السميت فجلس ، وبينما هو جالس إذا جاء رجل آدمٌ حسن الوجه والسيما ، فقال الشيخ : ما يجلسك ، فليس بهذا أمرت ، فقاما يتساران ، انطلقا وتواريا عني فلم أر شيئاً» .

فقال أبى عليه السلام : «يا بنى هل رأيت الشيخ وصاحبه ، قلت : نعم فمن الشيخ ومن صاحبه؟! . فقال : «الشيخ : ملك الموت والذي جاء جبرئيل»^(١).

قلت : إسناده مجهول ، معبد بن ميسرة وجعفر بن عمر ، ولعله العلوي ، لم أقف على حالهما ، ويحتمل أن معبد مصحف : معتب وهو مولى للصادق عليه السلام .

وأخرج الصفار قال : حدثنا أبو محمد ، عن عمران بن موسى ، بن الحسين بن معاوية بن وهب ، عن محمد بن الفضل ، عن عمر بن أبان الكلبي^(٢) ، عن معتب قال : توجهت مع أبى عبد الله عليه السلام إلى ضيعة له يقال لها : طيبة فدخلها فصلى ركعتين فصليت معه ، فقال : يا معتب إني صليت إلى ضيعة مع أبى الفجر ذات يوم فجلس أبى يسبح الله ، فبينما هو يسبح إذا أقبل شيخ طويل جميل أبيض الرأس واللحية ، فسلم أبى ، وشاب مقبل في اثره فجاء إلى الشيخ فسلم على أبى ، وأخذ بيد الشيخ وقال : قم فإنك لم تؤمر بهذا ، فلما ذهبنا من عند أبى قلت : يا أبت من هذا الشيخ وهذا الشاب؟! .

فقال عليه السلام : «أي بنى هذا والله ، ملك الموت وهذا جبرئيل»^(٣).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد رجاله ثقات إلاّ الحسين بن معاوية ، فلم أعرفه . أبو محمد ، كنية عبد الله بن محمد بن خالد الطيالسي ، وهو ثقة . ومُعْتَب مولى أبى عبد الله الصادق عليه السلام ، ثقة .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة) : ٢٥٤ . مطبعة الأحمدي، طهران .

(٢) في بعض المصادر : عمرو ، وهو خطأ نساخ أو تصحيف .

(٣) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة) : ٢٥٤ . مطبعة الأحمدي، طهران .

نصّ سنّي أنّ جبرائيل وميكائيل مع عليّ عليه السلام

أخرج الطبراني قال: حدثنا محمود بن محمد الواسطي، حدثنا وهب بن بقية، حدثنا محمد بن الحسن المزني، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم، قال: سمعت الحسن بن علي رضي الله عنه يخطب الناس، فقال: «يا أيها الناس، لقد فارقكم بالأمس رجل ما سبقه الأولون بعلم، ولا يدركه الآخرون؛ إن كان رسول الله يبعثه المبعث فيعطيه الراية، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، إنّ جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ما ترك صفراء ولا بيضاء إلاّ سبع مئة درهم، أراد أن يشتري بها خادماً»^(١).

ورواه أحمد (٢٤١) في المسند قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن حبشي مثله.

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن^(٢).

وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح^(٣).

ورواه أحمد في موضع ثان قال: حدثنا وكيع، عن شريك، عن أبي إسحاق به مثله.

قال الأرنؤوط: إسناده حسن^(٤). ومثله قال أحمد محمد شاكر^(٥).

وأخرج أحمد في الفضائل مثله.

قال وصي عباس: إسناده صحيح^(٦).

(١) معجم الطبراني ٣: ٧٩.

(٢) مسند أحمد (ت: الأرنؤوط) ٣: ٢٤٧، رقم: ١٧٢٠. الرسالة.

(٣) مسند أحمد (ت: شاكر) ٢: ٣٤٣، رقم: ١٧٢٠. دار الحديث، القاهرة.

(٤) مسند أحمد (ت: الأرنؤوط) ٣: ٢٤٧، رقم: ١٧١٩. الرسالة.

(٥) مسند أحمد (ت: شاكر) ٢: ٣٤٣، رقم: ١٧١٩. دار الحديث، القاهرة.

(٦) فضائل أحمد (ت: وصي عباس) ١: ٥٤٨، رقم: ٩٢٢. الرسالة، بيروت.

وأخرجه النسائي قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا النضر بن شميل قال: حدثنا يونس، عن أبي إسحاق به بزيادة: وإن رسول الله قال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله فقاتل جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثم لا ترد، يعني رايته، حتى يفتح الله عليه»^(١).

أقول: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات.

(١) سنن النسائي الكبرى (ت: الأرئوط) ٧: ٤١٦، رقم: ٨٣٥٤. الرسالة، بيروت.

لجبرائيل عليه السلام ثلاثة أنحاء من الوجود

لا بدّ من التنبيه أنّ لجبرائيل صلوات الله عليه ، أو إسرافيل ، أو عزرائيل صلوات الله عليهم أو أيّاً من المقرّبين...، ثلاثة أنحاء من الوجود..

النحو الأول : بما هو وحي نبوة ينطق بشريعة.

النحو الثاني : بما هو ملك ينطق بالغيب وعلوم اللدنّ ، تسديداً وتأيداً بلا شريعة.

النحو الثالث : التمثّل البشري .

فجبرائيل بالنحو الأوّل ، لا يراه ويسمعه على المتيقّن إلّا أولو العزم الخمسة ، وربما كلّ الرسل، ومجموعهم كما أفصح القرآن الكريم خمس وعشرون رسولاً ، وأمّا بقية المعصومين ؛ كالأوصياء ، فكلّاً إجماعاً محققاً ؛ لحصول اللبس على الأمة بشبهة تعدد الشرائع ؛ فمحال نزول جبرائيل في الإسلام على أحد ، بوصف كونه وحيّاً نازل بشريعة ، بعد نبينا صلى الله عليه وآله.

وأما بالنحو الثاني فلا مانع أن يراه ، بل يسمع الغيب النازل به ، كلّ معصوم ليس برسول ، نبياً كان أم وصياً ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذًا خَفَتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(١). وهو ظاهرٌ في السماع ؛ لمكان الأمر قوله سبحانه : ﴿ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴾^(٢) نصّ في نزول جبرائيل على مريم عليها السلام للتسديد والتأييد لا استئناف شريعة ، وهذا هو النحو الثالث .

(١) القصص : ٧

(٢) مريم : ٢٠ .

والمورد لا يخصّص الوارد ؛ فمولانا فاطمة من جنس مريم أو أفضل منها صلوات الله عليهما ؛ كونها -فيها هو معلوم ضرورة- : سيدة نساء أهل الجنة أو العالمين .

وثمة نحو آخر ، وهو أن يتمثل مولانا جبرائيل أرواحنا له الفداء تمثلاً بشرياً ، فيراه بقية الناس ، وهذا ممكن ، بل واقع ؛ كتمثله بالصحابي دحية الكلبي ، لكنّه في هذا الفرض لا ينطق غيباً ، علاوة على أنّه لا يقول شريعة ، فاحفظ .

كما أنّه صلوات الله عليه ، في هذا الفرض ، لا تجري عليه قوانين الدنيا إطلاقاً ؛ فليس له ظل أو ثقل ، أو جوع ، أو عطش ، أو هرم أو ... ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (٦٩) ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ .. ﴾

والسبب في ذلك أنّ البدن الذي تمثّل به صلوات الله عليه ، ليس من طين الدنيا أبداً ، وإن ربما حاكاه في المظهر لا غير ، وإنّما من طين الملكوت ، أو طين الجنة ، أو طين عليين ، ما شئت فعبّر ، كما ورد الأخبار الثابتة ، وأيضاً هو منزّه عن الشهوة والحيوانية اللتين جعلها الله في الأنبياء والأوصياء ؛ ليتحقق غرض الله في هداية البشر الدنيوي ؛ ولقد ذكرنا أكثر من مرّة استحالة أخذ البشر الهداية من ملك إلاّ بمشاهدته وسماعه ؛ لامتناع إحاطة عالم البشر الخسيس ، بعالم الملائكة المطهّر الشريف ؛ فتعيّن أن يرسل الله لهم بشراً مسموع مرأي .

وقد يقال : ما الموجب لتقسيم وجود جبرائيل إلى هذه الأنحاء الثلاثة؟! .

قلنا : لما ورد في الأخبار الثابتة ، بل المتواترة ، في القرآن والسنة ، من التنافي البدوي ، الذي لا يرتفع إلاّ بهذا التقسيم ..؛ فالقرآن الكريم يقول صريحاً : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ... ﴾ في حين نفت الأخبار المتواترة ، نزول جبرائيل على غير الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم ، ومريم ليست نبياً ولا رسولاً بإجماع .

وفي المقابل مرّت عليك النصوص القرآنية ، ناهيك عن نصوص أهل العصمة ، أنّه نزل على غير الأنبياء عليهم السلام ؛ كمريم وأم موسى وآسيا وفاطمة ، بل قد شاهدنه عليهن السلام كما حصل لمريم عليها السلام ، ولا يخرج من هذا إلاّ التقسيم أعلاه .

النص على امتناع نزول جبرائيل بعد النبي

أجمع على امتناع نزوله بوصف كونه وحياً نازلاً بشريعة بعد نبينا ، قاطبة أهل الإسلام ، كابرأ عن كابر ، دون تكبير من أحد منهم ، ضرورة أنّ حلال محمد صلى الله عليه وآله ، حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، وافتراض غيره تكذيب بضروريات الدين وعامة إجماعات المسلمين .

يدلّ عليه في النصوص المتواترة ما رواه الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس ، عن حريز ، عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام؟! .

فقال عليه السلام : «حلال محمد حلال أبداً ، إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام أبداً ، إلى يوم القيامة ، لا يكون غيره ، ولا يجيء غيره ، وقال عليه السلام : قال علي عليه السلام : ما أحد ابتدع بدعة ، إلّا ترك بها سنة»^(١).

قلت : معناه من ضروريات أهل القبلة ، وهذا الإسناد صحيح .

قوله عليه السلام : (لا يكون غيره) ظاهرٌ في الامتناع ، وإلّا لزم أن يكون الكامل وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله ناقصاً ، وهو محال .

وأخرج الصفّار قال : حدثنا إبراهيم بن هاشم ، عن يحيى بن أبي عمران ، عن يونس ، عن حماد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «ما خلق الله حلالاً ، ولا حراماً ، إلّا وله حد ، كحد الدور ، وإنّ حلال محمد حلال إلى يوم القيمة ، وحرامه حرام إلى يوم القيمة»^(٢).

قلت : معناه من ضروريات أهل القبلة ، وهذا الإسناد صحيح .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٥٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة) : ١٦٨ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

وروى الصَّفَّار قال: حدثنا محمد بن عيسى ، عن فضالة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال سمعته : «يقول ، وذكر ابن شبرمة في فتياه فقال : أين هو من الجامعة أملى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخطَّه علي عليه السلام بيده ، فيها جميع الحلال والحرام ، حتى أُرش الخدش فيه»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وربما يتوهم بعض جهلة العوام ، أنّ الإمام المعصوم عليه السلام ، وهو إمامنا المهدي ، يأتي يوم الخروج الذي لا يعلم به على نحو الحتم إلاّ الله تعالى ، بدين جديد ، غير ما جاء به نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله ، والعياذ بالله سبحانه .

وهذا والله عين الباطل ، بل هو الكفر بما أنزل على محمّد صلى الله عليه وآله محمد وآل محمّد ؛ إذ المقصود بالجديد : المنزه عن كلّ بدعة وظلالة ، كالثوب المغسول المنزه عن الوسخ ، وإنّما هو جديد بهذا المعنى ، لا أكثر ولا أقل .

ولا يخفى أنّ أشدّ بدعة لوثت فطرة الأنام ، وطمست بظلمتها على غير قليل من حقيقته الإسلام ، بدعة النواصب المبغضين لمحمد وآل محمد عليهم السلام ، كما فعلوا مع الحسين صلوات الله عليه في كربلاء ؛ فلعن الله النواصب لعن عاد وثمود .

ويجب التنبيه أنّ توهم نصب كلّ أهل السنّة ، كما هو توهم بعض جهلة العوام ، كونهم لا يقولون بعصمة الأئمّة الاثني عشر ، باطل قطعاً ؛ فإنّ حقيقة النصب تدور على البغض ، وجلّ أهل السنّة وإن لم يقولوا بعصمة أهل البيت عليهم السلام لضيق استيعاب الدليل والبرهان ، لكنّهم كما هو المشاهد بالوجدان لا يبغضونهم ، ولنا في هذا رسالة إذا شاء الله سبحانه وتعالى .

العلم بواسطة روح القدس حضوري

أوضحنا أنّ روح القدس واسطة داخلية لنزول العلم من لدن الله تعالى على المعصوم عليه السلام ، لكنّها ذاتيّة ؛ لاتحاد الروح القدس مع ذات المعصوم اتحاداً تكوينياً ، بل إنّ حقيقة المعصوم في عالم النور روح القدس لا غير ، كما أنّ حقيقة الإنسان في عالم الأرواح نفسه الناطقة دون بدنه .

الزبدة : العلم المتحقق عند المعصوم عليه السلام بواسطة روح القدس ، لدنّيّ حضوريّ ، ليس حصولياً كسبياً كما هو حال بقية الناس .

والمتيقّن من العلم الحضوري في الجملة هو : خصوص العلم الحاضر في ذات العالم ، من دون واسطة خارجة عن الذات ..

أمّا الخالق ، فلا إشكال في أنّه حضوريّ ؛ كعلمه الذاتي بالأشياء قبل وجودها . وبالجملة هو : علمه سبحانه وتعالى بما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، وما لو كان كيف سيكون ، أزلاً وأبداً وسرمداً ، هذا علم الخالق سبحانه ، وهو عين ذاته .

وأمّا المخلوق ، فكعلم المعصوم اللدنيّ بما في اللوح المحفوظ علماً إجمالياً بسيطاً ، ذاك الذي أفاضه الله تعالى عليه خلال روح القدس ، وهذا حضوري فيما يجب أن يكون معلوماً ضرورة ، وسيأتي بيان معنى الإجمالي في فصل مستقل ، وآته : الأشرف البسيط ، لا المبهم ، فلا تغفل .

وأمّا غير المعصوم ، فكعلم الإنسان ، المؤمن أو الكافر ، علماً فطرياً ، بأنّ الخيرَ حُسنٌ وكمالٌ وسعادة ، والشرُّ قبحٌ ونقصٌ وشقاء .

وأما في الحيوان ؛ فكعلم النحل في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾^(١).

وقد مضى قبل قليل قول الصادق عليه السلام : «نحکم بحکم الله ، وحکم داود ، وحکم محمد صلی الله علیه وآله ، فإذا ورد علينا ما ليس في كتاب عليّ عليه السلام ، تلقانا به روح القدس ، وألهمنا الله الهاماً» والإلهام جعل إلهي تكويني ، بلا آلة وكسب ونظر ، نتیجته العلم الحضوري .

العلم الحضوري ، أشرف العلوم طرّاً ؛ كونه منزهاً عن الوساطة الخارجية ؛ فليست الإحاطة بهذا العلم بالتّي تحتاج إلى انتزاع صورة المعلوم من الخارج لترسخ في الذهن فيحصل العلم ، كما في العلم الحسولي ..

كما أنّه ليس بحاجة لوساطة الملك الخارجية ، ليوحى إليه ، وإنّما هي ، كما بيّنا سابقاً ، واسطة داخلية متّحدة مع ذات المعصوم عليه السلام ، بل هي عين حقيقة المعصوم ، يُلهم من خلالها ما يفيض عن الله تعالى من العلم ؛ يدلّ عليه قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ إذ أجمع علماء الفريقين أنّه ليس وحياً بوساطة الملك ؛ فتعيّن روح القدس ؛ ولا ثالث ، وما قيل من أنّه صوت أحدثه الله سبحانه في شجرة ، لم يثبت عندي .

وقول الباقر عليه السلام في الأخبار الصحيحة الماضية : «منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيه ، ما صعد إلى السماء ، وإنّه لفينا» ناهيك عن أخبار الخمسة أرواح الثابتة ، دليل قطعيّ على اتحاد روح القدس مع ذات المعصوم تكويناً ، بجعل إلهي تكويني .

زبدة الفصل :

أولاً : لا ينزل جبرائيل بشريعة على غير الأنبياء الرسل ، وهم خمس وعشرون رسولاً لا غير ، ذكرهم القرآن جميعاً ، وأمّا الأوصياء فمحال ؛ لاستلزام تعدد الشرائع .

ثانياً : لا يوحى بشريعة شاملة كاملة ، إلاّ لأولي العزم الخمسة من الرسل .

ثالثاً : لا مانع من نزول جبرائيل على الأوصياء بغير شريعة ، بوصف كونه ملكاً مسدداً مؤيداً أو صائناً للشريعة السابقة ، كما نزل على مريم وأم موسى وفاطمة عليهن السلام ، ناهيك عن بقية الأوصياء عليهم السلام كالخضر وطالوت .

رابعاً : لا يرى ويسمع جبرائيل ، بوصف كونه وحياً ، إلاّ أولو العزم من الرسل ، ويحتمل مجموع الرسل الخمس والعشرين .

خامساً : ، أمّا الأنبياء غير الرسل ، فتحقق العلم عندهم ، وهو علم حضوري للذي ، من طريقتين : إمّا السماع وإمّا النكت في القلب ، وهو الإلهام .

سادساً : الأصل في تحقّق العلم عند الأوصياء ؛ كالأئمة المعصومين ، النكت في القلوب ، وربما تحقّق السماع من دون معاينة .

سابعاً : تحقّق العلم للذي الحضوري عند الأوصياء بالنكت في القلوب وهو الإلهام ، لا واسطة فيه سوى روح القدس المجعولة في ذات المعصوم تكويناً ، بل إنّ جبرائيل نفسه لا يتحقق عنده العلم للذي إلاّ بالنكت في قلبه أي روحه وذاته ، وما كان بغير واسطة أشرف ممّا كان بها .

ثامناً : المعصوم بوصف كونه بشراً يحتاج واسطة جبرائيل ، وقد بسطنا في هذا سابقاً .

الفصل الرابع

علم المعصوم وعلم العرش

المبحث الأول

العرش حقيقة واحدة لها حيثتان !!

كلا الحثيتين ثبتا بالأخبار المعتمدة ، فيما سترى ؛ وإنّا قدمنا الكلام في هذا الفصل عن حيثيتي العرش ؛ دفعاً لكثيرٍ من الوهم والتشتت عند أهل العلم فضلاً عن العوام ؛ فبعض العلماء أنهى العرش إلى ستة معاني ، وبعضهم خمسة و... ، وفي هذا مسامحة شديدة ، بل إشكال ؛ إذ لا يوجد للعرش إلا معنى واحد ، وهو : العلم والقدرة اللدنيين في مرتبة المشيئة والفعل ، لكن له حيثتان ، هاك ما يجب استيعابه في المثال الآتي ..

لا ريب ولا شبهة أنّ الإنسان حقيقة واحدة ، هي : النفس الناطقة لا غير ؛ غاية الأمر لها حيثيتان ؛ فتارة :

الحيثية الأولى : ذاتٌ مجردة عن علائق المادة والجسم والجسد ، تسمى الروح .

الحيثية الثانية : ذاتٌ غير مجردة عن علائق المادة والجسم والجسد ، وهي : النفس .

ومقصود المناطق في قولهم : الإنسان حيوان ناطق . الحيثية الثانية أي : النفس الناطقة ، وهي الروح من حيث تعلقها بالبدن ، وعدم تجردها عن علائق المادة ؛ وإلاّ فحقيقة الإنسان الروح أو النفس لا غير ، وبتعبير المناطق : حقيقة النوع الفصل لا غير .

حقيقة العرش هي : علم المشيئة الأولى ، وله حيثتان :

الأولى : اسمٌ للعلم والقدرة اللدنيين في مرتبة المشيئة ، هذه هي حقيقة العرش عظّمه الله سبحانه لا غير .

الثاني : الصورة والهيئة ؛ نظير البدن العارض على حقيقة الإنسان (=الروح).

الحيثية الأولى: الحقيقة .

قال المازندراني (١٠٨١ هـ) رضي الله عنه في شرح الكافي : عرش الواجب، يعني: علمه المتعلق بالموجودات^(١).

فحقيقة العرش هو : علم الله تعالى وقدرته في مرتبة الفعل والمشيئة؛ أي علمه الذي تعلق بها أراد إيجاده وخلقه سبحانه إلى يوم القيامة ، لا علمه القديم الذي هو عين ذاته . والعرش بهذا المعنى حادث؛ لتعلقه بالفعل والمشيئة ، وهما حادثان دون خلاف .

يدلّ عليه في الأخبار القطعية ، صحيح عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «السموات والأرض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو : العلم ، الذي لا يقدر أحدٌ قدره»^(٢).

والأخبار القطعية الواردة في حملة العرش؛ سيما قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ هو هذا المعنى ؛ أي حملة هذا العلم الأقدس، وإنّا صنفنا هذا الفصل لأجل فهم عويصات هذا ومغلقاته .

وننبّه أنّ العرش بمعنى الصورة والهئية مخلوق مقدرّ في السماء السابعة أو دونها ، أمّا العرش بمعنى العلم فأرفع وأعلى وأشرف من السماء السابعة ، كونه كما ثبت في الصحاح ، غيباً مكنوناً لا يحيط بكلّه غير الله سبحانه وتعالى ، وإنّا يفيض الله تعالى بعضه على المعصومين على ما يقضي به لطفه وحكمته ورحمته سبحانه وتعالى .

الزبدة : حقيقة العرش : علم الله المكنون ، المتعلق بالمشيئة ؛ أي بما شاء إيجاده إلى يوم القيامة ، لا يحيط به أحد من الخلق إلاّ إذا شاء الله سبحانه ؛ لأنّ الله : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ على ما تقضي به حكمته .

(١) شرح الكافي(ت: علي عاشور) ٦: ٣٢ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢) التوحيد (ت: هاشم الطهراني): ٣٢٧ . جماعة المدرسين ، قم .

الحَيْثِيَّةُ الثَّانِيَّةُ : الصُّورَةُ (=الهيئة).

العرش بهذا المعنى (=الحَيْثِيَّةُ) هو : الهيئة النوريَّة الخارجِيَّة ، خلقه الله تعالى فوق السماء الرابعة ، أو في السماء السابعة ، أو السادسة على اختلاف الأخبار ، له أربعة قوائم من نور ، كما ورد في الأخبار الثابتة ..

منها : صحيح عاصم بن حميد الحنَّاط ، قال : ذاكرت أبا عبد الله الصادق عليه السلام ، فيما يروون من الرؤية^(١)؟! .

فقال عليه السلام : « الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش... » وسيأتي تحريجه .

وصحيح أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه ، عن الباقر عليه السلام قال في حديث العرش : « الله خلقه أربعاً ، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء الهواء والقلم والنور ، ثم خلقه من ألوان أنوار مختلفة... »

ناهيك عن الأخبار الثابتة أنّ هيئة العرش الخارجِيَّة ، قوائم نوريَّة أربع ، فسيأتي في الأخبار الثابتة أنّه مربع كتربيع الكعبة في الدنيا ، وكالبيت المعمور في السماء الرابعة . والمقصود بالأخبار الواردة المتواترة ، أنّ الملائكة عليهم السلام يطوفون حول العرش يسبحون ويستغفرون ، هو هذا المعنى .

كما سيأتي أنّ العرش ، بهذا المعنى خلقه الله تعالى في السماء السابعة أو دونها ، وهو صورة المشيئة الأولى ؛ أي : جملة ما شاء الله إيجاده .

وليس المقصود بالهيئة والصورة في عالم الجبروت والسماء السابعة ، الجسم والأبعاد بالضرورة ، وإنّما حدّ الوجود وفقره وأنّه حادثٌ مخلوقٌ ؛ بدهاء أنّ الحدّ أعم من حدّ الجسم ؛ فيتناول كلّ مخلوق وإن لم يكن جسماً .

(١) يقصد ما يرويه أهل السنة من رؤية الله تعالى .

الحاصل :

حقيقة العرش : اسمٌ للعلم والقدرة اللدنيين في مرتبة المشيئة .

ولك أن تقول : هو علم الله تعالى الإجمالي ، بما أراد الله إيجاده وتكوينه إلى يوم القيامة ، وهو عين القدرة ، لكن في مرتبة الفعل والمشيئة .

ثبت كلٌ هذا في الأخبار القطعية ، كما قد ثبت في الأخبار القطعية الأخرى ، أنّ المعصوم ، نبياً أم ملكاً ، حاملٌ لهذا العلم حملاً إجمالياً لا تفصيلاً^(١)؛ من هذه النصوص قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ ﴾ وسيأتي البيان ..

(١) إننا صنفنا كلّ هذا الكتاب ، لفهم هذا المعنى الوارد في أخبار أهل البيت عليهم السلام ، وهو العلم الإجمالي وفرقه عن التفصيلي ، بل قد أفردنا فصلاً كاملاً لبيان ذلك ، فانتظر .

غرض الله سبحانه من حيثية العرش الثانية !!

لكن ثمة تساؤل : ما غرض الله سبحانه وتعالى أن يجعل للعرش حيثيتان وجوديتان ، هما : الحقيقة ، والصورة ، كما في حيثيتي الإنسان : روحه وبدنه ..

قلنا : كلّ هذا لأجل الإنسان ، وبيان هذا يتوقف على فهم أمور ، أهمّها :

أولاً : إنّ الإنسان لا يستكمل ما يريد الله سبحانه وتعالى منه ، إلاّ بالبدن ، والبدن وإن كان عارضاً على حقيقة الإنسانيّة (الروح=النفس الناطقة) إلاّ أن هذه النفس لا تخرج من القوّة الى الفعل في عالم الدنيا إلاّ بالبدن والصورة ، والصورة هي هنا تعني الهيئة .

ثانياً : هذا البدن لا يمكن أن يدوم في عالم التكليف ، إلاّ إذا سخرّ الله سبحانه وتعالى كلّ ما في الوجود المادي ، من شجر ومطر وحجر ومدّر وثمر ، وشمس وقمر وفلك ، وغير ذلك ممّا سخرّ الله تعالى ، ومردّد الجميع إلى الأصول الوجوديّة الملكوتيّة الأربعة وهي : الهواء والماء والنار والتراب كما هو صريح النصوص القطعيّة الآتية ..

ثالثاً : يستحيل وجود العالم الماديّ الأدنى ، وهو عالم الدنيا ، لولا أنّه مدبّر من العالم الأشرف الأعلى ، وهو عالم الملكوت ، كذا قضى الله سبحانه .

رابعاً : كلّ ما في عالم الملكوت ، موجود في العرش الذي بمعنى الهيئة ، وجوداً تدبيرياً لدوام إستكمال النفس الناطقة أفاعيلها في دار المادّة والتكليف .

الحاصل : العرش بمعنى الهيئة ، هو : أصل الوجود الدنيوي المادي ، وسيأتي البيان في نصوص أهل البيت عليهم السلام ، كما أنّ العرش بمعنى العلم والقدرة ، هو أصل وجود الأرواح ، ولا يسعنا البسط .

الغرض من هذا الفصل؟!!

الغرض من هذا الفصل بيان أمور:

الأول: هل المعصوم حاملٌ لكلّ العرش؛ أي حاملٌ لكلّ علم الله تعالى في مرتبة الفعل، وهو العلم بما شاء الله إيجاده من مخلوقاته إلى يوم القيامة، أم أنّ المعصوم، لا يعلم من هذا العلم إلاّ بعضه؟!.

مع التأكيد أنّ هذا العلم لدنيّ، يتحقّق عند المعصوم بروحه القدسيّة، وهو ما تعلقّ به ما شاء الله خلقه إلى يوم القيامة، أمّا علم الذات الأحديّة الذي هو عين الذات؛ فهذا لا يحيط به غير الله تعالى؛ لامتناع إحاطة المحدود بغير المحدود.

الثاني: من هم حملة العرش، أهم من البشر، أم من الملائكة، أم مجموعهما، حسب عالم كلّ منهما؟! سيأتي التفصيل.

الثالث: ورد في النصوص الصحيحة أنّ الكرسي أيضاً علم لدنيّ، فما فرقه عن علم العرش، وهل له حملة كما للعرش، أم ماذا، وأيضاً هل له حيثيتان كما للعرش؟!!

الرابع: حيثيّة العرش الثانية التي بمعنى الهيئة والصورة، فيما هو معلوم ضرورة عند الفريقين سنّة وشيعة، ذات مخلوقة من نور العظمة، بل هو جُملة الخلق إلى يوم القيامة، في حين أنّ العرش كما ثبت في النصوص القطعيّة عن أهل البيت عليهم السلام هو: العلم، فكيف يجمع بينهما..

قلت: أوضحنا هذا في الجملة، أوّل الفصل، وأتمها حيثيتان، وسيأتي مزيد بيان..

الخامس: وهو مطلبٌ ربما حارت فيه عقول وتاهت فيه أحلام، خلاصته: هل سيّد الخلق محمد أشرف من العرش، كما هو إجماع الفريقين أنّ محمداً سيّد الخلائق؛ أم أنّ العرش أشرف من النبيّ، أم ثمة تفصيل في الأمر؟!.

قلنا : ما يهتَمنا في هذا الكتاب ، العرش بمعنى العلم ، والأمر الخامس يدور هذا المدار ..؛ والحقّ فإنّ أهمّ أغراض هذا الفصل بيان هذا ؛ فالعرش فيما قدّمنا له معنيان :
المعنى الأوّل : العلم .

والمعنى الثاني : الهيئة النوريّة المربّعة التي في السماء السابعة أو دونها .

وننبّه ، كما هو المستفاد من الأخبار المعتبرة ، أنّ العرش على المعنى الثاني هو : جملة الخلق ، فهو اسم جامع لكلّ ما خلق الله تعالى إلى يوم القيامة ؛ فكّل ما خلق الله تعالى إلى يوم القيامة ، موجودٌ في العرش بنحو جبروتيّ أشرف بسيط، قبل أن يخلق الله تعالى عالم الدنيا ، ومن ذلك وجود نبينا محمد نوراً مخلوقاً في عالم العرش ، قبل أن يخلق الله سبحانه عالم الدنيا بكذا الف سنة .

هاك البيان والتبيان والبرهان لكل ما ذكرناه أعلاه ..

خبر المفضل في معني العرش

الأخبار في معني العرش الأنفين : هيئةٌ نوريّةٌ مربعة ، حقيقتها العلم والقدرة في مرتبة الفعل ..

قلت : الأخبار في هذا ثابتة قطعياً ، بل معلومة ضرورة عندنا ، سنسرد بعضها في طيات هذا الفصل ، وإنّا ابتدأنا بخبر المفضل كونه قد جمع المعنيين أو الحثيتين سواء.

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) في معاني الأخبار ، وقد احتجّ بمضمونه ، قال : حدثنا أحمد بن الحسن القطان ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحسيني قال : أخبرنا أبو جعفر أحمد بن عيسى بن أبي مريم العجلي ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن عبد الله بن زياد العزمي ، قال : حدثنا علي بن حاتم المنقري ، عن المفضل بن عمر قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما؟! .

فقال عليه السلام : «العرش في وجه هو : جُملة الخلق ، والكرسي وعاؤه ، وفي وجه آخر العرش هو : العلم...»^(١).

قلت : إسناده مجهول ، فيه من لم أعرفه .

لكنّه ربما يعتبر بالانجبار ؛ فلقد قال بمضمونه في الجملة دون التفصيل ، غير واحد من أصحابنا ، ابتداءً من الشيخ الصدوق فمن دونه ؛ مروراً بالفيز (١٠٩١هـ) في الوافي^(٢) والتفسير^(٣) ، وصاحب البحار^(٤) وغيرهم .

(١) معاني الأخبار (ت: علي غفاري) : ٣٠ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

(٢) الوافي (ت: ضياء الحسيني) ١ : ٤٩٧ . مكتبة الإمام علي ، أصفهان .

(٣) التفسير الأصفي ١ : ١٢٢ . مكتب الإعلام الإسلامي ، قم .

(٤) مرآة العقول ٢ : ٧٠ .

تصاريح أصحابنا في معني العرش

الشيخ الصدوق !!

قال في اعتقادات الإمامية رضي الله عنه : فأما العرش الذي هو : جُمْلَةُ الخلق^(١) ، فحملته أربعة من الملائكة

وأما العرش الذي هو : العلم ، فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين... ، هكذا روي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحمَلْتُهُ^(٢) .اهـ.

قلت : يدلّ على كون العرش جملة الخلق وآنه هيئة نورية خبر المفضّل الأنف وغيره ، أما المعنى الثاني وأنّ العرش هو العلم ، فالأخبار فيه قطعية ستأتي أيضاً .

الشيخ المفيد (٤١٣ هـ) !!

قال رضوان الله عليه : العرش في اللغة : هو الملك... ، فأما العرش الذي تحمله الملائكة ، فهو بعض الملك ، وهو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة ، وتعبّد الملائكة عليه السّلام بحمله وتعظيمه ، كما خلق سبحانه بيتاً في الأرض وأمر البشر بقصده وزيارته والحجّ إليه وتعظيمه ، وقد جاء الحديث : «إنّ الله تعالى خلق بيتاً تحت العرش سمّاه البيت المعمور تحجّه الملائكة في كلّ عام ، وخلق في السماء الرابعة بيتاً سمّاه الضّراح ، وتعبّد الملائكة بحجّة والتعظيم له . والطواف حوله ، وخلق البيت الحرام في الأرض ، وجعله تحت الضّراح .

وروي عن الصادق عليه السّلام أنّه قال : لو ألقى حجر من العرش ، لوقع على ظهر البيت المعمور ، ولو ألقى حجر من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام ، ولم يخلق

(١) جملة الشيء : الواحد المؤلّف من مجموع أجزائه بعد إلغاء خصوصيات الأجزاء ؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أجملوا في طلب الرزق » وكقولنا : جملة الحساب ؛ أي : من دون تفاصيله .

(٢) الاعتقادات (ت : عصام السيّد) : ٤٦ . دار المفيد ، بيروت .

الله عرشاً لنفسه ليستوطنه ، تعالى الله عن ذلك ، لكنّه خلق عرشاً أضافه إلى نفسه ، تكرمه له ، وإعظماً ، وتعبّد الملائكة بحمله ، كما خلق بيتاً في الأرض ولم يخلقه لنفسه ولا ليسكنه ، تعالى الله عن ذلك كلّهُ ، لكنّه خلقه لخلقه ، وأضافه لنفسه إكراماً له وإعظماً ، وتعبّد الخلق بزيارته والحقّ اليه .

فأمّا الوصف للعلم بالعرش ، فهو في مجاز اللغة دون حقيقتها ^(١) . اهـ .

قلت : ليس لدينا أيّ رواية عن أهل البيت عليهم السلام ، تذكر أنّ العرش بمعنى الملك يُحمل من قبل الخلق ، إلاّ مقبول حنان بن سدير الآتي ، وهو وإن كان صريحاً أنّ العرش بمعنى الملك ، لكن ليس فيه أنّه يحمل على هذا المعنى .

وإنّما العرش بمعنى العلم هو الذي يحمل ، كما سيأتي في الأخبار القطعيّة .

كما سيأتي في الأخبار المعتبرة الثابتة ، أن حملة العرش بمعنى العلم ، ثمانية عليهم السلام ، لكنّهم مختلفون باختلاف العوالم ؛ ففي عالم الدنيا ثمانية من البشر المعصومين ، وهم أنفسهم حملة العرش يوم القيامة بعد فناء الدنيا .

أمّا في عالم الجبروت والملكوت ، قبل قيام القيامة ، فهم ثمانية من الملائكة ، وأمّا في مجموع عالمي الملكوت والدنيا قبل الآخرة ، فأربعة من الملائكة وأربعة من البشر المعصومين عليهم السلام .

فلا منافاة بين الأخبار التي تذكر أن الحملة الثمانية الذين هم من البشر المعصومين عليهم الصلاة والسلام ، وبين الحملة الذين هم من الملائكة المقربين صلوات الله عليهم ؛ لاختلاف حقيقة كل عالم في شدّة الوجود وأشرفيّة وإجماله وتفصيله ، وقد أشرنا لجملة هذا المطلب في الفصل الأول من هذا الكتاب ، وسيأتي مزيد بيان في فصل العلم الإجمالي البسيط والتفصيلي المقيد بقيود دنيويّة .

(١) تفسير الشيخ المفيد (ت: علي أيازي) : ٣٩٢ . مكتب الإعلام الإسلامي ، قم .

معاني العرش عند الفيض عليه السلام

قال رضي الله عنه في الوافي : قد يراد بالعرش : الجسم المحيط بجميع الأجسام ، وقد يراد به : ذلك الجسم مع جميع ما فيه من الأجسام ، أعني : العالم الجسماني بتمامه . وقد يراد به : ذلك المجموع مع جميع ما يتوسط بينه وبين الله سبحانه من الأرواح والعقول التي لا تقوم الأجسام إلا بها ، أعني العوالم كلها بملكها وملكوتها وجبروتها . وبالجملة : ما سوى الله عز وجل .

وقد يراد به : علم الله سبحانه المتعلق بما سواه . وقد يراد به علم الله تعالى الذي أطلع عليه أنبياءه ورسله وحججه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ، وهو الذي فسر به في هذا الحديث وما بعده ، وقد وقعت الإشارة إلى كل منها في كلامهم عليه السلام .

وعن الصادق عليه السلام أنه سئل عن العرش والكرسي ما هما؟! .!

فقال عليه السلام : « العرش في وجه هو : جملة الخلق ، والكرسي وعاءه ، وفي وجه آخر العرش هو : العلم ... » . وقد ثبت أن العلم والمعلوم متحدان بالذات متغايران بالاعتبار فمعاني العرش كلها متقاربة ، وقوائمه عبارة عن أركان العالم ، أعني : ما كان بناء الخلق عليه ، وقد مرنا الإشارة إليها وإلى الموكلين بها في باب حدوث الأسماء ، وحملته عبارة : عن الأرواح الموكلة بتدبيره على المعاني الأول ، وعن حملة العلم على الأخيرين ويأتي شرحها إن شاء الله ...

وضمير هو في قوله عليه السلام : « وهو العلم » راجع إلى العرش لا النور الأبيض كما ظن ، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين ؛ لأن بنور العقل يكون أبصار القلوب وبها عاداه الجاهلون ؛ لأن الجهل منشؤه الظلمة التي هي ضد النور ، والمعادة إنما يكون بين الضدين ، وبها يتبغي الوسيلة إلى الله ؛ لأن كل شيء يرجع إلى أصله وغايته اللذين منها

نشأ ، ويطلبها ويتوسل بها، ومنشأ كل شيء النور المخلوق أولاً من نور العظمة ، كما مر بيانه مراراً^(١). اهـ.

قلت : قوله رضي الله عنه : (قد يراد بالعرش : الجسم المحيط بجميع الأجسام ، وقد يراد به : ذلك الجسم...، وبالجملة : ما سوى الله عز وجل) قد يحصل منه اللبس ؛ فتعيّن البيان..

نقول : العرش من عالم النور والجبروت ، وهو منزّه عن الجسميّة والمادّة ، فكيف صحّ إطلاق الجسم عليه؟!!

قلنا : يجب أن تعي أنّ كلّ عالم المادة والأجسام ، إنّما هو رتبة وجوديّة أدنى للعرش النوري ، فصحّ الاطلاق من هذه الجهة ، وعلى سبيل المثال سيأتي في النصوص الصحيحة أنّ البيت المعمور الذي هو في السماء الرابعة ، ما هو إلاّ رتبة وجوديّة أدنى للعرش النوري الذي هو في السماء السابعة ، كما أنّ الكعبة الشريفة في عالم الدنيا ، ما هي إلاّ رتبة وجوديّة دنيويّة أدنى للبيت المعمور .

معان العرش الستة عند المجلسي عليه السلام

قال رضوان الله عليه : الكرسي والعرش يطلقان على معان :

أحدها : جسمان عظيمان ، خلقهما الله تعالى فوق سبع سماوات ، وظاهر أكثر الاخبار أنّ العرش أرفع وأعظم من الكرسي ، ويلوح من بعضها العكس... ، مربعين ذاتي قوائم وأركان ، وربما يؤوّلان بالجهاث والحدود والصفات التي بها استحقا التعظيم والتكريم ، ولا حاجة لنا إلى هذه التكاليف ، وإنّا سمّيا بالاسمين لبروز أحكامه وتقديراته من عندهما ، وإحاطة الكرويين والمقربين وأرواح النبيين والأوصياء بهما ، وعروج من قربه من جنبه إليهما ، كما أن أوامر الملوك وأحكامهم وآثار سلطنتهم وعظمتهم تبدو منهما ، وتطيف مقربوا جنبهم وخواص ملكهم بهما ، وأيضا لما كانا أعظم مخلوقاته الجسانية وفيهما من الأنوار العجيبة والآثار الغريبة ما ليس في غيرها من الأجسام ، فدلالتهما على وجوده وعلمه وقدرته وحكمته سبحانه أكثر من سائر الأجسام ، فلذا خصا بهذين الاسمين من بينهما ، وحملتهما في الدنيا جماعة من الملائكة كما عرفت ، وفي الآخرة إما الملائكة أو أولوا العزم من الأنبياء مع صفوة الأوصياء عليهم السلام كما عرفت ، ويمكن أن يكون نسبة الحمل إليهم مجازا لقيام العرش بهم في القيامة وكونهم الحكام عنده والمقررين لديه .

وثانيها : العلم ، كما عرفت إطلاقها في كثير من الاخبار عليه ، وقد مرّ الفرق بينهما في خبر معاني الأخبار وغيره ، وذلك أيضاً لأنّ منشأ ظهوره سبحانه على خلقه العلم والمعرفة ، وبه يتجلى على العباد ، فكأنّ عرشه وكرسيه سبحانه ، وحملتهما نبينا وأئمتنا عليهم السلام ؛ لأنّهم خزان علم الله في سمائه وأرضه ، لا سيما ما يتعلق بمعرفته سبحانه .

وثالثها : الملك ، وقد مرّ إطلاقها عليه في خبر حنان ، والوجه ما مرّ أيضاً .

ورابعها : الجسم المحيط ، وجميع ما في جوفه أو جميع خلق الله كما ذكره الصدوق رحمه الله ، ويستفاد من بعض الأخبار ، إذ ما من شيء في الأرض ولا في السماء وما فوقها إلّا وهي من آيات وجوده وعلامات قدرته ، وآثار وجوده وفيضه وحكمته ، فجميع

المخلوقات عرش عظمته وجلاله ، وبها تجلّى على العارفين بصفات كماله ، وهذا أحد المعاني التي خطرت ببالي الفاتر في قولهم عليهم السلام : «وارتفع فوق كلّ منظر» فتدبر .

وخامسها : إطلاق العرش على كل صفة من صفاته الكمالية والجلالية ؛ إذ كل منها مستقر لعظمته وجلاله ، وبها يظهر لعباده على قدر قابليتهم ومعرفتهم ، فله عرش العلم ، وعرش القدرة ، وعرش الرحمانية ، وعرش الرحيمية ، وعرش الوجدانية ، وعرش التنزه كما مر في خبر حنان وغيره .

وسادسها : إطلاق العرش على قلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وكمل المؤمنين ؛ فإنّ قلوبهم مستقر محبته ومعرفته سبحانه ، كما روي أن : «قلب المؤمن عرش الرحمن» وروي أيضاً في الحديث القدسي : «لم يسعني سمائي ولا أرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن» .

ثمّ اعلم أنّ إطلاقهما على بعض المعاني عند التصريح به ، أو إقامة القرائن عليه ، لا ينافي وجوب الإذعان بالمعنى الأول ، الذي هو الظاهر من أكثر الآيات والأخبار ، والله المطلع على الأسرار^(١) .

مناقشة المجلسي رضي الله عنه

قلت : في جلّ ما ذكره صاحب البحار وغير واحد من أصحابنا رضي الله عنهم تأمل ونظر ، بل إشكال ؛ كالآتي :

الإيراد الأول : قال رضوان الله عليه : (الكرسي والعرش يطلقان على معان : أحدها : جسمان عظيمان ، خلقهما الله تعالى فوق سبع سماوات...).

قلت : لا توجد رواية واحدة ، ولو ضعيفة الإسناد ، في كلّ كتب أصحابنا القدماء والمتأخرين ، تذكر أنّ العرش الذي هو فوق السماء السابعة ، جسمٌ .

وثانياً : العرش بمعنى الصورة والهيئة ، ذات مخلوقة في السماء السابعة ، كما هو صريح الشيخ المفيد وغيره من أصحابنا رضي الله عنهم ، أو دونها كما هو صريح بعض الأخبار المعتبرة^(١) ؛ في حين يقول شيخ مشايخنا المجلسي رضي الله عنه : (فوق سبع سماوات) وهذا منه رضي الله عنه غريب ؛ إذ ليس في أخبار أهل البيت ما ذكر .

ولعلّ المجلسي رضي الله عنه ، خلط بين العرش بمعنى الصورة والهيئة الذي في السماء السابعة أو دونها ، وبين حقيقة العرش الذي هو العلم والقدرة اللدنيين ، وهذا فوق السماء السابعة دون شك .

وقد تقول ، وهل يرد نفس الإيراد على الفيض في قوله : (قد يراد بالعرش : الجسم المحيط بجميع الأجسام ، وقد يراد به : ذلك الجسم مع جميع ما فيه من الأجسام...)

قلنا : الظاهر أنّ مقصود الفيض عليه السلام الرتبة الوجودية الجسميّة للعرش ؛ كرتبته التي في السماء الرابعة ، أو سماء الدنيا ، وإلّا فالعرش الذي هو فوق السماء السابعة ، ليس جسماً ، وإنّما وجود نوريٍّ مجرد ، حقيقته العلم والقدرة اللدنيين ؛ ضرورة أنّ الجسميّة والأبعاد من مختصات عالم الدنيا ، وكذا هي من مختصات عالم الملكوت لكن أبعاداً وأجساماً مقدارية

(١) سيأتي أنّ وجود العرش في السماء الرابعة ، لا ينافي وجوده في السابعة ؛ إنّما هو رتبة وجودية له .

مثاليّة ، أمّا عالم النور والجبوت ، فمجرّد عن الجسميّة بقسميها الحقيقي الخسيس ، والمقداري المثالي ، كما هو مسلّم عند الفيض وبقية أساطين الحكمة .

إذا اتّضح هذا يمكن أن يُعتذر للمجلسي رضي الله عنه ، أنه صرّح في موضع آخر أنّ العرش والكرسي جسمان لطيفان ؛ أي : من جنس الأبدان المكوّنة ، والأجسام المثاليّة المقداريّة ، لا أجساماً دنيويّة .

قال رضي الله عنه : اعلم أنّه يمكن إبقاء الحجب والأنوار على ظواهرها ، بأن يكون المراد بالحجب : أجساماً لطيفة مثل : العرش والكرسي يسكنها الملائكة الروحانيون ، كما يظهر من بعض الدعوات والأخبار^(١) .

قلت : ستأتي الأخبار القطعيّة أنّ للعرش النوري ، رتبةً وجوديّة أدنى ، هو البيت المعمور ، وهذا في السماء الرابعة من عالم الملكوت .

لكن بما أنّ كلامنا عن العرش الذي في السماء السابعة وما فوقها ، أوردنا هذا الإيراد ؛ فلقد خلط غير واحد بين الرتب الوجوديّة للعرش في العوالم ، وسيأتي مزيد بيان .

الإيراد الثاني : قال المجلسي رضي الله تعالى عنه : (ورابعها : الجسم المحيط...) .

يرد عليه ما أوردناه أعلاه ؛ إذ لا توجد ولا رواية واحدة في كتب أصحابنا القدماء والمتأخرين ، حتى لو كانت ضعيفة الإسناد ، تذكر أنّ العرش والكرسي جسمان محيطان . بل لم يرد هذا حتى في مصادر أهل السنّة .

الإيراد الثالث : قال المجلسي رضي الله تعالى عنه : (وسادسها : إطلاق العرش على القلب ... ، كما روي أن : «قلب المؤمن عرش الرحمن» وروي أيضاً في الحديث القدسي : «لم يسعني سمائي ولا أرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن» .)

يرد على هذا ، أن هذين الحديثين ، لم يؤثرا عن أساطين الحديث عند الفريقين سنة وشيعة ، قدماء ومتأخرين..؛ وفي بالي القاصر ، أول من استأنس بهما من أصحابنا صدر المتألمين رضي الله تعالى عنه في كتبه ، وتابعه على ذلك من جاء بعده ، كصاحب البحار وغيره رضي الله عنهم .

لكن في هذا إشكال قادح ؛ فهذان حديثان لا نعرف لهما أصلاً في كتب الفريقين ولا إسناد ، لم تروهما مصادر أهل القبلة القديمة ولا المتأخرة ..

الزبدة :

إفراد معنى شرعي للعرش ، وهو: قلب المؤمن ، أو : الجسم المحيط ، قبال معنى العرش الثابت في الأخبار ، إثبات حقيقة شرعية ، من دون دليل معتبر ، وهذا مشكّل جداً بل في غاية الإشكال ، وهل جاءت الفتن والخلط والخبط إلا من هذا الطريق؟!!!! .

النص أن الكرسي والعرش فوق السماء السابعة

روى الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران ، عن صفوان ، عن خلف بن حماد ، عن الحسين بن زيد الهاشمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاءت زينب العطاراة الحولاء إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله وبناته، وكانت تبع منهن العطر، فجاء النبي صلى الله عليه وآله ، وهي عندهنَّ.

فقال صلى الله عليه وآله : «إذا أتيتنا طابت بيوتنا». فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله. قال صلى الله عليه وآله : «إذا بعث ، فأحسني ، ولا تغشي ؛ فإنه أتقى وأبقى للخال». فقالت يا رسول الله : ما أتيت بشيء من بيعي ، وإنما أتيت أسألك عن عظمة الله عز وجل؟!.

فقال صلى الله عليه وآله : «جل جلال الله ، سأحدثك عن بعض ذلك...؛ إن هذه الأرض بمن عليها ، عند التي تحتها ، كحلقة ملقاة في فلاة قي^١ ، وهاتان بمن فيهما ومن عليها ، عند التي تحتها ، كحلقة ملقاة في فلاة قي^١ ، والثالثة حتى انتهى إلى السابعة وتلاهذه الآية : ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ والسبع الأرضين بمن فيهن ومن عليهن ، على ظهر الديك ؛ كحلقة ملقاة في فلاة قي^١ ، والديك له جناحان ، جناح في المشرق ، وجناح في المغرب ، ورجلاه في التخوم ، والسبع والديك بمن فيه ومن عليه على الصخرة ، كحلقة ملقاة في فلاة قي^١ ، والصخرة بمن فيها ومن عليها على ظهر الحوت ، كحلقة ملقاة في فلاة قي^١ ، والسبع والديك والصخرة والحوت بمن فيه ومن عليه على البحر المظلم ، كحلقة ملقاة في فلاة قي^١ ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم على الهواء الذاهب ، كحلقة ملقاة في فلاة قي^١ ، والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء على الثرى ، كحلقة ملقاة في فلاة قي^١ ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ .

(١) قي^١: بكسر القاف والياء المشددة : الأرض القفر الخالية .

ثم قال صلى الله عليه وآله : والسبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء والثرى بمن فيه ومن عليه عند السماء الأولى ، كحلقة في فلاة قي ، وهذا كله وسماء الدنيا بمن عليها ومن فيها عند التي فوقها كحلقة في فلاة قي . وهاتان السماءان ومن فيهما ومن عليهما عند التي فوقهما كحلقة في فلاة قي ، وهذه الثلاث بمن فيهن ومن عليهن عند الرابعة كحلقة في فلاة قي حتى انتهى إلى السابعة .

ثم قال صلى الله عليه وآله : «وهن ومن فيهن ومن عليهن عند البحر المكفوف عن أهل الأرض ، كحلقة في فلاة قي ، وهذه السبع والبحر المكفوف عند جبال البرد كحلقة في فلاة قي وتلا هذه الآية : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند الهواء الذي تحار فيه القلوب ، كحلقة في فلاة قي ، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء عند حجب النور ، كحلقة في فلاة قي ، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهواء وحجب النور عند الكرسي ، كحلقة في فلاة قي ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ .

ثم قال صلى الله عليه وآله : «وهذه السبع ، والبحر المكفوف ، وجبال البرد ، والهواء ، وحجب النور ، والكرسي ، عند العرش ، كحلقة في فلاة قي وتلا هذه الآية : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾» .

قلت : إسناده حسنٌ صحيح ، رجاله ثقات ، إلا الهاشمي فلم يوثق ، لكن استظهر طائفة من العلماء حسن حاله كونه من أصحاب الكتب ، غير مطعون فيه ، على أن الخبر من رواية صفوان وهو من أصحاب الإجماع .

وقد أوردنا الخبر بتمامه ؛ كونه دليلاً ظاهراً في إثبات مراتب الوجود ، وأن لأصل الوجود حيثيتين هما : الحيثية الحقيقية ، والحيثية الهيئانية الصورية .

وأياً كان ، فالخبر صريحٌ أيها صراحة ، أن العرش ، فوق السماء السابعة بخمسة مراتب ، هي : كما هو نصّ النبيّ الصحيح : (وهذه السبع) أي السماوات السبع (والبحر المكفوف ، وجبال البرد ، والهواء ، وحجب النور ، والكرسي) كلّها بمجموعها (عند العرش) كحلقة في فلاة قيّ.

يشهد له ما رواه الصدوق في التوحيد قال : حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال : حدثنا أبي، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال : سألت المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام، عن قول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾؟! .

فقال عليه السلام : «إنّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة ، قبل خلق السماوات والأرض...»^(١) .

قلت : إسناده مهمل أو مجهول ؛ فالأنصاري، وهو من رواه أهل السنّة ، مهمل عندنا ، سقناه شاهداً لمصحح صفوان رضي الله عنه .

للعرش معنيان فقط !!

كما نشير إلى أنّ لكلّ حيثيّة من حيثيتي العرش حملة ، فحملة العرش بمعنى العلم ، غير حملته بمعنى الهيئة ..

وهو زبدة ما قاله الفيض رضي الله عنه ؛ فلقد مضى قوله الشريف : وحملة العرش عبارة : عن الأرواح الموكلة بتدبيره على المعاني الأوّل ، وعن حملة العلم على الآخرين^(١).

الحاصل : ليس للعرش إلاّ معنيان ، وهما حيثيتان لا أكثر ، كما في حيثيتي وجود الإنسان وحقيقته ؛ ضرورة أنّ حقيقة الإنسان هي نفسه الناطقة لا غير ، وإنّما تلحظ هذه النفس تارة : بما هي روح فقط ، وهي حقيقته لا غير ، وأخرى بما هي متعلقة ببدن وصورة ، والكلام عين الكلام في العرش ؛ فله معنيان لهاتين الحثيتين ..

المعنى الأوّل : العلم والقدرة اللدنيّين .

وفي هذا أخبار ثابتة قطعياً ، سيأتي سردها في المبحث الأوّل من هذا الفصل ، وهذا المبحث هو ما يهم كتابنا ؛ إذ يجب أن نقف على حدود علم المعصوم بعلوم العرش ، وهذا العلم ، كما أكثرنا ، هو علم الفعل الذي تعلّق بمشيئة الله في الخلق والإيجاد ، وهو أعلى وأشرف وأرفع من السماوات السبع ، وقد مضى النّص الصحيح الصريح في هذا ، وحملة العرش بهذا المعنى هم حملة العلم .

والثاني : الهيئة النوريّة .

ولك أن تقول : صورة المشيئة الأولى التي تعلّقت بالخلق والإيجاد ، وأمّا كون العرش هو جملة الخلق كما ذكر الصدوق ، أو الملك كما ذكر المفيد ؛ ففي كلّ منهما خبر مجهول الإسناد ، لكنّها قد يكونان معتبران بالانجبار ؛ أو أنّ ما ذكره لازمٌ أخصّ للهيئة

(١) الوافي(ت: ضياء الحسيني)١: ٤٩٨ . مكتبة الإمام علي ، أصفهان.

النورية الحاوية لكل ما خلق الله بنحو أشرف ، وسيأتي بيان هذا بشيء من التفصيل ، آخر الفصل ، تحت عنوان مستقل .

وحملة العرش بهذا المعنى ، هم أهل التدبير صلوات الله عليهم ؛ كعزرائيل في قبض الأرواح ، وجبرائيل في نزول الأمر ، وميكائيل في نزول الظفر والنصر ، وإسرافيل في نزول المطر والقطر أو بالعكس ..

قلت : وما سوى ذلك من معاني العرش الأخرى ، لم يثبت في الأخبار الثابتة الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام ، بل حتى الضعيفة ؛ فلم يرد في أخبار الفريقين أنّ العرش جسم ، أو أنّه قلب المؤمن ، ونؤكد أنّ إثبات معنى للعرش ، من دون دليل ماثور عن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام ، في غاية الإشكال ؛ لأنّه إصاق بالشرعية ما ليس منها ، وهو تشريع محرم .

وربما يقال: المقصود بجملة الخلق ما يتناول الأجسام، كونها رتبة وجودية للعرش.

قلنا : هذا خلط للحابل بالنابل ، فالكلام عن العرش الذي خلقه الله سبحانه وتعالى قبل خلق السماوات والأرض ، وقبل الجنة والنار ، وليس كلامنا عن العرش في مرتبته الوجودية الأدنى ، على أنّ هذا أيضاً يحتاج إلى دليل صحيح في النقل ، فلا تغفل .

إذا اتضح هذا إجمالاً ، فلنعطف عنان البحث ليبيان حقيقة العرش وأنّه العلم والقدرة اللدنيين ، كالاتي ..

المبحث الثاني

العرش بمعنى العلم

العلم على مرتبتين : علم الذات وعلم الفعل

علم الله تعالى على قسمين في مرتبتين : شريفة وأشرف ؛ ضرورة أن الوجود إمّا ذات الله ، وإمّا فعله ومشيبته وقضاؤه وتكوينه : ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ولا ثالث ، وإلّا لزم وجود غير الله وغير قضاؤه ، وهو محال فصيح ، وشرك صريح ؛ فالعلم الذي تعلّق بذاته ، الذي هو عين ذاته ، أشرف لتعلّقه بالخالق ، وأمّا ما تعلّق بإيجاد مخلوقاته وتديرها في مرتبة المشيئة فهو علم شريف قياساً بسابقه ..

المرتبة الأشرف : علم الذات .

العلم الأقدس الذي تعلّق بذات الله سبحانه وتعالى ، عين القدرة المحضّة والحياة الصرفة ، وبعبارة موجزة عين الذات الأحديّة . هذا العلم أشرف ؛ لعدم تعلّقه بغير الذات الأقدس ، وهو الوجود المطلق الذي لا حدّ له ؛ فالله تعالى عالمٌ قادرٌ حيٌّ ، أزلاً وأبداً وسرمداً ؛ فهو سبحانه عالمٌ بما كان ، وما يكون ، وما سيكون كيف سيكون .

المرتبة الشريفة : علم الفعل .

وهو : علم المشيئة والقدر والقضاء ؛ أي : علم الخلق والإيجاد ؛ وهو أدنى رتبة من سابقه ؛ لتعلّقه بالفعل ؛ أي بمشيئة الله في إيجاد الخلق ، والمشيئة فعل ، والفعل معلول للذات ، وبديهي أنّ العلة أشرف من المعلول ؛ ضرورة أنّ العلم في مرتبة الذات محضٌ لا حدّ له ، وفي هذه المرتبة محدود بحدود ما أراد الله سبحانه وتعالى إيجاداه وخلقه .

ربما يطلق على هذا العلم الشريف ، المتعلق بما أراد الله إيجاده : علم القضاء ، أو :
التقدير ؛ لقوله تعالى : ﴿ اَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ... ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي
كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^(١) .

وبملاحظة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
اَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾^(٢) ينجلي ما قلناه ..

فحقيقة العرش هو : العلم المتعلق بمشيئة الله تعالى في الإيجاد والخلق والتدبير ، من
مبدئه إلى منتهاه إلى يوم القيامة .

حقيقة العرش بعبارة أبين ، هو : مجموع العلم المتعلق بكل ما شاء الله إيجاده ، أي :
بما كان وما يكون وما سيكون حتى يوم القيامة ، ذاك المحيط بتدبير قاطبة مخلوقاته ،
المخلوقة ، والتي ستخلق ، من أول الإيجاد حتى قيام الساعة ، وسيأتي الدليل على هذا في
الأخبار الثابتة الآتية .

الزبدة : العرش - بأوجز عبارة - هو : علم المشيئة ، ولك أن تقول علم التقدير ، كما
لك أن تقول علم القضاء .

أي ما تعلق بمشيئة الله فيما كان وما يكون حتى يوم القيامة ، واللوح المحفوظ رتبة
وجودية أدنى للعرش بمعنى العلم ، وسيتضح المعنى قريباً .

(١) فصلت : ١٢ .

(٢) يونس : ٣ .

النص أنّ العلم على مرتبتين

روى الكليني رضي الله عنه ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن خالد الطيالسي ، عن صفوان بن يحيى ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم ... ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم ، وقع العلم منه على المعلوم ...»^(١).

قلت : إسناده قويّ معتبر ، رجاله ثقات إلّا الطيالسي ، فلم يوثق توثيقاً خاصاً ، لكن وثقه ابن قولويه في الكامل توثيقاً عاماً ، ولا إشكال فالمعنى في خصوص ما نحن فيه ضروريّ. وهو صريحٌ في علمين :

الأول : العلم الذي تعلق بالذات ، الذي هو عين الذات .

الثاني : العلم الذي تعلق بالمخلوق ، وهو علم الفعل والإيجاد .

قال السيّد الطباطبائي رضي الله عنه شارحاً : ذاته تعالى عين العلم بمعلومه ، ثمّ المعلوم إذا تحقق في الخارج ، كان ذات المعلوم عين علمه تعالى به ، ويسمّى الأول : العلم الذاتي ، والثاني : العلم الفعلي^(٢) .

قال ملا هادي السبزواري رضي الله عنه : علمه تعالى له مرتبتان : علم ذاتي ، في مقام الخفا والغيب المطلق ، وعلم فعلي في مقام الظهور والفعل^(٣) .

قلت : لا خلاف في مرتبتي العلم هاتين ، عند أهل القبلة ، كما أوضحنا ذلك في كتابنا البداء ؛ فارجع إليه إن شئت التفصيل .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٠٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الميزان ١٩ : ١٤٩ . جامعة المدرسين مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

(٣) شرح الأسماء الحسنی ٢ : ٢٦ . مكتبة بصيرتي ، قم .

التّص أنّ العرش هو : العلم

يدلّ عليه ما أخرجه الصدوق (٣٨١هـ) عليه السلام قال : حدثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدثنا عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؟!..

فقال عليه السلام : «السموات والأرض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو : العلم ، الذي لا يقدر أحدٌ قدره»^(١).

قلت : إسناده صحيح بإجماع .

وروى الكليني عليه السلام عن محمد بن يحيى ، عن أحمد ، عن ابن أبي نصر ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «العرش : العلم»^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، فالبنظري من أصحاب الإجماع ، لا يروي إلا ثقة .

وروى الكليني رضي الله عنه أيضاً ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : «العرش : اسم علم وقدره»^(٣).

قلت : إسناده صحيح .

وهو صريحٌ أنّ العرش : اسمٌ للعلم والقدرة اللدنيين، في مرتبة الفعل الأوّل . وهو عين المشيئة الأولى في إيجاد ما خلق سبحانه ، أنواعاً وأفراداً ..

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني): ٣٢٧. جماعة المدرسين ، قم.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) : ١ : ١٣١ . دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) : ١ : ١٣١ . دار الكتب الإسلامية، طهران.

النصّ أن العرش : اسمٌ للعلم والقدرة

يدلّ عليه صريحاً ، ما تقدّم عن الكليني ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، قال: سألتني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام ، فاستأذنته فأذن لي ، فدخل فسأله قال : قال : ﴿ وَتَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ تَمَازِينُهُ ﴾ وقال : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (١) !؟

فقال أبو الحسن الرضا عليه السلام : «العرش : اسم علم وقدرة ، وعرش فيه كلُّ شيء ، ثم أضاف الحمل إلى غيره ، خلقت من خلقه ؛ لأنه استعبد خلقه بحمل عرشه ، وهم حملة علمه ، وخلقاً يسبحون حول عرشه ، وهم يعملون بعلمه ، وملائكة يكتبون أعمال عبادته...» (٢).

وهو صريحٌ أنّ العرش هو : علم الله في مرتبة الفعل والإيجاد ، ولك أن تقول هو عين العلم والقدرة في مرتبة المشيئة ..

فهذا العلم : ليس هو علم الله المتعلّق بالذات ، الذي هو عين الذات ، وإثما هو علم الله سبحانه وتعالى المتعلّق بما أراد إيجاده وخلقه سبحانه ، ويطلق عليه كما أكثرنا ترسيخاً للفهم : علم الفعل ، أو : علم المشيئة ، أو : علم التقدير ، أو : علم القضاء ، أو : علم الخلق والإيجاد ، ما شئت فعبّر (٣) .

(١) غافر : ٧ .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٣١ . دار الكتب الإسلامية، طهران .

(٣) في الجملة دون التفصيل ، وإلاّ فتمّة فرق جوهرية بين علم المشيئة والإرادة والتقدير والقضاء ، وسيأتي بيانه تفصيلاً في رسالتنا عن القضاء والقدر ، وسنلمح للفرق في العنوان الآتي ، فلاحظ .

النص أن الكرسي هو العلم؟! .

روى الصدوق قال : حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا سعد بن عبدالله، عن القاسم بن محمد الأصفهاني ، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؟! .
قال عليه السلام : «علمه»^(١).

قلت : إسناده معتبر حسن ، تلقاه أصحابنا بالقبول .

ويجب التذكير أن العلم ههنا أحد معنيي الكرسي ، كما هو حال العرش ؛ فكما أن العرش له معنيان وحيثتان ، هما :
الأول : العلم .

والثاني : الذات النورية ، أو : الهيئة النورية .

الكرسي كذلك له معنيان : علم ، وذات نورية ؛ أو : ذات نورية حقيقتها العلم والقدرة .

لكن ما الفرق بين العرش والكرسي!!!؟

سيُضح أن الكرسي هو عين العرش ، لكن في رتبة وجودية أدنى .
فالعرش : ذات نورية ، حقيقتها العلم والقدرة في مرتبة المشيئة .
والكرسي : ذات نورية ، حقيقتها العلم والقدرة في مرتبة القدر .

ولا يسعنا البسط في هذا الآن ، سنبيته في رسائلنا حول القضاء والقدر إذا شاء الله سبحانه وتعالى .

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني): ٣٢٧. جماعة المدرسين ، قم.

صحيح ابن عباس : « كرسية : علمه »

أخرجه الإمام الطبري (٣١٠هـ) في تفسيره قال : حدثنا أبو كريب وسلم بن جنادة، قالوا حدثنا ابن إدريس، عن مطرف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وسع كرسية السماوات﴾

قال ابن عباس : « كرسية : علمه »^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات على شرط الشيخين . جعفر بن دينار الخزاعي ، وهو : جعفر بن أبي المغيرة ، ثقة لم يخرج له الشيخان ؛ صحح أحاديثه القدماء كالترمذي وغيره من أكابر أهل السنة .

قال الطبري : أمّا الذي يدل على صحته ظاهر القرآن ، فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عنه أنه قال: « هو علمه » . وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ على أنّ ذلك كذلك، فأخبر أنّه لا يؤوده حفظ ما علم وأحاط به ممّا في السموات والأرض، وكما أخبر عن ملائكته أنّهم قالوا في دعائهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾^(٢).

قال الإمام القرطبي مكّي بن طالب (٤٣٧هـ) في النهاية : قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ . قال ابن جبير ، عن ابن عباس: « كرسية : علمه » ، ودل على ذلك قوله: ﴿وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾^(٣).

(١) تفسير الطبري(ت: أحمد شاكر) ٥: ٣٩٧. رقم: ٥٧٨٧. مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) تفسير الطبري(ت: أحمد شاكر) ٥: ٤٠١. رقم: ٥٧٨٧. مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٨٤٧. كلية الشريعة، جامعة الشارقة.

وقال تاج القراء ، محمود بن حمزة الكرماني (٥٠٥هـ) : وَسِعَ كُرْسِيُّهُ هو السرير دون العرش، وقيل: كُرْسِيُّهُ ملكه. وقيل: قدرته. وقال ابن عباس: «كُرْسِيُّهُ علمه» والكراسة منه، لما فيها من العلم. والكرسي: العالم^(١).

قلت : لاحظ خبط العلماء في تعيين معنى الكرسي أو العرش ؛ فمرد اختلافهم في معناهما ، عدم التمييز بين حيثيتي الكرسي والعرش ؛ فكون الكرسي بمعنى الملك ، أو الصورة ، لا ينافي كونه بمعنى العلم والقدرة ..

بالضبط كما أنّ الإنسان بمعنى الصورة والهيئة ، وهو : الماشي على رجلين الضاحك المتكلم ، لا ينافي أنّ حقيقته : نفس ناطقة ، وروح مجردة لا غير .

النص أن الكرسي ذات نورية !!

قلنا : إن الكرسي : ذات نورية حقيقتها العلم والقدرة .

يدل عليه ما رواه الكليني رضي الله عنه ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن عاصم بن حميد ، قال : ذكرت أبا عبد الله عليه السلام ، فيما يروون من الرؤية؟! .

فقال عليه السلام : « الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر..؛ فإن كانوا صادقين فليملثوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب» .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات دون كلام .

وهو صريح أن العرش أشرف من الكرسي ؛ ضرورة أن الأشد نوراً هو الأشرف وجوداً ؛ كونه الأقرب إلى ساحة القدس ، الأبعد عن قيود الفقر .

والخبر بضميمة ما تقدم في هذا المبحث ، صريح أن كلاً من العرش والكرسي : هيئة نورية وصورة ملكوتية ، حقيقتها العلم والقدرة ؛ غاية الأمر أن هيئة العرش أعظم نوراً ، وأشد وجوداً من الكرسي ، كما أن علم العرش أوسع وأغيب وأقدس من علم الكرسي ، كما هو صريح النصوص الثابتة الآتية ..

يشهد لذلك وأن الكرسي ذات نورية ، ما أخرجه القمي في تفسيره قال : حدثني أبي ، عن إسحاق بن الهيثم ، عن سعد بن ظريف ، عن الأصبغ بن نباتة أن علياً عليه السلام سئل عن قول الله عز وجل : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾؟! .

قال عليه السلام : «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وما فيها من مخلوق ، في جوف الكرسي ،

وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله :

فأما الملك الأول: ففي صورة الأدميين ، وهي أكرم الصور على الله ، وهو يدعو الله ، ويتضرع إليه ، ويطلب الشفاعة والرزق لبني آدم.

والملك الثاني : في صورة الثور ، وهو سيد البهائم ، وهو يطلب إلى الله ، ويتضرع إليه ، ويطلب الشفاعة والرزق لجميع البهائم.

والملك الثالث : في صورة النسر ، وهو سيد الطير ، وهو يطلب إلى الله ، ويتضرع إليه ، ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطير.

والملك الرابع : في صورة الأسد ، وهو سيد السباع ، وهو يرغب إلى الله ، ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع، ولم يكن في هذه الصور أحسن من الثور ، ولا أشد انتصاباً منه ، حتى اتخذ الملأ من بني اسرائيل العجل إلهاً، فلما عكفوا عليه وعبدوه من دون الله ، خفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياءً من الله أن عبد من دون الله شيء يشبهه ، وتخوف أن ينزل به العذاب....

قلت : رجاله ثقات ، إسحاق بن الهيثم وثقه القمي في تفسيره .

سيأتي البيان في هذا الفصل أن هؤلاء الملائكة الأربعة صلوات الله عليهم ، هم ملائكة تدبير عالم الدنيا برمته ، وقد تقول : فأين ملائكة تدبير النبات !!!؟

قلنا : هم نفس هؤلاء ، للأولوية ؛ ضرورة أن تدبير الأعلى وجوداً وهو الحيوان ينطوي على تدبير الأدنى ، أو يتضمّنه ، فاحفظ .

النص أن علم العرش أعظم من علم الكرسي

مضى صحيح عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؟! .

فقال عليه السلام : «الساوات والأرض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو : العلم ، الذي لا يُقَدَّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ»^(١).

وهو صريحٌ أنّ علم العرش أعظم من علم الكرسي وأشرف وأبسط، ومعنى: (لا يقَدَّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ) لأنه من علم الغيب المكنون الذي منه البداء والمحو والإثبات ، وهذا لا يقدره ويحدّه ويعلمه ويحيط به غيره تعالى ، إلا إذا شاء سبحانه أن يطلع رسله على بعضه : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ .

ولا يختلطنّ عليك فهذا العلم ، وإن كان من علم الغيب المكنون الذي مبدؤه من الذات معلولاً لها، لكنّه ليس علم الذات الذي هو عين الذات ، وإنما علم الفعل والمشيئة ؛ ضرورة أنّه تعلق بمخلوقاته ، وليس بذاته سبحانه ، وهذا العلم : حتمٌ لا تعليق فيه .

أما علم الكرسي ، فهو العلم المقدر ، وهو أيضاً من الغيب المكنون ، لكنه مبذول للأنبياء والأوصياء والملائكة ؛ كالكتوب في اللوح المحفوظ أو لوح القدر والقضاء ، وهذا ليس حتماً ؛ لاحتمال طرؤ البداء عليه والمحو والإثبات ؛ فإذا شاء الله سبحانه بمقتضى رحمته وحكمته أمضاه وإن شاء محاه .

ونشير إلى أنّ علم العرش ، علم إجمالي ، وليس المقصود بالإجمالي المبهم ، وإنما : البسيط ؛ أي : المنزّه عن التفصيل والحدود والتقدير ، أما علم الكرسي فهو تفصيلي مقدر ، قياساً بعلم العرش وسيأتي البسط في فصل العلم الإجمالي .

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني): ٣٢٧. جماعة المدرسين ، قم.

خبر حنان بن سدیر شاهداً

يشهد لما قلناه آنفاً ما أخرجه الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثنا الحسين بن الحسن، قال: حدثني أبي، عن حنان بن سدیر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي، فقال: إنَّ للعرش صفاتاً كثيرةً مختلفة، له في كل سبب وضع في القرآن صفة على حدة فقوله: ﴿رب العرش العظيم﴾ يقول: الملك العظيم، وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ يقول: على الملك احتوى...، ثم العرش في الوصل متفرد من الكرسي؛ لأنَّها بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان :

لأنَّ الكرسي هو : الباب الظاهر من الغيب ، الذي منه مطلع البدع^(١)، ومنه الأشياء كلّها.

والعرش هو : الباب الباطن ، الذي يوجد فيه علم الكيف ، والكون ، والقدر ، والحد ، والأين ، والمشية ، وصفة الإرادة ، وعلم الألفاظ والحركات والترك ، وعلم العود والبدء^(٢) ، فهما في العلم بابان مقرونان ؛ لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي^(٣) ، وعلمه أغيب من علم الكرسي، فمن ذلك قال: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ أي صفته أعظم من صفة الكرسي ، وهما في ذلك مقرونان.

قلت: جعلت فداك ، فلم صار في الفضل جار الكرسي؟! .!

(١) البدعُ ، مصدر بدع ، أي : أوجد على غير مثال سابق . وقوله عليه السلام : (مطلع البدع) أي أنّ عالم الكرسي مصدر إيجاد ما أبدع الله في العوالم الأدنى من الكرسي ؛ وهما عالمان مادّيان : عالم المادة المثاليّة وهو عالم الملكوت ، وعالم المادة الخسيسة وهو عالم الدنيا .

(٢) في نسخة البدء ، والمعنى واضح .

(٣) أي ملك العرش أعظم من ملك الكرسي وأشرف .

قال عليه السلام : «إنه صار جاره ؛ لأنّ علم الكيفوية فيه، وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيتها، وحدثتها وفتقها، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه ...»^(١).

قلت : مقبول ، وهذا الإسناد مجهول ، الحسين بن الحسن هو : ابن برد الدينوري ، لم أقف على حاله ، ولا حال أبيه فيما عندي من المصادر ؛ فليُنظر .

لكنّه غير متروك ، منجبر بأقوال العلماء ؛ فجّل أصحابنا رضي الله تعالى عنهم احتجوا بمضامينه ؛ سيما إطلاق لفظ الملك على العرش كما فعل شيخ مشايخنا المفيد رضي الله عنه ، ومستندهم الوحيد هو هذا الخبر .

الزبدة : الخبر ظاهرٌ في أمرين خطيرين :

الأوّل : علم العرش أشرف من علم الكرسي ، فذاك غيب باطن (=علم المشيئة) ، وهذا غيب ظاهرٌ (علم التقدير) فأين هذا من ذاك؟!

الثاني : مصدر ابتداء كلّ العوالم الأدنى هو عالم الكرسي ؛ فهذا العالم جبروتي ، وهو مصدر إيجاد كلّ عالم الملكوت ، كما أنّ عالم الملكوت مصدر أو علّة إيجاد عالم الدنيا .

وهو ظاهرٌ بل صريحٌ أنّ كلّ عالم علّة إيجاد لما دونه ، هذه هي : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ...، وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ .

ولكي تعي الفرق بين علمي العرش والكرسي جيّداً ، هاك هذا العنوان ..

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني): ٣٢٤. جماعة المدرسين ، قم.

الفرق بين علم العرش وعلم الكرسي

علم الغيب المتعلق بما شاء الله إيجاده على قسمين في مرتبتين ..

القسم الأول : علم الكرسي.

وهو علم الغيب الظاهر ، وهو المكتوب بقلم التقدير في اللوح المحفوظ أو غيره ، وقد ورد في النصوص الثابتة أنّ الله تعالى أذن للمعصوم أن يحيط به ؛ كقوله تعالى في شأن الخضر عليه السلام : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ فهذا هو عالم الكرسي أو من علم الكرسي .

بيد أنّ هذا العلم الشريف ، قد يعرض عليه البداء ، أي يكون فيه المحو والإثبات والتقديم والتأخير ، كما هو ظاهر خبر حنان السابق وغيره .

القسم الثاني : علم العرش .

وهو خصوص علم الغيب الباطن ، في مرتبة المشيئة الأولى التي تعلقّت بما شاء الله إيجاده إلى يوم القيامة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

علم العرش هذا، لا يعلمه إلاّ الله تعالى وحده ، لكنّه سبحانه قد يرتضي بعضه لبعض رسله على ما تقضي به حكمته ؛ لقوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾ .

وهو أشرف من علم الكرسي وأعظم؛ فمنه يصدر البداء والمحو والإثبات ، وأمّا علم الكرسي ففيه يتحقق البداء والمحو والإثبات ؛ فهو معلول له .

إذا اتضح هذا ، فالمعصوم عليه السلام ، لا يعلم بنحو الحتم إلاّ علم الكرسي ، وقد يأذن سبحانه للمعصوم ببعض علم العرش على ما تقضي به حكمته ورحمته ..

أمّا الغيب الذي تعلقّ بذاته سبحانه ، فهذا يمتنع إحاطة المخلوق به ؛ لامتناع إحاطة المخلوق المحدود بعلم الخالق غير المحدود .

وبالجملة : العلم على قسمين :

القسم الأول : علم الذات الأحديّة .

هذا كما أكثرنا ، هو علم الغيب المطلق الذي تعلّق بذات الخالق سبحانه ، وهذا لا يحيط به غيره عزّ ذكره ، وإلاّ انقلب المخلوق خالقاً ، والعبد ربّاً ، وهو محال بالأدلة الأربعة ، عقلاً ونقلاً وإجماعاً وضرورة .

القسم الثاني : علم الغيب المبذول .

وهو علم الغيب الذي تعلّق بما شاء الله سبحانه وتعالى إيجاده إلى يوم القيامة ، وهو في مرتبتين ، هما : مرتبة علم العرش ومرتبة علم الكرسي ، ومرتبة العرش أشرف .

وقد مضى بيان الفرق بين العلمين ، وأنّ علم الكرسي ممّا قد يطرأ عليه البداء والمحو والإثبات ؛ كونه مشروطاً معلقاً على ما يشاء الله سبحانه ، محكوماً بالمشيئة ، معلولاً في الوجود لعالم العرش .

وأما علم العرش ، فهو العلم الذي يصدر منه البداء ؛ كونه عين المشيئة ، وسيأتي البيان والتبيان في فصلٍ مستقل .

علم العرش وهو علم المشيئة ، وإن كان بعضه مبذولاً للمعصومين ، لكن خزائنه بيد الله الواحد الأحد سبحانه وتعالى ، يمتنع أن يحيط بها المعصوم ؛ ضرورة أنّ مشيئة الله غير محدودة بحدّ ، والمعصوم محدود ؛ ويمتنع إحاطة المحدود بغير المحدود ، بلى قد يحيط المعصوم ببعض علم المشيئة بإذن الله سبحانه ، على ما تقضي به رحمته وحكمته سبحانه .

أما علم الكرسي ، وهو علم اللوح ، فكّلّه عند المعصوم ، لكن قد يطرأ عليه البداء والمحو والإثبات والتقديم والتأخير .

النص أنّ علم المعصوم هو علم الكرسي

اتّضح جيداً أنّ الأصل في علم المعصوم هو : علم الغيب الذي أظهره الله سبحانه للمعصوم فعلاً فيه يكون البداء ويتحقّق ، وهو معلولٌ في الوجود لعلم العرش .
دَلّ على هذا ما تقدّم من خبر حَتّان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي؟! .

فقال عليه السلام : «...الكرسي هو : الباب الظاهر من الغيب ، الذي منه مطلع البدع ، ومنه الأشياء كلّها .

والعرش هو : الباب الباطن ... ، فأرسل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فكان الدليل على الله بأذن الله عز وجل ، حتى مضى دليلاً هادياً ، فقام من بعده وصيه عليه السلام دليلاً هادياً ، على ما كان هو دل عليه ، من أمر ربه ، من ظاهر علمه ، ثم الأئمة الراشدون عليهم السلام»^(١) .

يشهد لهذا في الصحاح المتواترة إجمالاً ، ما رواه روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن العمري بن عليّ ، جميعاً ، عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : «إنّ الله تبارك وتعالى علمنا أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله ، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه ، فقد علمناه . وعلمنا استأثر به ، فإذا بدا لله في شيء منه ، أعلمنا ذلك ، وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا»^(٢) .

قلت : إسناده صحيح دون كلام ، وهو النصوص القطعيّة سندلاً ودلالة .

وهو صريحٌ فصيحٌ فيما قلناه ، وستأتي النصوص القطعيّة في فصلٍ مستقل أنّ لله تعالى علمين ، وسيأتي ما يجب بيانه ..

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني): ٣٢٤ . جماعة المدرسين ، قم .

(٢) الكافي (ت: غفاري) : ١ : ٢٥٥ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

والأخبار في هذا المعنى قطعياً كثيرة ، منها : قول الصادق عليه السلام : «فبروح القدس يا جابر عرفوا : ما تحت العرش» ، إلى ما تحت الثرى» وهو صريح أن علم المعصوم ، لا يعدو الإحاطة بما تحت العرش ، وليس تحت العرش إلا علم الكرسي ، أما علم العرش وما فوقه ، فبيد الله تعالى إن شاء أمسك وإن شاء أعطى على ما تقضي به حكمته .

والعلمان : علم العرش ، وهو علم المشيئة ، وما تحت العرش ، وهو علم التقدير المكتوب في اللوح المحفوظ ، مجموعان في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْئِيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا (٢٣)﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﷻ والمعصوم محيط بكل ما في اللوح ، لكنه محكوم بالمشيئة .

كما أن لمجموع العلمين أصل قرآني هو : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦)﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﷻ^(١) .

خبر المفضل مقلوب المتن!!

أخرج الصدوق في معاني الأخبار ، واحتجّ بمضمونه في الجملة ، قال : حدثنا أحمد بن الحسن القطان، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحسيني قال: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن عيسى بن أبي مريم العجلي، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن عبد الله بن زياد العرزمي، قال: حدثنا علي بن حاتم المنقري، عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما؟!.

فقال عليه السلام : «العرش في وجه هو : جملة الخلق ، والكرسي وعاؤه ، وفي وجه آخر العرش هو : العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسي هو العلم الذي لم يطلع الله عليه أحداً من أنبيائه ورسوله وحججه عليهم السلام»^(١).

قلت : إسناده مجهول ، فيه من لم أعرفه.

لكنّه قد يعتبر بالانجبار الإجمالي ؛ فعلى الظاهر لم يتركه جلّ أصحابنا ، ابتداءً من الشيخ الصدوق فمن دونه ؛ مروراً بالفيض (١٠٩١هـ) في الوافي^(٢) والتفسير^(٣) ، وصاحب البحار^(٤) وغيرهم ، بل لم أجد من خالف.

هذا في الجملة ، أما التفصيل ، ففقد أحتمل غير واحد من الأساطين ، وهو الحقّ ، أنّ ذيل الحديث مقلوب المتن ؛ ففيه أنّ العرش هو العلم الذي أطلع الله أنبياءه وحججه عليه ، وأما الكرسي فهو ما حجبه عنهم سبحانه وتعالى ..

وهذا ينافي الأخبار الصحيحة أنّ علم العرش أعظم وأخفى وأبسط ، بل هو علم الغيب الباطن كما في خبر حنّان وغيره..

(١) معاني الأخبار(ت: علي غفاري) : ٣٠ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

(٢) الوافي(ت: ضياء الحسيني) ١ : ٤٩٧ . مكتبة الإمام علي ، أصفهان .

(٣) التفسير الأصفي ١ : ١٢٢ . مكتب الإعلام الإسلامي ، قم .

(٤) مرآة العقول ٢ : ٧٠ .

يشهد له في الأصول الصحيحة ، صحيح عبد الله بن سنان الأنف ، عن الصادق عليه السلام قال : «العرش هو : العلم ، الذي لا يُقَدَّرُ أحدٌ قَدْرَهُ» .

يشهد له أيضاً ما رواه الكليني رضي الله عنه بإسناده عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال عليه السلام : «الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر..؛ فإن كانوا صادقين فليملئوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحب» .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات دون كلام .

وهو صريحٌ أنّ علم العرش أشرف من علم الكرسي وأبسط ؛ ضرورة أنّ الأشدّ نوراً هو الأشرف ؛ كونه الأقرب إلى ساحة القدس .

وروى الصدوق قال : حدثنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الأسواري المذكر قال : حدثنا أبو يوسف أحمد بن محمد بن قيس السجزي المذكر قال : حدثنا أبو الحسن عمر بن حفص قال : حدثني أبو محمد عبيد الله بن محمد بن أسد ببغداد قال : حدثنا الحسين بن إبراهيم أبو علي قال : حدثنا يحيى بن سعيد البصري قال : حدثني ابن جريج عن عطاء ، عن عبيد بن عمير الليثي ، عن أبي ذر رحمة الله عليه قال : دخلت على رسول الله... ، قال صلى الله عليه : «يا أباذر ما السماوات السبع في الكرسي إلاّ كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة...»^(١) .

قلت : حديث صحيح ، وهذا الإسناد سنّي .

أخرجه ابن حبان (٣٥٤هـ) في صحيحه قال : أخبرنا الحسن بن سفيان الشيباني والحسين بن عبد الله القطان بالرقعة وابن قتيبة واللفظ للحسن قالوا : حدثنا إبراهيم بن

(١) الخصال(ت: علي غفاري): ٣٣٣. مؤسسة النشر الإسلامي، قم .

هشام بن يحيى بن يحيى بن الغساني ، قال : حدثنا أبي ، عن جدي ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر قال دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده

قال عليه الصلاة والسلام : «يا أبا ذر ، ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي ، كفضل الفلاة على الحلقة...»^(١).

قال الألباني : اعلم أنه لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث^(٢).

الزبدة : الحديث مقلوب المتن .

(١) صحيح ابن حبان(ت: الأرئوط) ٢: ٧٧، رقم: ٣٦١. مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) موسوعة الألباني في العقيدة(ت: شادي نعمان) ٧: ٧٠٥. رقم: ١٠٨٠. مركز النعمان ، اليمن .

المبحث الثالث

من هم حملة العرش؟!.

حملة العرش ، هم حملة العلم ؛ لما مرَّ أنّ حقيقة العرش : علم وقدرة لدينين..

يدلُّ عليه ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «حملة العرش -والعرش العلم- : ثمانية ، أربعة منّا ، وأربعة ممّن شاء الله»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، فالبنظري من أصحاب الإجماع ، لا يروي إلا ثقة .

وأخرج الصدوق عليه السلام (٣٨١هـ) في الأمالي والعيون قال : حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنه قال: حدثنا الحسين بن محمد بن عامر ، عن عمّه عبد الله بن عامر ، عن سليمان بن حفص المروزي قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: من زار قبر ولدي علي كان له عند الله تعالى سبعون حجة مبرورة قلت: سبعون حجة؟! قال: نعم وسبعون ألف حجة ثم قال: رب حجة لا تقبل ومن زاره أو بات عنده ليله كمن زار الله تعالى في عرشه قلت: كمن زار الله في عرشه؟!.

قال عليه السلام : «نعم إذا كان يوم القيامة ، كان على عرش الله تعالى أربعة من الأولين ، وأربعة من الآخرين، فأما الأولين : فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأما الأربعة الآخرون : فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم»^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات.

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٣١ . دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) عيون الأخبار (ت: حسين الأعلمي) ١ : ٢٩ . مؤسسة الأعلمي، بيروت.

وأخرج الصدوق : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال : حدثنا سعد ابن عبد الله ، عن القاسم بن محمد الأصبهاني ، عن سليمان بن داود المنقري ، عن حفص بن غياث النخعي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إنّ حملة العرش ثمانية ، لكل واحد منهم ثمانية أعين ، كلّ عين طباق الدنيا»^(١).

قلت : إسناده حسن ، رجاله ثقات إلا القاسم الأصفهاني ، وهو من أصحاب الكتب ترجم له الشيخ الطوسي في الفهرست دون طعن ، كما قد صحح العلامة طريق الصدوق وهو فيه ، بل إنّ الصدوق عليه السلام ، جزم بصحة الإسناد في كتاب الاعتقاد .

قال الصدوق رضي الله تعالى عنه في كتاب الاعتقاد : فأما العرش الذي هو : جملة الخلق ، فحملته أربعة من الملائكة ، لكل واحد منهم ثمان أعين ، كلّ عين طباق الدنيا ، واحد منهم على صورة آدم يسترزق الله تعالى لولد آدم ، والآخر على صورة الثور يسترزق الله تعالى للبهائم كلّها ، والآخر على صورة الأسد يسترزق الله للسباع ، والآخر على صورة الديك يسترزق الله للطيور ، فهم اليوم هؤلاء الأربعة ، وإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية ، وأما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين ، فأما الأربعة من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأما الأربعة من الآخرين ، فمحمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام أجمعين ، هكذا روي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته^(٢).

قلت : أوضحنا أنّ العرش بمعنى الهيئة عظّمه الله سبحانه وتعالى ، هو الوجود الإجمالي الأوّل البسيط لما قضى الله إيجاده تفصيلاً ، له ثمانية أركان ، حملته ثمانية أفراد ، كلّ ركن يحمله واحد من الحملة ، حقيقته العلم والقدرة اللدنيين على ما اتضح ، وما يجب الالتفات إليه أنّ الحملة الثمانية ، مختلفون باختلاف العوالم ..

(١) الخصال(ت: علي غفاري): ٤٠٧ . جماعة المدرسين ، قم .

(٢) الاعتقادات(ت: عصام السيد) : ٤٦ . دار المفيد ، بيروت .

حملة العرش مختلفون باختلاف العوالم

الأول : في خصوص عالم الدنيا .

لا بدّ أن يكون حملته في خصوص هذا العالم بشرّاً ؛ وإلّا لزم المحال الذي ذكرناه أوّل الكتاب ، وهم صلوات الله عليهم: أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين ، وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، ومحمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام ؛ لقول الصادق : «حملة العرش-والعرش : العلم- : ثمانية ، أربعة ممّا ، وأربعة ممّن شاء الله» .

الثاني : في عالم الملكوت قبل فناء الدنيا .

وأما في عالم الملكوت قبل انتهاء الدنيا : ثمانية أيضاً ، لكنهم من الملائكة ، وهو ما يقتضيه عالم الملكوت ؛ ضرورة أنّ تدبير عالم الدنيا يتحقق في الملكوت بتوسط الملائكة المقربين كما في قبض عزرائيل للأرواح ، وإنزال ميكائيل الظفر... ، قبل نزوله للدنيا ؛ لقوله تعالى : ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أُمْرًا﴾ ولعتبر حفص بن غياث الأنف ، ولصحيح أبي الطفيل الآتي عن السّجّاد عليه السلام : «له ثمانية أركان ، يحمل كلّ ركن منها من الملائكة» .

الثالث : عالم الآخرة بعد فناء الدنيا .

وهم عين حملته في الدنيا ؛ لقوله عليه السلام : «إذا كان يوم القيامة ، كان على عرش الله تعالى... ، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وأما الأربعة الآخرون : فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم» .

فيوم القيامة يعود سادة المعصومين ، وهم الثمانية أعلاه إلى محلّهم من الملكوت ، وهم أولى بحمل عرش الله سبحانه من الملائكة عليهم السلام جميعاً؛ لإجماع أهل القبلة أنّ معصوم البشر؛ سيما الرسل ، أشرف من قاطبة الملائكة صلوات الله عليهم أجمعين .

المعصوم يطوف بالعرش ليالي الجمعة فيزداد علماً

قلت الاحتجاج بهذه الأخبار يتحقق بالمجموع ، والمجموع يورث الاطمئنان بالصدور ؛ لكثرة الطرق ..، ونذكر أننا صنفنا هذا الفصل لهذا الغرض..

روى الكليني قال : حدثني أحمد بن إدريس القمي ومحمد بن يحيى ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن موسى بن سعدان ، عن عبد الله بن أيوب ، عن أبي يحيى الصنعاني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال لي : «يا أبا يحيى ، إن لنا في ليالي الجمعة لشأنا من الشأن»؟! .

قال قلت : جعلت فداك ، وما ذاك الشأن؟! .

قال عليه السلام : «يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى عليهم السلام ، وأرواح الأوصياء الموتى ، وروح الوصي الذي بين ظهرانيكم ، يعرج بها إلى السماء ، حتى توافي عرش ربه ، فتطوف به أسبوعاً ، وتصلّي عند كلّ قائمة من قوائم العرش ركعتين ، ثم ترد إلى الأبدان التي كانت فيها ، فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئوا سروراً ، ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم ، وقد زيد في علمه مثل جم الغفير»^(١).

قلت : معتبر ، وهذا الإسناد ضعيف . أبو يحيى الصنعاني عمر بن توبة ، وثقه المفيد وضعفه الآخرون ، وموسى وابن أيوب مضعفان ، والبقيّة ثقات ، لكن له شواهد..

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن أبي زاهر ، عن جعفر بن محمد الكوفي ، عن يوسف الأبزاري ، عن المفضل قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام ذات يوم وكان لا يكنيني قبل ذلك : «يا أبا عبد الله إن لنا في كلّ ليلة جمعة سروراً..؛ إذا كان ليلة الجمعة وافي رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ، ووافي الأئمة عليهم السلام معه ، ووافينا معهم ، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد ، ولولا ذلك لأنفدنا»^(٢).

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٥٣ . باب الأئمة يزدادون . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٥٣ . باب الأئمة يزدادون . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : معتبر في الشواهد ، وهذا الإسناد ضعيف ، جعفر بن محمد بن مالك ، ويوسف الأبخاري ، مضعفان .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن سلمة بن الخطاب ، عن عبد الله بن محمد ، عن الحسين بن أحمد المنقري ، عن يونس أو المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ما من ليلة جمعة إلا ولأولياء الله فيها سرور .. ؛ إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ، ووافى الأئمة عليهم السلام ، ووافيت معهم ، فما أرجع إلا بعلم مستفاد ، ولو لا ذلك لنفد ما عندي »^(١).

قلت : معتبر في الشواهد ، وهذا الإسناد ضعيف ، بالمنقري وغيره .

وروى الصفار رحمته الله (٢٩٠هـ) في البصائر قال : حدثنا الحسين بن محمد ، عن أحمد بن محمد (= بن عيسى الأشعري رحمته الله) عن الحسن بن العباس بن حريش ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إن لنا في ليالي الجمعة لشأنا من الشأن...؛ تؤذن للملائكة والنبين والأوصياء الموتى وأرواح الأوصياء والوصي الذي بين ظهرائكم ، يعرج بها إلى السماء ، فيطوفون بعرش ربها أسبوعاً ، وهم يقولون : سبح قدوس ، رب الملائكة والروح ، حتى إذا فرغوا صلّوا خلف كلّ قائمة له ركعتين ، ثم ينصرفون فتصرف الملائكة...، وينصرف النبيون والأوصياء وأرواح الأحياء...، وقد فرحوا أشد الفرح لأنفسهم ، ويصبح الوصي والأوصياء قد أهتموا الهاماً من العلم ، علماً جماً مثل جم الغفير ، ليس شيء أشد سروراً منهم... »^(٢).

قلت : إسناده معتبر ، رجاله ثقات سوى الحريشي فمضعف ، وقد تقدّم أنّه يمكن اعتماده ، سيما في الشواهد.

الزبدة : كثرة طرق هذا الخبر..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٥٣ . باب الأئمة يزدادون . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: كوجة باغي) : ١٥١ . مطبعة الأحمدية ، طهران .

أولاً : تشهد أنّ له أصلاً عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم ، يطمئنّ بصدورها الإجمالي عنهم عليهم السلام .

ثانياً : انجباره بعمل الأصحاب رضي الله عنهم ؛ ابتداءً من الصفار والكليني وغيرهما رضي الله عنهما حتى يومنا هذا ، لم نجد أحداً من أصحابنا ترك العمل بمضامين هذه الأخبار الشريفة .

يعضدها إجمالاً الأخبار الثابتة الآنفة أنّ المعصوم ، نبياً أم وصياً أم ملكاً ، هو حامل العرش بمعنى العلم ، وثمة أخبار ثابتة غيرها ، هاك بعضها لترى ..

أول من حمل العرش أهل البيت عليهم السلام

روى الكليني عن محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن داود الرقي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (١)؟! .

فقال عليه السلام : « ما يقولون »؟! .

قلت : يقولون إنّ العرش ، كان على الماء ، والرب فوقه!! .

فقال عليه السلام : « كذبوا ؛ من زعم هذا فقد صيرّ الله محمولاً ، ووصفه بصفة المخلوق ، ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه » .

قلت : بين لي جعلت فداك؟! .

فقال عليه السلام : « إنّ الله حمّل دينه وعلمه الماء ، قبل أن يكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر ، فلما أراد الله أن يخلق الخلق ، نثرهم بين يديه فقال لهم : من ربكم؟! . فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين عليه السلام ، والأئمة صلوات الله عليهم ، فقالوا : أنت ربنا ، فحملهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة هؤلاء حملة ديني وعلمي ، وأمنائي في خلقي ، وهم المسؤولون .

ثم قال لبني آدم : أقرؤا الله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة؟! . فقالوا : نعم ربنا أقررنا .

فقال الله سبحانه للملائكة : اشهدوا؟! . فقالت الملائكة : شهدنا على أن لا يقولوا غداً ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ .

قال عليه السلام : « يا داود ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق »^(١).

قلت : إسناده صحيح على الأقوى ، رجاله ثقات ، سهل ثقة متكلم فيه .

والحديث صريحٌ أنّ أول من حمل عرش الله سبحانه ، بمعنى العلم ، هم أهل البيت عليهم السلام ، ببركة سيّد الخلق محمد صلى الله عليه وآله الطاهرين .

قوله عليه السلام : (حَمَلَ دينه وعلمه الماء ، قبل أن يكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر...) ناظر إلى عالمين ، هما : عالم الذر (=الملكوت) وعالم الدنيا ، وليس ناظراً إلى عالم الأنوار والجبروت .

وبعبارة أخرى فقوله عليه السلام : (حَمَلَ دينه وعلمه الماء ، قبل...) ليس هو العلم العرشي في مرتبة عالم النور والجبروت ، وإنما ما كان في مرتبة عالمي الذر والدنيا .

فيكون بيان قوله عليه السلام كالاتي : (فلما أراد الله أن يخلق الخلق) من طين لينزلهم إلى عالم الدنيا (نثرهم بين يديه) وهم ذر في عالم الذر ، وعالم الذر من عالم الملكوت ، وهو أدنى في رتبة الوجود من عالم النور والجبروت (فقال لهم من ربكم؟! فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين عليه السلام ، والأئمة صلوات الله عليهم ، فقالوا : أنت ربنا ، فحملهم العلم والدين) أي العلم العرشي في مرتبة التقدير والقضاء في عالمي الذر والدنيا ، وهو ما كتبه الله سبحانه في اللوح المحفوظ ، لا العلم العرشي في مرتبة عالم النور والجبروت الذي هو مرتبة المشيئة ، فانتبه .

المبحث الرابع

العرش بمعنى الهيئة النورية المربعة

صحيح أبي الطفيل !!

قال القمي (٣٢٩هـ) : حدثني أبي ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليمني ، عن أبي الطفيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء رجل إلى أبي علي بن الحسين فقال عليه السلام ردأ على ابن عباس : «...وأما ما سأل عنه من العرش مم خلقه الله ؛ فإن الله خلقه أرباعاً، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء الهواء والقلم والتور، ثم خلقه من ألوان أنوار مختلفة، ومن ذلك النور ، نور أخضر ، ومنه اخضرت الخضرة ، ونور أصفر ، منه اصفرت الصفرة، ونور أحمر منه احمرت الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار ، ثم جعله سبعين ألف طبق ، غلظ كل طبق كأول العرش إلى أسفل السافلين ، وليس من ذلك طبق إلا ويسبح بحمد ربه ، ويقدسه بأصوات مختلفة ، وألسنة غير مشتبهة ، لو أذن للسان واحد فأسمع شيئاً مما في تحته ، لهدم الجبال والمدائن والحصون وكشف البحار وهلك ما دونه، له ثمانية أركان ، يحمل كل ركن منها من الملائكة ، ما لا يحصي عددهم إلا الله ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون...»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الصدوق قال : قال الشيخ الفقيه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي مصنف هذا الكتاب: حدثنا أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قالاً: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا محمد بن عيسى بن عبيد، عن محمد بن أبي عمير ومحمد بن سنان، عن الصباح السدي، وسدير الصيرفي ومحمد بن النعمان مؤمن الطاق، وعمر بن اذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام..

(١) تفسير القمي(ت: طيب الجزائري) ٢ : ٢٤ . مطبعة النجف .

قال الصدوق عليه السلام : وحدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار وسعد بن عبد الله قالاً: حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، ويعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى، عن عبد الله بن جبلة، عن الصباح المزني، وسدير الصيرفي ومحمد بن النعمان الاحول، وعمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام، أنهم حضروه فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنَّ الله العزيز الجبار، عرج بنبيه صلى الله عليه وآله إلى سمائه سبعاً، أمّا أولهن فبارك عليه، والثانية علمه فيها فرضه، فأنزل الله العزيز الجبار عليه محملاً من نور، فيه أربعون نوعاً من أنواع النور، كانت محدقة حول العرش، عرشه تبارك وتعالى، تغشى أبصار الناظرين، أمّا واحد منها فاصفر، فمن أجل ذلك اصفرت الصفرة، وواحد منها أحمر فمن أجل ذلك احمرّت الحمرة، وواحد منها أبيض فمن أجل ذلك أبيض البياض، والباقي على عدد سائر ما خلق من الأنوار والألوان، في ذلك المحمل حلق وسلاسل من فضة فجلس عليه، ثم عرج إلى السماء الدنيا فنشرت الملائكة إلى أطراف السماء، ثم خرت سجداً فقالت: سبح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا...»^(١).

قلت: إسناده صحيح، في أعلى درجات الصحة.

قوله عليه السلام: (خلقه أربعاً...، خلقه من ألوان أنوار مختلفة) يقصد العرش بمعنى الهيئة والصورة، وهو لا ينافي أن حقيقته العلم والقدرة، كما أنّ هيئة الإنسان وصورته الخارجيّة لا تنافي النفس الناطقة أو الروح التي هي حقيقة الإنسان.

ونبه أنّ بين حقيقة العرش وبين هيئته ذات القوائم النوريّة الأربع، تلازم ذاتي؛ إذ لا وجود للعرش بمعنى الهيئة إلاّ بعد وجود حقيقته التي هي العلم والقدرة اللدنيين في مرتبة المشيئة؛ فهي الأصل والحقيقة؛ لذلك قلنا أول الفصل أنّهما حيثيتان.

(١) علل الشرائع (ت: صادق بحر العلوم) ٢: ٣١٣. المكتبة الحيدرية، النجف.

معنى الأنوار الأربعة !!

قال صاحب البحار رضي الله عنه : وأما تأويل ألوان الأنوار فقد قيل فيه وجوه :

الأول: أنها كناية عن تفاوت مراتب تلك الأنوار ، بحسب القرب والبعد من نور الأنوار، فالأبيض هو الأقرب، والأخضر هو الأبعد ، كأنه ممزوج بضرب من الظلمة ، والأحمر هو المتوسط بينهما ، ثم ما بين كل اثنين ألوان أخرى ، كألوان الصبح والشفق المختلفة في الألوان ؛ لقربها وبعدها من نور الشمس .

الثاني: أنها كناية عن صفاته المقدسة ، فالأخضر : قدرته على إيجاد الممكنات ، وإفاضته الأرواح التي هي عيون الحياة ومنابع الخضرة، والأحمر : غضبه وقهره على الجميع بالإعدام والتعذيب، والأبيض : رحمته ولطفه على عباده كما قال تعالى: ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله ﴾ .

الثالث: ما استفدته من الوالد العلامة قدس الله روحه ، وذكر أنه مما أفيض عليه من أنوار الكشف واليقين، وبيانه يتوقف على تمهيد مقدمة ، وهي : إن لكل شيء مثالا في عالم الرؤيا والمكاشفة، وتظهر تلك الصور والأمثال على النفوس مختلفة باختلاف مراتبها في النقص والكمال، فبعضها أقرب إلى ذي الصورة، وبعضها أبعد، وشأن المعبر أن ينتقل منها إلى ذواتها ، فإذا عرفت هذا ، فالنور الأصفر عبارة عن العبادة ونورها كما هو المعين في جباه المتجهدين، وقد ورد في الخبر في شأنهم أنه ألبسهم الله من نوره لما خلوا به . والنور الأبيض: العلم لأنه منشأ للظهور ، وقد جرب في المنام أيضاً والنور الأحمر: المحبة كما هو المشاهد في وجوه المحبين عند طغيان المحبة^(١) .

قلت : في بعض ما قاله رضي الله عنه نظر واضح ، سنعرض له .

(١) بحار الأنوار(ت: اليهودي) ٥٥: ١٢ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

ما قاله صدر الدين الشيرازي رحمته الله

قال صدر الدين الشيرازي رضي الله عنه : اذا تحققت هذه المقدمات ، فلنرجع إلى قوله عليه السلام «إنّ العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة ... منه البياض» ..

يجب أن يعلم أنّ العوالم متطابقة ، بعضها فوق بعض في اللطافة ، وأتتها أربعة عوالم: عالم الأجرام والطبائع ، وفوقه عالم النفوس الحيوانية وهي المدبرة الجزئية ، وفوقه عالم النفوس المدبرة الكلّية ، وفوقه عالم العقول المحضة، وما من نوع من الأنواع المتحصلة الجسمانية ، إلّا وله طبع محرك ، وفوقه نفس حسّاسة ، وفوقها نفس مدبرة ، وفوقها عقل ، وما من عقل من العقول القاهرة التي هي أرباب الأنواع ، إلّا وتحتها نفس مدبرة كلّية وتحتها أخرى مدبرة جزئية ، وتحتها طبيعة جرميّة.

وهذا ممّا حقّق في موضعه بالبرهان ، ونصّ عليه معلم الفلاسفة في كتابه المسمّى باثولوجيا في اللّغة اليونانية ، ترجمته معرفة الربوبية، فما من صورة وفرع في عالم الشهادة إلّا وله أصل أصول، وغيب غيوب، في العالم الرّبوبي، وآلّا كان كظل بلا شخص، وكسراب زائل وخيال باطل، وما من نور عقلي وروح أمري في عالم الملكوت إلّا وله ظلّ في هذا العالم ، وآلّا كان كأصل لا فرع له ، وكجواد لا جود له ، وكمدلول بلا دليل^(١).

تحقيق معنى الأنوار الأربعة :

قال الفيض رضي الله عنه: الأنوار الأربعة هي : الجواهر القدسية العقلية ، التي هي وسائط جوده تعالى ، وألوانها كناية عن اختلاف أنواعها الذي هو سبب اختلاف الأنواع الرباعية في هذا العالم الحسي ؛ كالعناصر والأخلاق وأجناس الحيوانات ، أعني : الإنسان والبهائم والسباع والطيور ، ومراتب الإنسان أعني : الطبع والنفس الحساسة والنفس المتخيلة والعقل ، وأجناس المولدات كالمعدن والنبات والحيوان والإنسان^(١) .

قلنا : في بعض ما ذكره العلماء من الأوجه في بيان الأنوار الأربعة ، نظر أو إبهام أو دعوى عريّة عن الدليل ، وإن كان بعضه في الجملة لا يجانب الصواب ، لكنّ بعض التفاصيل ألصق بالتبرع منه إلى الاستدلال ..

والحقّ أن يقال : الأنوار الأربعة : جملة ما قضى الله تعالى إيجاده من صور وهيئات مخلوقاته على ترتيب الوجود ، من الأعلى الأشرف البسيط ، إلى الأدنى المركّب الخسيس ؛ فالأنوار الأربعة هي الأصول الجبروتية للمخلق الأدنى ؛ وهي في العوالم كالتالي:

أولاً : الأنوار في عالم الجبروت (=العرش).

الأنوار في هذا العالم ، أرواحٌ كليّة قدسيّة جبروتية أربعة ، وهي : العقول المفارقة التي خلقها الله ، وهي أنوار أهل البيت الأربعة عليهم السلام ، وقد مضت النصوص الثابتة أنّ الله تعالى خلقهم أنواراً قبل خلق الأشياء بكذا ألف سنة ..

فمن ذلك معتبر عليّ بن حديد ، عن مرازم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «قال الله تبارك وتعالى : يا محمد إنّني خلقتك وعلياً نوراً ، يعني روحاً بلا بدن ، قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري ، فلم تزل تهلّني وتمجّدي ، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما

(١) الوافي(ت: ضياء الحسيني) ١: ٤٩٨ . مكتبة الإمام علي ، أصفهان.

واحدة ، فكانت تمجدني وتقديسي وتهليني ، ثم قسمتها ثنتين ، وقسمت الثنتين ثنتين ، فصارت أربعة : محمد واحد ، وعليّ واحد ، والحسن والحسين ثنتان ...»^(١).

ثانياً : الأنوار في عالم الملكوت .

الأنوار في هذا العالم أخذت طابعاً ملكوتياً ملائكياً بعد أن كان جبروتياً نورياً ، ومردها على المحتمل إلى أربعة من الملائكة ، هم : جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل؛ إذ لا شبهة أنّ مرده تدبير كلّ ما في العالم الأدنى من : إماتة وإحياء ورزق ومطر ونصر وعلم وفهم ، إليهم عليهم أفضل الصلاة والسلام .

مما يدلّ عليه ، ما رواه الصدوق في العلل ، بإسناد صحيح عن جابر الجعفي رضي الله عنه ، عن الباقر ، عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام ، وسنرده بعد قليل .

ثالثاً : الأنوار في عالم الدنيا .

وهي التي يرجع إليها كلّ ما موجود في الدنيا من الصور والهيئات على الأظهر ، فمرده كلّ ما في هذا العالم الفاني إلى العناصر الأربعة : النّار والهواء والماء والتراب ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ ولقوله سبحانه : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ الميئان بصحيح محمد بن سلم الآتي ، هاكه لترى .

النص أن أصول الخلق المادي أربعة

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم والحجال ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام كان كل شيء ماء ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ فأمر الله عز ذكره الماء ، فاضطرم ناراً ، ثم أمر النار فخدمت ، فارتفع من خمودها دخان ، فخلق الله السماوات من ذلك الدخان ، وخلق الأرض من الرماد ، ثم اختصم الماء والنار والريح ، فقال الماء : أنا جند الله الأكبر ، وقالت الريح : أنا جند الله الأكبر ، وقالت النار : أنا جند الله الأكبر!! .

قال عليه السلام : «فأوحى الله عز وجل إلى الريح أنت جندي الأكبر» .

قلت : إسناده صحيح .

الحديث ظاهرٌ جداً ، بل صريحٌ ، أن وجود صورة (=هيئة) الدنيا برمتها ، سماواتها وأرضها وما فيها وما بينهما ، مرده إلى أربعة أصول وجودية هي : الهواء (=الريح) ، والماء ، والنار ، والتراب (=الرماد) .

ونبه أن الحديث يدور على خلق الدنيا والمادة الفانية ، وهو لا ينافي أن تلکم الأصول ملكوتية ، كما أن هذا لا ينافي أن مرده هذه الأصول الملكوتية إلى أصول جبروتية هي الأنوار الأربعة آنفة الذكر .

يشهد لما ذكرناه ، صحيح الجعفي عن الباقر الآتي ، هاكه لترى ..

حديث أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك

أخرج الصدوق (٣٩١هـ) في العلل قال : حدثنا محمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدم، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين: إن الله تبارك وتعالى لما أحب أن يخلق خلقاً بيده ، وذلك بعد ما مضى الجن والنسناس في الأرض سبعة آلاف سنة..؛ ولما كان من شأنه سبحانه أن يخلق آدم عليه السلام ، الذي أراد من التدبير والتقدير لما هو مكنونه في السماوات والأرض وعلمه..؛ لما أراد من ذلك كله ، كشط عن أطباق السماوات ثم قال للملائكة : انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجن والنسناس ، فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق ، عظم ذلك عليهم ، وغضبوا لله ، وأسفوا على أهل الأرض ، ولم يملكوا غضبهم أن قالوا: يا رب أنت العزيز القادر الجبار القاهر، العظيم الشأن وهذا خلقك الضعيف الذليل في أرضك ، يتقلبون في قبضتك ، ويعيشون برزقك ، ويستمتعون بعافيتك ، وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام ، لا تأسف ولا تغضب ولا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم وترى، قد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك.

فلما سمع الله عز وجل ذلك من الملائكة قال: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ لي عليهم فيكون عليهم حجة لي عليهم في أرضي على خلقي.

فقال الملائكة: سبحانك : ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ كما أفسدت بنو الجن، ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما سفكت بنو الجن : ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فاجعل ذلك الخليفة منّا، فإننا لا نفسد في الأرض ولا نسفك، قال الله جل جلاله: يا ملائكتي إني أعلم منكم ، إني أريد أن أخلق خلقاً بيدي ، أجعل ذريته أنبياء مرسلين ، وعباداً صالحين ، وأئمة مهتدين ، اجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي ، فينهوهم عن معصيتي ، وينذروهم من عذابي ، ويهدوهم إلى طاعتي ، ويسلكون بهم طريق سبيلي ، واجعلهم لي حجة عليهم ،

عذراً أو نذراً ، وأبين النسناس عن أرضي ، وأطهرها منهم ، وأنقل مرده الجن العصاة ، عن بريتي وخليتي وخيرتي ، وأسكنهم في الهواء وأقطار الأرض ، فلا يجاورون نسل خلقي ، وأجعل بين الجن وبين خلقي حجاباً ، فلا يرى نسل خلقي الجن ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم ، فمن عصاني من نسل خلقي الذين اصطفيتهم ، أسكنتهم مساكن العصاة ، وأوردتهم مواردهم ولا أبالي .

فقلت الملائكة : يا ربنا إفعل ماشئت : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ فقال الله جل جلاله للملائكة : ﴿ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿ ، وكان ذلك من أمر الله عزوجل تقدم إلى الملائكة في آدم عليه السلام ، من قبل ان يخلقه إحتجاجاً منه عليهم .

قال عليه السلام : «فاغترف تبارك وتعالى ، غرفة من الماء العذب الفرات ، فصلصلها فجمدت ، ثم قال لها : منك أخلق النبيين والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمة المهتدين ، الدعاة إلى الجنة ، واتباعهم إلى يوم القيامة ولا ابالي ، ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون ، واغترف غرفة من الماء المالح الأجاج ، فصلصلها فجمدت ، ثم قال لها : منك أخلق الجبارين والفراعنة والعتاة وأخوان الشياطين والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة ، واتباعهم ولا ابالي ، ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون .

قال عليه السلام : «وشرط في ذلك البدء ولم يشرط في أصحاب اليمين البدء ، ثم خلط المائين ، فصلصلها ثم ألقاهما قدام عرشه ، وهما سلاله من طين ، ثم أمر الملائكة الأربعة : الشمال ، والذبور ، والصبأ ، والجنوب ، أن يجولوا على هذه الثلاثة السلاله فأبروها وجزؤها وأصلحوها ، وأجروا فيها الطبايع الأربعة : الريح ، والمره ، والدم ، والبلغم .

قال فجالت الملائكة عليها وهي : الشمال والصبأ والجنوب والذبور ، فاجروا فيها الطبايع الأربعة .

والريح في الطبايع الأربعة في البدن ، من ناحية الشمال .

والبلمغ في الطبائع الأربعة في البدن ، من ناحية الصبا.

والمرّة في الطبائع الأربعة في البدن ، من ناحية الدبور.

والدم في الطبائع الأربعة في البدن ، من ناحية الجنوب.

قال فاستقلت النسمة وكمل البدن، فلزمه من ناحية الريح ، حب الحياة وطول الأمل والحرص . ولزمه من ناحية البلمغ ، حب الطعام والشراب واللين والرفق. ولزمه من ناحية المرّة ، الغضب والسفه والشيطنة والتجبر والتمرد والعجلة. ولزمه من ناحية الدم ، حب النساء واللذات وركوب المحارم والشهوات».

قال عمرو : اخبرني جابر أنّ أبا جعفر عليه السلام قال: وجدناه في كتاب ، من كتب علي عليه السلام^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وهو نصٌّ صريحٌ أنّ مرادَ كلّ الخلق الدنيوي إلى هذه الأصول الأربعة ، كما أنّ كلّ هذه الأصول مدبّرة بالملائكة الأربعة ، والملائكة مدبرون بالأنوار الأربعة ، فاحفظ.

(١) علل الشرائع (صادق بحر العلوم) ١ : ١٠٧ . منشورات المكتبة الحيدريّة ، النجف .

دفع توهم المنافاة !!

روى الكليني بإسناد معتبر علي بن حديد عن مرآزم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «قال الله تبارك وتعالى : يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً ، يعني روحاً بلا بدن ، قبل أن أخلق سجاواتي وأرضي وعرشي وبحري»^(١).

وهو صريحٌ أنّ الله تعالى خلق نور محمد وعليّ عليهما السلام ، قبل خلق العرش .

يشهد له ما مضى من خبر المفضل بن عمر ، عن جابر ، وإسناده معتبر ، عن الباقر عليه السلام قال : «يا جابر إنّ الله أوّل ما خلق ، خلق محمداً صلى الله عليه وآله ، وعترته الهداة المهتدين؛ فكانوا أشباح نورٍ بين يدي الله... ، ظلّ النور، أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس...».

قلت : هو ظاهر أنّ الله تعالى خلق أنوار أهل البيت الأربعة ، قبل أن يخلق أي مخلوق سواهم ..

لكن ربما يتوهم المنافاة مع المروي عن الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة بإسناد صحيح قال : «إنّ أرواحكم ونوركم وطينتكُم واحِدَةٌ، طابَتْ وَطَهُرَتْ ، بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، خَلَقَكُمْ اللهُ أَنْوَاراً ، فَجَعَلَكُمْ بَعْرِشِهِ مُحَدِّقِينَ» فلعلّ قائل يقول : ظاهر الزيارة أنّ العرش مخلوق قبلهم .

قلت : لا منفاة ، لأحد وجهين :

الأوّل : العرش بمعنى الهيئة النوريّة والصورة ، مخلوق ملكوتي من أنوار أربعة ، وهذا في السماء السابعة أو في السجاوات التي دون ذلك. والعرش بهذا المعنى مخلوق بعد نبينا محمّد وأهل بيته صلى الله عليه وآله .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٤٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

وقد تحقق الإجماع من الفريقين سنة وشيعة علاوة على النصوص ، أن نبينا محمد أشرف مخلوق خلقه الله ، ولازمه أنه صلى الله عليه وآله ، أشرف من العرش الذي بمعنى الهيئة المربعة من أنوار أربعة ؛ يشهد له نص ابن حديد وغيره ، أن أهل البيت عليهم السلام مخلوقون قبل أن يخلق الله العرش .

الزبدة : المقصود بالعرش فيما نحن فيه ، ما كان بمعنى الهية والصورة الذي في السماء السابعة أو دونها ، لا حقيقة العرش التي هي : علم المشيئة ، فهذا فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله سبحانه ، وقد مرّ الخبر الصحيح الصريح في هذا ، أول الفصل .

فهذا هو العرش الذي بمعنى العلم والقدرة اللدنيين ، وهو كما سردت الأخبار المعتبرة ، هو علم الغيب الباطن الذي لا يقدر قدره أحد ؛ بدهاة استحالة إحاطة المخلوق به ، نبينا محمد فمن دونه صلى الله عليه وآله ؛ لامتناع إحاطة المحدود المخلوق بغير المحدود ، بل يستحيل الإحاطة ببعضه ، إلا إذا أذن الله تعالى بذلك .

هل المعصوم عالمٌ بما فوق العرش؟! .!

مضى النَّصُّ الصحيح أنّ المعصوم ، لا يعلم من علم الله سبحانه ، إلا ما دون العرش، يعضده البرهان أنّ إحاطة المعصوم بعلوم العرش ، وهي علوم المشيئة متمنعة ؛ لا تمتناع إحاطة المحدود بغير المحدود ، عدا هذا فلقد ورد النهي الشديد ، الظاهر في الحرمة ، عن الكلام فيما فوق العرش ..

أخرج القمّي قال : حدثني أبي عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «إذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا ، وتكلموا فيما دون العرش ، ولا تكلموا فيما فوق العرش؛ فإنّ قوماً تكلموا فيما فوق العرش فتأهت عقولهم ؛ حتى أنّ الرجل كان ينادي مَنْ بين يديه ، فيجيب مَنْ خلفه ، وينادي من خلفه فيجيب من بين يديه»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام.

أخرجه الصدوق قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عن الحسن الصيقل، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام مثله^(٢).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد مجهول بالصيقل على المشهور .

وله شاهد صحيح أخرجه الصدوق بلفظ آخر قال : حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا أحمد بن محمد ابن عيسى، عن عبد الله بن المغيرة، عن أبي اليسع، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّه قد كان فيمن كان قبلكم قومٌ، تركوا علم ما وكلوا بعلمه ، وطلبوا علم ما لم يوكلوا بعلمه، فلم يبرحوا حتى سألوا

(١) تفسير القمي (ت: طيّب الجزائري) ١: ٢٦. مطبعة النجف .

(٢) التوحيد (ت: هاشم الطهراني) : ٤٥٥ . جماعة المدرسين ، قم .

عَمَّا فَوْقَ السَّمَاءِ ، فَتَاهَتْ قُلُوبَهُمْ ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَدْعُو مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَيَجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ ، وَيَدْعُو مَنْ خَلْفَهُ فَيَجِيبُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ»^(١).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد صحيح ، ابن المغيرة من أصحاب الإجماع .

وأخرج أيضاً قال : حدثني أبي رحمه الله ، قال : حدثنا علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير عن محمد بن حمران ، عن أبي عبيدة الحذاء ، قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : يا زياد إياك والخصومات ، فإتّها تورث الشك ، وتخبط العمل ، وتردي صاحبها ، وعسى أن تتكلم بالشيء فلا يغفر له..؛ إنه كان فيما مضى قوم ، تركوا علم ما وكلوا به ، وطلبوا علم ما كفوه ، حتى انتهى كلامهم إلى الله عز وجل فتحتروا ، حتى كان الرجل ليدعو من بين يديه فيجيب من خلفه ، ويدعو من خلفه فيجيب من بين يديه»^(٢).

قلت : إسناده صحيح دون كلام.

وأما النص على اقتصار علم المعصوم على ما دون العرش ؛ فيدل عليه طائفة من الأخبار ، مضى منها خبر المنخل بن جميل الأسدي ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن علم العالم؟! .

فقال لي عليه السلام : «يا جابر ، إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الإيمان ، وروح الحياة ، وروح القوة ، وروح الشهوة ؛ فبروح القدس يا جابر عرفوا : ما تحت العرش ، إلى ما تحت الثرى» .

وهو بضميمة : «وَلَا تَقُولَنَّ لِيْئِيَّ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿ وهو صريح أنّ علم الإمام عليه الصلاة والسلام يقتصر على ما دون العرش ، وسيأتي التفصيل في الفصل الآتي.

(١) التوحيد(ت: هاشم الطهراني): ٤٥٧. جماعة المدرسين ، قم.

(٢) التوحيد(ت: هاشم الطهراني): ٤٥٥. جماعة المدرسين ، قم.

بيان قوله عليه السلام : (العرش ومن عليه)

أخرج علي بن إبراهيم القمي رضي الله عنه قال : حدثني أبي ، عن إسماعيل بن مرار ، عن يونس بن عبد الرحمان ، عن هشام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «كشط له عن الأرض ومن عليها ، وعن السماء ومن فيها ، والمَلَكِ الذي يحملها ، والعرش ومن عليه ، وفعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين عليه السلام»^(١).

قلت : إسناده صحيح على الأظهر .

في استعلاء الملائكة صلوات الله عليهم على العرش إشكالٌ بين ، بل عين الباطل ؛ لمنافاته قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾^(٢) وقوله سبحانه : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(٣) ضرورة أن الاستعلاء من مختصات الخالق سبحانه ..

قول الصادق عليه الصلاة والسلام : (والعرش ومن عليه) لا العرش بمعنى العلم ، بل العرش ههنا ، بقريئة العطف على السماء والأرض ومن عليهما : الذي بمعنى الصورة والهئية ، وهو الذي في السماء السابعة أو السادسة أو الرابعة على اختلاف الأخبار ، المخلوق من أنوار أربعة .

وقوله عليه السلام (ومن عليه) ليس بمعنى الاستعلاء ، وإنما من قام بأمره من الملائكة الأربعة المقربين ، كما أوضحنا خلال النصوص الصحيحة الصريحة ، وقد سردنا بعضها قبل قليل ؛ ضرورة أن الاستعلاء على العرش الذي بمعنى العلم والقدرة والتدبير المطلق ، خاص بربّ العزة تعالى لا غير .

(١) تفسير القمي ٢: ٢٠٥ .

(٢) سورة يونس : ٣ .

(٣) سورة طه : ٥ .

نصُّ السجّاد عليه السلام حملة العرش : حملة قضاء الله

رواه أهل السنّة ، واللفظ لمسلم في صحيحه قال : حدثنا حسن بن علي الحلواني، وعبد بن حميد، قال حسن: حدثنا يعقوب، وقال عبد: حدثني يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، حدثني عليّ بن حسين، أن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمراً، سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسييح أهل هذه السماء الدنيا» .

ثم قال النبيّ : «يقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟!». فيخبرونهم ماذا قال سبحانه ، فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا...»^(١).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد صحيح على مباني أهل السنّة .

ولا خلاف بين أصحابنا في حجّية ما رواه أهل السنّة ، سيما ما رووه عن أمير المؤمنين علي وأولاده المطهرين من الرجس ، إذا شهدت له أصولنا الثابتة ولم ينافيها ، وهذا الخبر من هذا الصنف ، لا ينبغي الشك في ذلك .

وهو ظاهرٌ في التدبير ، وأنّ العرش هيهنا الذي بمعنى الهيئة والصورة المربعة ، لا الذي بمعنى العلم والمشئّة .

المبحث الخامس

مراتب العرش الطولية في الوجود

العرش ومراتب الخلق والإيجاد !!

أكثرنا أن العرش هو : ذات نورية مخلوقة ، حقيقتها علم الله وقدرته تعالى في مرتبة الفعل والمشئنة .

والله سبحانه وتعالى إذا أراد الخلق والإيجاد ، تكفيه : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ فيها هو معلوم ضرورة ، لكنه سبحانه وتعالى قضى غير ذلك ؛ فقال : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ..

وإنما قضى سبحانه وتعالى بذلك رحمة بعباده ، وتحقيقاً للعدل بينهم ، كيما لا تكون لهم حجة على الله من بعد الرسل ..

إذا اتضح هذا ، يجب أن يعلم أن كل مخلوق دنيوي ، له وجود ملكوتي في عالم الملكوت قبل أن يخلقه الله تعالى في الدنيا ، كما أن لكل مخلوق ملكوتي وجوداً جبروتي عرشي ، قبل أن يخلقه سبحانه في عالم الملكوت ..

فبني آدم على سبيل المثال لهم ثلاث مراتب وجودية ، في عوالم ثلاثة ، هي من الأدنى : عالم الدنيا ، وأشرف منه العالم العلوي وهو عالم الملكوت ، وأشرف من الاثنين العالم الأعلى وهو عالم الجبروت وهو عالم الكرسي والعرش ، والعرش أشرف من الكرسي ، كحلقة في فلاة فيما عرفت ..

ثم إن وجود المخلوق في العالم الأدنى ، يعني وجوده في العالمين السابقين على الدنيا بالضرورة ؛ لترتبه عليهما ، أما وجوده في عالم الملكوت العلوي ، فلا يستلزم وجوده في عالم الدنيا ، إلا إذا شاء الله ، هاك لترى هذا مع الدليل كالاتي :

ترتيب وجود الإنسان في العوالم الثلاثة

العالم الأدنى : عالم الدنيا .

أفراد الإنسان في هذا العالم ، بعضهم مخلوق ، وبعضهم سيخلق ، إلى أن يأتي يوم القيامة وتفتن الدنيا، وكذا الكلام في الحيوان والنبات والحجر .

تساءل عمّن سيخلق الله من بني آدم خلقاً دنيوياً بعد ألف سنة من تاريخ كتابة هذه السطور ، أهو مخلوق موجود الآن ، في عالم آخر غير عالم الدنيا ، أم لا؟! .

قلنا : نعم هو مخلوق ، في عالم أعلى من عالم الدنيا وأشرف منه ، هو عالم الملكوت ، أو عالم الذر والميثاق ماشئت فعبّر .

العالم العلوي : عالم الملكوت .

كلّ بني آدم مخلوقون موجودون في عالم الملكوت ، قبل خلق الدنيا ، في عالم اسمه عالم الذر ، وهو مصداقٌ جلّيّ لعالم الملكوت ؛ يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ﴾ .

وأخبارنا في ذلك قطعيّة متواترة ؛ فمن ذلك روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ﴾ .

قال عليه السلام : «أخرج من ظهر آدم ، ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذر، فعرفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه»^(١) .

أقول : إسناده حسن صحيح، دون أدنى كلام بين أحد من الأعلام .

ومما رواه أهل السنّة في هذا ما أخرجه الحاكم (٤٠٥هـ) قال : حدثنا علي بن حمشاذ العدل، ثنا بشر بن موسى الأسدي، وعلي بن عبد العزيز، قالا: ثنا أبو نعيم، ثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، أمثال الذر، ثمّ جعل بين عيني كلّ إنسان منهم وبيصاً من نور، ثمّ عرضهم على آدم، فقال آدم: من هؤلاء يا رب؟! قال: هؤلاء ذريتك...»^(١).

قال الحاكم: هذا صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وأخرجه الترمذي (٢٧٩هـ) قال: حدثنا عبد بن حميد، قال: حدثنا أبو نعيم، به مثله، وقال: هذا حديث حسن صحيح^(٢).

قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الزبدة: هذه الأخبار المتواترة صريحة أنّ كلّ بني آدم، في عالم الذر (=الملكوت) موجودون مخلوقون خلقاً ملكوتياً، قبل خلق الدنيا وما فيها، لكن نتساءل، هل هم مخلوقون موجودون في عالم الجبروت قبل خلق عالم الملكوت؟!.

قلنا: نعم هم مخلوقون موجودون قبل خلق عالم الملكوت، وجوداً عرشياً في عالم العرش والنور، وهو عالم الجبروت.

العالم الأعلى: عالم الجبروت.

وهو عالم الكرسي والعرش، هو عالم التقدير والمشیئة، المتعلّقين بالخلق والإيجاد، ولك أن تقول عالم العقل، وحملته هم أهل النور من المقرّبين.

(١) مستدرک الحاكم (ت: مصطفى عبد القادر) ٢: ٣٥٤، رقم: ٣٢٥٧. العلمية، بيروت.

(٢) سنن الترمذي (بشار عواد) ٥: ١١٧، رقم: ٣٠٧٦. دار الغرب الإسلامي بيروت.

في هذا العالم موجود كل ما خلق الله تعالى إلى يوم القيامة ، بوجود جبروتي عرشي عقلي ، وإن لم يخلقه الله تعالى في العالمين الآخرين : عالم الملكوت وعالم الدنيا ..؛ مما يدل عليه في أخبارنا الصحيحة..

ما رواه الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عبد العظيم بن عبد الله ، قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يخطب بهذه الخطبة قال عليه السلام : «الحمد لله العالم بما هو كائن ، من قبل أن يدين له من خلقه دائن ، فاطر السماوات والأرض ، مؤلف الأسباب ، بما جرت به الأقلام ، ومضت به الأحتام ، من سابق علمه ، ومقدّر حكمه...» ثم إن هذه الأمور ، كلها بيد الله ، تجري إلى أسبابها ومقاديرها ، فأمر الله يجري إلى قدره ، وقدره يجري إلى أجله ، وأجله يجري إلى كتابه ، ولكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب...»^(١).

قلت : إسناده حسن صحيح .

قوله عليه السلام : (الأمور ، تجري إلى أسبابها ومقاديرها) صريحٌ أنّ لكل موجودات عالم الدنيا ، أصولٌ وجودية في عالم التقدير ؛ قضى الله تعالى أن تكون هي : أسباب الإيجاد ، وأصول الخلق ؛ فكل ما في عالمي الدنيا والملكوت ، معلولٌ في الوجود لها .

ومما رواه أهل السنة في هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه قال: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن سرح، حدثنا ابن وهب، أخبرني أبو هانيء الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله، يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرضه على الماء»^(٢).

(١) الكافي(ت: علي غفاري) ٥ : ٣٧٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) صحيح مسلم(ت: فؤاد عبد الباقي) ٤ : ٢٠٤٤ ، رقم: ٢٦٥٣ . إحياء التراث العربي، بيروت .

قلت: إسناده صحيح دون كلام ، مضمون الحديث -في الجملة- من ضروريات أهل القبلة سنة وشيعة .

ومعنى : (كتب الله مقادير الخلائق...) أوجد وخلق وكون ، كما في قوله سبحانه : ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾^(١) أي : أوجده وخلقهم فيهم ، وقواهم ونصرهم به؛ بإجماع مفسري الفريقين .

قال الإمام السنّي القشيري (٤٦٥هـ) على سبيل المثال : ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ خلق الله الإيمان في قلوب أوليائه وأثبتته^(٢).

وقال الإمام الرازي (٦٠٦هـ) في تفسيره الكبير ، كلمة جامعة تامة هي : قال جمهور أصحابنا: كتب معناه : أثبت وخلق؛ وذلك لأنّ الإيمان لا يمكن كتبه، فلا بد من حمله على الإيجاد والتكوين^(٣). اهـ.

ولما قلناه من ترتيب الوجود في العوالم الثلاثة ، أصل قرآني هو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾^(٤).

يدلّ عليه ما أخرجه الكليني عن محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حمّاد بن عيسى ، عن ربعي بن عبد الله ، عن الفضيل بن يسار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جل وعز : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾؟! .

فقال عليه السلام : «يا فضيل ، كلّ شيء في الكرسي .. السّموات والأرض وكلّ شيء في الكرسي»^(٥).

(١) المجادلة : ٢٢ .

(٢) تفسير الرازي ٢٩ : ٤٩٩ .

(٣) تفسير القشيري (ت: إبراهيم البسيوني) ٣ : ٥٥٥ . الهيئة المصرية للكتاب ، مصر .

(٤) الحجر : ٢١ .

(٥) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٣٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : إسناده صحيح .

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيوب ، عن عبد الله بن بكير ، عن زرارة بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ السماوات والأرض وسعن الكرسي أو الكرسي وسع السماوات والأرض؟! .

فقال عليه السلام : «إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْكُرْسِيِّ»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه السلام : (كُلُّ شَيْءٍ فِي الْكُرْسِيِّ) بضميمة : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(٢) ظاهرٌ فيما قلناه من أن كل شيء خلقه الله ، موجود في عالم العرش بوجود عرشي نوري إجمالي ، وفي عالم الكرسي تقديري تفصيلي، ولا يستلزم هذا أن يخلقه الله ويوجده في العالمين الآخرين ، لكنّه إن شاء فعل سبحانه وتعالى ، وهذا معنى أصالة الوجود واعتبارية الماهية.

قلت : الوجود العرشي ، هو : الوجود في لوح المشيئة الأولى ، وهو علمٌ وقدرةٌ في مرتبة الفعل الأوّل ، وهو عالم المشيئة .

ولا يخفى أن المكتوب ؛ كالأيمان والنصر والتأييد ، ليس شيئاً اعتبارياً ، وإنّما هو أمرٌ حقيقي وجودي تكويني واقعي ، غاية الأمر له مراتب في الوجود من الأشرف الأعلى الى الأخس الأدنى؛ فتارةً وجوداً نورياً في عالم العرش ، وأخرى وجوداً ملكوتياً في عالم الملكوت ، وأخرى وجوداً دنيوياً في عالم الدنيا.

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٣٢ . دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) سورة الحجر : ٢١ .

نصُّ في مراتب وجود الإنسان الثالث

روى الصدوق (٣٨١هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أسباط ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن زياد القطان ، قال : حدثنا أبو الطيب أحمد بن محمد بن عبد الله ، قال : حدثنا عيسى بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، عن آبائه ، عن عمر بن علي ، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله سئل : «مّم خلق الله جل جلاله العقل»؟! .

قال صلى الله عليه وآله : «خلقته ملك ، له رؤوس بعدد الخلائق ، مّن خُلِقَ وَمَنْ يَخْلُقُ إلى يوم القيامة ، ولكلّ رأس وجه ، ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل ، واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب ، وعلى كلّ وجه سترٌ ملقى لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه ، حتى يولد هذا المولود ، ويبلغ حد الرجال أو حد النساء ، فإذا بلغ كشف ذلك الستر ، فيقع في قلب هذا الانسان نور ، فيفهم الفريضة والسنة والجد والردي ، ألا ومثل العقل في القلب ، كمثل السراج في وسط البيت»^(١).

قلت : إسناده ضعيف ، أبو الطيب والقطان ، لم أعرفهما .

قوله صلى الله عليه وآله وسلّم : (ولكل رأس وجه ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل ، واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب) ظاهرٌ جداً في وجود قاطبة من خلق الله ومن سيخلقه إلى يوم القيامة ، في عالم العقل ، وجوداً واقعياً ، لكنّه في هذا العالم ، وهو عالم النور والانكشاف ، إجمالي بسيط ، منزّه عن البدن بقسميه المثالي الملكوتي والديني وفي عالم الملكوت أكثر تفصيلاً قياساً به ؛ لتقيده ببدن ملكوتي ، كما أنّه في عالم الملكوت إجمالي بسيط قياساً بعالم الدنيا ، وأمّا في الدنيا فلتقيده ببدن دنيوي خسيس .

(١) علل الشرائع (ت: صادق بحر العلوم) ١ : ٩٨ . المكتبة الحيدريّة ، النجف .

بيان المجلسي رضي الله عنه ومناقشته

قال المجلسي رضي الله عنه في المرأة : وأما ما رواه الصدوق في كتاب علل الشرائع بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل ممّا خلق الله عز وجل العقل...؟! .

فهو من غوامض الأخبار ، والظاهر أنّ الكلام فيه مسوق ، على نحو الرموز والأسرار ، ويحتمل أن يكون كناية عن تعلقه بكلّ مكلف ، وأنّ لذلك التعلق ، وقتاً خاصاً ، وقبل ذلك الوقت موانع عن تعلق العقل من الأغشية الظلمانية ، والكدورات الهيولانية ، كستر مسدول على وجه العقل . ويمكن حمله على ظاهر حقيقته على بعض الاحتمالات السالفة . وقوله عليه السلام : (خلقته ملك) لعلّه بالإضافة ؛ أي : خلقته كخلق الملائكة في لطافته وروحانيته ، ويحتمل : أن يكون خلقه مضافاً إلى الضمير مبتدأ ، وملك خبره ، أي : خَلَقْتُهُ خَلْقَةَ مَلَكٍ . أو هو : ملك حقيقة ، والله يعلم^(١) . اهـ .

قلت : لا داعي لتردد شيخ مشايخنا المجلسي رضي الله عنه فيما ذكر أعلاه ، ولا لجوئه للتأويل فيما احتمل ؛ والمتعین من كلامه الشريف رضوان الله عليه ، بناءً على ما ذكرناه ، هو : ما احتمله رضي الله عنه بقوله : ويمكن حمله على ظاهر حقيقته على بعض الاحتمالات السالفة . اهـ .

لما بيّناه أنّ العقل في عالم الجبروت والنور ، هو عينه الروح القدس ، وهو نوع له أفراد من الأنبياء والأوصياء والملائكة ، الأمثل فالأمثل ، وحقيقة الروح القدس هي العلم والقدرة اللدنيين ، وقد نطقت الأخبار أنّ هذا العلم ، أو النور ، أو العقل ما شئت فعبّر ، قد يكون فرده من البشر ، أو من الملائكة ، أو من الحجر ؛ كالحجر الأسود قدّسه الله ، وسيأتي أنّ الحجر الأسود من الملائكة ؛ كونه حوى علم التقدير الذي في اللوح المحفوظ .

نصّ في مراتب الوجود الثلاثة ، الديك مثلاً

أخرج إبراهيم القمي رضي الله عنه قال : حدثني أبي ، عن محمد بن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله في حديث المعراج قال عليه السلام : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : « رأيت من العجائب التي خلق الله سبحانه وسخّر ، على ما أراه ، ديكاً رجلاه في تخوم الأرضين السابعة ، ورأسه عند العرش ، وملكاً من ملائكة الله ، خلقه كما أراد ، رجلاه في تخوم الأرضين السابعة ، ثم أقبل مُصْعِداً حتى خرج في الهواء ، إلى السماء السابعة ، وانتهى فيها مصعداً ، حتى استقر قرنه إلى قرب العرش ، وهو يقول : سبحان ربي حيث ما كنت ، لا تدري أين ربك من عظم شأنه ، وله جناحان في منكبيه إذا نشرهما جاوزا المشرق والمغرب ؛ فإذا كان في السحر ، نشر ذلك الديك جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح يقول : سبحان الله الملك القدوس ، سبحان الله الكبير المتعال ، لا إله إلا الله الحي القيوم ، وإذا قال ذلك ، سبّحت ديوك الأرض كلّها ، وخفقت بأجنحتها ، وأخذت في الصراخ ؛ فإذا سكت ذلك الديك في السماء ، سكت ديوك الأرض كلّها ؛ ولذلك الديك زغب أخضر ، وريش أبيض ، كأشدّ بياض ، ما رأيت قط ، وله زغب أخضر أيضاً تحت ريشه الأبيض ، كأشدّ خضرة ما رأيتها»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

قال صاحب البحار : ورد في الأخبار الكثيرة من طرق الخاصة والعامة ، أن لله ديكاً عرفه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرضين السابعة السفلى إذا كان في الثلث الأخير من الليل سبح الله تعالى ذكره بصوت يسمعه كلّ شيء ما خلا الثقلين الجن والإنس ، فتصيح عند ذلك ديكة الدنيا^(٢).

(١) تفسير القمي (ت: طيب الجزائري) ٢ : ١٠ . مطبعة النجف .

(٢) مرآة العقول (ت: جعفر الحسيني) ١٢ : ٣٠٦ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : رواه أهل السنة بعدة طرق معتبرة منها ..

ما أخرجه الشيخ أبو الشيخ الأصبهاني (٣٦٩هـ) في كتاب العظمة قال : حدثنا أحمد بن روح، حدثنا محمد بن داود، وعلي بن داود القنطريان، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني رشدين بن سعد، عن الحسن بن ثوبان، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله عز وجل ديكاً جناحاه موشيان بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت، جناح له في المشرق، وجناح له بالمغرب، وقوائمه في الأرض السفلى، ورأسه مثني تحت العرش، فإذا كان في السحر الأعلى خفق بجناحه، ثم قال: سبح قدوس ربنا الله لا إله غيره، فعند ذلك تضرب الديكة أجنتها وتصيح...»^(١).

قلت : قال الإمام السيوطي (٩٢٢هـ) في اللآلئ: رجاله ثقات سوى رشدين وقد روى له الترمذي وابن ماجه وكان رجلاً عادلاً صالحاً سيء الحفظ، حدثنا جعفر بن أحمد بن فارس ، حدثنا ابن حميد ، حدثنا أسلمة بن الفضل ، حدثني ابن إسحاق ، عن منصور بن المعتمر ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن كريب ، عن ابن عباس رفع الحديث أن رسول الله قال: «إنَّ مما خلق الله تبارك ديكاً برائنه على الأرض السابعة ، وعرفه منطو تحت العرش ، قد أحاط جناحاه بالأفقين ، فإذا بقي ثلث الليل الآخر ضرب بجناحه ثم قالوا سبحوا الملك القدوس سبحان ربنا الملك القدوس لا إله لنا غيره فيسمعها من بين الخافقين إلاَّ الثقلين فيرون أن الديكة إنما تضرب بأجنتها وتصرخ إذا سمعت ذلك»^(٢).

قال السيوطي : هذا حديث حسن صحيح أخرجه الطبراني في الأوسط^(٣).

(١) العظمة(ت: رضا المباركفوري) ٣: ١٠٠٧. دار العاصمة ، الرياض .

(٢) المعجم الأوسط(ت: طارق عوض) ٦: ٢٢٣، رقم: ٧٣٣٤. دار الحرمين ، القاهرة .

(٣) اللآلئ المصنوعة(ت: أبو عبد الرحمن عويضة) ١: ٦١. دار الكتب العلمية ، بيروت .

وقفه مع صحيح زرارة

أخرج الكليني رضي الله تعالى عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحجال ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن زرارة بن أعين قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جل : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ السماوات والأرض وسعن الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والأرض؟! .

فقال عليه السلام : «بل الكرسي وسع السماوات والأرض ، والعرش وكلّ شيء وسع الكرسي»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه السلام : (والعرش وكلّ شيء وسع الكرسي) اختلف العلماء فيه على ثلاثة وجوه ، بل أقوال :

الأول : العرش منصوب على المفعوليّة ؛ وحاصله : الكرسيّ وسع العرش ووسع السماوات والأرض ، فالكرسي على هذا القول أعظم من العرش .

الثاني : العرش معطوف على الكرسيّ ؛ فيكون حاصل التقدير : الكرسيّ والعرش كلٌّ منهما وسع السماوات والأرض وكلّ شيء .

الثالث : العرش مرفوع على الابتداء ، وحاصله : والعرش وسع الكرسيّ وكلّ شيء .
والصحيح هو القول الثالث ؛ لدلالة الأخبار القطعيّة ، بل الضروريّة أنّ العرش أعظم من الكرسي نورا ، وأشرف وجوداً ، وأوسع علماً ، وأقدس غيباً .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٣٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

أما القول الأول ، فلا اعتناء به لمخالفة الضروري ومنافاته النصوص الصحيحة الصريحة ، وعجيبٌ ممن تحلّل له التخريج مجتهداً قبال الإجماع والضرورة والنص الصحيح الصريح أن العرش أعظم وأشرف من الكرسي .

أما الاحتمال الثاني ، فهو وإن كان صحيحاً في نفسه ، لكن قد يرد عليه أن الإمام وإن كان بصدد بيان رتبة الكرسي ، لكن هذا لا يتم إلا إذا بانت رتبة العرش قياساً به ؛ فتعين الاحتمال الثالث ؛ موافقةً للنصوص القطعية والضرورة اليقينية .

قال المجلسي في الاحتمالات الثلاثة : لعله منصوب بالعطف على الأرض...، وقيل : العرش معطوف على الكرسي ، أي : والعرش أيضاً وسع السماوات والأرض ، فالمراد أن الكرسي والعرش كلاهما وسع السماوات والأرض . وقيل : العرش مرفوع بالابتدائية ، أي والعرش وكل شيء من أجزاء العرش ودوائره ، وسع الكرسي بنصب الكرسي^(١) .

وقال صدر الدين الشيرازي رضي الله عنه جامعاً بين الاحتمالين الأولين : واعلم أن كون العرش في الكرسي ، لا ينافي كون الكرسي في العرش ؛ لأن إحدى الكونين بنحو ، والآخر بنحو آخر ، فكون الكرسي في العرش ، كونٌ عقليٌّ إجماليٌّ ، على وجه أعلى وأشرف من كونه في نفسه ، وكون العرش في الكرسي كون بصورة نفسانية تفصيلية ، فلا منافاة في كون كل منهما في الآخر ، ولا أيضاً في كون جميع الأشياء في كل منهما^(٢) .

قلت : ما ذكره رضي الله عنه وإن كان صحيحاً تاماً في نفسه ، إلا أنه غير ظاهر من الخبر إطلاقاً .

(١) مرآة العقول ٢ : ٧٨ .

(٢) شرح أصول الكافي ٣ : ٣٦٠ .

ترتيب وجود نبينا محمد في العوالم الثلاثة

الأول : وجود النبي في عالم العرش والنور .

مضت النصوص الثابتة في هذا ، منها : صحيح النخعي عن الهادي صلوات الله عليه قال في زيارة الجامعة : «خَلَقَكُمْ اللهُ أَنْوَاراً ، فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُخْدِقِينَ» .

وصحيح الثمالي عن علي بن الحسين السجّاد قال : «إِنَّ اللهَ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَأَحَدَ عَشْرَ مِنْ وَلَدِهِ ، مِنْ نَوْرِ عَظَمَتِهِ ، فَأَقَامَهُمْ أَشْبَاحًا فِي ضِيَاءِ نَوْرِهِ ، يَعْبُدُونَهُ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ ، يَسْبِحُونَ اللهَ وَيَقْدَسُونَهُ ، وَهَمَّ الْأَئِمَّةُ مِنْ وَلَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»^(١) .

قوله عليه السلام : (خلق محمداً وعلياً ... ، قبل خلق الخلق) صريحٌ أنّ المخلوق في عالم العرش والنور ، لا يعني أنّه مخلوقٌ موجودٌ في عالم الملكوت ، كما أنّ وجوده وخلقته في عالم الملكوت لا يستلزم وجوده في عالم الدنيا ، والعكس صحيح، بل ضروري .

الثاني : وجود النبي في عالم الملكوت .

أخرج الإمام محمد بن الحسين الآجري (٣٦٠هـ) في الشريعة قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا هارون بن عبد الله البرزاق قال: حدثنا شعيب بن حرب قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان قال: حدثنا بديل بن ميسرة العقيلي، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: سألت النبي متى كنت نبياً؟! قال: «كنتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد»^(٢) .

أقول: إسناد صحيح بإجماع، رجاله رجال الصحيحين.

وقوله: «كنت نبياً» أي وُجِدْتُ نبياً بأمر الله تعالى؛ ضرورة أنّ «كنت» هي التامة لا الناقصة فيما هو واضح .

(١) الكافي ١: ٤٤٢ . باب مولد النبي .

(٢) الشريعة (ت: عبد الله الدميجي) ٣: ١٤٠٧ ، رقم: ٩٤٥ . دار الوطن ، الرياض .

وقال أحمد بن محمد الخلال (٣١١هـ): أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني (ثقة حافظ نبيل)، قال: قلت لإسحاق يعني ابن راهويه (إمام مشهور، ثقة خ م): حديث ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟! قال: «وآدم بين الروح والجسد»، ما معناه؟! قال ابن راهويه: قبل أن تنفخ فيه (في آدم) الروح، وقد خلق (نبينا صلى الله عليه وآله وسلم)»^(١).

أخرج الإمام الخلال قال: أخبرني محمد بن الحسين (الحنيني ثقة إمام حافظ)، أن الفضل (بن زياد القطان، محدث أجمعوا على وثاقته) حدثهم قال: قرأت على أبي عبد الله (كنية أحمد بن حنبل): أبو النضر (جعفر بن مهران السبكي، ثقة لا بأس به) قال: ثنا أبو جعفر الرازي (عيسى بن ماهان، ثقة صدوق، بإجماع، لين البعض حفظه) فذكر حديث الأسدي، قال: وذكر مثل ما سقناه عن البزار. قال الفضل: قال لي أحمد (الإمام ابن حنبل): «أول النبيين» يعني: خلقاً قال تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ فبدأ به^(٢).

الثالث: وجود النبيّ البشري في الدنيا .

ولم يخلقه الله سبحانه وتعالى إلا بعد عيسى على حين فترة من الرسل، في حين هو مخلوق موجود في عالم الملكوت قبل آدم، وأيضاً فهو صلى الله عليه وآله مخلوق موجود في عالم النور والجبروت، قبل أن يخلق الله عالم الملكوت وقاطبة الأشياء، فصلى الله عليه وآله صلاة لا يحصيها إلا الله تعالى .

(١) السنة للخلال (عطية الزهراني) ١: ١٨٨، رقم: ٢٠٠. دار الراجعية، الرياض.

(٢) السنة للخلال (ت: عطية الزهراني) ١: ١٨٧. دار الراجعية، الرياض.

النّص أنّ الكعبة مرتبة وجوديّة للعرش

أخرج الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن سنان ، عن محمد بن عمران العجلي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أيُّ شيء كان موضع البيت ، حيث كان الماء ، في قول الله عز وجل : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾؟! .

قال عليه السلام : « كان مهابة بيضاء يعني : درّة »^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، والعجلي من مشايخ ابن أبي عمير ، وهو من أصحاب الإجماع لا يروي إلا عن ثقة .

وهو ظاهرٌ صريحٌ أنّ البيت مخلوقٌ موجود في عالم الملكوت درة بيضاء ، قبل أن يخلقه الله سبحانه خلقاً دنيوياً من طين .

ورواه الصدوق قال : حدثني أبي ، حدثنا سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء ، عن أحمد بن عائذ ، عن أبي خديجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام « إنّ الله عز وجل أنزل الحجر لآدم عليه السلام من الجنة ، وكان البيت درة بيضاء ، فرفعه الله عز وجل إلى السماء ، وبقي أسه ، وهو بحيال هذا البيت ، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً ، فأمر الله عز وجل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببنائ البيت على القواعد »^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

ورواه الكليني عن الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء به مثله^(٣).

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٤ : ١٨٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) علل الشرائع (ت: صادق بحر العلوم) ٢ : ٤٠٦ . المكتبة الحيدريّة ، النجف .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ٤ : ١٨٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت: إسناده الكليني صحيح، المعلی البصري مختلف فيه، وثقه السيّد الخوئي رحمته الله.

وهو صريحٌ أنّ البيت المعظم الذي في مكّة اليوم، كان قبل خلق الدنيا من طين، وجوداً ملكوتياً جتّياً، درةً بيضاء؛ فلما أراد الله تعالى خلق الدنيا، رفعه الله تعالى إلى محلّه من الملكوت، وبقي أسّه وقواعده، فبناه آدم من طين دنيوي.

الحاصل: الكعبة المعظمة، هي عينها البيت المعمور، لكن في مرتبة وجودية أدنى، هي المرتبة الطينية؛ فهي في الدنيا خلق دنيوي من طين، وفي الملكوت خلق جتّي ملكوتي من درة بيضاء، والعرش هو عين البيت المعمور، لكن في رتبة جبروتية من نور.

يشهد له ما رواه الصدوق قال: حدثنا محمد بن الحسن بن محمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار وأحمد بن ادريس جميعاً، عن محمد بن أحمد، عن يحيى بن عمران الأشعري، عن الحسن بن علي، عن مروان بن مسلم، عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام في المسجد الحرام: لأي شيء سمّاه الله: ﴿الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾؟! فقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ الله خلقه قبل الخلق، ثمّ خلق الله الأرض، من بعده فدحاها من تحتها»^(١).

قلت: إسناده صحيح، أو موثّق على اصطلاح المتأخرين، رجاله ثقات دون كلام.

ورواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن الحسين بن علي بن مروان، عن عدة من أصحابنا، عن أبي حمزة الثمالي به مثله^(٢). قلت: إسناده قوي.

قوله عليه السلام: (خلقه قبل الخلق) المادّي، وهو صريحٌ أنّ البيت العتيق خلقه الله تعالى خلقاً مادياً ملكوتياً جتّياً في عالم الملكوت، قبل خلق الدنيا وما فيها.

(١) علل الشرائع (ت: صادق بحر العلوم) ٢: ٤٠٦. المكتبة الحيدريّة، النجف.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٤: ١٨٨. دار الكتب الإسلامية، طهران.

مراتب وجود الحجر الأسود في العوالم الثلاثة

روى الكليني عن محمد بن يحيى وغيره، عن محمد بن أحمد، عن موسى بن عمر (بن بزيق ثقة) عن ابن سنان (محمد الزاهري) عن أبي سعيد القماط (خالد بن سعيد ثقة)، عن بكير بن أعين (ثقة من الأجلء الخواص) قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: لأي علة وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه، ولم يوضع في غيره، ولأي علة تقبل، ولأي علة أخرج من الجنة، ولأي علة وضع ميثاق العباد والعهد فيه، ولم يوضع في غيره، وكيف السبب في ذلك تخبرني جعلني الله فداك؛ فإن تفكري فيه لعجب؟!!!!.

فقال عليه السلام: «سألت وأعضلت في المسألة، واستقصيت، فافهم الجواب، وفرغ قلبك، وأصغ سمعك أخبرك إن شاء الله إن الله تبارك وتعالى...؛ وضع الحجر الأسود، وهي: جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم عليه السلام فوضعت في ذلك الركن لعلّة الميثاق؛ وذلك أنه لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان، وفي ذلك المكان تراءى لهم، ومن ذلك المكان يهبط الطير على القائم عليه السلام، فأول من يبايعه ذلك الطائر وهو والله جبرئيل عليه السلام، وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره، وهو الحجة والدليل على القائم، وهو الشاهد لمن وافاه في ذلك المكان، والشاهد على من أدى إليه الميثاق، والعهد الذي أخذ الله عز وجل على العباد، وأما القبلة والاستلام؛ فلعلّة العهد تجديداً لذلك العهد والميثاق، وتجديداً للبيعة؛ ليؤدوا إليه العهد الذي أخذ الله عليهم في الميثاق، فيأتوه في كلّ سنة ويؤدّوا إليه ذلك العهد والأمانة للذين أخذوا عليهم، ألا ترى أنك تقول أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته؛ لتشهد لي بالموافاة، والله ما يؤدي ذلك أحد غير شيعتنا، ولا حفظ ذلك العهد والميثاق أحد غير شيعتنا، وإثم ليأتوه فيعرفهم ويصدقهم، ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذبهم؛ وذلك أنه لم يحفظ ذلك غيركم، فلكم والله يشهد، وعليهم والله يشهد بالخفر والجحود والكفر، وهو الحجة البالغة من الله عليهم يوم القيامة، يجيء وله لسان ناطق، وعينان في صورته الأولى يعرفه الخلق ولا ينكره يشهد لمن وافاه وجدّد العهد والميثاق عنده، بحفظ العهد والميثاق، وأداء الأمانة، ويشهد على كل من أنكر وجحد ونسي الميثاق،

بالكفر والإنكار؛ فأما علّة ما أخرجه الله من الجنة فهل تدري ما كان الحجر؟! قلت (بكير بن أعين): لا.

قال عليه السلام: «كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله، فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق، كان أول من آمن به وأقر ذلك الملك، فاتخذته الله أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق، وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن يجددوا عنده في كلّ سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم، ثمّ جعله الله مع آدم في الجنة، يذكره الميثاق ويجدد عنده الإقرار في كلّ سنة، فلما عصى آدم وأخرج من الجنة، أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمد صلى الله عليه وآله ولوصيه عليه السلام وجعله تائهاً حيران، فلما تاب الله على آدم حول ذلك الملك في صورة درة بيضاء، فرماه من الجنة إلى آدم عليه السلام، وهو بأرض الهند، فلما نظر إليه أنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنّه جوهرة، وأنطقه الله عز وجل، فقال له: يا آدم أتعرفني؟! قال: لا. قال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك، ثمّ تحول إلى صورته التي كان مع آدم في الجنة، فقال لأدم: أين العهد والميثاق؟! فوثب إليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبّله، وجدد الإقرار بالعهد والميثاق، ثمّ حوله الله عز وجل إلى جوهرة الحجر، درة بيضاء صافية تضيء فحمله آدم عليه السلام على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً، فكان إذا أعيأ حمله عنه جبرئيل عليه السلام، حتى وافى به مكة، فما زال يأنس به بمكة ويجدد الإقرار له كل يوم وليلة، ثمّ إنّ الله عز وجل لما بنى الكعبة وضع الحجر في ذلك المكان؛ لأنّه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان، وفي ذلك المكان ألقم الملك الميثاق، ولذلك وضع في ذلك الركن، ونحى آدم منمكان البيت إلى الصفا، وحواء إلى المروة، ووضع الحجر في ذلك الركن، فلما نظر آدم من الصفا وقد وضع الحجر في الركن، كبر الله وهلله ومجده؛ فلذلك جرت السنة بالتكبير واستقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا؛ فإنّ الله أودعه الميثاق والعهد دون غيره من الملائكة؛ لأن الله عز وجل لما أخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعلي عليه السلام بالوصية اصططكت فرائض الملائكة؛ فأول من أسرع إلى الإقرار، ذلك الملك، لم يكن فيهم أشد حياءً لمحمد وآل

محمد صلى الله عليه وآله منه؛ ولذلك اختاره الله من بينهم، وألقمه الميثاق، وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة، يشهد لكل من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق»^(١).

قلت: إسناده صحيح على الأظهر الأقوى، رجاله ثقات موثقون كلهم، حتى محمد بن سنان الزاهري...؛ ففيه كلام مرجوح لا يضر.

(١) الكافي ٤: ١٨٦، رقم: ٣. باب الحجر وعلة استلامه.

النص أن الله خلق المثال الأشرف قبل المثل الأدنى

يشهد لكل ما تقدّم ، ما أخرجه الصدوق رضي الله تعالى عنه (٣٨١٢هـ) قال : حدثنا علي بن أحمد بن عبد الله البرقي وعلي بن عيسى المجاور في مسجد الكوفة ، وأبو جعفر محمد بن موسى البرقي بالري رحمهم الله قالوا: حدثنا محمد بن علي ماجيلويه ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان أن علي بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه في جواب مسأله وعله الطواف بالبيت أن الله تبارك وتعالى قال للملائكة : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فردوا على الله تعالى هذا الجواب ، فندموا ولاذوا بالعرش ، واستغفروا فأحبّ الله عز وجل أن يتعبّد بمثل ذلك العباد ، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى : الضُّرَّاح ، ثمّ وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّى : المعمور بحذاء الضُّرَّاح ، ثمّ وضع هذا البيت بحذاء البيت المعمور ، ثمّ أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عز وجل عليه ، وجرى ذلك في ولده، إلى يوم القيامة^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، وابن سنان ثقة على الأظهر الأقوى .

والخبر صريحٌ فصيحٌ أنّ العرش هو المثال ، وهو أوّل ما خلق الله تعالى ، ثمّ خلق الله تعالى مثله ، وهو : البيت المعمور أو : الضُّرَّاح ، في عالم الملكوت قبل خلق الدنيا ، ثمّ خلق الله تعالى الكعبة في عالم الدنيا من طين ، وهي مثل البيت المعمور ، والبيت المعمور مثالها الملكوتي .

صحيح محمد بن مروان شاهداً

يشهد له ما رواه الكليني رضي الله عنه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر وابن محبوب جميعاً ، عن الفضل بن صالح ، عن محمد بن مروان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « كنت مع أبي في الحجر » ، فبينما هو قائم يصلي إذ أتاه رجل فجلس إليه فلما انصرف سلم عليه ثم قال : إني أسألك عن ثلاثة أشياء لا يعلمها إلا أنت ورجل آخر؟! .

قال عليه السلام : « ما هي » .

قال الرجل : أخبرني أي شيء كان سبب الطواف بهذا البيت؟! .

فقال عليه السلام : « إنّ الله عز وجل لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام ، ردوا عليه ف: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ ﴿ الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فغضب عليهم .

ثم سأله التوبة ، فأمرهم أن يطوفوا بالضراح ، وهو البيت المعمور ، ومكثوا يطوفون به سبع سنين ويستغفرون الله عز وجل ممّا قالوا ، ثم تاب عليهم من بعد ذلك ، ورضي عنهم ، فهذا كان أصل الطواف ، ثم جعل الله البيت الحرام حذو الضراح ؛ توبة لمن أذنب من بني آدم وطهوراً لهم . فقال صدقت^(١) .

قلت : إسناده معتبرٌ حسنٌ ، رجاله ثقات . الفضل بن صالح الأسدي مضعّف ، لكن رواه عنه اثنان من أصحاب الإجماع ، بل إنّ البنزطي لا يروي إلا عن ثقة ؛ وأياً كان فهذا الخبر صحيح بكثرة الشواهد .

(١) حجر إسماعيل عليه السلام .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٤ : ١٨٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

صحيح ابن أبي عمير شاهداً

أخرجه الصدوق (٣٨١هـ) رضي الله تعالى عنه قال : حدثنا أبي رضي الله عنه قال : حدثنا سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن حديد ، عن بن أبي عمير ، عن أصحابنا عن أحدهما عليهما السلام ، أنه سئل عن ابتداء الطواف؟! .

فقال عليه السلام : «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَرَادَ خَلْقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : ﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ !!»

فقال ملكان من الملائكة عليهم السلام جميعاً : ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فوقعت الحجب فيما بينهما وبين الله عزوجل ، وكان تبارك وتعالى نورُهُ ظاهراً للملائكة ، فلما وقعت الحجب بينه وبينهما ، علما أنه قد سخط قولها ؛ فقالا للملائكة : ما حيلتنا وما وجه توبتنا؟! .

فالت الملائكة عليهم السلام : ما نعرف لكما من التوبة ، إلا أن تلودا بالعرش . فلذا بالعرش حتى أنزل الله تعالى توبتهما ، ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما ، وأحبَّ الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العبادة ، فخلق الله البيت في الأرض ، وجعل على العباد الطواف حوله ، وخلق البيت المعمور في السماء ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة^(١) .

قلت : إسناده صحيح في خصوص ما نحن فيه ، رجاله ثقات ، وعليّ بن حديد ثقة إذا لم يخالف ، ولم يخالف هيهنا ، وابن أبي عمير من أصحاب الإجماع لا يروي إلا عن ثقة . وفي الخبر ظهوراً في مراتب وجودية ثلاث للعرش .

(١) علل الشرائع (ت: صادق بحر العلوم) ٢: ٤٠٣ . المكتبة الحيدرية ، النجف .

معتبر ابن أبي العلاء الرازي شاهداً

أخرجه الصدوق (٣٨١هـ) عليه السلام قال : حدثنا علي بن حبشي بن قوني رحمه الله فيما كتب إليّ قال : حدثنا جميل بن زياد قال : حدثنا القاسم بن إسماعيل قال : حدثنا محمد بن سلمة ، عن يحيى بن أبي العلاء الرازي ، أن رجلاً دخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال : جعلت فداك أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ وأخبرني عن قول الله عزوجل لابليس : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ وأخبرني عن هذا البيت كيف صار فريضة على الخلق أن يأتوه؟! .

قال : فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليه وقال : ما سألتني عن مسألتك أحد قط قبلك..! إن الله عزوجل لما قال : ﴿ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ضجت الملائكة من ذلك وقالوا : يا رب ان كنت لا بدّ جاعلاً في الأرض خليفة ، فاجعله منّا ممن يعمل في خلقك بطاعتك ، فرد عليهم : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فظنت الملائكة أن ذلك سخط من الله تعالى عليهم ، فلاذوا بالعرش يطوفون به ، فأمر الله تعالى لهم بيت من مرمر ، سقفه ياقوتة حمراء ، وأساطينه الزبرجد ، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ، لا يدخلونه بعد ذلك إلى يوم الوقت المعلوم» .

قال عليه السلام : «ويوم الوقت المعلوم ، يوم ينفخ في الصور نفحة واحدة ، فيموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية» .

قال عليه السلام : «وأما نون فكان نهرأ في الجنة ، أشدّ بياضاً من الثلج ، وأحلى من العسل ، قال الله تعالى له : كن مداداً ، فكان مداداً ، ثم أخذ شجرة فغرسها بيده؛ واليد القوة ، وليس بحيث تذهب إليه المشبهة ، ثم قال لها : كوني قلماً ، ثم قال له : اكتب؟! .

فقال القلم له : يا رب وما اكتب؟! .

قال سبحانه وتعالى : « اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ففعل ذلك ، ثم ختم عليه وقال : لا تنطقن إلى يوم الوقت المعلوم »^(١) .

قلت : إسناده معتبر حسن ، رجاله ثقات ومعتمدين . وثمة تحريف ؛ جميل بن زياد محرّف حميد بن زياد فيما هو واضح لأهل الصنعة ؛ لقريظة الطبقة والراوي المروي عنه ؛ إذ لا يوجد غيره يروي عنه ابن قوني ، وهو عن القاسم ، وهي قريظة قويّة جداً .

وحميد بن زياد ، من أهل نينوى رضوان الله تعالى عليه ، سكن قرية قرب الحائر على صاحبه السلام ، وهو عالم جليل ، عظيم القدر ، روى أكثر أصولنا الأربعمائة ، كذا قال الشيخ الطوسي رحمته الله أو قريب مما قال .

القاسم بن إسماعيل القرشي ، شيخ حميد بن زياد ، وإكثار حميد بن زياد عنه رواية كثير من الأصول ، تشعر بجلالته وأمانته وضبطه واعتداده .

محمد بن سلمة بن أرتبيل الشكري ، ثقة من الأجلء عظيم القدر . ويحيى بن أبي العلاء ثقة .

قوله عليه السلام : (فلاذوا بالعرش يطوفون به ، فأمر الله تعالى لهم بيت من مرمر) رتبة وجودية أدنى للعرش ، ملكوتية جنتية من مرمر وياقوت... وهي أدنى من رتبة العرش النورية ، كما أنّ الرتبة الملكوتية ، المرمرية الزبرجدية الياقوتية ، أشرف من الرتبة الدنيوية الطينية التي في مكة ، فيما هو واضح .

وقوله تعالى : (اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة) أي في اللوح المحفوظ ، وهو علم الكرسي كما هو حاصل الجمع بين الأخبار الآتفة ؛ وسيأتي أنّه في معرض البداء .

الأصل القرآني لمراتب الوجود

مضى خبر حنّان عن الصادق عليه السلام : « الكرسي هو : الباب الظاهر من الغيب ، الذي منه مطلع البدع ، ومنه الأشياء كلّها » أي المصدر والأصل الوجودي الأشرف الأبسط لما دونه ؛ فهو علة إيجاد ما دونه فيها شاء الله سبحانه .

وله أصل قرآني هو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾^(١) . وهو بضميمة كلّ الأخبار المتقدمة ، ظاهر أنّ لكلّ ما خلق الله تعالى في الدنيا ، أصل وجودي أشرف ، سابق على وجود الدنيا ..

فمن ذلك صحيح أبي قرّة عن الرضا عليه السلام : الرضا عليه السلام يقول : (العرش اسم علم وقدرة ، وعرش فيه كلّ شيء).

وأيضاً يدلّ عليه -بضميمة الأخبار المتقدمة- ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في حديث المعراج الطويل : « ثمّ قيل لي ارفع رأسك يا محمد ، فرفعت رأسي فإذا أطباق السماء قد خرقت ، والحجب قد رفعت ، ثمّ قال لي طأطأء رأسك انظر ما ترى ، فطأطأت رأسي فنظرت إلى بيت مثل بيتكم هذا ، وحرم مثل حرم هذا البيت ، لو ألقيت شيئاً من يدي ، لم يقع إلّا عليه ، فقيل لي يا محمد : إنّ هذا الحرم وأنت الحرم ، ولكلّ مثل مثال^(٢) » .

ورواه الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثنا أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنهما قالوا : حدثنا سعد بن عبد الله قال : حدثنا محمد بن عيسى بن عبيد ، عن محمد بن أبي عمير ومحمد بن سنان ، عن الصباح السدي ، وسدير الصيرفي ومحمد بن النعمان مؤمن الطاق ، وعمر بن أذينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام ..

(١) الحجر : ٢١ .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٣ : ٤٨٥ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قال الصدوق رضي الله عنه : وحدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار وسعد ابن عبد الله قالا: حدثنا محمد بن الحسن بن أبي الخطاب، ويعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى، عن عبد الله بن جبلة، عن الصباح المزني، وسدير الصيرفي ومحمد بن النعمان الأحول وعمر بن اذينة ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام مثله^(١) .

قلت : إسناد الكافي حسن صحيح دون كلام ، وأما إسناد الصدوق فصحيحان دون أدنى كلام .

قال صاحب البحار رضي الله عنه في المرأة : (لكل مثل مثال) أي كل شيء في الأرض ، له مثال في السماء^(٢) .

يشهد له في الجملة ما أخرجه الصدوق في التوحيد ، حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله ، قال : حدثنا أبو القاسم العلوي ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي ، قال : حدثنا الحسين بن الحسن ، قال : حدثني إبراهيم بن هاشم القمي ، قال : حدثنا العباس بن مرو الفقيمي ، عن هشام بن الحكم في حديث أن زنديقاً سأله فقال ما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟! .

قال الصادق عليه السلام : «ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء ، ولكنه عز وجل أمر أوليائه وعباده برفع أيديهما إلى السماء نحو العرش ؛ لأنه جعله معدن الرزق ، فثبتنا ما ثبته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله ، حين قال: ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل»^(٣) .

(١) علل الشرائع(ت: صادق بحر العلوم) ٢: ٣١٥ . منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف .

(٢) امرأة العقول ١٥ : ٤٧٥ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) التوحيد (ت: هاشم الطهراني): ٢٤٣ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

قلت : إسناده مجهول سقناه شاهداً . الحسين بن الحسن بن بردة الدينوري ، لم أقف على حاله ، وقد ورد في الكافي : بن برد الدينوري .

وقال قطب الدين الراوندي رضي الله عنه (٥٧٣هـ) في دعواته : وروي : أن في العرش تمثالاً لكلِّ عبد ، فإذا اشتغل العبد بالعبادة ، رأت الملائكة تمثاله ، وإذا اشتغل بالمعصية أمر الله بعض الملائكة حتى يجبروه بأجنحتهم لئلا تراه الملائكة ؛ فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله : « يا من أظهر الجميل وستر القبيح »^(١).

قال صاحب البحار رضي الله عنه : ربما يستدل به على أن الجسد المثالي ، موجود في حال الحياة أيضاً^(٢). اهـ.

قلت : أجاد وأفاد صاحب البحار رضي الله عنه ؛ فإنَّ الجسد المثالي لكلِّ مخلوق دنيوي موجود ..

أمّا عقلاً ؛ فلاستحالة وجود الجسد الدنيوي الأدنى ، من دون وجود الأعلى ؛ ضرورة أن الأدنى معلولٌ في الوجود للأعلى .

وأما شرعاً ؛ فلأنَّ وجود الإنسان في عالم الذر قبل خلق الدنيا ، وجودٌ ملكوتيّ ، وعالم الملكوت ، عالم تقيّد الروح ببدن ملكوتيّ ، فاحفظ .

(١) الدعوات : ٦٠ . مطبعة أمير ، قم .

(٢) بحار الأنوار (ت: البهبودي) ٥٨ : ٥٣ . مؤسسة الوفاء ، بيروت .

بيان حديث الرضا عليه السلام .

قال الرضا عليه السلام : (العرش اسم علم وقدرة ، وعرش فيه كل شيء) لكن ما معنى أن في العرش كل شيء؟!
فيه عدة مطالب :

الأول : العرش : اسم علم وقدرة .

وهو صريحٌ أنّ حقيقة العرش : العلم والقدرة اللدنيين .

الثاني : العرش يضم كل شيء من الوجود المخلوق ، أو كل عالم الإمكان ، من مبدئه إلى منتهاه حتى قيام الساعة ، بنحو الوجود الأشرف البسيط ، ويتعين تفسير حديث الرضا عليه السلام هكذا ، وإلا لزم الردّ على المعصوم والعياذ بالله ، بيان ذلك ..

في قوله الرضا عليه السلام : (وعرش فيه كل شيء) احتمالان لا ثالث لهما :

الأول : ردّه والعياذ بالله .

لكن ردّ نصّ المعصوم الثابت ، مروقٌ من الدين ، بجحود ما جاء به الرسول الأمين عن ربّ العالمين ؛ فتعين الاحتمال الثاني ، وهو :

الثاني : نحو الوجود ومرتبته .

ظاهر قول الرضا عليه السلام : (فيه كل شيء) استيعاب ، مقتضاه أنّ الله تعالى خلق كل الأشياء ، خلقاً عرشياً في عالم العرش ، قبل خلق عالم الدنيا والكعبة ، بل قبل خلق عالم الملكوت والبيت المعمور .

ومعنى ذلك أنّ كل شيء خلقه الله تعالى وسيخلقه ، خلقاً دنيوياً إلى قيام الساعة ، هو مخلوق موجودٌ مخلوق خلقاً عرشياً ، قبل خلق عالمي الملكوت والدنيا .

ومصداقه القطعيّ ، ما ذكرناه من الأخبار المعتبرة الكثيرة في مراتب العرش الوجوديّة ، فهو مخلوق في عالم النور والجبروت نوراً ، قبل خلق عالم الملكوت والجنة والنار ، ثم جعل الله تعالى له مثلاً من زبرجد وياقوت الجنة في عالم الملكوت ، قبل خلق الدنيا ، واسمه البيت المعمور ، ثم خلقه الله تعالى من طين بعد إنزال آدم عليه السلام إلى الدنيا ، وأسماه سبحانه الكعبة أو البيت العتيق ..

وأجلى مصداق ، وجود نبينا محمد صلى الله عليه وآله ؛ فالله تعالى خلقه خلقاً نورياً قبل خلق السماوات السبع والأرضين السبع والجنة والنار ، ثم خلقه الله تعالى خلقاً ذريّاً في عالم الذر قبل خلق الدنيا ، ثم خلقاً دنيوياً منذ أربعة عشر قرناً .

إذا اتّضح هذا فكلّ ما في عالم الإمكان حتى يوم القيامة ، مخلوق خلقاً عرشياً قبل خلق السماوات ؛ لكنّه مخلوق في العرش بوجود عرشي ، وقد تقدمت الأمثلة القطعية ؛ كوجود النبيّ نوراً في عالم العرش قبل خلق الدنيا ، وكوجود قاطبة بني آدم قبل خلق الدنيا ، في عالم الذر ، وهو أي عالم الذر ، أجلى مصداق لعالم الملكوت .

والكلام هو الكلام في خبر المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما؟! .

فقال عليه السلام : «العرش في وجه هو : جملة الخلق ، والكرسي وعاءه، وفي وجه آخر العرش هو : العلم...»^(١) .

فالمقصود من قوله عليه السلام : (جملة الخلق) هو أنّ كلّ شيء مخلوق موجود في عالم العرش والمشية ، قبل خلق الدنيا ، بل قبل خلق عالم الملكوت ، لكن بوجود عرشي نوري جبروتي إجمالي .

(١) معاني الأخبار(ت: علي غفاري) : ٣٠ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

بيان ملا صدرا رضي الله عنه

قال ملا صدرا عليه السلام: الاستواء على العرش ، ليس بمعنى الجلوس والاستقرار، ولا المراد بالعرش الذي هو مستوى الرحمن ، صورة الجسم المحدد للجهات، بل المراد من الاستواء الاستيلاء والاقترار . والمراد من العرش: العلم والقدرة.

وقد علمت أنّ العرش : اسم جامع لمراتبه الطبيعية ، والحيوانية ، والنفسية ، والعقلية ، وإليه الإشارة بقول الرضا عليه السلام: (والعرش : اسم علم وقدرة).

ثمّ أشار إلى حقيقة العرش بقوله: (وعرش فيه كلّ شيء) لما سبق أنّه صورة قضاء الله ، ولوحة المكتوب فيه بقلم الحق ، كلّ ما هو كائن إلى يوم القيامة كما ورد في الحديث، وأيضاً كونه علماً ، لا ينافي كونه قدرة ؛ لأنّه بحسب كلّ حيثية معنى يسمّى باسم، فإنّه من حيث جوهره العقلي الحافظ لصور الأشياء المعقولة، علم. ومن حيث كونه واسطة لإفاضته لصور المعلومات من الله على النفوس القابلة ، قلم ، الذي قال له : اكتب.

ومن حيث جوهره النفساني المحرك للأفلاك والسموات حركة شوقية ، قدرة.

ومن حيث انتقاشه بالعلوم المفصلة ، لوح.

ومن حيث استقرار العلم والقدرة والحياة عليه عرش حامل، ومن حيث أنّ العلماء بالله وبما في قضائه ، يحملونه ويعلمون ما فيه ، محمول لهم ؛ وهم المراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾^(١). اهـ.

قلت : ما ذكره رضوان الله عليه تام .

(١) شرح أصول الكافي(ت: خواجوي) ٣ : ٣٥٦ . مؤسسة مطالعات فرهنگي، إيران.

زبدة الفصل

عدا علم الله المتعلق بذاته ، الذي هو عين ذاته سبحانه ، ثمة علمان تعلقا بما شاء سبحانه إيجاده وخلقه ، كلاهما من علم الغيب ، هما : علم العرش وعلم الكرسي .

وعلم العرش أشرف من علم الكرسي ؛ ضرورة أنّ علم العرش خاصّ بمشيئة الله تعالى ، قد يفيض بعضه على المعصوم على ما تقضي به الحكمة ، وهو من المحتوم .

أما علم الكرسي : فعام ، أفاضه سبحانه كلّه على المعصوم ، لكنّه ليس محتوماً ؛ فقد يطرأ عليه البداء والمحو والإثبات ؛ لعلّة سنذكرها مفصّلاً لاحقاً .

وما رواه أصحابنا في الأخبار القطعيّة ، من قبيل ما أخرجه روى الصّفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا محمّد بن عبد الحميد وأبو طالب جميعاً ، عن حنّان بن سدير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنّ لله علماً عاماً وعلماً خاصاً :

فأما الخاص : فالذي لم يطلع عليه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل .

وأما علمه العام : فهو الذي اطلعت عليه الملائكة المقربين ، والأنبياء المرسلين ، قد رفع ذلك كلّه إلينا...»^(١) .

قلت : العلم الخاص والعام كلاهما في رتبة الفعل والمشيئة ، والخاص هو علم العرش ، والعام هو علم الكرسي ، وكلاهما دون علم الله المتعلق بذاته سبحانه .

الزبدة : العرش بمعنى الصورة : هيئة نوريّة مربّعة ، موجود في السماء السابعة أو دونها ، حقيقته العلم والقدرة في مقام الفعل والمشيئة ، وإن شئت قل : العلم والقدرة اللدنيّين ؛ أفاضهما تعالى من لدنه .

(١) بصائر الدرجات(ت: كوجه باغي): ١٣٠ . مطبعة الأحمدي، طهران .

فحقيقة العرش : علم الله في مرتبة الفعل الأوّل ، وهو : ما تعلق بإرادته في إيجاد كلّ ما خلق ؛ أي كلّ عالم الإمكان ، وجوداً عرشياً نورياً ، قبل الوجود الملكوتي والدينوي .

ومعنى : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ حملة هذا العلم والقدرة اللدنيين ، من الأنبياء والأوصياء والملائكة كلّ في عالمه على ما أوضحنا .

هذا العلم بإيجاز هو : صورة المشيئة الإلهية الأولى في الإيجاد .

لكن هل المعصوم ، محيطٌ بعلم العرش؟! .

أو : هل المعصوم عالمٌ بكلّ المشيئة الإلهية في الخلق والإيجاد!!؟

عقدنا كلّ هذا الفصل لمعرفة جواب هذا السؤال ، وقد اتّضح عقلاً استحالة أن يحيط المعصوم بعلم العرش أو علم المشيئة ، هو علم الغيب الباطن في رتبة المشيئة ؛ أي ما تعلق بكلّ ما شاء الله سبحانه وإيجاداً ؛ وإلاّ لزم إحاطة المعصوم ، وهو مخلوق محدود بغير المحدود سبحانه ، وهذا ممتنع بالبدئية ، ويستثنى ما إذا شاء الله سبحانه أن يفيض على المعصوم بعضه ، على ما تقضي به حكمة الله وتعالى ورحمته .

وشرعاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَمْنُحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وقوله عز وجل: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ وهو صريح في المطلوب.

(١) يونس : ١٠٩ .

(٢) الكهف : ٢٣ .

الفصل الخامس

علم المعصوم المعلق على المشيئة

هل يعلم المعصوم الغيب؟!!!

أبان الفصل السابق أنّ المعصوم عليه السلام لا يحيط إلا بعلم الكرسي ، وهو علم الغيب الظاهر ، وفيه علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، لكن كثيراً منه في معرض البدء والمشيئة والمحو والإثبات والتقديم والتأخير .

أما علم العرش عظمه الله ، وهو علم الغيب الباطن المستور ، أو : العلم بما يشاء الله إلى يوم القيامة ما شئت فعبّر ، فيمتنع إحاطة المعصوم به ؛ لا استلزام إحاطة المحدود بغير المحدود ؛ يرشد له قوله تعالى : ﴿ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ناهيك عن قوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ وغير ذلك من النصوص القطعية ..

هذا كلّه عرض له الفصل السابق بنحو الإجمال ، وفي هذا الفصل سنتين كلّ هذا كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام بتفصيل وبيان .

وأيّاً كان ، فثمّة فروض ثلاثة ، لا رابع لها في أصل التساؤل أعلاه ؛ كالآتي :

الأول : المعصوم يعلم الغيب المطلق .

وهذا لا يقول به أحد من أمة محمد صلى الله عليه وآله ، سنّة وشيعة وغيرهم ؛ لامتناعه الذاتي كما هو أوضح من أن يخفى ؛ فامتناع إحاطة المحدود بالمطلق بديهية ، وإلا انقلب المخلوق خالقاً والعبد ربّاً والعياذ بالله .

علاوة على تكذيب صريح القرآن : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾^(١) وحصر الغيب المطلق بالله سبحانه وتعالى دون سواه في هذه الآية الشريفة ومن غيرها ، ظاهر مليح ، فصيح صريح .

الفرض الثاني: لا يعلم أي شيء من الغيب .

القول بهذا الفرض تكذيبٌ صريحٌ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾^(١) فلم يبق إلا الفرض الثالث ، وهو المتعين .

الفرض الثالث : يعلم بعض الغيب بتعليم الله

لقوله سبحانه : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ أجمع على هذا قاطبة أهل القبلة من السنة والشيعا في الجملة ، واختلفوا في سعة ما أوحاه الله إلى صفوة عباده ؛ فأهل السنة خصّوه بالأنبياء فقط ، ونحن عمّمناه للأوصياء غير الأنبياء صلوات الله عليه ؛ للنصوص القطعية ؛ منها ما ورد في الخبر عليه السلام : ﴿وَعَلَّمْتَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ .

ولقوله تعالى : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾^(٢) . وقوله عز وجل : ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾^(٣) . وكذا قوله سبحانه وتعالى : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾^(٥) وهو صريحٌ أنّ النبي إنّما يعلم من الغيب ما تحقّق بوحي من الله وتعليمه سبحانه وتعالى ، وسيأتي أنّ الوحي على ثلاثة أقسام .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾^(٦) .

(١) آل عمران : ٤٤ .

(٢) سورة هود : ٤٩ .

(٣) يوسف : ١٠٢ .

(٤) سورة الجن : ٢٧ .

(٥) الأنعام : ٥٠ .

(٦) سورة التكويد : ٢٤ .

وتفسير الآية : النبي صلى الله عليه وآله ليس ببخيل في تعليم الناس ما أظهر الله له من الغيب .
وقيل : الله تعالى ليس ببخيل في تعليم النبي صلى الله عليه وآله الغيب .

قلت : على كلا القولين ، الآية صريحة أنّ النبي يعلم من الغيب ما أذن به الله سبحانه ، بواسطة الوحي أو روح القدس .

فالمعصوم عندنا لا يعلم من الغيب إلا بعضه ، وهو ما أوحاه سبحانه لصفوة عباده ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ ﴾ وأما اطلاع المعصوم على الغيب المطلق ؛ فممتنع بالبدية .

الحاصل :

غيب الله تعالى على مرتبتين : فمرتبة متعلقة بعين الذات الأحديّة ، في مرتبة الذات ، وهي عين الذات ، يمتنع أن يحيط بها غيره سبحانه . ومرتبة أخرى متعلقة بما شاء الله إيجاده وخلقته ؛ أي علمه في مقام الفعل ، وهي في مرتبتين : علم العرش وعلم الكرسي .

فأمّا علم الكرسي وهو علم الغيب الظاهر ، فالله قضى أن يطلع على المعصومين أنبياء وأوصياء وملائكة ، كل حسب درجته ، وهذا العلم هو المكتوب في اللوح المحفوظ .

أمّا علم العرش ، وهو : علم الغيب الباطن المتعلق بما شاء الله إيجاده ، في مرتبة الفعل ، فهذا لا يعلم المعصوم منه شيئاً إلا إذا شاء الله سبحانه أن يطلع عليه .

وسياتي في النصوص المتواترة القطعية في فصل مستقل ، أنّ الله تعالى يفيض على المعصوم منه ليالي القدر كل سنة ، أو كلّ ليلة جمعة ، أو كلّ آن حسبما تقضي حكمة الله ورحمته سبحانه .

إشكالية تنافي الأخبار في علم المعصوم!!

ظاهر الأخبار الآتية التنافي ، وإنّا عقدنا هذا الفصل ، بل كلّ الكتاب ؛ لبيان عدم تنافيا في كلّ تفاصيلها ؛ فسيُضح أنّ الأخبار فيما نحن فيه ، عن أهل البيت صلوات الله عليهم ، على طوائف ثلاث ؛ كالآتي :

الطائفة الأولى : ظاهرة أنّ المعصوم عليه السلام ، لا يعلم الغيب .

الطائفة الثانية : ظاهرة أنّ المعصوم عالمٌ بما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

يزيد التنافي قوّة واستقراراً أنّ كلّاً من الطائفتين ، متواتر أو قطعيّ الصدور؟! .

والسؤال : هل يمكن إجراء قواعد الجمع العرفي بين الطائفتين؟! قلنا : بلى يدلّ عليه أخبر الطائفة الثالثة ..

الطائفة الثالثة: الحقّ أنّه لا منافاة بين الطائفتين ؛ فمّة طائفة ثالثة من القرآن والسنة ،

تجمع بينهما ، ولقد كتبنا هذا الفصل خاصّة ، وبقية الكتاب عامّة ، لبيان ذلك ..

فافتراض أنّ المعصوم ، نبياً كان أم وصياً ، عالمٌ بما كان وما يكون حتّى يوم القيامة ،

لا يعني أنّه يعلم الغيب المطلق المختص بالله سبحانه ..؛ لسببين :

الأوّل : المعصوم لا يعلم شيئاً ، لا بما كان ولا بما يكون ، إلّا بتعليم الله تعالى .

الثاني : الغيب الحقّ ، محض مطلق لا حدّ له ، فيمتنع إحاطة المخلوق به بالبديهة ؛ إذ

إحاطة المخلوق المحدود ، بما ليس بمحدود محال ؛ وإلّا لزم انقلاب المخلوق المحدود ،

خالقاً غير محدود ، وهو جمع بين النقيضين .

الطائفة الأولى :

المعصوم لا يعلم الغيب المطلق

علم ضرورة عند أهل القبلة سنة وشيعة أن المعصوم سواء أكان رسولاً أم نبياً أم وصياً ، لا يعلم الغيب المطلق ؛ لما ذكرناه وكررناه من استحالة أن يحيط المعصوم ، وهو مخلوق محدود ، بعلم الخالق غير المحدود ، وهذا معلوم ضرورة ، بل بديهي .

يدل عليه صريحاً قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾^(١) . وهو نص في حصر الغيب المطلق بالله تعالى ؛ ضرورة دلالة مجموع النفي والاستثناء على الحصر كما هو جلي .

وقال تعالى في نبينا محمد صلى الله عليه وآله : ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾^(٢) .

وهو نص صريح في حصر الغيب المطلق بالله تعالى ؛ ضرورة دلالة حرف : (إنما) على الحصر دون كلام .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) .

والآية صريحة جداً في نفي إحاطة غير الله تعالى بالغيب المطلق ؛ ضرورة أن حرف الشرط : (لو) إمتناع الجزاء لعدم الشرط ؛ فمعنى الآية : امتنع استكثاري من الخير لامتناع إحاطتي بالغيب المطلق .

(١) سورة الأنعام : ٥٩ .

(٢) سورة يونس : ٢٠ .

(٣) سورة الأعراف : ١٨٨ .

وقد بان المعنى من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾^(١).

وهو صريحٌ أنّ المعصوم لا يعلم من الغيب غير ما أوحاه الله سبحانه له ، والوحي على ثلاثة أقسام ، ليس وحي جبرائيل إلا قسمٌ من هذه الثلاثة ، سيأتيك بيانها لاحقاً ..

وقال الله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

هذه الآيات صريحة -أيها صراحة- أنّ الغيب المطلق من مختصات الخالق سبحانه لا غير، وإلاّ لزم المحال الذاتي كما أوضحنا ..

لكن ربها يأذن الخالق أن يظهر بعض غيبه للملائكة والرسل ، إمّا بالوحي ، وإمّا بما أوتوا من العلم اللدني وروح القدس ، حسب ما تقضي به حكمته تعالى ..

(١) سورة الأنعام : ٥٠ .

(٢) هود : ٣١ .

نصوص الطائفة الأولى

روى أصحابنا رضي الله عنهم أخباراً قطعياً في ذلك ؛ هاك منها..

صحيح معمر !!

أخرجه الصفار (٢٩٠هـ) في البصائر قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن معمر قال : قلت : أو تعلمون الغيب؟! .

قال : فقال : أبو جعفر عليه السلام : «يسيطر لنا فنعلم ، ويقبض عنا فلا نعلم»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

صحيح الساباطي

أخرجه الكليني رضي الله عنه ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن الحسن ، عن أحمد بن الحسن بن علي ، عن عمرو بن سعيد ، عن مصدق بن صدقة ، عن عمار الساباطي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب؟! .

فقال عليه السلام : « لا ... »^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، أو : موثق على اصطلاح المتأخرين .

صحيح ابن المغيرة البجلي

أخرجه الكشي رضي الله عنه ، عن حمدويه بن نصير بن شاهي رضي الله عنه ، قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن عبد الله بن المغيرة البجلي ، قال : كنت عند أبي الحسن عليه السلام أنا ويحيى بن عبد الله بن الحسن عليه السلام فقال يحيى : جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب؟! .

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه): ٥٣٤ . مطبعة الأحدي ، طهران .

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٥٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

فقال عليه السلام : «سبحان الله ، سبحان الله ، ضع يدك على رأسي، فوالله ما بقيت في جسدي شعرة ، ولا في رأسي ، إلا قامت»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

صحيح أبي حمزة الثمالي

أخرج الكشي قال حدثني حمدويه بن نصير قال: سألت أبا الحسن أيوب بن نوح عن سليمان بن خالد النخعي أتقة هو؟! . فقال: كما يكون الثقة.

قال: حدثني عبد الله بن محمد قال: حدثني أبي ، عن إساعيل بن أبي حمزة، عن أبيه قال: ركب أبو جعفر عليه السلام يوماً إلى حائط له من حيطان المدينة، فركبت معه إلى ذلك الحائط ومعنا سليمان بن خالد، فقال له سليمان بن خالد: جعلت فداك يعلم الإمام عليه السلام ما في يومه؟! .

فقال عليه السلام : «يا سليمان ، والذي بعث محمداً بالنبوة ، واصطفاه بالرسالة ، إنه ليعلم ما في يومه ، وفي شهره ، وفي سنته».

ثم قال عليه السلام : «يا سليمان أما علمت أنّ روحاً ينزل عليه في ليلة القدر، فيعلم ما في تلك السنة ، إلى ما في مثلها من قابل، وعلم ما يحدث في الليل والنهار ، والساعة ترى ما يطمئن إليه قلبك؟!» .

قال سليمان : فوالله ما سرنا إلا ميلاً ونحو ذلك حتى قال عليه السلام : «الساعة يستقبلك رجلاً ، قد سرقا سرقة ، قد أضمرنا عليها».

قال سليمان بن خالد : فوالله ما سرنا إلا ميلاً حتى استقبلنا الرجلان ، فقال أبو جعفر عليه السلام لغلمانه: «عليكم بالسارقين، فأخذنا حتى أتى بهما، فقال عليه السلام : «سرقتهما؟!» . فحللنا له بالله أتهما ما سرقا. فقال عليه السلام : «والله لئن أنتما لم تخرجا ما

(١) رجال الكشي (ت: مهدي رجائي) ٢: ٤٨٧ . مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم .

سرقتما لابعثن إلى الموضع الذي وضعتما فيه سרכתكما، ولأبعثن إلى صاحبكما الذي سرقتماه حتى يأخذكما ويرفعكما إلى والي المدينة فأيكما؟! . فأبيا أن يردّا الذي سرقاه... .

فرجعنا إلى المدينة فلما أصبحنا أخذ أبو جعفر عليه السلام بأيدينا فأدخلنا معه على والي المدينة...، إلى أن قال أحد السارقين بعد قطع يده: والله يا أبا جعفر، لقد قطعني بحق، وما سرني أن الله جل وعلا أجرى توبتي على يد غيرك، وأن لي ما حازته المدينة، وإني لأعلم أنك لا تعلم الغيب، ولكنكم أهل بيت النبوة، وعليكم نزلت الملائكة، وأنتم معدن الرحمة. فرق له أبو جعفر عليه السلام وقال له: «أنت على خير» ثم التفت إلى الوالي وجماعة الناس فقال: «والله لقد سبقته يده إلى الجنة بعشرين سنة»^(١).

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات. عبد الله بن محمد بن خالد الطيالسي ثقة، وأبوه: محمد بن خالد الطيالسي من أصحاب الكتب ترجم له الطوسي في الفهرست دون طعن، وثقه ابن قولويه في الكامل توثيقاً عاماً، والبقية ثقات دون كلام.

خبر عنسبة بن مصعب العجلي الكوفي

أخرجه الكشي رضي الله عنه (٤٦٠هـ) عن أحمد بن علي القمي السلولي، قال حدثني أحمد بن محمد بن عيسى، عن صفوان، عن عنسبة بن مصعب، قال، قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أي شيء سمعت من أبي الخطاب؟! .

قال: سمعته يقول: إنك تعلم الغيب... .

قال عليه السلام: «...أما قوله أتى قلت أعلم الغيب؟! فوالله الذي لا اله الا هو، ما أعلم الغيب، ولا أجرني الله في أمواتي، ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له...»^(٢).

قلت: صحيح، وهذا الإسناد مجهول بالسلولي وعنسبة، والبقية ثقات.

(١) رجال الكشي (ت: مهدي رجائي) ٢: ٦٤٦. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

(٢) رجال الكشي (ت: مهدي رجائي) ٢: ٤٨٥. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

الحاصل :

هذه الأخبار ، وثمة غيرها لا تسعنا الآن ، قطعية الصدور ، ضرورية المعنى ، وهي ؛ سيما صحيح ابن المغيرة البجلي ، وخبر عنسبة ، صريحة في هول هذه الدعوى الزائفة على الإمام صلوات الله عليه ؛ لما ذكرناه مراراً ، من استحالة إحاطة المخلوق المحدود ، بالخالق المطلق ، غير المحدود سبحانه وتعالى ، علاوة على تكذيب صريح القرآن .

وبالجملة : هذه الأخبار القطعية الضرورية ، صريحة جداً أنّ المعصوم عليه السلام لا يعلم من الغيب على نحو الاستقلال أي شيء ، بل هو ممتنع ، ويستثنى ما ارتضاه الله تعالى للمعصومين أنبياء وأوصياء وملائكة عليهم السلام ؛ فهذا ليس على نحو الاستقلال وإنّما بإذن الله تعالى وتعليمه .

الطائفة الثانية

المعصوم عالمٌ بما كان وما يكون

ربما يتوهم كثير من الجهلة ، دلالة هذه الأخبار القطعية ، بل المتواترة ، على علم المعصوم المطلق بالغيب ، بلا قيد أو شرط أو حدّ ، وهذا عين الباطل ، لم يقل به أحدٌ من أصحابنا رضوان الله عليهم ، هاك بعضها كآتي :

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن النعمان ، عن إسماعيل بن جابر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وفصل ما بينكم ، ونحن نعلمه »^(١).

قلت : إسناده صحيح ، دون أدنى كلام .

وأخرج الصفار عليه السلام (٢٩٠هـ) قال : حدثنا العباس بن معروف ، عن حماد بن عيسى ، عن حرّيز ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل عليّ عليه السلام عن علم النبي صلى الله عليه وآله؟! .

فقال عليه السلام : « علم النبي علم جميع النبيين ، وعلم ما كان ، وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة..! والذي نفسي بيده ، إنّي لأعلم علم النبي صلى الله عليه وآله ، وعلم ما كان ، وما هو كائن ، فما بيني وبين قيام الساعة »^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن ابن فضال ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « قد

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٦٢ . باب الرد إلى الكتاب والسنة . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه) : ١٤٧ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنا أعلم كتاب الله ، وفيه بدء الخلق ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وفيه خبر السماء ، وخبر الأرض ، وخبر الجنة ، وخبر النار ، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن ، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي ، إن الله يقول فيه تبيان كل شيء^(١) .

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه السلام : (إنّ الله يقول فيه تبيان كل شيء) تفسيرٌ لقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

يشهد له ما وراه الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إسماعيل بن مهران ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي المغراء ، عن سماعة ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له : أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله؟! .

قال عليه السلام : «بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله»^(٢) .

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد العزيز بن المهدي ، عن عبد الله بن جندب ، أنّه كتب إليه الرضا عليه السلام : «أما بعد فإنّ محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه ، فلما قبض صلى الله عليه وآله كُنّا أهل البيت ورثته ، فنحن أمناء الله في أرضه ، عندنا علم البلايا والمنايا ، وأنساب العرب ، ومولد الإسلام ، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان ، وحقيقة النفاق ، وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم ، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق ، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا ، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم ؛ نحن النجباء النجاة ، ونحن أفرط الأنبياء ، ونحن أبناء الأوصياء ، ونحن المخصوصون في كتاب الله عز وجل ، ونحن أولى الناس بكتاب الله ، ونحن أولى الناس

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٦٢ . باب الرد إلى الكتاب والسنة . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٦٢ . باب الرد إلى الكتاب والسنة . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

برسول الله صلى الله عليه وآله ، ونحن الذين شرع الله لنا دينه فقال في كتابه : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ ﴾
يا آل محمد ﴿ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ قد وصانا بما وصى به نوحاً ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ فقد علمنا ، وبلغنا علم ما علمنا ، واستودعنا
علمهم ، نحن ورثة أولي العزم من الرسل...»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات أجلة ؛ عبد العزيز الأشعري القمي ثقة جليل ،
وعبد الله بن جندب البجلي من أصحاب الكاظم والرضا ، عالم ثقة جليل .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن
النضر بن سويد ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأله عن قول الله
عز وجل : ﴿ وَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾^(٢) ما
الزبور وما الذكر؟! .

قال عليه السلام : «الذكر عند الله ، والزبور الذي أنزل على داود ، وكل كتاب نزل ،
فهو عند أهل العلم ، ونحن هم»^(٣).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن إسماعيل
، عن علي بن النعمان ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
قال لي عليه السلام : «يا أبا محمد إن الله عز وجل لم يعط الأنبياء شيئاً ، إلا وقد أعطاه محمداً
صلى الله عليه وآله ، وقد أعطى محمداً جميع ما أعطى الأنبياء ، وعندنا الصحف التي قال الله
عز وجل : ﴿ صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾»^(٤).

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٦٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الأنبياء : ١٠٥ .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٦ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٤) الأعلى : ١٩ .

قلت : جعلت فداك هي الألواح؟!.

قال عليه السلام : «نعم»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، ومحمد هو : ابن بزيع الثقة الجليل .

الحاصل : هذه الأخبار صريحةٌ أنّ المعصوم عالمٌ بها كان وما يكون إلى يوم القيامة ، أو

إلى قيام الساعة .

وهي بدوياً ، تنافي ما جاء في الطائفة الأولى ؛ فهي -بمجموعها- صريحةٌ أنّ المعصوم

عالمٌ ب: فصل الخطاب ، وأخبار الماضين والآتين ، وبها كان وما يكون إلى يوم القيامة .

وبالجملة : المعصوم عالمٌ بكتاب الله ، والله تعالى يقول في كتابه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

بل في الأخبار الصحيحة الثابتة ، ما هو أكبر من ذلك أو مثله ، هاك لترى ..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٥ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) سورة النحل : ٨٩ .

النص أنّ المعصوم عالم بما في السماوات

روى الكليني (٣٢٩هـ) رضي الله تعالى عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن ابن رثاب ، عن ضريس الكناسي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : «أترون أن الله تبارك وتعالى، افترض طاعة أوليائه على عباده ، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ، ويقطع عنهم مواد العلم ، فيما يرد عليهم ، ممّا فيه قوام دينهم؟!»^(١).

قلت : إسناده صحيح باتفاق ، وسيأتي الكلام فيه .

أخرج الصفار رحمته الله (٢٩٠هـ) قال : حدثنا علي بن اسماعيل ، عن محمد بن عمرو الزيات ، عن يونس ، عن عبد الأعلى بن أعين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إني لأعلم ما في السماء ، وأعلم ما في الأرض ، وأعلم ما في الجنة ، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وأعلم ما يكون..؛ علمت ذلك من كتاب الله إنّ الله تعالى يقول : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

قلت : إسناده قويّ معتبر ، بل حسنٌ صحيح. الزيات هو المدائني ، وهو ثقة دون كلام. علي بن إسماعيل ، هو : ابن عيسى القمي ، وثقه ابن قولويه في الكامل ، روى عنه الأجلّة العظام ، لم يقدح فيه أحد . ويونس هو : ابن يعقوب الثقة . عبد الأعلى بن أعين العجلي جليلٌ موثّقٌ ممدوح ، كان تمنّ أذن لهم المعصوم بالكلام ، وثقه القمي في تفسيره.

يشهد له ما أخرجه الصفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن يونس ، عن الحرث بن المغيرة وعدة من أصحابنا فيهم عبد الأعلى وعبيدة بن عبد الله بشر الخثعمي وعبد الله بن بشير سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إني لأعلم ما في السموات ، وأعلم ما في الأرضين ، وأعلم ما في الجنة ، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٦٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة) : ١٤٧ . مطبعة الأحمدي ، طهران.

يكون» ثم مكث هنيهة ، فرأى أن ذلك كبر على من سمعه فقال : «علمت من كتاب الله ، يقول : فيه تبيان كل شيء»^(١).

وأخرجه أيضاً قال : حدثنا عبدالله بن عامر ، عن محمد بن سنان ، عن يونس بن يعقوب (=الدهني) عن الحارث بن المغيرة النصري مثله^(٢).

قلت : إسناداهما صحيحان ، رجالهما ثقات ، ومحمد بن سنان ثقة على الأظهر .

وروى الصفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن عبدالرحمن بن أبي نجران ، عن يونس بن يعقوب ، عن الحسن بن المغيرة ، عن عبد الأعلى وعبيده بن بشير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام ابتداءً منه :

«والله إني لأعلم ما في السموات ، وما في الأرض ، وما في الجنة وما في النار ، وما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة ..؛ أعلمه من كتاب انظر اليه هكذا ثم بسط كفيه» ثم قال : إن الله يقول : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٣).

قلت : إسناده صحيح ، والحسن بن المغيرة ، بشهادة ما سبق ، محرّف الحرث بن المغيرة النصري الثقة العين رضي الله عنه ؛ إذ لا وجود لراو اسمه الحسن بن المغيرة ، يروي عنه يونس في هذه الطبقة إطلاقاً إلا الحرث النصري رضي الله عنه ، والبقية ثقات .

وقال الصفار (٢٩٠هـ) : حدثنا محمد بن عبد الجبار ، عن منصور بن يونس ، عن حماد اللحام قال قال أبو عبد الله عليه السلام : «نحن والله نعلم ما في السموات ، وما في الأرض ، وما في الجنة وما في النار ، وما بين ذلك».

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٨ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٨ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٣) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٧ . مطبعة الأحدي، طهران.

ثم قال عليه السلام: «ياحماد إن ذلك في كتاب الله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ إنه من كتاب الله؛ فيه تبيان كل شيء، فيه تبيان كل شيء»^(١).

قلت: في إسناده مجهول، رجاله ثقات إلا حماد اللحام لم يوثقه أحد، سقناه شاهداً.

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجه): ١٤٧ . مطبعة الأحمدي، طهران.

النص أن عند أهل البيت علم الكتاب

النصوص في هذا قطعية كثيرة الطرق جداً ، لا يسعنا سردها كلها ، مضى بعضها قبل قليل ، منها : ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه .. ح

ومحمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن عمّن ذكره جميعاً عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن بريد بن معاوية قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾؟! .

قال الباقر عليه الصلاة والسلام : «إيانا عنى ، وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي عليه السلام»^(١).

قلت : إسناده حسن صحيح دون أدنى كلام ، ومعناه من الضروريات .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن أبي زاهر ، عن الخشاب ، عن علي بن حسان ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ .

قال فرج أبو عبد الله عليه السلام بين أصابعه ، فوضعها في صدره ثم قال : «وعندنا والله علم الكتاب كله»^(٢).

وأخرج القمي قال : حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الذي ﴿ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ هو أمير المؤمنين عليه السلام .

وسئل عن : ﴿ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ أعلم أم الذي ﴿ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾؟! .!

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

فقال عليه السلام: «ما كان علم ﴿عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ عند الذي ﴿عِنْدَهُ عِلْمٌ﴾ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَأْخُذُ الْبِعُوضَةُ بِجَنَاحِهَا مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ».

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي هَبَطَ بِهِ آدَمُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَجَمِيعَ مَا فَضَّلْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ إِلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، فِي عَتْرَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»^(١).

قلت: إسناده صحيح ، وقد ذكر الشيخ المفيد (١٣٤ هـ) رضي الله عنه أنّ هذا رواه ثقات العامة والخاصة^(٢).

والخبر ورد في سياق مقارنة الصادق عليه السلام ، بين علم أمير المؤمن علي عليه السلام ، وبين علم آصف بن برخيا وصي سليمان صلوات الله عليهما ؛ فأصف هو القائل للنبي سليمان عليهما السلام: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾^(٣).

وأما أمير المؤمنين علي عليه السلام ؛ فهو المقصود بقول الله تعالى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٤).

(١) تفسير القمي (ت: طيب الجزائري) ١: ٣٦٧. مطبعة النجف ، منشورات دارالهدى.

(٢) الإرشاد ١: ٢٣٣. دار المفيد ، بيروت.

(٣) سورة النمل : ٤٠ .

(٤) سورة الرعد : ٤٣ .

النص أن المعصوم عالمٌ بما مضى وما بقي

روى الصدوق (٣٨١هـ) ، عن أبيه رضي الله عنهما قال : حدثني سعد بن عبد الله ، عن يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير ، عن معاوية بن وهب ، قال : استأذنت علي أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقبل لي : ادخل فدخلت ، فوجدته في مصلاه في بيته ، فجلستُ حتى قضى صلاته ، فسمعتُه وهو يُناجي ربَّه وهو يقولُ : « اللهمَّ يا مَنْ خَصَّنَا بالكرامةِ ، وَوَعَدَنَا بالشفاعةِ ، وَخَصَّنَا بالوصيةِ ، وَأَعْطَانَا عِلْمَ مَا مَضَى وَعِلْمَ مَا بَقِيَ ، وَجَعَلَ أَفئدةَ مِنَ النَّاسِ تهوي إلينا ، اغفرْ لي ، وإلخواني ، ولزوّارِ قبرِ أبي عبدِ اللهِ الحسينِ ... »^(١) .

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

وقد أخرجه الكليني أيضاً من طريقين ؛ الأوّل : عن محمد بن يحيى وغيره ، عن محمد بن أحمد ، ومحمد بن الحسين جميعاً ، عن موسى بن عمر ، عن غسان (=حسان) البصري ، عن معاوية بن وهب .

والثاني : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بعض أصحابنا ، عن إبراهيم بن عقبة ، عن معاوية بن وهب مثله أو قريباً منه^(٢) .

ورواه ابن قولويه رضي الله عنه بسنده عن موسى بن عمر ، عن حسان البصري ، عن معاوية بن وهب^(٣) .

كما قد رواه من طريق ثانٍ قال : وحدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري ، عن أبيه ، عن علي بن محمد بن سالم ، عن عبد الله بن حماد البصري ، عن عبد الله بن عبد الرحمان الأصم ، عن معاوية بن وهب^(٤) .

الحاصل : فالحديث صحيح مستفيض ، بل هو في الجملة متواتر المعنى .

(١) ثواب الأعمال : ٩٤ . مطبعة أمير - قم . وانظر كامل الزيارات : ٢٣٠ . من عدة طرق .

(٢) الكافي : ٤ : ٥٨٢ .

(٣) كامل الزيارات (ابن قولويه) : ٢٢٩ . أقول : كذا والصحيح : غسان البصري .

(٤) كامل الزيارات (ابن قولويه) : ٢٢٩ .

نصّ سنّي في علم المعصوم بما في السماوات

أخرج إمام الحنابلة أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) قال : حدثنا سلمة بن شبيب وعبد بن حميد، قالوا: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائ الأعل؟!».

قال النبيّ: «قلت: لا».

قال النبيّ عليه السلام : «فوضع يده بين كتفي ، حتى وجدت بردها في نحري، فعلمت ما في السماوات ، وما في الأرض»^(١).

قلت : صحيح ، رجاله ثقات على شرط الشيخين .

وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير^(٢) .

وله شاهد أخرجه الإمام الدارمي (٢٥٥هـ) قال : أخبرنا محمد بن المبارك، حدثني الوليد بن مسلم، حدثني ابن جابر، عن خالد بن اللجلاج، وسأله، مكحول أن يحدثه، قال: سمعت عبد الرحمن بن عائش، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رأيت ربي في أحسن صورة... فعلمت ما في السموات والأرض، وتلا : ﴿وَكَذَلِكَ نُبْرِئُ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾».

قال الشيخ حسين سليم أسد في الهامش : إسناده صحيح إذا ثبتت صحبة عبد الرحمن بن عائش^(٣).

(١) سنن الترمذي (ت: أحمد شاكر) ٣٦٦: ٥، رقم: ٣٢٣٣ .

(٢) صحيح الجامع الصغير ٧٣: ١، رقم: ٥٩ . المكتب الإسلامي ، بيروت .

(٣) سنن الدارمي (ت: حسين سليم أسد) ١٣٦٥: ٢، رقم: ٢١٩٥ . دار المغني ، السعودية .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله ثقات ، وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل ، عن حديث عبد الرحمن بن عائش، عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث، فذكر أنه صواب، هذا معناه^(١).

وأخرج الترمذي قال : حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا معاذ بن هانئ أبو هانئ اليشكري قال: حدثنا جهضم بن عبد الله، عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي، أنه حدثه عن مالك بن يخامر السكسكي، عن معاذ بن جبل قال: قال النبيّ : «... فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملاء الأعلى؟!». قلت: لا أدري رب، قالها ثلاثاً.

قال: فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفته....».

قال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح ، سألت محمد بن إسماعيل (=البخاري) عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن صحيح^(٢)».

قلت : في بعض المصادر : (فتجلى لي كل شيء وعرفت) . وفي أخرى : (...وعرفته) كما في توحيد ابن خزيمة ومسند الشاشي، وفي ثالثة : (... فعرفته) كما في كتاب رؤية الله للدارقطني وغيره .

وأخرج الترمذي من طريق آخر عن ابن عباس قال : حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي، عن قتادة، عن أبي قلابة، عن خالد بن اللجلاج، عن

(١) مجمع الزوائد ٧: ١٧٦، رقم: ١١٧٤١ . مكتبة القدسي ، القاهرة .

(٢) سنن الترمذي (ت: أحمد شاكر) ٥: ٣٦٦، رقم: ٣٢٣٥ . مطبعة الباي الحلبي ، مصر .

وانظر معجم الطبراني(ت: حمدي السلفي) ٢٠: ١٠٩، رقم: ٢١٦ . مكتبة ابن تيمية، القاهرة .

ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربي وسعديك، قال: فيم يختصم الملائ الأعل؟!

قلت: رب لا أدري، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما بين

المشرق والمغرب...»

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه^(١).

قال الإمام: أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح^(٢).

قوله صلى الله عليه وآله: (رأيت ربي في أحسن صورة) ممتنع محال؛ لاستحالة رؤية غير المحدود بآلة محدودة؛ والمقصود: رأيت ملكوت ربي وجبروته، والقرينة على ذلك قوله صلى الله عليه وآله: (فعلمت ما في السموات والأرض، وتلا: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾).

(١) سنن الترمذي (ت: أحمد شاكر) ٥: ٣٦٦، رقم: ٣٢٢٣.

(٢) سنن الترمذي (ت: أحمد شاكر) ٥: ٣٦٦، رقم: ٣٢٢٣.

قول البيهقي في ذلك

قال البيهقي في شعب الإيمان : قال الحلبي رحمه الله : الله تعالى أقسم بحياته صلى الله عليه ، ومعقول أن من أقسم بحياة غيره ، فإنما يقسم بحياة أكرم الأحياء عليه .

فلما خصَّ الله نبينا صلى الله عليه وسلم ، من بني البشر ، بأن أقسم بحياته فقال : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١) بأنه أفضلهم وأكرمهم .

وإقسامه سبحانه بالتين والزيتون وطور سنين وغير ذلك ، يدل على فضله على من يدخل في أعداده، كذلك إقسامه بحياة محمد صلى الله عليه وسلم يدل على فضله على من يدخل في عداده.

ومنها: أن الله تعالى جمع له بين إنزال الملك عليه ، وإصعاده إلى مساكن الملائكة ، وبين إسراع كلام الملك، وإرائه إياه في صورته التي خلقه عليها ، وجمع له بين إخباره عن الجنة والنار، وإطلاعه عليهما ، فصار العلم له واقعاً بالعالمين : دار التكليف ودار الجزاء عياناً. اهـ.

قال البيهقي (٤٥٨هـ) : هذا بيّن ، في الأحاديث التي ذكرناها في معراج النبي صلى الله عليه وسلم^(٢).

(١) الحجر : ٧٢.

(٢) شعب الإيمان(ت: مختار الندوي) ٣: ٧٠، رقم: ١٤٠٦. مكتبة الرشد، الرياض.

النبي عالمٌ بما هو كائنٌ حتى قيام الساعة

أخرج مسلم في صحيحه قال : وحدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، ح وحدثني أبو بكر بن نافع، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن عدي بن ثابت، عن عبد الله بن يزيد، عن حذيفة، أنه قال: «أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائنٌ إلى أن تقوم الساعة» فما منه شيء إلا قد سألته، إلا آتٍ لم أسأله: ما يُخرج أهل المدينة من المدينة^(١).

قلت: كلٌّ من الإسنادين، صحيح على شرط الشيخين.

وأخرج أحمد بن حنبل قال : حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً، فأخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه.

قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين^(٢).

هذا حذيفة، يحفظ ما هو كائن حتى تقوم الساعة، فكيف سيّد الخلق صلى الله عليه وآله؟!.

مع التنبيه أن الأظهر من مقصود حذيفة رضي الله عنه، بشهادة الأخبار الأخرى، الفتن الآتية في الجملة، لا كل ما كان وما يكون جملةً وتفصيلاً، فهذا من مختصات المعصوم، فلا تشطط؛ يدلّ عليه بكلّ وضوح قول حذيفة: إلا آتٍ لم أسأله: ما يُخرج أهل المدينة من المدينة.

وأياً كان فالنبي وإن أخبر الصحابة، لكنّه صلى الله عليه وآله وسلم اختصّ حذيفة رضي الله عنه، دون بقية الصحابة؛ لقوله: (أخبرني رسول الله بما هو كائنٌ إلى أن تقوم الساعة).

(١) صحيح مسلم ٤: ٢٣١٧، رقم: ٢٨٩١. إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) مسند أحمد (ت: شعيب الأرنؤوط) ٣٨: ٤١١، رقم: ٢٣٤٠٥. الرسالة، بيروت.

النص أن المعصوم عالمٌ بكلِّ ما تحت العرش

روى الصفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن المغيرة ، عن عبد الله بن مسكان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ !! .

قال عليه السلام : « كشط لإبراهيم السموات السبع ، حتى نظر إلى ما فوق العرش ، وكشط له الأرض ، حتى رأى ما في الهواء ، وفعل بمحمد صلى الله عليه وآله مثل ذلك ، وإني لأرى صاحبكم ، والأئمة من بعده ، قد فعل بهم مثل ذلك »^(١).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد صحيح ، دون كلام .

قلت : قوله عليه السلام : (ما فوق العرش) العرش بمعنى الصورة والهيئة ، وهذا مخلوق من قوائم نورية أربع في السماء السابعة ، أو في السادسة ، أو في الرابعة ، على اختلاف الأخبار ، لا حقيقة العرش التي هي علم الغيب المستور ، فهذا عين المشيئة الإلهية ، فوق كلِّ ما خلق الله دون استثناء ، السماوات السبع فما دونها .

وأخرج علي بن إبراهيم القمي قال : حدثني أبي ، عن إسماعيل بن مرار ، عن يونس بن عبد الرحمان ، عن هشام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « كشط له عن الأرض ومن عليها ، وعن السماء ومن فيها ، والمَلَكِ الذي يحملها ، والعرش ومن عليه ، وفعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين عليه السلام »^(٢).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد حسنٌ صحيح . إسماعيل وثقه القمي في تفسيره توثيقاً عاماً ، ناهيك عن قرائن المدح الأخرى ، والبقية ثقات .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٢٧ . مطبعة الأحمدية، طهران.

(٢) تفسير القمي ٢: ٢٠٥ .

وأخرج الصفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا الحسن بن علي بن النعمان ، عن أبيه ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أحدهما عليه السلام قال : قلت له : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾؟! .

قال عليه السلام : «كشفت له السماوات والأرض ، حتى رآها ورأى ما فيها ، والعرش ومن عليه ، وأوتي محمد مثل ما أوتي إبراهيم ، وصاحبكم هذا»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله مجمع على وثاقتهم . ابن النعمان وأبوه نخعيان ، وهما ثقتان عالمان جليان دون خلاف .

وأخرج الصفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن البرقي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : هل رأى محمد صلى الله عليه وآله ملكوت السماوات والأرض ، كما رأى إبراهيم؟! .

قال عليهم السلام : «نعم ، وصاحبكم»^(٢).

قلت : إسناده صحيح دون كلام ، رواه أساطين الطائفة المرحومة .

قوله عليه السلام : (نعم ، وصاحبكم) يقصد نفسه ، وهو إمامنا الصادق عليه الصلاة والسلام ، ولعل المقصود من قوله عليه السلام (وصاحبكم) بشهادة مجموع أخبار الباب : كل إمام ناطق في عهده .

وروى الصفار قال : حدثنا محمد ، عن عبد الله بن محمد بن حجال ، عن ثعلبة ، عن عبد الرحيم ، عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي... ﴾؟! .

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة): ١٢٧ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة): ١٢٧ . مطبعة الأحدي، طهران.

فقال عليه الصلاة والسلام : «قال كشط له عن الأرض حتى رآها ومن فيها وعن السماء حتى رآها ، ومن فيها ، والملك الذي يحملها ، والعرش ومن عليه ، وكذلك أرى صاحبكم»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء . ومحمد مردد بين محمد بن عبد الجبار ومحمد بن الحسين ، وكلاهما ثقة ، فهما المعروفان في الرواية عن الحجاج ، سيما الثاني .

وروى الصفار قال : حدثنا إسماعيل ، عن صفوان بن يحيى ، عن أيوب ، عن أبي بصير ، عن أحدهما عليهما السلام : «ولا أرى صاحبكم إلا وقد فعل به ذلك»^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، وإسماعيل هو ابن شعيب العريشي وهو ثقة ، وأيوب هو : ابن راشد ، قيل : مجهول الحال . ولا يضرّ فالخبر من رواية صفوان وهو من أصحاب الإجماع .

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة): ١٢٧ . مطبعة الأحمدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة): ١٢٧ . مطبعة الأحمدي، طهران.

علم المعصوم بأسماء أهل الجنة وأهل النار

قال الصَّفَّار (٢٨٩هـ) رضي الله عنه : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن عبد الصمد بن بشير قال: ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام بدو الأذان وقصة الأذان في إسرائ النبي صلى الله عليه وآله ، حتى انتهى إلى السدرة.

قال عليه السلام : «فقال سدرة المنتهى : «ما جاوزني مخلوق قبلك».

قال عليه السلام : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، وأخذ أصحاب اليمين بيمينه ، ففتحها فنظر إليه ، فإذا فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم...، ثم طوى الصحيفة ، فأمسكها بيمينه ، وفتح صحيفة أصحاب الشمال ، فإذا فيها أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ^(١) وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ^(٢)».

قال عليه الصلاة والسلام : «قلما فرغ من مناجات ربه ، رُدَّ إلى بيت المعمور ، ثم قص قصة البيت والصلاة فيه ، ثم نزل ومعه الصحيفتان ، فدفعهما إلى علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣)».

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

وأخرجه أيضاً قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن محمد بن اسماعيل ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال : حدثني أبي عليه السلام عمّن ذكره قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفي يده اليمنى كتاب ، وفي يده

(١) قوله تعالى : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ اعرض عنهم ، بل قل لهم سلام ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ حينئذ نأمرك بقتالهم وتنتصر عليهم .

(٢) الزخرف : ٨٩ .

(٣) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة): ٢١١ . مطبعة الأحمدية، طهران.

اليسرى كتاب ، فنشر الكتاب الذي في يده اليمنى فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب لأهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، لايزاد فيهم واحد ولا ينقص منهم واحد. ثم نشر الذي بيده اليسرى فقرأ : كتاب من الله الرحمن الرحيم لأهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، لايزاد فيهم واحد ولا ينقص منهم واحد»^(١).

قلت : حديث صحيح ، وهذا الإسناد مختلف فيه ، رجاله ثقات سوى محمد بن الفضيل المررد بين الثقة وغيره .

وأخرجه الإمام الترمذي (٢٧٩هـ) من أهل السنة قال : حدثنا قتيبة، قال: حدثنا الليث، عن أبي قبيل، عن شفي بن ماتع، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟! .

فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تجربنا، فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، ثم قال للذي في شماله: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» .
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ^(٢).

نَبّه أنّ في هذا الخبر القطعي ، عويص حار فيه جَلّ علماء الفريقين ، ولجلالته كتبنا كتاباً أسميناه : الفرقة الناجية من مطبوعات العتبة الحسينية عظمها الله ، خلاصته : أنّ هذا الخبر وأمثاله ، خاص بمن يدخل الجنة أو يدخل النار بغير حساب على نحو الحتم ، لا يعتم كل الأمة ؛ فهو خاص بقسمين من الأمة فقط ، هما : من محض الإيمان محضاً والآخر من محض الكفر محضاً ، وكلاهما قليل جداً قياساً ببقية الأمة .

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه): ٢١١ . مطبعة الأحمدى، طهران.

(٢) سنن الترمذي (ت: بشار عواد) ٤: ١٧، رقم: ٢١٤١ . دار الغرب الإسلامي، بيروت.

النص أنّ المعصوم ورث الأنبياء والكتب

روى الكليني عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن شعيب الحداد ، عن ضريس الكناسي قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو بصير فقال : أبو عبد الله عليه السلام : « إنَّ داود ورث علم الأنبياء ، وإن سليمان ورث داود ، وإنَّ محمداً صلى الله عليه وآله ورث سليمان ، وإنَّنا ورثنا محمداً صلى الله عليه وآله وإنَّ عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى »^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن سلمة بن الخطاب ، عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الله بن القاسم ، عن زرعة بن محمد ، عن الفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « إنَّ سليمان ورث داود ، وإنَّ محمداً ورث سليمان ، وإنَّنا ورثنا محمداً ، وإنَّ عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور وتبيان ما في الألواح »^(٢).

قلت : صحيح .

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد العزيز بن المهدي ، عن عبد الله بن جندب أنّه كتب إليه الرضا عليه السلام : « علمنا ، وبلغنا علم ما علمنا ، واستودعنا علمهم عليهم السلام ؛ نحن ورثة أولي العزم من الرسل »^(٣).

قلت : إسناده حسن صحيح .

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه عن الحسن بن إبراهيم ، عن يونس ، عن هشام بن الحكم في حديث بره أنه لما جاء معه إلى أبي عبد الله عليه السلام فلقى أبا

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ، فحكى له هشام الحكاية ، فلما فرغ قال أبو الحسن عليه السلام لبريه : يا بريه كيف علمك بكتابتك؟! قال : أنا به عالم. ثم قال عليه السلام : «كيف ثقتك بتأويله»؟! قال برية: ما أوثقتني بعلمي فيه. قال فابتدأ أبو الحسن عليه السلام يقرأ الإنجيل ، فقال بريه : إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة ، فآمن بريه وحسن إيمانه وآمنت المرأة التي كانت معه ، فدخل هشام وبريه والمرأة على أبي عبد الله عليه السلام ، فحكى له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى عليه السلام وبين بريه ، فقال أبو عبد الله عليه السلام ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. فقال بريه : أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟! قال : هي عندنا وراثه من عندهم ، نقرؤها كما قرؤوها ، ونقولها كما قالوا ؛ إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء فيقول لا أدري»^(١).

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين وأحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : لما أن قضى محمد نبوته واستكمل أيامه ، أوحى الله تعالى إليه أن : يا محمد قد قضيت نبوتك ، واستكملت أيامك ، فاجعل العلم الذي عندك ، والإيمان ، والاسم الأكبر ، وميراث العلم ، وأثار علم النبوة في أهل بيتك ، عند علي بن أبي طالب ؛ فإنني لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وأثار علم النبوة من العقب من ذريتك ، كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء»^(٢).

قلت : مجموع هذه الأخبار ، وهي كثيرة جداً لا يسعنا سردها كلها ، يورث القطع بالصدور ، فلا حاجة للإسناد ، على أن معانيها ضرورية .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٩٣ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

الطائفة الثالثة

علم المعصوم معلق على المشيئة

يدلّ عليه في الأخبار القطعيّة ، ما رواه الحميري في قرب الإسناد ، عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ، عن أحمد بن أبي نصر البنظلي ، عن الرضا عليه السلام قال : « قال أبو عبد الله ، وأبو جعفر ، وعلي بن الحسين ، والحسين بن علي ، والحسن بن علي ، وعلي بن أبي طالب عليهم السلام : « والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ »^(١) .

قلت : إسناده صحيح ، رواه جهابذة الفرقة وأساطين الملة .

قوله عليه السلام : (لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة) صريح جداً أنّ كثيراً من علم المعصوم معلق على البداء والمحو والإثبات ، ليس بحتم .

وأخرج الصفّار (٢٩٠ هـ) رضي الله تعالى عنه قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى ، عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال عليّ عليه السلام : « لو ثبت لي وسادة ، لحكمت بين أهل القرآن بالقرآن ، ولحكمت بين أهل التوراة بالتوراة ، ولحكمت بين أهل الإنجيل بالإنجيل ، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور ، ولولا آية في كتاب الله لأنبأتكم بما يكون حتى تقوم الساعة »^(٢) .

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام ، رواه جهابذة الملة .

(١) سورة الرعد : ٣٩ .

(٢) قرب الإسناد : ٣٥٤ . مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم .

(٣) بصائر الدرجات (ت : كوجة باغي) : ١٥٢ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

وأخرج شيخ مشايخنا المفيد (١٣هـ) رضي الله عنه قال : أخبرني محمد بن المظفر البزاز، قال: حدثنا أبو مالك كثير بن يحيى، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي السري، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن سعد الكناني عن الأصبغ بن نباتة، قال: لما بوع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد، معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لابساً بردته ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وأنذر ، ثم جلس متمكناً ، وشبك بين أصابعه ، ووضعها أسفل سرتة، ثم قال: «يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإنّ عندي علم الاولين والآخرين ، أما والله لو نني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بإنجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ، حتى ينهى كلّ كتاب من هذه الكتب ويقول: يارب إنّ علياً قضى بقضائك ، والله إنّّي لأعلم بالقرآن وتأويله ، من كلّ مدع علمه ؛ ولولا آية في كتاب الله تعالى ، لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة»^(١).

ورواه في الاختصاص عن عليّ بن محمد الشعراني ، عن الحسن بن علي بن شعيب ، عن عيسى بن محمد العلوي ، عن محمد بن العباس بن بسام ، عن محمد بن أبي السري ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن يونس به مثله^(٢).

ورواه الصدوق (٣٨١هـ) رضي الله عنه في كتابيه التوحيد والأمالى ، واللفظ للثاني قال : قال : حدثنا أحمد بن الحسن القطان وعلي بن أحمد بن موسى الدقاق ومحمد بن أحمد السناني رضي الله عنهم قالوا : حدثنا أبو العباس أحمد ابن يحيى بن زكريا القطان ، قال : حدثنا محمد بن العباس ، قال : حدثني محمد بن أبي السري ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس به مثله ، وزاد : «ولولا آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان ، وبما يكون ، وبما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهي هذه الآية : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ...﴾».

(١) الإرشاد(ت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام) : ١ : ٣٥ . دار المفيد ، بيروت.

(٢) الاختصاص(ت: علي غفاري) : ٢٣٥ . دار المفيد ، بيروت.

قلت : خبر صحيح .

وأخرج الصدوق (٣٨١هـ) في التوحيد قال : حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن علي بن نعمان، عن إسحاق بن عمار، عمّن سمعه عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال في قوله الله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ لم يعنوا أنّه هكذا، ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر، فلا يزيد ولا ينقص، فقال الله جل جلاله تكديبا لقولهم: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ألم تسمع الله عز وجل يقول: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾^(١).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد مرسل رجاله ثقات .

قال الصدوق في الاعتقادات : إنّ اليهود قالوا إنّ الله قد فرغ من الأمر .

قلنا : بل هو تعالى كلّ يوم هو في شأن ، لا يشغله شأن عن شأن ، يحيي ويميت ، ويخلق ويرزق ، ويفعل ما يشاء . وقلنا : يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، وإنّه لا يمحو إلّا ما كان ، ولا يثبت إلّا ما لم يكن^(٢). اهـ.

ومن النصوص المعتبرة التي تجمع بين القسمين ، ما رواه الكليني عن العدة ، عن أحمد بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن يونس ، عن جهم بن أبي جهمة ، عمّن حدثه عن الصادق قال : « إنّ الله عز وجل أخبر محمداً صلى الله عليه وآله بما كان ، منذ كانت الدنيا ، وبما يكون إلى انقضاء الدنيا ، وأخبره بالمحتوم من ذلك ، واستثنى عليه فيما سواه^(٣) ».

قلت : إسناده صحيح .

(١) التوحيد(ت: هاشم الحسيني): ١٦٧ . مؤسسة النشر الإسلامي، قم .

(٢) اعتقادات الإمامية(ت: عصام السيّد): ٤٠ . دار المفيد ، بيروت .

(٣) الكافي(ت: علي غفاري) ١ : ١٤٨ . باب البداء . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قال الله تعالى في علم محمد صلى الله عليه وآله ، وهو أشرف الخلق أجمعين: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾^(٢). وقال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٣).

قلنا بإجماع وضرورة: المعصوم لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه وارتضاه له ، وهو العلم المبذول لهم بالوحي تارة؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ .

وبروح القدس تارة أخرى ، كما في قوله تعالى: ﴿أَيَّدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمُهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٤).

وأما العلم المكنون المخزون المحض ، وهو علم الغيب المطلق ، وكذا علم المشيئة في مرتبة الفعل ، فلا يعلمه إلا الله تعالى وحده ، يعجز المعصوم عن الإحاطة به ؛ لعجز المعصوم ، وهو مخلوق محدود ، أن يحيط بعلم الله غير المحدود ، بل محالٌ عقلاً وشرعاً أن يحيط ببعضه لولا تعليم الله ، هذا هو دين الصدق والاعتقاد الحق ..

(١) النساء: ١١٣.

(٢) الجن: ٢٧.

(٣) يونس: ١٠٩.

(٤) المائدة: ١١٠.

صحيح حمزة الطيّار : الله المشيئة في كل شيء

أخرج الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن علي بن الحكم ، عن أبان الأحمر ، عن حمزة بن الطيار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي : « اكتب ، فأملى عليّ : إنّ من قولنا : إنّ الله يمتج على العباد بما آتاهم وعرفهم ، ثم أرسل إليهم رسولاً ، وأنزل عليهم الكتاب ، فأمر فيه ونهى ، أمر فيه بالصلاة والصيام .

فنام رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصلاة ، فقال سبحانه : أنا أنيمك وأنا أوظك ، فإذا قمت فصل ؛ ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ، ليس كما يقولون..؛ إذا نام عنها هلك ، وكذلك الصيام : أنا أمرضك وأنا أصحك ، فإذا شفيتك فاقضه» .

ثم قال عليه السلام : « وكذلك إذا نظرت في جميع الأشياء ، لم تجد أحداً في ضيق ، ولم تجد أحداً ، إلا والله عليه الحجة ، والله فيه المشيئة ، ولا أقول إتهم ما شاءوا صنعوا» .

ثم قال عليه السلام : « إنّ الله يهدي ويضل ، وقال : وما أمروا إلاّ بآبؤن سعتهم وكل شيء أمر الناس به ، فهم يسعون له ، وكل شيء لا يسعون له ، فهو موضوع عنهم ، ولكنّ الناس لا خير فيهم» . ثم تلا عليه السلام : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ فوضع عنهم ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴿ فوضع عنهم لأنهم لا يجدون ﴾^(١) .

قال المجلسي : إسناده حسن صحيح .

قلت : إسناده كما قال رضي الله عنه حسنٌ صحيح . والخبر صريحٌ أنّ الله تعالى مشيئة وبداء ، ومحو وإثبات ، وتقديم وتأخير ، في كلّ من خلق الله من آحاد البشر ، لكن هل المشيئة إجمالية أم تفصيلية؟! . سيأتي البيان .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٦٤ دار الكتب الإسلامية ، طهران .

ما في اللوح المحفوظ معلق على المشيئة والبداء

أخرج الكليني رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً، عن ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنَّ الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النطفة، التي ممَّا أخذ عليها الميثاق في صلب آدم، أو ما يبدو له فيه، ويجعلها في الرحم، حرَّك الرجل للجماح، وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك، حتى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح الرحم بابها، فتصل النطفة إلى الرحم، فتردد فيه أربعين يوماً، ثمَّ تصير علقة أربعين يوماً، ثمَّ تصير مضغة أربعين يوماً، ثمَّ تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة، ثمَّ يبعث الله ملكين خلاقين؛ يخلقان في الأرحام ما يشاء الله، فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة، فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء، ويشقان له السمع والبصر وجميع الجوارح، وجميع ما في البطن بإذن الله، ثمَّ يوحى الله إلى الملكين اكتبنا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري، واشترطنا لي البداء فيما تكتبان .

فيقولان: يا رب ما نكتب؟! فيوحي الله إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمه فيرفعان رؤوسهما، فإذا اللوح يقرع جبهة أمه، فينظران فيه، فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه شقيماً أو سعيداً وجميع شأنه».

قال عليه السلام : «فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح، ويشترطان البداء فيما يكتبان، ثمَّ يختمان الكتاب ويجعلانه بين عيني»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

النص صريحٌ فصيحٌ مليحٌ أن كلَّ ما في اللوح المحفوظ ، قد أحاط بجملته الملائكة ، لكنَّ كثيراً منه معلقٌ على البداء والمحو والإثبات والجزئيات الخصوصيات والتفاصيل .

(١) الكافي (علي غفاري) ٦ : ١٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

صحيح ابن الجهم شاهداً

أخرجه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن الحسن بن الجهم قال : قال سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : « قال أبو جعفر عليه السلام : «إنّ النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً ، ثمّ تصير علقة أربعين يوماً ، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً ، فإذا كمل أربعة أشهر بعث الله ملكين خلاقين ، فيقولان يا رب ما تخلق ذكراً أو أنثى؟! . فيؤمران فيقولان : يا رب شقياً أو سعيداً فيؤمران ، فيقولان يا رب ما أجله ، وما رزقه ، وكلّ شيء من حاله ، وعدد من ذلك أشياء ، ويكتبان الميثاق بين عينيه ؛ فإذا أكمل الله له الأجل ، بعث الله ملكاً فزجره زجرة ، فيخرج وقد نسي الميثاق» .

فقال الحسن بن الجهم رضي الله عنه : فقلت له : أفيجوز أن يدعو الله ، فيحوّل الأنثى ذكراً ، والذكر أنثى؟! . فقال الرضا عليه السلام : «إنّ الله يفعل ما يشاء»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، أو موثق على اصطلاح المتأخرين .

قول الرضا عليه السلام : (إنّ الله يفعل ما يشاء) عين المعنى في صحيح زرارة عن الباقر عليه السلام : (فيكتبان جميع ما في اللوح ، ويشترطان البداء فيما يكتبان) وهو عين المعنى في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْئِيْءٍ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾

والمجموع صريحٌ فصيحٌ أنّ الملائكة عليهم السلام وإنّ إحاطوا علماً بكلّ ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ ، ممّا يجري على العبد من قضاء الله وقدره ، كما هو صريح قوله عليه السلام : (وكلّ شيء من حاله) إلّا أنّ الله سبحانه وتعالى المشيئة والبداء في ما هو مكتوب في اللوح من الجزئيات والتفاصيل والخصوصيات ، وهذا هو معنى العلم المعلق ؛ أي معلق على البداء والمحو والإثبات في الجزئيات والتفاصيل والخصوصيات .

وسياتي بيان ذلك في فصل المحتوم المطلق والإضافي ، فانتظر .

(١) الكافي (علي غفاري) ٦ : ١٣ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

صحيح عبد الله بن سنان شاهداً

أخرجه الكليني من عدة طرق ، منها : عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن خلف بن حماد ، عن عبد الله بن سنان قال : لما قدم أبو عبد الله عليه السلام على أبي العباس وهو بالحيرة

قال أبو عبد الله عليه السلام : فأوحى الله عز وجل إلى آدم عليه السلام :

قال الصادق عليه السلام : «هذا ابنك داود عمره أربعون سنة ، وإني قد كتبت الآجال ، وقسمت الأرزاق ، وأنا أمحو ما أشاء وأثبت وعندني أم الكتاب ؛ فإن جعلت له شيئاً من عمرك ، ألحقتُ له».

قال آدم عليه السلام : «يا رب قد جعلت له من عمري ستين سنة ، تمام المائة»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام ، وخلف هو الناشر ، وهو ثقة بإجماع .

وقوله سبحانه وتعالى في القدسي : (وإني قد كتبت الآجال ، وقسمت الأرزاق ، وأنا أمحو ما أشاء وأثبت وعندني أم الكتاب) بضميمة النصوص القطعية الأخرى صريح في ما ذكرناه من العلم المعلق ؛ فكل ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ ، هو من العلم المعلق على ما يشاء الله سبحانه ، قد يعرض على تفاصيله البداء ، كما في مقدار عمر آدم وداود عليهما السلام ، إلا إذا أخبر سبحانه أنّ هذا محتوم لا بداء فيه .

(١) الكافي (علي غفاري) ٧ : ٣٧٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

تفسير آية الاستثناء: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾^(١).

قلت: تفسيرها أضحى واضحا إن شاء الله تعالى، فالعنى: عين ما ذكرناه في العنوان السابق، وهو احتمال طرو البداء، على علم المعصوم المعلق (=الموقوف)؛ ذاك الذي بذله الله تعالى له عليه السلام، لكن لم يمضه له، أي: لم يحتمه؛ فإن شاء سبحانه وتعالى محاه، وإن شاء أمضاه، على ما تقضي به رحمته وحكمته.

قوله عليه السلام: (أخبره بالمحتوم من ذلك، واستثنى عليه فيما سواه) بيان لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فكل ما عدا المضمي المحتوم من علم المعصوم بقضاء الله سبحانه، مستثنى كونه في معرض المشيئة والبداء؛ المحو والإثبات، والتقديم والتأخير.

فمعنى الآية -بعبارة توضيحية-: يا محمد صلى الله على محمد وآل محمد، إنك وإن كنت عالماً بما كان وما يكون، بما أتاك الله تعالى من العلم المبذول، المكتوب في اللوح المحفوظ، وقد مضت النصوص القطعية في هذا، إلا أن الله تعالى المشيئة في محو بعضه أولاً، والمشيئة في إثبات ما هو أحسن منه ثانياً؛ ضرورة أن مشيئته سبحانه محكومة برحمته: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

يشهد له قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٢). وهذا أصل قطعي.

(١) سورة الكهف: ٢٣-٢٤.

(٢) سورة يونس: ٢٠.

وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ من دون: إن شاء الله ، غير تام ؛ والوجه فيه ، حاكمية علم المشيئة ، وهو : علم الله المكنون المخزون المختص به سبحانه ، الذي منه ينزل البداء ، على علمه المبذول الذي يكون فيه البداء .

وهو ما أوجزه الله تعالى أتم إيجاز في قوله سبحانه : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) .

وأما قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أي لا يسوغ لك ترك الاستثناء ، أي قول : (إن شاء الله) في عامة ما تريد من الأقوال والأفعال ، غير المضما ؛ أي : المعلقة على المشيئة والبداء والمحو والإثبات .

ومعنى النسيان في قوله تعالى : ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ الترك ، كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نُنَسِّأكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾^(٢) ، لا بمعنى الغفلة وعدم التذكر ، وإنما بمعنى لن نرحمكم .

قال الطبري (٣١٠هـ) : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : واذكر ربك إذا تركت ذكره ؛ لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب : الترك^(٣) .

وفي موضع آخر قال الطبري : قول الله جل ثناؤه : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٤) يعني به : تركوا الله فتركهم^(٥) .

(١) الرعد : ٣٩ .

(٢) الجاثية : ٣٤ .

(٣) تفسير الطبري (ت: أحمد شاكر) ١٧ : ٦٤٤ . مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٤) التوبة : ٦٧ .

(٥) تفسير الطبري (ت: أحمد شاكر) ٢ : ٤٧٦ . مؤسسة الرسالة ، بيروت .

العلم على مرتبتين :

المرتبة الأولى : العلم المكنون (=المخزون) .

وهو علم الغيب المطلق ، الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾^(١) .

وسياتي في النصوص القطعية قرآناً وسنة ، أن المعصوم على سبيل المثال لا يعلم وقت الساعة ؛ لقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفَتُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ وإن علمها المعصوم عليه السلام عن الله تعالى ، فتعلق ليس على نحو الحتم ؛ ضرورة أن الله يفعل ما يشاء ، يؤخر ما يشاء ويقدم ما يشاء سبحانه .

المرتبة الثانية : العلم المبذول .

قد يفيض الله سبحانه من علم الغيب على صفوة عباده ، بين الحين والحين ، والآن والآن ، حسب ما تقضي به مشيئته وحكمته سبحانه ، بالوحي تارة ، وبروح القدس أخرى ، وقد مضت النصوص القطعية في بيان حقيقة روح القدس التي هي علم الله اللدني في مرتبة الفعل ، وهو النور .

فأشرف ما أفاضه الله سبحانه على المعصوم ، نبياً أم وصياً أم ملكاً ، العلم اللدني ؛ لرحمة عباده تكويناً وتشريعاً ، تديراً وهدايةً ، وقد مضى في فصل العرش أن العلم المبذول على قسمين : علم الغيب الظاهر ، وهو علم الكرسي ، وهذا يعلمه المعصوم كله ، وعلم الغيب الباطن الذي لا يعلمه المعصوم إلا إذا شاء الله تعالى أن يطلعه على بعضه ، حسبما تقضي به حكمته ورحمته سبحانه ..

التّص أنّ الوحي من الغيب

قال سبحانه: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾^(١).

وهو ظاهرٌ صريحٌ أنّ الوحي بوجود هبوط نوح، من الغيب، ولم يكن يعلم به نوح عليه السلام على نحو الحتم، قبل أن يوحى إليه به، هذا تام إجماعاً، لا كلام فيه..

لكن هل المعصوم، كنوح عليه السلام في الآية، لا يعلم مطلقاً بالهبوط قبل نزول الوحي، أم لا يعلم وقت الهبوط على نحو الحتم؟!!

سيأتي أنّ المنفي في الآية خصوص العلم بالمحتوم من قضاء الله تعالى، وهو لا ينافي علم نوح عليه السلام بكلّ ما في اللوح المحفوظ تعليقاً، وسيأتي البسط والبيان؛ فإنّنا صنفتنا الكتاب لذلك، سيما هذا الفصل.

قال سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ...، ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾^(٢).

قلت: المعنى في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ هو عين معنى الإثبات في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتُ ﴾ فمعناه الخلق والإيجاد، وكلّه غيب أو حاه الله تعالى لذكرها، لكن هذا لا يعني أنّ ذكرها لا يعلمه، وإنّما هو كنوح عليها السلام يعلمه معلقاً على المشيئة والمحو والإصابات، ولا يعلم كونه محتوماً لا مردّ له.

(١) هود: ٤٩.

(٢) آل عمران: ٤٤.

النص في مرتبة العلم

يدل على هذا التقسيم في الأخبار القطعية عن أهل البيت عليهم السلام ، عدا ما مضى من آيات القرآن الكريم قبل قليل..

ما رواه الكليني عن عده من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن جعفر بن عثمان ، عن ساعة ووهيب بن حفص ، كلاهما ، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ مِمَّنْ مَكْنُونٌ مَخْزُونٌ ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ ، مِنْ ذَلِكَ يَكُونُ الْبَدَاءُ ، وَعَلِمٌ عِلْمُهُ مَلَائِكَتُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْبِيَآءُهُ ، فَنَحْنُ نَعْلَمُهُ »^(١).

قلت : إسناده صحيح ، جعفر بن عثمان الرواسي ، فاضل ثقة ، وابن أبي عمير من أصحاب الإجماع ، لا يروي إلا عن ثقة.

والرواية صريحة أنّ علم الله سبحانه وتعالى المكنون المخزون ، لا يعلمه المعصوم ، سواء أكان المعصوم نبياً أم وصياً أم ملكاً ؛ فلا يعلم المعصوم من علم الله تعالى إلا ما بذله له سبحانه لا غير .

وسياتي في الأخبار القطعية أنّ كثيراً من العلم الذي بذله الله تعالى للمعصوم في معرض البداء والتغيير والتبديل ؛ ضرورة حاكمية العلم المكنون المتعلق بمشيئته سبحانه ، على العلم المبذول للمعصوم ؛ لقوله سبحانه وتعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وآله : ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾^(٢).

وقد مضى ما أخرجه الصفار (٢٩٠هـ) بإسناد صحيح ، عن معمر بن خلاد قال : قلت : أوتعلمون الغيب؟!!

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٤٧ . باب البداء . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) يونس : ١٠٩ .

قال : فقال : أبو جعفر عليه السلام : «يسط لنا فنعلم ، ويقبض عنا فلا نعلم»^(١).

وقد رواه الكليني عن عدة من أصحابنا بعين الإسناد مثله ، وزاد : قال عليه السلام : «سُرَّ الله عز وجل أسرّه إلى جبرئيل عليه السلام ، وأسره جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله ، وأسره محمد إلى من شاء الله»^(٢).

قلت : إسناده صحيح فيما بان .

قلت : وهذا السرّ ، هو العلم المبذول للملائكة والرسل والأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، ونبينا محمد صلى الله عليه وآله أشرف من جبرائيل وأعلم ، ولا يسعنا سرد النصوص القطعية في هذا الآن ، مضى بعضها ، وسيأتي غيرها .

وروى الكليني عن محمد بن إساعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي بن عبد الله ، عن الفضيل بن يسار ، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : «العلم علمان : فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، وعلم علّمه ملائكته ورسله ، فما علّمه ملائكته ورسله ، فإنه سيكون لا يكذب نفسه ، ولا ملائكته ولا رسله ، وعلمٌ عنده مخزون ، يقدم منه ما يشاء ، ويؤخر منه ما يشاء ، ويثبت ما يشاء»^(٣).

قلت : إسناده صحيح .

يشهد له أيضاً ما رواه الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنّ لله عز وجل علمين علماً عنده ، لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، وعلماً نبذه إلى ملائكته ورسله ؛ فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا»^(٤).

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة): ٥٣٤ . مطبعة الأحمدية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٥٦ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي ١ : ١٤٨ ، رقم : ٦ . باب البداء .

(٤) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٥٥ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : إسناده معتبر سقناه شاهداً ، رجاله على الظاهر ثقات إلاّ البطائني الهالك لعنه الله ، لكن لم يرو عنه أصحابنا أيام انحرافه ، وإنما أيام استقامته وعدالته .

وروى الكليني رضي الله عنه ، عن علي بن محمد ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن موسى بن القاسم ح ..

ومحمد بن يحيى ، عن العمركي بن عليّ ، جميعاً ، عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : «إنّ الله تبارك وتعالى علمين: علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله ، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه ، فقد علمناه . وعلماً استأثر به ، فإذا بدا لله في شيء منه ، أعلمنا ذلك ، وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا»^(١) .

قلت : إسناده الثاني صحيح دون كلام ، وإسناده الأوّل صحيح على الأقوى . والأخبار في هذا قطعياً ، بل - في الجملة - ضرورية .

(١) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٥٥ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

مناقشة الطائفة الثانية بمفهوم الغاية

ربما يستظهر التقييد والحصص في علم المعصوم ، بمفهوم الغاية ، وهو فحوى ما تواتر عن المعصوم عليه السلام ؛ كقول الباقر عليه السلام : «إني لأعلم علم النبي صلى الله عليه وآله ، وعلم ما كان ، وما هو كائن ، فيما بيني وبين قيام الساعة».

فقوله عليه السلام : (إلى قيام الساعة) يفيد أنّ المعصوم لا يعلم على نحو الحتم ، ما يكون من قضاء الله وقدره بعد قيام الساعة ، بناءً على حجّة مفهوم الغاية ، وهو حجّة عند أكثر العلماء ، ويستثنى ما إذا شاء الله تعالى أن يبذل للمعصوم عليه السلام ، من مكنون علمه وغيبه سبحانه ، بعض ما يكون بعد قيام الساعة ؛ والله تعالى يفعل ما يشاء ، وقد ثبت من وجوه عقلية ونقلية أنّ فيض الله تعالى لا ينقطع عن الخلق ، سيما أهل الجنة فكيف بالمعصوم عليه السلام؟! . ولا يسعنا البسط في هذا الآن.

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن ابن فضال ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنا أعلم كتاب الله ، وفيه بدء الخلق ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وفيه خبر السماء ، وخبر الأرض ، وخبر الجنة ، وخبر النار ، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن ، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي ، إنّ الله يقول فيه تبيان كلّ شيء»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وهو ظاهر أنّ مبلغ علم الإمام عليه الصلاة والسلام ، المبذول له من الله سبحانه وتعالى ، مغيب بانتهاء يوم القيامة ، فلا يعلم المعصوم ما سيكون بعد هذا اليوم ، من علم الله المكنون (=الغيب) على نحو الحتم ، إلاّ إذا شاء الله سبحانه أن يبذل له ، بما تقضي به حكمته سبحانه ..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٦٢ . باب الرد إلى الكتاب والسنة . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

النّص على حجّية مفهوم الغاية فيما نحن فيه

اختلف أصحابنا في حجّية مطلق المفهوم، وهو ما يشمل: مفهوم الشرط والوصف والعدد واللقب علاوة على الغاية، فهل المفهوم حجّة في هذه الأمور، أم لا؟! .
قلنا: ذهب جلّ القدماء أنّه ليس حجّة، وخالفهم جلّ المتأخرين، فقالوا إنّ في الجملة حجّة.

والحقّ: أنّه ليس بحجّة إلاّ إذا قامت القرينة على حجّيته في موردٍ بخصوصه؛ أي بنحو الموجبة الجزئية لا الموجبة الكلية..

والكلام هو الكلام، في حجّية مفهوم الغاية، فلقد اختلف أصحابنا فيه...؛ قال أكثر المتأخرين: إنّ حجّة، وأكثر القدماء: إنّهُ ليس بحجّة، وهو الحقّ..

لكن حتّى لو منعنا حجّية مفهوم الغاية بنحو الموجبة الكلية، يتعيّن القول بحجّيته، في خصوص ما نحن فيه؛ لقيام القرينة، بل الدليل الثابت على الانحصار..

لما رواه الصفّار (٢٩٠هـ) قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن إسماعيل، عن حمزة بن بزيع، عن علي السائي قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ﴾؟! .

فقال الرضا عليه الصلاة والسلام: «جنب الله هو أمير المؤمنين، وكذلك من كان من بعده من الأوصياء، بالمكان المرفوع، إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم، والله أعلم بما هو كائن بعده»^(١).

قلت: إسناده حسنٌ صحيح، حمزة وثقه العلامة وغيره.

(١) بصائر الدرجات(ت: كوجه باغي): ١٣٠. مطبعة الأحدي، طهران.

ولما رواه الحسين بن سعيد رضي الله عنه في كتابه الزهد ، عن محمد بن سنان ، عن أبي خالد القمّاط قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ولأبي جعفر عليه السلام : إذا أدخل أهل الجنة الجنة ، وأدخل أهل النار النار فمه؟! .

فقال أبو جعفر عليه السلام: «إن أراد أن يخلق الله خلقاً ، ويخلق لهم دنيا ، يرُدُّهم إليها ، فعل ، ولا أقول لك إنه يفعل»^(١).

قلت : إسناده صحيح على الأظهر الأقوى ، فمحمد بن سنان الزاهري ثقة في آخر أمره ، وخالد بن سعيد ، أبو خالد القمّاط ، ثقة دون كلام .

قول القمّاط : (فمه) أي : ماذا يكون بعد ذلك ، هل يخلق الله خلقاً جديداً؟! .

والخبر صريحٌ أنّ المعصوم عليه السلام لا يعلم بما هو كائن بعد قيام الساعة وانتهاء الحساب على نحو الحتم ، بل هو علمٌ معلقٌ على ما يشاء الله ؛ فإن شاء سبحانه فعل ، وإن لم يشأ لم يفعل ، ضرورة أنّ المعصوم لا يعلم كل شيء حتمه الله تعالى .

وروى الحسين بن سعيد رضي الله عنه ، عن محمد بن سنان ، عن عمار بن مروان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فمه؟! .

فقال عليه السلام : «ما أزعم لك أنّه تعالى يخلق خلقاً يعبدونه»^(٢).

قلت : إسناده صحيح . عمار بن مروان وأخوه عمرو ، من بني ثوبان ، ثقتان .

قوله عليه السلام : (ما أزعم لك أنّه تعالى يخلق خلقاً يعبدونه) بان بالخبر الذي قبله ؛ فالصادق عليه السلام يريد أن يقول : لا أعلم على نحو الحتم ما سيفعل الله تعالى ؛ فإن

(١) الزهد للأهوازي(ت: غلام عرفانيان) : ١٠٣ . المطبعة العلمية ، قم .

(٢) الزهد للأهوازي(ت: غلام عرفانيان) : ١٠٣ . المطبعة العلمية ، قم .

شاء الله سبحانه خلق خلقاً يعبدونه ، وإن شاء لم يخلق سبحانه ؛ فهو إذن معلق على ما يشاء الله تعالى ، غير محتوم .

وروى الحسين بن عثمان بن شريك العامري في أصله رضي الله عنه ، عن سليمان بن عبد الله الطلحي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام : اخبرني عما أخبرت به الرسل عن ربها ، وأنتهت ذلك إلى قومها ، أيقون الله البداء؟! .

قال عليه السلام : «أما آتي لا أقول لك إنه يفعل ، ولكن إن شاء فعل»^(١).

قلت : إسناده قويّ ؛ سليمان بن عبد الله الطلحي كوفي ، لم يوثقه أحد ، والحسين بن عثمان العامري ، ثقة جليل فاضل خير ، من أصحاب الكتب والأصول ، وفي رواية مثله عن الطلحي قوة .

الحاصل :

هذه النصوص صريحة أنّ علم المعصوم بما كان وما يكون ، مغنّى بقيام القيامة كما ورد في النصّ ، أو الساعة كما جاء في نصّ آخر ؛ فلا يعلم المعصوم عليه السلام بعد ذلك ما هو كائن على نحو الحتم الذي لا مردّ له ، إلاّ ما يشاء الله تعالى أن يبذله له من علمه المكنون ، وغيبه المخزون ، الذي لا يعلمه إلاّ هو..

وبعبارة أخرى ، فتحّت لو افترضنا أنّ المعصوم عالمٌ بما هو كائن ، بعد قيام الساعة ، أو بعض ما هو كائن ، لكن هذا العلم ، من العلم المعلق على مشيئة الله تعالى ، ليس من العلم بالمحتوم ؛ فإن شاء الله تعالى أوجد خلقاً بعد قيام الساعة ، وإن لم شاء لو يوجد ، كما هو صريح خبر الطلحي عن الصادق عليه السلام : «ولكن إن شاء فعل».

ومع كونه معلّقاً ، ليس محتوم الوقوع ، لا يكون علماً على الحقيقة ؛ ضرورة أنّ العلم يقين وإنكشاف ، والمعلّق شك وتردد واحتمال ؛ كونه في معرض البداء ، كما في عذاب قوم يونس ، فالمحتوم والمعلّق متباينان تماماً ؛ تباين الشك واليقين.

وإنّما سمّي المعلّق علماً ؛ إمّا لأنّه يقينٌ وانكشافٌ بعد الإمضاء الإلهي ؛ أي إذا حتّمه الله تعالى ، كعلوم المعصوم المعلّقة التي حتّمها الله تعالى ليلة القدر ، وستأتي الأخبار القطعيّة المتواترة في هذا .

وإمّا لكونه علماً على الحقيقة في مرتبة اللوح المحفوظ ، في عالم الذر قبل خلق الدنيا ، وإنّما طرأ عليه المحو والإثبات بعد خلق الدنيا ، فافهم .

وأياً كان ، سيأتي النصّ الصحيح عن الأئمّة الصادقين عليهم السلام أنّ هذا العلم : «ليس بذاك» كونه معلّقاً على المشيئة في معرض البداء ، فانتظر .

وقفة مع حديث عمرو بن شمر الجعفي!!

روى الصدوق قال: أبي رحمه الله، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر الباقر عن قوله: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟!.

قال الباقر عليه السلام: «يا جابر تأويل ذلك: إنَّ الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق، وهذا العالم، وسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، جدَّدَ الله عالماً غير هذا العالم، وجدَّدَ خلقاً من غير فحولة ولا إناث، يعبدونه ويوحدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحمّلهم، وسماء غير هذه السماء تظلمهم، لعلك ترى أنَّ الله إنَّما خلق هذا العالم الواحد، وترى أنَّ الله لم يخلق بشراً غيركم، بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم، وأولئك الآدميين»^(١).

قلت: إسناده صحيح؛ لأنَّه من رواية الحسن وهو من أصحاب الإجماع، ضعيف على المشهور، ففيه عمرو بن شمر الجعفي الكوفي؛ قال النجاشي: ضعيف جداً. اهـ.

وفي خبر جابر احتمالان: فإمَّا أنَّ الله سبحانه أعلم المعصوم بهذا حتماً، بعد أن كان معلقاً على المشيئة؛ يشهد له ما رواه الصدوق بإسناد معتبر، عن محمد بن مسلم، عن الباقر عليه السلام في الخصال وسيأتي تحريجه. وإمَّا أنَّ قول الباقر عليه السلام: «جدَّدَ الله عالماً غير هذا العالم» من علمه المعلق على مشيئة الله تعالى ليس محتموماً، كما هو صريح صحيح أبي بصير عن الصادق عليه السلام: «ما أزعم لك أنَّه تعالى يخلق خلقاً يعبدونه».

وننبه أنَّ غرضنا ههنا ليس ترجيح أحد الاحتمالين على الآخر، وإنَّما بيان القواعد الثابتة في فهم عويص هذه الأخبار. فاستوعب القواعد جيِّداً؛ فلقد ظلَّت عمّا نحن فيه أفهام، وانزلت أقدام، وإن أبيت؛ فالاحتمال الراجح هو الأوَّل؛ للنص، فهناك ..

(١) التوحيد(ت: هاشم الطهراني): ٢٢٧. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

النص على رجحان الاحتمال الأول

أخرجه الصدوق رضي الله عنه في الخصال قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال : حدثنا محمد ابن الحسن الصفار ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن محمد بن عبد الله بن هلال عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : «لقد خلق الله عزوجل في الأرض ، منذ خلقها ، سبعة عالمين ، ليس هم من ولد آدم ، خلقهم من أديم الأرض ، فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه ، ثم خلق الله عزوجل آدم أباً هذا البشر وخلق ذريته منه ، ولا والله ما خلت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها ، ولا خلت النار من أرواح الكفار والعصاة منذ خلقها عزوجل..؛ لعلكم ترون أنه إذا كان يوم القيامة ، وصير الله أبدان أهل الجنة مع أرواحهم في الجنة ، وصير أبدان أهل النار مع أرواحهم في النار ، أن الله عزوجل لا يعبد في بلاده ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه؟!».

قال الباقر عليه السلام : « بلى والله، لَيُخْلَقَنَّ اللهُ خَلْقاً من غير فحولة ولا إناث ، يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه ، ويخلق لهم أرضاً تحملهم وسماء تظلمهم ، أليس الله عزوجل : ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخُلُقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(١) .

قلت : إسناده صحيح على الأظهر ، رجاله ثقات إلا ابن هلال ، وثقه ابن قولويه رضي الله عنه في الكامل ، وله شاهد معتبر مضي .

قول الباقر عليه السلام : (بلى والله، لَيُخْلَقَنَّ اللهُ خَلْقاً...) ظاهرٌ جداً في علمه المحتوم لا المعلق ، وإلا لزم الحنث والقسم الباطل ، وصدوره محال من المعصوم ، ويحمل ما رواه أبو بصير عن الصادق : «ما أزعم لك أنه تعالى يخلق خلقاً يعبدونه» على المداراة ومراعاة الحال ؛ فليس أبو بصير كمحمد بن مسلم وجابر الجعفي في حمل الأسرار .

خمسة أشياء لا يعلمها إلا الله وحده

روى الصَّفَّار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا محمد بن عبد الحميد وأبو طالب جميعاً ، عن حنان بن سدير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «إِنَّ اللَّهَ عَلِمَ عَامَاً وَعِلْمًا خَاصًّا :

فَأَمَّا الْخَاصُّ :

فالذي لم يطلع عليه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل .

وَأَمَّا عِلْمُهُ الْعَامُ :

فهو الذي اطّلع عليه الملائكة المقربين ، والأنبياء المرسلين ، قد رفع ذلك كله إلينا ثم قال : أما تقرأ : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١) .

قلت : رجال الخبر ثقات ، وفي الإسناد سقط ، والصحيح : حنان بن سدير ، عن أبيه ، عن أبي جعفر . وأياً كان ، تشهد له الأخبار القطعية الأنفة والآتية ..

منها : ما أخرجه الصدوق في الخصال قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن الحسن الصفار ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن عبد الرحمن بن حماد ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبي أسامة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي أبي : «ألا أخبرك بخمسة ، لم يُطلع الله عليها أحداً من خلقه»؟! .

قلت : «بلى» .

قال عليه السلام : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢) .

(١) بصائر الدرجات (ت: كوجة باغي): ١٣٠ . مطبعة الأحدي، طهران .

(٢) الخصال (ت: علي أكبر غفاري): ٢٩٠ . جماعة المدرسين قم .

قلت : إسناده قويّ حسن ، بل صحيح ، أبو أسامة هو زيد بن يونس الثقة ، والبقية ثقات سوى عبد الرحمن بن حماد ، وهو من أصحاب الكتب والأصول ، ترجم له الطوسي والنجاشي دون طعن ، ودعوى اتّحاده مع عبد الرحمن بن أبي حماد الضعيف ، عريّة عن الدليل .

ومنها : ما أخرجه الصّفّار (٢٩٠هـ) حدثنا أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن أبي الجارود ، عن الأصبغ بن نباته قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : «إِنَّ اللَّهَ عِلْمِينَ : علم استأثر به في غيبه ، فلم يطلع عليه نبياً من أنبيائه ، ولا ملكاً من ملائكته ، وذلك قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ .

وله علم ، قد أطلع عليه ملائكته ، فما أطلع عليه ملائكته ، فقد أطلع عليه محمد وآله ، وما أطلع عليه محمد وآله ، فقد أطلعنا عليه ، الكبير منا والصغير ، إلى أن تقوم الساعة»^(١) .

قلت : رجاله ثقات إلاّ أبو الجارود فمذموم فاسد العقيدة ، لكن يظهر من كثرة رواية الأجلّة عنه ، واعتماد أساطين أصحابنا ؛ كالشيخ المفيد ، على ما انفرد من الأخبار ، أنّ الرجل حجّة في الرواية ، سيما في الشواهد ، وإن كان مذموماً فاسد العقيدة .

وفي كلام لأمر المؤمنين في وصف الأتراك في نهج البلاغة قال : «كأني أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجان المطرقة ، يلبسون السرق والديباج ، ويعتقبون الخيل العتاق . ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجرّوح على المقتول ، ويكون المفلت أقل من المأسور» .

فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب؟! .!

فضحك عليه السلام ، وقال للرجل وكان كليياً : «يا أخا كلب ، ليس هو بعلم غيب ، وإنّما هو تعلّم من ذي علم . وإنّما علم الغيب : علم الساعة ، وما عدد الله سبحانه بقوله :

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ الآية ، فيعلم سبحانه ما في الأرحام ، من ذكر أو أنثى ، وقبيح أو جميل ، وسخي أو بخيل ، وشقي أو سعيد ، ومن يكون في النار حطباً ، أو في الجنان للنبين مرافقاً . فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلاّ الله ، وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه ، ودعالي بأن يعيه صدري ، وتضطم عليه جوانحي^(١).

الحاصل : هذه الأخبار ، بشهادة الآيات قطعية الدلالة ، صريحة أنّ علم الساعة ، بنحو الحتم، منحصر بالله تعالى وحده لا شريك له ؛ قال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

والآية صريحة أنّ علم الساعة -على الابتداء والاستقلال- عند الله تعالى وحده..؛ لا شريك له من الخلق في هذا العلم ، الرسل والملائكة فمن دونهم .

لكن نشير إلى أنّ انحصار علم الساعة بالله تعالى ، لا يعني استحالة علم الرسل والمعصومين عليهم السلام بها ، فيما لو شاء الله سبحانه وتعالى أن يطلعهم عليها .

فالمعصوم عليه السلام كما في الأخبار القطعية التي مضى بعضها وسيأتي غيرها ، أذن الله تعالى له أن يكون عالماً بها كان وما يكون حتى قيام الساعة ، وسيأتي في النصوص القطعية أنّ بعضه حتم لا مردّ له ، أي حتمي الوقوع لا بدّ من تحققه ، وآخر معلق ليس بحتم ؛ فإن شاء الله أثبتته فجعله محتوماً ، وإن شاء محاه كأن لم يكن شيئاً مذكوراً .

(١) نهج البلاغة(شرح : محمد عبده) ٢: ١١ . دار الدخائر ، قم.

(٢) فصلت : ٤٧ .

(٣) الأعراف : ١٨٧ .

وعليه ، لا مانع عقلاً ، أن يبذل الله سبحانه علم الساعة إلى الرسل والمعصومين عليهم السلام على نحو الحتم إذا اقتضت حكمته عزّ وجل ذلك ، لكن لم يثبت هذا شرعاً في نصّ صحيح ، بل قد ثبت عكسه ، وهو انحصار علم الساعة بالله وحده سبحانه ، كما في النصوص الثابتة أعلاه .

حسبنا معتبر زيد بن يونس ، عن الصادق : «خمسة ، لم يطلع الله عليها أحداً من خلقه» : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

ونشير أن ثمة من الجهلاء الأغبياء جداً ، ممن لا يعلم أنه لا يعلم هذرم فقال: نحن نعلم ما في الأرحام ذكراً أم أنثى قبل أن تلد المرأة ، كما تخبرنا أجهزة الطب الحديثة المسماة بالسونار وغير ذلك .

قلنا : أعيت الغباوة من يداويها ؛ فالمقصود بالعلم بما في الأرحام من الذكورة والأنوثة ، ما يقضي به الله سبحانه وتعالى أول انعقاد النطفة ، أو قبيل انعقادها في اللحظة الأولى ، ولا يعلم هذا على نحو الحتم إلا الله سبحانه وتعالى ..

علاوة على ما يتناول الأجل والرزق والشقاوة والسعادة والخاتمة وغير ذلك ، كما ورد في الأخبار القطعية وسنسردها لاحقاً ، فكّل هذا لا يعلمه على نحو الحتم حتى ملائكة التدبير المقربين ، وإن علموه بإذن الله تعالى عن اللوح المحفوظ ، فهو معلق على ما يشاء الله تعالى ، فإن شاء سبحانه أخبرهم أنه محتوم وإن شاء لم يفعل .

وننبّه أنّ ما ذكرناه من الاستدلال ، لا يقف عند الأخبار المتعبة الآنفة في العنوان أعلاه ؛ فثمة نصوص صحيحة أخرى في هذا الباب ، لا خلاف في صحّة أسانيدنا بين أصحابنا ، تنفي علم النبيّ محمد فمن دونه من المعصومين عليهم الصلاة والسلام ، بالساعة وبوقت خروج القائم المنتظر صلوات الله عليه بنحو الحتم ، هاكها لترى ..

خروج القائم كالساعة ، لا يعلمها حتماً إلا الله

قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفِئَهَا إِلَّا هُوَ نَقُلْتُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً إِنَّا نَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

الآية ، علاوة على النص الصحيح الصريح الآتي، صريحة أن وقت الساعة لا يعلمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن دونه من المعصومين عليه السلام ؛ لقوله تعالى : ﴿لَا يُجِيبُهَا لَوْفِئَهَا إِلَّا هُوَ﴾ وقوله سبحانه وتعالى : ﴿لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ وأصرح من الجميع قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ والحصر بالله تعالى واضح صريح .

وأما النص الصحيح ؛ فهو ما أخرجه الصدوق عليه السلام (٣٨١هـ) قال : حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول : لما أشدت مولاي الرضا عليه السلام مدارس آيات خلت من تلاوة...، خروج إمام لا محالة خارج .

قال لي عليه السلام : يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين ، فهل تدري من هذا الامام ، ومتى يقوم عجل الله تعالى فرجه...؟! .

فقلت : لا يا سيدي ، إلا آتت سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملؤها عدلاً .

فقال عليه السلام : «فقال : يا دعبل الإمام بعدي : محمد ابني ، وبعد محمد ابني علي ، وبعد علي ابني الحسن ، وبعد الحسن ابني الحجة القائم ، المنتظر في غيبته ، المطاع في ظهوره ، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج ، فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»

قال عليه السلام : «وأما متى يقوم، فأخبار عن الوقت ؛ ولقد حدثني أبي ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله ، متى يخرج القائم من ذريتك؟! .

فقال صلى الله عليه وآله : «مثله مثل الساعة : ﴿ لَا يُجَلِّئُهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام . وهو صريحٌ في المطلوب .

عدا هذا ، هاك هذا النص الصحيح لترى ..

الباقر ينفي العلم الحتمي بوقت خروج القائم

روى الكليني رضي الله تعالى عنه ، عن علي بن محمد ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي حمزة الثمالي رضي الله عنه قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : «يا ثابت إنَّ الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر في السبعين ، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه ، اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض ، فأخره إلى أربعين ومائة ، فحدثناكم فأذعتم الحديث ، فكشفتُم قناع السر ، ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا ، و: ﴿يَمْنُوحُ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُؤْتِيُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

قال أبو حمزة الثمالي رضي الله عنه : فحدثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام ، فقال عليه السلام : «قد كان كذلك»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام ، رجاله ثقات دون ريب ، بل هم أجلة الطائفة ، وأساطين الرواية ، وثقات الملة ، والحسن من أصحاب الإجماع .

قول الباقر عليه السلام : (ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا) صريحٌ أنهم لا يعلمون وقت الفرج على نحو الحتم ، وإن علموه ، فهو معلق على ما يشاء الله تعالى .

ثم إنَّ الحديث صريحٌ أنَّ بعض ما عند المعصوم من العلم ؛ كوقوع الفرج في السبعين معلق على مشيئة الله تعالى ليس بحتم ؛ فلقد طرأ عليه المحو والإثبات ، كونه مشروطاً بما يصدر عن العباد من طاعة أو معصية ؛ فلما عصت الأمة وقتلت الحسين عليه السلام ، أخذهم الله تعالى بها كسبوا فأخر الفرج سبحانه .

وإذن فعلم المعصوم عليه السلام ، ببعض أو بكثيرٍ مما كان وما يكون ، معلق على ما يشاء الله ؛ فإن شاء محاه وإن شاء أبقيه وأمضاه .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٣٦٨. دار الكتب الإسلامية، طهران.

وروى النعماني رضي الله عنه (٣٨٠هـ) في الغيبة قال : أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ، قال : حدثنا محمد بن المفضل بن إبراهيم بن قيس بن رمانة الأشعري وسعدان بن إسحاق بن سعيد وأحمد بن الحسين بن عبد الملك ومحمد بن أحمد بن الحسن القطواني ، قالوا جميعاً : حدثنا الحسن بن محبوب الزراد ، عن إسحاق بن عمار الصيرفي ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «قد كان لهذا الأمر وقت ، وكان في سنة أربعين ومائة ، فحدثتم به وأذعتموه فأخره الله عز وجل»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، أو موثق على اصطلاح المتأخرين . ابن رمانة ، أبو جعفر الأشعري ثقة دون كلام ، ومن فوّه كلّهم ثقات أجلاء ، والبقية سيقوا للاعتبار .

ومن ذلك ما رواه الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) في الغيبة بإسناده الصحيح ، عن الفضل بن شاذان ، عن محمد بن علي ، عن سعدان بن مسلم ، عن أبي بصير قال : قلت له : ألهذا الأمر أمد نريح إليه أبداننا وننتهي إليه؟! قال : «بلى ، ولكنكم أذعتم فزاد الله فيه»^(٢).

قلت : خبر صحيح بالقرائن القطعية والشواهد المعتمدة ، وهذا الإسناد مختلف فيه ، رجاله ثقات إلاّ محمد بن علي المردد بين المدوح ، وبين أبي سيمنة الكذاب ، ولعلّ رواية الفضل عليه السلام عنه ترجح جانب المدوح ؛ لاستبعاد أن يروي الفضل عن هذا الكذاب . وطريق الشيخ إلى الفضل بن شاذان صحيح كما في المشيخة والفهرست .

ويهون الخطب أنّ الفضل رضوان الله عليه من أصحاب الإجماع ، الذين أجمعت العصاة على تصحيح ما يصحّ عنهم .

(١) الغيبة للنعماني (ت: فارس الحسون): ٣٠٣ . مطبعة مهر ، قم .

(٢) الغيبة (ت: عباد الطهراني): ٤٢٨ . مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم .

إجماع الشيخ الطوسي رضي الله عنه

روى الشيخ الطوسي رضي الله عنه قال : وروى الفضل بن شاذان ، عن محمد بن إسماعيل ، عن محمد بن سنان ، عن أبي يحيى التميمي ، عن عثمان النواقي : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «كان هذا الأمر فيَّ ، فأخره الله تعالى ، ويفعل الله بعد في ذريتي ما يشاء»^(١) .

قلت : خبر صحيح ؛ فالفضل من أصحاب الإجماع ، ناهيك عن الشواهد والقرائن القطعية الثابتة ؛ كقوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ . وقوله سبحانه : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

قال الشيخ الطوسي رضي الله عنه ، شارحاً الخبر أعلاه :

الوجه في هذه الأخبار أن نقول -إن صحت- إنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد وقت هذا الأمر ، في الأوقات التي ذكرت ، فلما تجدد ما تجدد ، تغيرت المصلحة واقتضت تأخيره إلى وقت آخر ، وكذلك فيما بعد ، ويكون الوقت الأول ، وكل وقت ، يجوز أن يؤخر مشروطاً بأن : لا يتجدد ما يقتضي المصلحة تأخيره ، إلى أن يجيء الوقت الذي لا يغيره شيء فيكون محتوماً .

وعلى هذا يتأول ، ما روي في تأخير الأعمار عن أوقاتها ، والزيادة فيها عند الدعاء ، والصدقات ، وصلة الارحام ، وما روي في تنقيص الأعمار عن أوقاتها ، إلى ما قبله ، عند فعل الظلم ، وقطع الرحم وغير ذلك .

وهو تعالى وإن كان عالماً بالأمرين ، فلا يمتنع أن يكون أحدهما معلوماً بشرط ، والآخر بلا شرط ، وهذه الجملة لا خلاف فيها بين أهل العدل .

(١) الغيبة (ت: عباد الطهراني) : ٤٢٨ . مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم .

وعلى هذا يتأول أيضاً ما روي من أخبارنا المتضمنة للفظ البدء ، ويبين أن معناها النسخ على ما يريده جميع أهل العدل ، فيما يجوز فيه النسخ ، أو تغير شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات؛ لأنّ البدء في اللغة هو الظهور، فلا يمتنع أن يظهر لنا من أفعال الله تعالى ما كنّا نظنّ خلافه، أو نعلم ولا نعلم شرطه^(١).

قلت : لنا كتاب في البدء ، من مطبوعات العتبة الحسينية عظمها الله تعالى ، فارجع إليه إن شئت ؛ ففي بعض ما قاله الطوسي رضوان الله عليه نظر ، لا يسعنا الاستطراد له ههنا الآن .

وأياً كان فقوله الشريف : (وهو تعالى وإن كان عالماً بالأمرين، فلا يمتنع أن يكون أحدهما معلوماً بشرط) وهو العلم المعلق على الشرط والمشية (والآخر بلا شرط) وهو المعلوم بنحو الحتم (وهذه الجملة لا خلاف فيها بين أهل العدل)..

قلت : فقوله الشريف هذا تامّ للغاية .

شاهد لما تقدم : مرسل الأحمر

روى الكليني عن الحسين بن الحسن الحسيني رفعه ح..

و عن محمد بن الحسن ، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر ي رفعه قال : لما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام حفّ به العوّد^(١) ، وقيل له : يا أمير المؤمنين أوص .

فقال عليه الصلاة السلام : « اثنوا لي وسادة » ثم قال : « الحمد لله حق قدره ، متبعين أمره ، وأحمده كما أحب ، ولا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد كما انتسب ؛ أيها الناس كلّ امرئ لاق في فراره ، ما منه يفر ، والأجل مساق النفس إليه ، والهرب منه موافاته ، كم أطردت الأيام أبحاثها عن مكنون هذا الأمر ، فأبى الله عز ذكره إلا إخفاءه..؛ هيهات علم مكنون»^(٢).

قلت : مرسل رجاله ثقات ، سقناه شاهداً ، ومثله يصلح في الشواهد جداً .

قوله عليه السلام : (أبحاثها عن مكنون هذا الأمر ، فأبى الله عز ذكره إلا إخفاءه) أي أبحث ، فيما اطرد من الأيام ، عن العلم بالمحتوم من قضاء الله تعالى في الآجال ، لكن أبى الله سبحانه وتعالى إلا إخفاءه ؛ كونه من العلم المكنون الذي لا يعلمه إلا هو .

وكما أكثرنا ؛ فإنّ هذا لا ينافي علم المعصوم عليه الصلاة والسلام ، بما كان وما يكون إلى قيام الساعة ، ضرورة أنّ بعض علم المعصوم ؛ ليس محتوماً ، بل معلق على مشيئة الله أي البدء ؛ فإن شاء سبحانه وتعالى محاه وإن شاء أثبته ، وقد مضت النصوص القطعية الثابتة في هذا ، وسيأتي غيرها .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٩٩. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) العوّد ، جمع : عائد ، وهو من يعود المريض ويزوره ، وحفّ به العوّد : اجتمعوا حوله.

مناقشة المازندراني عليه السلام

قال المازندراني عليه السلام في شرح الكافي: وهذا الأمر يحتمل أمرين:

أحدهما: كم صيرت الأيام طريدة لي أتبع بعضها بعضاً، والحال أنني أبحث فيها عن سر هذا الأمر، فأبى الله إلا إخفاه؛ وذلك لأنه من العلوم المتعلقة بالقضاء والقدر.

وثانيها: ما ذكره شارح نهج البلاغة، وهو ما وقع من قتله وضربه بالسيف، والمراد حيثئذ، وقته المعين، ومكانه المخصوص، وكيفية وقوعه على التفصيل، يعني: كم صيرت الأيام والأزمان طريدة لي، وقد كنت أبحث فيها لأعرف ذلك على التفصيل؛ فأبى الله إلا إخفاه؛ فإن ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(١).

قلت: كل من الاحتمالين لا يستقيم؛ أما الأول: فلما علم ضرورة أن كثيراً مما تعلق بالقضاء والقدر، قد أخبره الله تعالى للرسول والمعصومين على نحو الحتم؛ كأصل خروج القائم والسفياني و...، فإطلاق المازندراني رضي الله عنه غير تام.

وأما الثاني، وهو احتمال أن المعصوم لا يعلم التفصيل؛ فيردّه الخبر الصحيح عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء، وخبر الأرض، وخبر الجنة، وخبر النار، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي، إن الله يقول فيه تبيان كل شيء».

وما مضى من الصحيح عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «علم النبي علم جميع النبيين، وعلم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة..؛ والذي نفسي بيده، إنني لأعلم علم النبي صلى الله عليه وآله، وعلم ما كان، وما هو كائن، فما بيني وبين قيام الساعة» وكذا النصوص المتواترة إجمالاً أو معنى أن المعصوم يعلم حتى أرش الخدش.

(١) شرح الكافي (ت: علي عاشور) ٦: ١٥٢. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

والصحيح أن يقال : ما قلناه آنفاً ، وهو ما أثبتته الأخبار المتواترة إنَّ المعصوم وإنْ كان عالماً بما كان وما يكون حتى قيام الساعة وانتهاء القيامة على التفصيل ، لكن ليس كلّه على نحو الحتم ، بل بعضه أو كثيراً منه ، في معرض البداء ؛ معلق على ما يشاء الله سبحانه ، والله تعالى يفعل ما يشاء على ما تقضي به رحمته وحكمته .

وقد أحسب أنا القاصر أن المازندراني رضي الله عنه ، وهو أحد جهابذة الملة ، يقصد هذا طيب الله ثراه ؛ والله أعلم .

الجمع بين الطوائف الثلاث المتقدمة

علم المعصوم عليه السلام بما كان وما يكون حتى تقوم الساعة ، هو العلم المبذول ، المكتوب في اللوح المحفوظ كما مضى ويأتي في المتواترات ، بيد أن هذا العلم المبذول ، ليس كل شيء ؛ فبعضه وإن كان محتوماً نافذاً ممضى من قبل الله سبحانه وتعالى ، إلا أن كثيراً منه في معرض المشية والبداء ، والمحو والإثبات على الدوام ؛ لماذا؟! .

لأن الله سبحانه وتعالى قضى أن يكون : ﴿ كَلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ أي قضى أن يرحم عباده ويزيدهم من فضلة كل يوم ، بل في كل آن ، على الدوام ، شرط أن يطيعوه ويدعوه ويتوبوا إليه ؛ حسبك قوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(١).

روى الكليني رضي الله عنه في الصحيح عن الرضا عليه السلام يقول: «ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر ، وأن يقر الله بالبداء»^(٢). ومعنى إقرار الأنبياء عليهم السلام بالبداء : اعتقادهم عليهم السلام أن علم المشيئة المخزون ، وهو علم العرش ، لا يعلمه سوى الله تعالى ، وأما ما بذله الله تعالى لهم عليهم السلام من العلم ، وهو علم الكرسي ، فمما يطرأ على بعضه المحو والإثبات ، حسب ما هو الأصلح للعباد ، والأرحم بحالهم ، هذا هو معنى البداء ، وأما ما فيه قوام الدين فحتم ، وإلا انتقض الغرض وسيأتي البيان .

وقد بينا في كتابنا البداء^(٣)، أن طرور البداء ، والمحو والإثبات على العلم المبذول ، لا يكون إلا تبعاً لطاعة العباد ومعصيتهم ، شكرهم وكفرهم ؛ لأن الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه الفضل والرحمة فإن كان العبد محسناً صالحاً ، زاد الله تعالى في إحسانه وثوابه ، وإلا فهو على حاله المكتوب في اللوح المحفوظ .

(١) غافر : ٦٠ .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٤٨ . باب البداء . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) من مطبوعات العتبة الحسينية ، قسم الشؤون الدينية ، شعبة البحوث والدراسات .

إجماع أصحابنا أنّ المعصوم لا يعلم الغيب

إجماع الشيخ المفيد عليه السلام.

قال الشيخ المفيد (٤١٣هـ) في الأوائل: إنّ الأئمة من آل محمد عليهم السلام، قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد، ويعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم، ولا شرطاً في إمامتهم، وإنّا أكرمهم الله تعالى به، وأعلمهم إياه؛ للطف في طاعتهم، والتمسك بإمامتهم، وليس ذلك بواجب عقلاً، ولكنّه وجب لهم عليهم السلام من جهة السماع.

فأمّا إطلاق القول عليهم، بأنّهم يعلمون الغيب، فهو منكر بين الفساد؛ لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقه من علم الأشياء بنفسه، لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلاّ الله عزوجل، وعلى قولنا هذا، جماعة أهل الامامة، إلاّ من شدّ عنهم من المفوضة ومن انتمى إليهم من الغلاة^(١). اهـ.

قلت: وهو إجماع صريح أنّ المعصوم لا يعلم الغيب مطلقاً، وكلّ ما يعلمه عليه السلام بعض الغيب بإذن الله تعالى وتعليم منه سبحانه؛ لما ذكرناه من امتناع إحاطة علم المخلوق بالخالق؛ ضرورة إمتناع إحاطة المحدود بغير المحدود.

وقوله الشريف: (وليس ذلك بواجب في صفاتهم، ولا شرطاً في إمامتهم) فيه نظر شديد؛ بل هو واجب إذا توقّف قوام الدين عليه وكان شاهداً على عصمتهم؛ للأخبار الإرشادية المعتبرة عن الصادق والباقر عليهما الصلاة والسلام قالوا: «الله أجل وأعز وأكرم، من أن يفرض طاعة عبد، يحجب عنه علم سمائه وأرضه..؛ لا يحجب ذلك عنه».

قلت: حديث صحيح، أخرجه الكليني والصفار والصدوق وغيرهم بطرق كثيرة، بعضها معتبر.

(١) أوائل المقالات: ٦٨. دار المفيد، بيروت، لبنان.

إجماع الشيخ الطوسي رضي الله عنه

قال (٤٦٠هـ) رضوان الله عليه : الذي نقول به : إن معاني القرآن على أربعة أقسام :

أحدها : ما اختص الله تعالى بالعلم به ، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه ، ولا تعاطي معرفته ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾ ومثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ فتعاطي معرفة ما اختص الله تعالى به خطأ^(١) .

وقال في موضع آخر : قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يجيبهم ويقول لهم : ﴿ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾ لم يطلع عليها أحداً كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾ أي لا يظهرها في وقتها إلا الله^(٢) .

وفي موضع آخر قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ يعني وقت قيام القيامة ، يعلمه تعالى ، لا يعلمه سواه^(٣) .

ابن النعمان المغربي (٣٦٣هـ)

قال رضي الله عنه : أهل البيت عليهم السلام ، أئمة دينه ، أودعهم علم ما كان وما يأتي ... ، ولسنا نقول إنهم يعلمون الغيب كله ، ولكننا نقول من ذلك ما قاله الله عز وجل من القول الذي حكينا من كتابه ، إنهم إننا يعلمون ما علمهم الله ورسوله ، مما غيبه عن غيرهم ، وجعله شاهداً لإمامتهم ، من شيء قد خصوا به دون غيرهم^(٤) .

(١) التبيان (ت: أحمد قصير العاملي) ١ : ٥ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢) التبيان (ت: أحمد قصير العاملي) ٥ : ٤٧ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٣) التبيان (ت: أحمد قصير العاملي) ٨ : ٢٨٩ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٤) شرح الأخبار (ت: محمد الجلال) ٢ : ٢٩٥ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

الكراجكي (٤٤٩ هـ)

كتب الكراجكي رحمته الله رسالة لبعض المؤمنين ، بين فيها اعتقاد الشيعة قال : أثبت لك اعتقاد الشيعة ، وأصولاً في المذهب...، إن جميع حجج الله تعالى ، محيطون علماً بجميع ما يفتقر إليهم فيه العباد ، وإتهم معصومون من الخطأ والزلل ، عصمة اختيار ، وإن الله فضلهم على خلقه ، وجعلهم خلفاء قائمين بحقه ، وإنه أظهر على أيديهم المعجزات تصديقاً لهم فيما ادعوه من الأنبياء والأخبار ، وإتهم مع ذلك بأجمعهم عباد مخلوقون ، وبشر مكلفون يأكلون ويشربون ويتناسلون ويحيون بإحيائه ويموتون بإماتته ، تجوز عليهم الآلام المعترضات ؛ فمنهم من قتل ، ومنهم من مات ، لا يقدررون على خلق ، ولا رزق ، ولا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم إله الخلق ، وإن أقوالهم صدق وجميع ما أتوا به حق^(١) .

قلت : وهو ظاهرٌ في إجماع الشيعة على ذلك .

وقال الشيخ الطبرسي رضي الله عنه : (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) استأثر به ولم يُطْلَعْ عليه أحداً^(٢) .

قلت : وعلى هذا إجماع الطائفة قديماً وحديثاً ، بل هو من ضروريات أمة ، سنة وشيعة ، فصلّى الله على محمد وآل محمد أجمعين .

(١) كنز الفوائد : ١١٠ . مكتبة المصطفوي ، قم (نسخة حجرية) .

(٢) جمع الجوامع ٣ : ٣٢ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

كلمة جامعة للمجلسي عليه السلام في الغلو بالأئمة عليهم السلام

عقد المجلسي عليه السلام في كتابه بحار الأنوار باباً تحت عنوان: إن الأئمة عليهم السلام لا يعلمون الغيب^(١). ولا يخفى أن أبوابه فتاوى .

وقال رضي الله عنه: إعلم أن الغلو في النبي والأئمة عليهم السلام، إنَّما يكون بالقول بألوهيتهم، أو بكونهم شركاء لله تعالى في العبودية، أو في الخلق والرزق، أو أن الله تعالى حلَّ فيهم، أو اتحد بهم، أو أنَّهم يعلمون الغيب بغير وحي، أو إلهام من الله تعالى، أو بالقول في الأئمة عليهم السلام أنَّهم كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأن معرفتهم تغني عن جميع الطاعات ولا تكليف معها بترك المعاصي.

والقول بكلِّ منها إلهاد وكفر وخروج عن الدين، كما دلَّت عليه الأدلَّة العقلية والآيات والأخبار السالفة وغيرها، وقد عرفت أنَّ الأئمة عليهم السلام، تبرؤوا منهم وحكموا بكفرهم، وأمروا بقتلهم، وإن قرع سمعك شيء من الأخبار الموهمة لشيء من ذلك، فهي إمَّا مأولة، أو هي من مفتريات الغلاة^(٢). اهـ.

قلت: هذا ما عليه أصحابنا الإمامية رضوان الله تعالى عليهم، قديماً وحديثاً، ولعن الله من قال بغير هذا القول، أو دان بغير هذا الدين، أو اعتقد غير هذا الاعتقاد؛ فإنَّه والله مارقٌ من الدين، رادُّ على ربِّ العالمين، خارجٌ عن منهج المطهِّرين، الأنبياء والمرسلين، والأوصياء والصدِّقين، سيما محمد وآل محمد، سادة الخلائق أجمعين .

(١) بحار الأنوار ٢٦: ٩٨ . دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٦ . دار إحياء التراث العربي، بيروت.

مناقشة الشيخ الطوسي للجبائي !!

قال الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) : قال الجبائي (٢٣٥هـ-٣٠٣هـ) ^(١) وفي الآية : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ دليل على بطلان قول الرافضة من أن الأئمة معصومون ، منصوص عليهم واحداً بعد الآخر إلى يوم القيامة ؛ لأن على هذا لا بد أن يعلم آخر الأئمة أن القيامة تقوم بعده ، ويزول التكليف عن الخلق ، وذلك خلاف قوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ . اهـ كلام الجبائي .

قال الشيخ الطوسي : وهذا الذي ذكره (=الجبائي) باطل ؛ لأنه لا يمتنع أن يكون آخر الأئمة يعلم أنه لا إمام بعده ، وإن لم يعلم متى تقوم الساعة ؛ لأنه لا يعلم متى يموت ، فهو يجوز أن يكون موته عند قيام الساعة ، إذا أردنا بذلك أنه وقت فناء الخلق .

وإن قلنا : إن الساعة عبارة عن وقت قيام الناس في الحشر ، فقد زالت الشبهة ؛ لأنه إذا علم أنه يفنى الخلق بعده ، لا يعلم متى يحشر الخلق . على أنه قد روي أن بعد موت آخر الأئمة يزول التكليف ؛ لظهور أشراف الساعة ، وتواتر أماراتها ، نحو طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة وغير ذلك ، ومع ذلك فلا يعلم وقت قيام الساعة ... ، فعلى هذا سقط السؤال ^(٢) .

قلت : قوله رضي الله عنه تام ، إلا عدم علم الإمام بساعة موته ؛ ففيه تفصيل سيأتي ، موجزه أن الإمام عليه السلام عالمٌ بساعة موته ، لكنه علمٌ معلق على ما يشاء الله ، ليس محتوماً ، والعلم المعلق ليس علماً على الحقيقة إلا إذا أمضاه الله تعالى ، وسيأتي الكلام .

(١) محمد بن عبد الوهاب بن سلام المعروف بأبي علي الجبائي كان إماماً في علم الكلام، أخذ هذا العلم عن رئيس معتزلة البصرة ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري ، فلما مات انتهت رئاسة الاعتزال في البصرة إليه ، من تلامذته المبرزين رئيس الأشاعرة الأشعري ، لكنه انقلب عليه .
(٢) التبيان(ت: أحمد قصير) ٥ : ٤٩ . مكتب الإعلام الإسلامي ، قم .

بين الكليني والفيض الكاشاني رضي الله عنهما

عرف عند أساطيننا رضوان الله عليهم أنّ كلّ أبواب شيخ مشايخنا الكليني في الكافي ، أصولاً وفروعاً فتاوى ..

ففي نسخة الكافي التي عند الفيض الكاشاني (١٠٩١ هـ) عنون الكليني باباً قال فيه :
باب أنهم عليهم السلام لا يعلمون الغيب ، إلا أنهم متى شاؤوا أن يعلموا ، أعلموا .

روى الكليني^(١) عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن الحسن ، عن أحمد بن الحسن بن علي ، عن عمرو بن سعيد ، عن مصدق بن صدقة ، عن عمار السباطي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب؟! .

فقال عليه السلام : « لا ، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء ، أعلمه الله ذلك »^(٢) .

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه السلام : (إذا أراد أن يعلم الشيء ، أعلمه الله ذلك) ليس مطلقاً ، وإنما خصوص ما فيه قوام الدين ، وما لا بدّ منه في هداية البشر الضالين ، وما كان شاهداً على عصمة المعصومين عليهم السلام ، وسيأتي النصّ عنهم عليهم السلام في وجوب إطلاع المعصوم على كلّ ما فيه قوام الدين وهداية العباد .

وما عدا هذا ، من افتراض أنّ للمعصوم أن يعلم ما يشاء ، متى شاء ، أي شيء شاء ، فباطل قطعاً ؛ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لَلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ ناهيك عن كونه ممتنعاً ؛ لامتناع إحاطة المحدود بغير المحدود ، ويستثنى ما يأذن الله به . وقد أوردنا لهذا عنواناً شريفاً سيأتي .

(١) الكافي (ت: ففاري) ١ : ٢٥٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الوافي (ت: ضياء الحسيني) ٣ : ٥٩٠ . مكتبة أمير المؤمنين ، أصفهان .

الفصل السادس

نماذج لعلم المعصوم عليه السلام المعلق على المشيئة

أقسام الإثبات في آية المحو

روى الكليني عليه السلام عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم وحفص بن البختري وغيرهما عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾؟! .

فقال عليه السلام : «وهل يُمَحَى إِلَّا ما كان ثابتاً ، وهل يُنْبِتُ إِلَّا ما لم يكن»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

ولقد توهم كثير من العوام ، وربما بعض أهل العلم ، أنّ معنى الإثبات في الآية ، لا يعدو الإيجاد بعد الإعدام ، أي : محو ما كان ثابتاً في اللوح المحفوظ ، وإثبات غيره فيه ، وهذا غير تام .

فالإثبات ، ولك أن تقول الإيجاد ، على أقسام ثلاثة كلّها من الغيب ، هذه الأقسام مستفادة من أخبار أهل البيت الصحيحة ، الموافقة لكتاب الله ، وهي كالآتي :

القسم الأول : الإثبات بعد محو الضد أو النقيض ؛ كالسعادة بعد محو الشقاوة .

القسم الثاني : إثبات زيادة على ما أثبتته الله سابقاً ؛ كمضاعفة الحسنات .

القسم الثالث : إثبات شيء جديد ؛ كخلق صنف جديد من الملائكة ، أو صنف آخر غيرهم من الخلائق ، أو جنس آخر من نعيم الجنة ، لم يخطر ببال مخلوق ، ممّا شاء الله أن يخلقه ويوجده .

هاك أدلة هذه الأقسام ، وإن كنّا نحسب أنّها حاضرة لذهن العالم النابه ، لكن نذكرها مراعاة للمنهج ؛ دفعاً للوهم وترسيخاً للفهم .

القسم الأول : الإثبات بعد المحو .

وهو الإيجاد بعد إعدام ضده أو نقيضه ؛ كقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١). ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢).

وقد صحَّ عن الفريقين سنة وشيعة ، أن الله تعالى يثبت السعادة بعد محو الشقاوة ، لكل من تاب وآمن وعمل صالحاً من الأشقياء ، وفي هذا نصوص قطعية ، وهي صريحة جداً في الإثبات بعد المحو ، والإيجاد بعد الإعدام .

فمن ذلك من طرقنا الكثيرة ، ما رواه الكليني عن أخرج الكليني عن العدة، عن أحمد بن محمد البرقي، عن إسماعيل بن مهران، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قال في دبر صلاة الفجر ودبر صلاة المغرب سبع مرات بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، دفع الله عز وجل عنه سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الريح والبرص والجنون، وإن كان شقيماً محي من الأشقياء وكتب في السعداء»^(٣).

أقول: معناه من الضروريات عند أصحابنا ، وكذا عند غيرنا إلا الجبرية من الأشاعرة ، والخبر أعلاه صحيح بكثرة الطرق ، وهذا الإسناد صحيح على الأقوى .

ومما رواه أهل السنة في هذا عن أمير المؤمنين ، أخرجه أبو نعيم (٤٣٠هـ) في الحلية قال: حدثنا سليمان بن أحمد (الإمام الثقة الطبراني صاحب المعجم فوق الوصف)، ثنا الحسن بن جرير الصوري (إمام محدث كبير الشأن)، ثنا إسماعيل (ابن أبي أويس، ثقة عن غير الإمام مالك ، خ م) عن أبي الزناد من أهل وادي القرى (عبد الرحمن بن أبي الزناد القرشي، ثقة حافظ عالم بالتفسير، تغير حفظه بأخرة)

(١) الفرقان: ٧٠.

(٢) التحريم : ٨.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٥٣١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

حدثني إبراهيم، شيخ من أهل الشام (إبراهيم بن أبي سفيان، وثقه أبو مسهر كما نقل أبو نعيم ذيل هذا الحديث) عن الأوزاعي (إمام كبير فقيه ثقة، فوق الوصف)، قال: قدمت المدينة فسألت محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن قوله عز وجل: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) فقال: نعم، حدثني أبي، عن جدّه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: سألت عنها رسول الله فقال:

«لأبشرك بها يا علي؛ فبشر بها أمتي من بعدي، الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وبر الوالدين، وصلة الرحم، تحوّل الشقاء سعادة، وتزيد في العمر، وتقي مصارع السوء».

قال أبو نعيم: غريب تفرد به إسماعيل عن أبي الزناد. وإبراهيم بن أبي سفيان. قال أبو زرعة: سألت أبا مسهر عنه فقال: من ثقات مشايخنا وقدمائهم^(٢).

قلت: إسناده جيّد. قال المناوي (١٠٣١هـ) في الفيض: إبراهيم هو ابن أبي سفيان، ثقة^(٣). والحديث أعلاه نصّ ظاهر صريح في معنى البداء، وله شواهد عن الصحابة كعمر بن الخطاب وابن مسعود وغيرهما ..

(١) الرعد: ٣٩.

(٢) حلية الأولياء ٦: ١٤٥. دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) فيض القدير ٤: ٢٣٧. رقم: ٥١٤٦. المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

أنبه إلى أنّ الإمام الألباني ضعّف الإسناد؛ لعدم معرفته بإبراهيم فيما قال، وهذا منه ذهول غريب، فأبو نعيم قد صرّح به في كتابه وأنه ثقة فيما قال أبو زرعة، ناهيك عن تصريح الإمام المناوي.

القسم الثاني : الزيادة فيما أثبتته الله تعالى .

وهو : زيادة إيجاد في عين الموجود ؛ أي الزيادة على عين ما كتبه الله تعالى ، وأثبتته في اللوح المحفوظ من القضاء ؛ من ذلك قوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(١).

وقوله عز وجل : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٢).

وقال سبحانه : ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾^(٣).

فهو زيادة في عين الأجر الموجود لا إعدام فيه ، وكثرة في نفس الخير والأجر لا محو فيه ، فمن ذلك ما تواتر عن الفريقين سنة وشيعة عن النبي صلى الله عليه وآله أن الله يزيد في أجل من تصدق ، ومن وصل رحمه و... ، وفي هذا نصوص متواترة أخرجها الفريقان سنعرض لها .

منها : ما رواه البرقي (٢٧٤هـ) رضي الله تعالى عنه ، عن الحسن بن طريف ، عن عبد الله بن المغيرة ، عن حماد بن عثمان ، عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « من كبر الله مائة تكبيرة ، قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها ، كتب الله له من الأجر ، كأجر من أعتق مائة رقبة ، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب الله له عشر حسنات ، وإن زاد الله »^(٤).

قلت : إسناده صحيح .

(١) النساء : ١٧٣ .

(٢) النور : ٣٨ .

(٣) فاطر : ٣٠ .

(٤) المحاسن (ت: جلال الحسيني) ١ : ٣٦ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

وروى الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) بإسناد صحيح ، عن علي بن الحسن بن فضال ، عن محمد بن عبد الله بن زرارة ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان قال : حدثنا كثير بياع النوا قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : «سمع نوح عليه السلام صرير السفينة على الجودي ، فخاف عليها ، فأخرج رأسه من جانب السفينة ، ورفع يده وأشار بإصبعه وهو يقول (رهمان اتقن) وتأويلهما : يا رب أحسن ، وإن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة ، ركبها في أول يوم من رجب ، فأمر من معه من الجن والإنس أن يصوموا ذلك اليوم فقال : «ومن صامه منكم تباعدت عنه النار مسيرة سنة ، ومن صام سبعة أيام منه غلقت عنه أبواب النيران السبعة ، ومن صام ثمانية أيام منه ، فتحت له أبواب الجنان الثمانية ، ومن صام عشرة أيام منه أعطي مسألته ، ومن صام خمسة وعشرين يوماً منه قيل له : استأنف العمل فقد غفر لك ، ومن زاد زاده الله»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، طريق الشيخ إلى ابن فضال صحيح ، وكذا منه إلى المعصوم ، وفيه اثنان من أصحاب الإجماع رضي الله عنهما .

الزبدة : قوله تعالى ﴿ لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ زيادة في عين الأجر الذي وعدهم الله به ، وهو الجنة قدّسها الله تعالى ؛ كأن يجعل الله تعالى الجنة ، التي هي عين الخير والنور والرحمة ، أشدّ خيراً ، وأوسع رحمة ، وأعظم نوراً ، وأعلى درجة ، والله قادرٌ على كلّ شيء سبحانه .

القسم الثالث : استئناف إثبات جديد

وهو ابتداء خلقٍ وإيجادٍ جديدين ؛ كأن يخلق الله تعالى خلقاً جديداً من أصناف الملائكة لعبادته ، لم يكن الله سبحانه قد خلق مثلهم من قبل ، كما في قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ اذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾^(٢) أي لدينا مزيد مستأنف ، لم يخطر ببال أحد من الخلق .

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثني أبي رحمه الله، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن زرارة، عن عبد الله بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إِنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدْرَ خَلْقَانِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ»^(٣).

قلت : إسناده صحيح .

وأخرج الصدوق أيضاً قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن علي بن أحمد الفقيه رضي الله عنه ، قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن صدقة القمي ، قال : حدثني أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الأنصاري الكشي ، قال : حدثني من سمع الحسن بن محمد النوفلي يقول : قدم سليمان المروزي متكلم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله ، فكان مما قال للرضا عليه السلام : لآته قد فرغ من الأمر ، فليس يزيد فيه شيئاً؟! .

(١) فاطر : ١ .

(٢) التوحيد (ت: هاشم الطهراني): ٣٦٤ . مؤسسة النشر الإسلامي، قم .

(٣) ق: ٣٥ .

قال الرضا عليه السلام : هذا قول اليهود ، فكيف قال عز وجل : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ وقد فرغ من الأمر؟! (١).

قلت : إسناده معتبر ، وفي بعض المصادر المطبوعة : الكجبي ، وهو خطأ نسخ ، والصحيح الكشي ، وهو ثقة .

وقد مضى في الفصل السابق ، ما أخرج الصدوق في الخصال بإسنادين معتبرين ، بل صحيحين على بعض المباني ..

أحدهما : ما أخرجه الصدوق بإسناده ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « لعلكم ترون أنه إذا كان يوم القيامة ، وصير الله أبدان أهل الجنة مع أرواحهم في الجنة ، وصير أبدان أهل النار مع أرواحهم في النار ، أن الله عز وجل لا يعبد في بلاده ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه؟! بلى والله ، ليخلقن الله خلقاً من غير فحولة ولا إناث ، يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه ، ويخلق لهم أرضاً تحملهم وساء تظلمهم ، ليس الله عز وجل : ﴿ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٢) .

إذا أتضح هذا ، وينبغي أن يكون معلوماً ضرورة لكل مسلم ، فكل من هذه الأقسام من غيب الله تعالى ، لا يعلمه إلا هو سبحانه ..

بلى ربما يفرض الله سبحانه وتعالى من هذه الأقسام ، أو بأحدها ، أو بعضها ، أو مجموعها ، لمن اصطفتى من عباده ، على ما تقضي به مشيئته ؛ أي حكمته ورحمته ؛ فالله يفعل في ملكه ما يشاء ، على أن كل ما يشاء ويريد ويقدر ويقضي سبحانه ، هو عين النور والخير والفضل والحكمة والرحمة .

(١) التوحيد (ت: هاشم الطهراني): ٤٥٢ . مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

(٢) الخصال (ت: علي أكبر غفاري): ٣٥٩ . جماعة المدرسين قم .

لكن ما هي ثمرة هذا التقسيم ، ولماذا ارتكبناه؟! .

قلنا : ثمّة عويصات في العقيدة والتفسير والحديث، سيما عويصات الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم ، لا تندفع إلاّ بهذا التقسيم الشريف ، من ذلك عويصة أبينا إبراهيم صلوات الله عليه ..

على أنّ مردّ كلّ هذه العويصات التي حار فيها علماء العقيدة والتفسير ، إلى عدم التفريق الدقيق بين قسمي علم المعصوم : المعلق والمحتم ، هاك لتري ..

إبراهيم عليه السلام بين العلم المعلق والمحتم

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾^(١).

قلت : عالم الملكوت ، هو ما ذكره الإمام عليه السلام فيما رواه علي بن إبراهيم القمي قال : حدثني أبي ، عن إسماعيل بن مرار ، عن يونس بن عبد الرحمان ، عن هشام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « كشط له عن الأرض ومن عليها ، وعن السماء ومن فيها ، والمَلَكِ الذي يحملها ، والعرش ومن عليه ، وفعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين عليه السلام »^(٢).

قلت : إسناده حسنٌ صحيح. إسماعيل وثقه القمي في تفسيره توثيقاً عامّاً ، ناهيك عن قرائن المدح الأخرى ، والبقية ثقات .

والآية بضميمة الخبر الصحيح بل الأخبار القطعية في الفصول السابقة ، صريحةٌ أنّ المعصوم كإبراهيم ، لا يخفى عليه شيء مما دون العرش ؛ فلا يخفى عليه شيء كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ ، ولا شيء من الملكوت ؛ كالجنة والنار والإحياء والإماتة والرزق والمطر ،... ومعنى كشط : كشف له سبحانه كل عالم الملكوت ، وملائكة التدبير من الملكوت .

قوله عليه السلام : (وعن السماء ومن فيها ، والمَلَكِ الذي يحملها ، والعرش ومن عليه) صريحٌ بالأولى القطعية ، أنّ إبراهيم صلوات الله عليه أحاطَ علماً بكل ما في الملكوت جملةً وتفصيلاً ؛ لما مرّ أنّ العرش بمعنى الصورة والهيئة أقدس رتبة في عالم الملكوت ، وأشرف وجوداً . وقوله عليه الصلاة والسلام : (والعرش ومن عليه) سدنته من المقربين القائمين بأمره وتدييره ، وهم : جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام .

(١) سورة الأنعام : ٧٥.

(٢) تفسير القمي ٢ : ٢٠٥.

عويصة إبراهيم العالم بكلّ الملكوت

لكن إذا كان إبراهيم صلوات الله تعالى عليه ، عالماً بكلّ ما في الملكوت ؛ من أعلى رتبة ، وهي رتبة العرش والقائمين عليه في السماء السابعة أو الرابعة ، إلى أذناها من الأرض السابعة ، فما تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾^(١).

فكيف خفي على إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنّهم ملائكة تدبير وعذاب ، نزلوا من الملكوت المنكشف له تمام الانكشاف؟! .

قلتُ : جوابه في التقسيم الأنف ؛ من وجوه كلّها حقّ:

الوجه الأوّل : الزيادة في الملكوت .

إنّ علم إبراهيم عليه السلام بكلّ ما في الملكوت ، ليس كلّ العلم ؛ ضرورة أنّ الله تعالى كلّ يوم هو في شأن ، يفعل سبحانه ما يشاء في كلّ آن ؛ ولا يبعد أنّ الله تعالى زاد على الملكوت المنكشف لإبراهيم خلقاً لم يُطلع عليه إبراهيم عليه السلام ، ولقد أثبتت الحكمة علاوة على النقل الثابت ، أنّ رحمة الله سبحانه وفضله وإيجاده لا ينقطع ..

الحاصل : لعلّ هؤلاء الملائكة عليهم السلام : استثنافٌ لخلقٍ جديد ، أوجدهم الله سبحانه بعد أن لم يكونوا ، لم يُطلع الله إبراهيم صلوات الله عليه عليهم ؛ كما قال الله تعالى : ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مِّمَّنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

قلت : وهذا الوجه محتمل ، لكن ثمة وجه ثان ، لا يبين الأوّل في الحقيقة ، وإنّ غيره في الخصوصيات ، هاك لترى ..

الوجه الثاني : تبدل الصورة والهيئة .

ورد هذا في كثيرٍ من الأخبار ، سيأتي بعضها ، منها مجيء عزرائيل على النبي موسى وسليمان ويعقوب وغيرهم عليهم السلام ، بهيئة وصورة جديدة لم يطلع الله الأنبياء عليها ، وهذا لا ينافي معرفة الأنبياء بحقيقة عزرائيل وانكشافه لهم ، غاية الأمر انحجابه عنهم بالهيئة الجديدة ؛ لحكمة عظيمة ، وسيأتي بعض الأخبار الثابتة في ذلك ، منها ما ورد بإسناد صحيح ، عدم معرفة الملائكة بالنبي وعليّ لما عرجا إلى الله تعالى بهيئتها النورية .

وكما قلنا : فهذا الوجه لا ينافي الأول ؛ فمردهما إلى إيجاد إلهي جديد ، وإن تغايرا في دوران الوجه الأول على إيجاد ذات جديدة ، والثاني على إيجاد مظهر جديد على ذات موجودة في الأساس .

الوجه الثالث : الحجب .

فلعلّ ملائكة إبراهيم خلق حجبهم سبحانه عن المعصومين ؛ لحكمة لا يعلمها إلا هو ، وفي هذا نصوصٌ قطعية ، كما حجب سبحانه الخضر عن موسى عليهما السلام ، ولم يطلعه عليه ، إلا لما آن أوانه ، وفي هذا الوجه نظرٌ .

الحاصل : علم المعصوم ، العالم بكلّ ما في اللوح المحفوظ ، المحيط بكلّ ما في الملكوت ، وما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، تطرأ عليه كلّ هذا الأقسام أو أحدها ، سيما الوجهين الأولين .

وهذا إن دلّ فإنه يدلّ على أنّ أصل علم المعصوم بكلّ ما في الملكوت ، أو بما في اللوح المحفوظ ما شئت فعبّر ، بالنظر للأقسام الثلاثة الآتفة ، معلق على ما يشاء الله تعالى ، ليس محتوماً ؛ فالله تعالى يفعل ما يشاء ، هاك مثالا جلياً في طرّو القسم الأول على علم إبراهيم المحيط بكلّ ما في الملكوت .

علم إبراهيم بذبح إسماعيل معلق

قال الله تعالى على لسان أبنينا إبراهيم : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنَّيَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ .

قلت : ثمة علمان في الآية :

الأول : علم إبراهيم المعلق .

هذا العلم ليس حتمياً ؛ كونه معلقاً على المحو والإثبات ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَابُنَيَّ إِنَّيَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ وهذه الرؤيا ، بل عامة رؤى الأنبياء ، وحي حقيقي وعلم يقيني حضوري فيما هو معلوم ضرورة ؛ يشهد له قول إسماعيل عليه الصلاة والسلام : ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ ﴾ وإنا قلنا إنه علم معلق ليس حتماً ؛ لأن الله سبحانه محاه وأثبت غيره ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

الثاني : علم إبراهيم المحتوم .

وهو قوله تعالى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ وهذا من الغيب الذي لم يعلمه إبراهيم صلوات الله عليه إلا في اللحظة الأخيرة ، وإنا أخفاه الله سبحانه وتعالى عن خليله عليه السلام لحكمة عظيمة ، سنسردها قريباً ..

تحصل أن إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن عالماً بالمحتوم من قضاء الله تعالى ؛ ولا خلاف أن هذا من الغيب الذي لم يظهره الله سبحانه لخليله إلا لما شرع بذبح أبنينا إسماعيل صلوات الله عليهما .

الحكمة من قضية الذبح ، امتحان إبراهيم !!

فداء إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم ، معلق مشروط بتسليم إبراهيم لأمر الله تعالى ، بأن لا يجزع في اختبار الذبح ؛ وإلا أمضى الله سبحانه ذبح إسماعيل إن صدر عنه الجزع في أمر الذبح ..

يدلّ عليه ما رواه القمي رضي الله عنه قال : حدثني أبي ، عن فضالة بن أيوب ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «إن إبراهيم عليه السلام أتاه جبرئيل عند زوال الشمس من يوم التروية...، ثم أفاض إلى منى ، فأمره فرمى جمره العقبة ، عندها ظهر له إبليس لعنه الله.

ثم أمره الله بالذبح ؛ فإن إبراهيم عليه السلام حين أفاض من عرفات ، بات على المشعر الحرام ، وهو فرع ، فرأى في النوم أن يذبح ابنه

فقال الغلام : كما حكى الله : ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ وسلماً لأمر الله.

وأقبل شيخ (=إبليس لعنه الله) فقال: يا ابراهيم ما تريد من هذا الغلام؟!.

قال إبراهيم : أريد أن أذبحه .

فقال الشيخ : سبحان الله ، تذبح غلاماً ، لم يعص الله طرفه عين.

فقال ابراهيم : «إن الله أمرني بذلك» .

فقال الشيخ (=إبليس): «ربك ينهاك عن ذلك ، وإنا أمرك بهذا الشيطان».

فقال له ابراهيم : «ويلك ، إن الذي بلغني هذا المبلغ ، هو الذي أمرني به ، والكلام الذي وقع في أذني» .

فقال الشيخ (=إبليس) : «لا والله ما أمرك بهذا إلا الشيطان» .

فقال ابراهيم : « لا والله ، لا أكلمك ، ثم عزم إبراهيم على الذبح ».

فقال الشيخ (=إبليس) : يا إبراهيم ، إنك إمام يقتدى بك ، وإنك إن ذبحته ذبح الناس أولادهم».

فلم يكلمه وأقبل إلى الغلام فاستشاره في الذبح ، فلما أسلما جميعاً لأمر الله.

قال الغلام : «يا أبت خمر وجهي وشد وثاقي».

فقال إبراهيم : «يا بني الوثاق مع الذبح؟! لا والله لا أجمعها عليك اليوم ، ثم أضعه عليه ، وأخذ المديّة فوضعها على حلقه ، ورفع رأسه إلى السماء ثم انتحى (=أقبل) عليه المديّة ، فقلب جبرئيل المديّة على قفاها ، واجتر الكبش من قبل ثبير ، وأثار الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودي من مسيرة مسجد الخيف : ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٠٥) إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

والذبيح هو إسماعيل ابن إبراهيم ، وليس إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم جميعاً كما ذكر البعض ؛ لما رواه القمي في تفسيره قال : حدثني أبي ، عن صفوان بن يحيى وحماد ، عن عبدالله بن المغيرة ، عن ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألتناه عن صاحب الذبيح ، فقال : «إسماعيل»^(٢).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

وقد ورد في بعض الأخبار أنه إسحاق صلوات الله عليه ، وهو خطأ نسخ وكتابة ؛ والحديث فيما عرفت ، صريح في علمين ، أحدهما معلّق والآخر محتوم ، مشروطان باجتياز الاختبار وعدمه.

(١) تفسير القمي (ت: طيب الجزائري) ١ : ٢٢٤ . مؤسسة دار الكتاب ، قم .

(٢) تفسير القمي (ت: طيب الجزائري) ١ : ٢٢٥ . مؤسسة دار الكتاب ، قم .

تفسير عويصة : ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ !!!

قال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

قلت : حار غير واحد ، في قول إبراهيم : ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قالوا: أو لم يكن إبراهيم متيقناً بقدرة الله تعالى على الإحياء؟!..

قلنا : هذا السؤال توهم شنيع ؛ ضرورة أنه أجنبي جداً عن مرمى الآية ، بعيد بعد المشرقين عن مقصود أئينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ..

فمقصود أئينا إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ نيل علم الكيفوفية ، وهو علم الغيب الظاهر ، أو علم الكرسي ؛ إذ لم يقل عليه السلام : أرنى الإحياء والإماتة مجردين عن الكيفية كما يراهما كل البشر ..

يدلّ عليه خبر حنان بن سدير الأنف ، في فصل العرش ، قال لأبي عبد الله عليه السلام قلت: جعلت فداك ، فلم صار العرش في الفضل جار الكرسي؟!..

قال عليه السلام : «إنه صار جاره ؛ لأنّ علم الكيفوفية فيه ، وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيتها ، وحدث رتقها وفتقها ، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه ...»^(٢).

هذا العلم جبروتي في مرتبة المشيئة والتقدير ، لا يحيط به حتى الأنبياء والأوصياء والملائكة إلا إذا اطلعهم الله تعالى على بعضه ؛ إذ قد قضى الله سبحانه أنّ حقيقة الإماتة والإحياء يبدأ وجودها من هناك حسب نظام العلل الوجودية الطولية ، لا من عالم الملك الذي هو عالم الدنيا الحسيس .

(١) سورة البقرة : ٢٦٠ .

(٢) التوحيد (ت: هاشم الطهراني): ٣٢٤ . جماعة المدرسين ، قم .

فعالم الملكوت على الأقل -يعني فيما يعني- أن مبدأ تدبير أمور الخلق في عالم الدنيا ، من إماتة وإحياء ، ورزق ومطر وأجل ، يشرع فيما قضى الله تعالى ، من عالم الملكوت ؛ فعملية قبض عزرائيل صلوات الله عليه على سبيل المثال للأرواح ، ملكوتية تتم في عالم الملكوت على الحقيقة ، وإن كان مظهرها دنيوياً ، وكذا إنزال ميكائيل المطر وإسرافيل الظفر وجبرائيل العلم والسكينة... .

لكن ليس هذا كل شيء ، فكلّ عالم الملكوت معلولٌ في الوجود لعالم الكرسي ، وهو عالم التقدير ، كما أنّ عالم الكرسي معلولٌ في وجوده لعالم العرش وهو عالم المشيئة ؛ قال سبحانه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ فاحفظ .

الزبدة :

الآية بملاحظة الأخبار المتواترة في التدبير ونزول الأمر من عالم العرش والمشيئة ، ثم إلى عالم الكرسي والتقدير ، وكلا العالمين من الجبروت ، ظاهرة أنّ إبراهيم سأل الله سبحانه عن العلم الذي به تتحقق كيفية الإحياء وأصله وعمله وحقيقته في العوالم الطولية ، ابتداءً من عالم العرش مروراً بعالم الكرسي ، إلى عالم الملكوت حتى ينفذ في عالم الدنيا ويتحقق ، لا أنّه سأل عن مجرد الإحياء والإماتة الدنيويين ، وقد أتضح أنّ هذا العلم الذي ذكره إبراهيم عليه السلام يسمّى علم الكيف ، أو : علم الكيفية ..

النبيّ يعقوب عليه السلام بين العلم المعلق والمحتم

أخرج القمي في تفسيره قال : حدثني أبي ، عن حنان بن سدير ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : أخبرني عن يعقوب حين قال لولده : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ﴾ أكان علم أنّه حيّ ، وقد فارقه منذ عشرين سنة ، وذهبت عيناه من البكاء عليه؟! .

قال عليه السلام : «نعم ، علم أنّه حيّ ، حتى أنّه دعا ربه في السحر أن يهبط عليه ملك الموت ، فهبط عليه ملك الموت في أطيب رائحة ، وأحسن صورة ، فقال له يعقوب عليه السلام من أنت؟!» .

قال عزرائيل عليه السلام : «أنا ملك الموت ، أليس سألت الله أن ينزلني عليك»؟! .

قال يعقوب : «نعم» . قال عزرائيل عليه السلام : «ما حاجتك يا يعقوب»؟! .

قال له : «أخبرني عن الأرواح تقبضها جملةً ، أو تفارق»؟! .

قال عزرائيل : «يقبضها أعواني متفرقة ، ثمّ تعرض عليّ مجتمعة»؟! .

قال يعقوب : «فأسألك بأله ابراهيم وإسحق ويعقوب ، هل عرض عليك ، في الأرواح ، روح يوسف»؟! . فقال عزرائيل : «لا ، فعند ذلك علم أنّه حي»^(١) .

ورواه الكليني عن ، عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن حنان بن سدير ، (=عن أبيه) ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله^(٢) .

قلت : حديث صحيح ، وكلّ من الإسنادين صحيح على الأظهر الأقوى .

(١) تفسير القمي (طيب الجزائري) ١ : ٣٥١ . دار الكتاب ، قم .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٨ : ٢٠٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران

وهو صريحٌ أنّ يعقوب صلوات الله عليه ، غير عالم على نحو الحتم أنّ يوسف صلوات الله عليه ، حيّ ..

وهذا لا يتنافى أنّ يعقوب صلوات الله عليه ، عالمٌ بما كان وما يكون ممّا في اللوح المحفوظ ، لكن هذا ليس كلّ العلم ؛ فكثيرٌ ممّا في اللوح المحفوظ معلقٌ على مشيئة الله سبحانه ، يعرض عليه البداء والمحو والإثبات ..

العلم ، كل العلم ، هو العلم بالمحتوم من قضاء الله تعالى ، وهو ما حتمه الله تعالى وأمضاه ، ذاك الذي لا مردّ له ..

الزبدة : إنّما سأل يعقوب عزرائيل صلوات الله عليهما ؛ ليعلم المحتوم من قضاء الله تعالى في يوسف ، أمّا المعلق فيعلمه ، لكن لا قيمة للمعلق قبال العلم بالمحتوم ؛ كونه في معرض البداء والمحو والإثبات على الدوام .

النبي موسى عليه السلام بين العلم المعلق والمحتم

كما هو صريح قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾^(١) فهو صريح أن نمة علماء، أو غيباً مستوراً، أخفاه الله سبحانه عن كليمة موسى عليه السلام.

يشهد له ما أخرجه البخاري قال: حدثني محمد بن غرير الزهري، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، حدثه أن عبید الله بن عبد الله أخبره عن ابن عباس أبي بن كعب قال: سمعت رسول الله يقول: «بينما موسى في ملاء من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟! قال موسى: «لا». فأوحى الله عز وجل إلى موسى: «بلي، عبدنا خضر»^(٢).

ومن طريق ثان أخرجه البخاري قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا عمرو، قال: أخبرني سعيد بن جبیر، عن بن عباس قال: حدثنا أبي بن كعب عن النبي: قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل فستل أي الناس أعلم؟! فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين، هو أعلم منك... فلما انتهيا إلى الصخرة، إذا رجل مسجى بثوب، أو قال تسجى بثوبه، فسلم موسى، فقال الخضر...^(٣).

وقد أخرج الحديثين مسلمٌ في صحيحه أيضاً بعين الطريقتين، ناهيك عن أصحاب السنن والمسانيد^(٤).

(١) سورة الكهف: ٦٨.

(٢) صحيح البخاري ١: ٢٦، رقم: ٧٤. دار طوق النجاة. ت: محمد زهير الناصر.

(٣) صحيح البخاري ١: ٣٥، رقم: ١٢٢. دار طوق النجاة. ت: محمد زهير الناصر.

(٤) صحيح مسلم (ت: عبد الباقي) ٤: ١٨٤٧-١٨٥٢، رقم: ٢٨٣٠ و ٢٨٣٢. دار إحياء التراث.

قلت: الحديث صحيح مستفيض، متفق عليه، على شرط الشيخين، بل هو قطعي الصدور، رواه أهل القبلة سنة وشيعة جميعاً، تلقاه قاطبتهم بالقبول، ناهيك عن اعتضاده بقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾.

وهو نص صريح فصيح أنّ كليم الله موسى عليه السلام خفي عليه، ما لم يحط به خبراً من علم الله المكنون، الذي اختص به الخضر عليه السلام دون غيره.

وأما القرآن الكريم، فلا يخلو من ظهور في أكثر من موضع، أنّ الخضر أعلم من موسى بن عمران؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾^(١).

عويصة عقديّة في قصّة موسى عليه السلام !!

روى الكليني رضي الله عنه ، عن علي بن محمد ، عن سهل ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن عبد الكريم ، عن جماعة بن سعد الخثعمي أنّه قال : كان المفضل عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له المفضل : جعلت فداك ، يفرض الله طاعة عبد على العباد ، ويحجب عنه خبر السماء؟! .

قال عليه السلام : « لا ، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده ، من أن يفرض طاعة عبد على العباد ، ثم يحجب عنه خبر السماء ، صباحاً ومساءً »^(١).

قلت : إسناده صحيح على الأقوى من وثاقة سهل ، والبرنطي من أصحاب الإجماع.

روى الكليني عليه السلام عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن ابن رثاب ، عن ضريس الكناسي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « أترون أن الله تبارك وتعالى ، افترض طاعة أوليائه على عباده ، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ، ويقطع عنهم مواد العلم ، فيما يرد عليهم ، ممّا فيه قوام دينهم »؟!^(٢).

قلت : إسناده صحيح باتفاق ، وسيأتي الكلام فيه .

وهو ظاهر أنّ الله تعالى لا يحجب عن المعصوم خبر السماء صباحاً ومساءً ، ولا يقطع عنهم مواد العلم ، فكيف إذا كان من أولي العزم كموسى عليه السلام؟! .

فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَاتٍ وَأَقْرَبَ رُحَمَاءَ (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٦١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٦٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

أَشَدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كُنْتَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿١١﴾.

وحل هذا اللغز ، بكل بساطة ، أن موسى حتى باعتباره حجة الله على العباد ، وحتى لو كان عالماً بما كان وما يكون في اللوح المحفوظ حتى قيام الساعة ، وأن الله تعالى قضى على هذا الغلام - في اللوح المحفوظ - أن يموت كافراً ..

لكنه صلوات الله عليه ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ لم يكن يعلم أن الله تعالى قضاءً آخر غير الذي في اللوح ، أكثر رحمة بالغلام وبأبويه من القضاء الأول ، وهذا القضاء من علم الغيب الذي اطلع الله تعالى الخضر عليه ولم يطلع عليه موسى صلوات الله عليهما ..

ولقد أجمع أصحابنا رضوان الله عليهم ، ناهيك عن مشهور أساطين أهل السنة أن قوله تعالى في الخضر عليه السلام : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ علم غيب ، وربما يطلق البعض عليه : علم الباطن ، أظهره الله تعالى للخضر دون موسى عليهما السلام ..

وفي أصل هذا أخباراً متواترة عن أهل البيت عليهم السلام ، ستأتي لاحقاً ؛ فكون أهل البيت عليهم السلام يعلمون ما كان وما يكون مما في اللوح إلى يوم القيامة ، لا ينافي أن كثيراً من علمهم هذا معلق على المحو والإثبات والتقديم والتأخير ، ليس محتوماً ، ولك أن تقول : معلق على ما هو أكثر خيرٍ ورحمة .

وسياتي أيضاً أن الله تعالى يطلع المعصوم عليه السلام بعلم الغيب المحتوم ليالي القدر ، بل كل شهر ، إن دعت الحكمة الإلهية ، بل كل جمعة ، بل كل ساعة ، بل في كل آن إن توقف تقوّم الدين على ذلك ، فانتظر .

تصاريح أهل السنة أنّ الخضر يعلم الغيب

قال الإمام الواحدي (٦٨ هـ) في الوسيط: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أعطيناها علماً من علم الغيب^(١).

وقال أيضاً في الوجيز: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ أعطيناها علماً من علم الغيب^(٢).

وقال الإمام البغوي (٥١٠ هـ) في تفسيره: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾... أي علم الباطن إلهاماً^(٣).

وقال ابن الجوزي (٥٩٧ هـ): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ أي: من عندنا علماً؛ قال ابن عباس: أعطاه علماً من علم الغيب^(٤).

وقال الإمام البيضاوي (٦٢٥ هـ): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ مما يختص بنا، ولا يُعلم إلا بتوفيقنا، وهو علم الغيوب^(٥).

وقال الإمام النسفي (٧١٠ هـ): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ يعني الإخبار بالغيوب^(٦).

وقال الإمام أبو حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ أي من عندنا، مما يختص بنا من العلم، وهو الإخبار عن الغيوب^(٧).

وقال الإمام النيسابوري (٨٥٠ هـ): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ والعلم المختص به تعالى هو الوحي، والإخبار بالغيوب^(٨).

(١) التفسير الوسيط (ت: عادل الموجود) ٣: ١٥٧. دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الوجيز (ت: صفوان عدنان) ٦٦٧. دار القلم، دمشق.

(٣) تفسير البغوي (ت: عبد الرزاق المهدي) ٣: ٢٠٥. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) زاد المسير (عبد الرزاق مهدي) ٣: ٩٧. دار الكتاب العربي، بيروت.

(٥) تفسير البيضاوي (ت: محمد المرعشي) ٣: ٢٨٧. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٦) تفسير النسفي (ت: محيي الدين مستو) ٢: ٣١٠. دار الكلم الطيب، بيروت.

(٧) البحر المحيط (ت: صدقي محمد جميل) ٧: ٢٠٤. دار الفكر، بيروت.

وقال الإمام أبو السعود (٩٨٢هـ) في تفسيره: ﴿وَعَلَّمَنَا مِنْ لَدُنَّا عَلِمًا﴾ خاصاً لا يُكْتَنُه كُنْهه ولا يُقَادَرُ قدره وهو علمُ الغيوب^(١).

وقال أبو العباس الفاسي (١٢٢٤هـ): ﴿وَعَلَّمَنَا مِنْ لَدُنَّا عَلِمًا﴾ خاصاً، لا يكتنه كُنْهه، ولا يُقدر قدره، وهو علم الغيوب، أو أسرار الحقيقة، أو علم الذات والصفات، علماً حقيقياً^(٢).

قلت: علم سيّدنا الخضر صلوات الله عليه لديّ، مجعول في ذاته بالجعل التكويني، بما أوتي من رتبة روح القدس؛ وعلمه صلوات الله عليه يتفاوت بين الإلهام وهو النكت في القلب، وبين النقر في الأسماع، وهو: السماع من الملائكة.

ولا أدري لم ينقم بعض أهل السنّة هداهم الله، عقيدتنا أنّ الأئمّة من أهل بيت محمّد عليهم السلام، يعلمون ما إذن الله تعالى لهم به من غيبه كما أذن لسيّدنا الخضر، مع أنّ النصّ القطعي الثابت عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله وعترتي»؟!.

(١) تفسير النيسابوري (ت: زكريا عميرات) ٤: ٤٢٧. دار الكتب العلميّة، بيروت.

(٢) تفسير أبي السعود ٥: ٢٣٤. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) تفسير البحر المديد (ت: أحمد رسلان) ٣: ٢٨٨.

علم موسى عليه السلام بميقات ربّه معلق ليس محتوماً

يشهد لما تقدّم ما رواه الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ)، بإسناده الصحيح، عن الفضل بن شاذان، عن عمر بن مسلم البجلي، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن محمد بن بشر الهمداني، عن محمد بن الحنفية - في حديث اختصرنا منه موضع الحاجة - أنّه قال: إنّ لبني فلان ملكاً مؤجلاً، حتى إذا أمنوا واطمأنوا، وظنوا أنّ ملكهم لا يزول، صيح فيهم صيحة، فلم يبق لهم راع يجمعهم ولا واع يسمعهم، وذلك قول الله عزوجل: ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاهَا أَمَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

قلت: جعلت فداك هل لذلك وقت؟!.

قال: لا؛ لأنّ علم الله غلب علم الموقتين؛ إنّ الله تعالى وعد موسى ثلاثين ليلة وأتمها بعشر، لم يعلمها موسى، ولم يعلمها بنو إسرائيل، فلما جاوز الوقت قالوا: غرنا موسى، فعبدوا العجل، ولكن إذا كثرت الحاجة والفاقة في الناس، وأنكر بعضهم بعضاً، فعند ذلك توقعوا أمر الله صباحاً ومساءً^(١).

قلت: موقوف على محمد بن الحنفية، له حكم المرفوع (= المتصل) إلى المعصوم عليه السلام وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أكبر الظن، لعجز ابن الحنفية عليه السلام عن مثل هذا العلم، والخبر من رواية الفضل، وهو من أصحاب الإجماع.

لكن له شاهد معتبر أخرجه الكليني، والنعمان في الغيبة عنه قال: حدثنا محمد بن يعقوب، عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الخزاز، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال: قلت له: لهذا الأمر وقت؟!.

(١) الغيبة (ت: عباد الطهراني): ٤٢٨. مؤسسة المعارف الإسلامية، قم.

فقال عليه السلام : «كذب الوقيتون ، كذب الوقيتون ، إن موسى عليه السلام لما خرج وافدا إلى ربه واعدتهم ثلاثين يوماً ، فلما زاده الله على الثلاثين عشراً ، قال له قومه : قد أخلفنا موسى ، فصنعوا ما صنعوا ، فإذا حدثناكم بحديث فجاء على ما حدثناكم به ، فقولوا : صدق الله ، وإذا حدثناكم بحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به ، فقولوا : صدق الله ، تؤجروا مرتين»^(١).

قلت : إسناده معتبر بالانجبار ، رجاله ثقات . وأبو الجارود مذموم فاسد العقيدة ، لم يتركه أصحابنا في الشواهد .

ونبه أننا لا نحتج بمثل هذه الأخبار بمفردها كل على حدة ، وإنما بمجموعها في الأبواب المتفرقة ، والمجموع في هذا الكتاب يقطع بصدوره الإجمالي عن المعصوم ، وكذا لا نحتج بها من دون قرائن القبول كالإجماع وعدم الخلاف ، أو الشواهد المعتمدة ، وقد مضى بعضها ، سيما آيات القرآن صريحة الدلالة ، فانتبه لخطر ما نحن فيه .

قال الفيض شارحاً : إنما يجيء على خلاف ما حدثوا ؛ لاطلاعهم عليه في كتاب المحو والإثبات ، قبل إثبات المحو ومحو الإثبات^(٢).

وقال المازندراني رضي الله عنه : قوله عليه السلام : (إن موسى عليه السلام لما خرج) ظاهر التعليل ، يشعر بأنه ينبغي عدم تعيين الوقت لظهور هذا الأمر ؛ إذ كل وقت فُرِضَ ، فهو وقت بدائي ؛ يجري فيه البداء والإرادة والتخلف .

كما قالوا - في باب الغيبة - : لله تعالى فيها بداءات وإرادات ؛ فلو عيّن الوقت له ، وجرى فيه البداء ، وتخلف الظهور ؛ لافتتن الخلائق ، ورجعوا عن الحق ، كما وقع مثل ذلك في قوم موسى عليه السلام .

(١) الغيبة للنعماني (ت: فارس الحسون): ٣٠٥. مطبعة مهر ، قم.

(٢) الوافي (ت: ضياء الحسيني): ٢: ٤٢٧. مكتبة الإمام علي ، أصفهان .

ولكنّ الأنبياء والأوصياء ، قد يخبرون عن أمثال ذلك ، وكان إخبارهم في علم الله معلقاً بشروط معتبرة في تحقّقها ، بحسب نفس الأمر ، وبذلك يخرج عن حدّ الكذب ويدخل في حيّز الصدق^(١) .

وقال المجلسي رضي الله عنه : فأخبارهم عليهم السلام ، بما يظهر خلافه ظاهراً ، من قبيل المجملات والمتشابهات ، التي تصدر عنهم بمقتضى الحكم ، ثمّ يصدر عنهم بعد ذلك تفسيرها وبيانها ، وقولهم : يقع الأمر الفلاني في وقت كذا معناه : إن كان كذا ، أو إن لم يقع الأمر الفلاني الذي ينافيه ، وإن لم يذكروا الشرط^(٢) .

(١) شرح أصول الكافي (ت: عاشور) ٦: ٣٣٤ . إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢) بحار الأنوار (ت: البهبودي) ٤: ١٣٢ . مؤسسة الوفاء ، بيروت .

معتبر الفضيل شاهداً!!

قال سبحانه وتعالى : ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(١) .

روى الكليني عن الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي الخزاز ، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي ، عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت لهذا الأمر وقت؟! .

فقال عليه السلام : «كذب الوقيتون ، كذب الوقيتون ، كذب الوقيتون..؛ إن موسى عليه السلام لما خرج وافداً إلى ربه واعدهم ثلاثين يوماً ، فلما زاده الله على الثلاثين عشرًا قال قومه : قد أخلفنا موسى ، فصنعوا ما صنعوا ..؛ فإذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم به فقولوا صدق الله ، وإذا حدثناكم الحديث ، فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا : صدق الله تؤجروا مرتين»^(٢) .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات إلا المعلّى البصري ؛ فمختلف فيه ، الأقوى أنه ثقة كما قال السيد الخوئي رحمته الله ، وما ورد فيه من القدح مردود في الارجح .

والآية -بضميمة الخبر- ظاهرة صريحة ، في طرؤ المشية على ما علمه موسى عليه السلام من التوقيت بالثلاثين ؛ إذ لم يكن يعلم موسى عليه السلام أن الله تعالى مشيئة أخرى ، وهي إتمام الثلاثين بعشر لتكون أربعين .

علم موسى عليه السلام الأوّل معلق ، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ ، والثاني : هو المحتوم الممضى ، لم يكن يعلمه موسى عليه السلام إلا بعد أن أعلمه الله تعالى لاحقاً .

(١) الأعراف : ١٤٢ .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٣٦٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

عويصة في قضية الخضر وموسى عليهما السلام

قال الصفار: حدثنا أحمد بن إسحق، عن عبدالله بن حماد، عن سيف التمار قال: كنّا مع أبي عبدالله عليه السلام، جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين؟! .
فالتفتنا يمنة ويسره فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين.

قال: ورب الكعبة، ورب البيت، ثلث مرات، لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتكم أنني أعلم منهما، ولأنبأتكم بما ليس في أيديهما؛ لأنّ موسى والخضر أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما هو كائن إلى يوم القيمة، وإنّ رسول الله أعطي علم ما كان، وما هو كائن إلى يوم القيمة، فورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثته^(١).

قلت: إسناده حسن، رجاله موثقون. سيف بن سليمان التمار ثقة. وأحمد بن إسحاق هو: الأشعري الثقة الجليل، من أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام. عبد الله بن حماد الأنصاري من شيوخ أصحابنا، قاله النجاشي، روى عنه الأجلّة دون طعن.

وثمة عويصة في قوله عليه السلام: (ولم يعطيا علم ما هو كائن إلى يوم القيمة) فإنّه ينافي قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾

وهو صريحٌ يعلم الخضر عليه السلام بما هو كائن في قضية الغلام وغيره؛ فما وجه قول الصادق عليه السلام: (ولم يعطيا علم ما هو كائن)!!!.

جوابه ببساطة أنّ الخضر عليه السلام حتى لو كان عالماً بكلّ ما في اللوح المحفوظ، من قضاء الله تعالى وقدره في عبادته، إلى يوم القيامة، أو حتى قيام الساعة، إلا أنّ هذا يبقى بعض ما هو كائن لا كلّ، لماذا؟! .

لأن كثيراً مما في اللوح المحفوظ ، في معرض البداء ، يطراً عليه المحو والإثبات في كل سنة ليالي القدر ، بل في كل شهر ، بل في كل جمعة ، بل في كل آن إذا توقّف قيام الدين عليه ، وفي ذلك نصوصٌ صحيحة قطعياً ستأتي ..

الحاصل : نبينا صلى الله عليه وآله ، وأهل بيته من بعده بواسطته صلى الله عليه وآله ، يزدادون علماً في كل آن بإذن الله تعالى ، وهو فيما قضى الله تعالى ، علم المحو والإثبات المفاض عليهم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله كما ثبت في الأخبار الصحيحة الآتية ..

أما الخضر وموسى ؛ فهما أرواحنا لهما الفداء ، وإن كانا عالمان بما كان وما يكون ، وهو العلم المبذول المكتوب في اللوح المحفوظ ، إلا أنّ هذا ليس كل العلم المبذول والذي سيبدل ؛ ضرورة أنّ العلم المبذول في ازدياد ، ولا دليل على كونها صلوات الله عليهما ، يفاض عليهما زيادة على ما عندهما ، بعد عهدهما المقدّس صلوات الله عليهما .

وسياتي تخريج ما رواه الصّفّار (٢٩٠هـ) بإسناده المعتبر ، عن الثمالي ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : « ما أعطى الله نبياً شيئاً قط ، إلاّ وقد أعطاه محمداً صلى الله عليه وآله ، وأعطاه ما لم يكن عندهم » .

أي ما لم يكن عندهم من المحتوم الذي هو في ازدياد ؛ لقوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ وهو بالضرورة أكثر مما كان عندهما عليهما السلام .

فإن قلت : يقتضي هذا أنّ ما عند إمامنا المهدي أكثر مما عند آبائه عليهم السلام !!؟

قلنا بإجماع : كلا ؛ ضرورة أنّ الزيادة التي تحصل عند المهدي ، يوجدّها الله في النبي أولاً ، ثمّ آبائه ، ثمّ إليه عليهم السلام أجمعين ، وسياتي النصّ الصحيح المستفيض ، فانتظر .

النبيّ يونس عليه السلام بين العلم المعلق والمحتوم

كُلّ قضية سيّدنا يونس صلوات الله عليه ، ابتداءً من دعائه على قومه وخروجه عنهم ، حتى دخوله في بطن الحوت وخروجه عنه ، تدور حول علمه المعلق على المشيئة ؛ فلقد ظنّ يونس صلوات الله عليه ، أنّ علمه بنزول العذاب محتوم ، لا مردّ له ، وظنّه صلواته الله عليه حقّ لا يأتيه الباطل ؛ فلقد نزل العذاب فعلاً ، وتحقّق خارجاً عياناً .

لكن ليس هذا كلّ شيء في مشيئة الله تعالى ، فلا ملازمة بين نزول العذاب قريباً منهم على نحو الحتم ، وبين أن يأخذهم الله به على نحو الحتم أيضاً ؛ فالحتم الثاني غير الأوّل ، ولجلالة هذا الأمر أفردنا فصلاً مستقلاً أنّ المحتوم على قسمين مطلق وإضافي ..

يدلّ عليه ، ما سيأتي بعد قليل ، في صحيح أبي عبيدة عن الباقر عليه السلام : « ولم يكن الله اشترط على يونس أنّه يهلكهم بالعذاب ، إذا أنزله » وهو بدوّاً صريحٌ في حتمين :

الحتم الأوّل : نزول العذاب ؛ وهو محتوم ؛ لقوله عليه السلام : « أظلمهم العذاب » .

والحتم الثاني : إهلاك القوم به ؛ وهذا أيضاً محتوم ؛ ضرورة أنّ العذاب إذا نزل ، لا يرفعه الله تعالى ، إلّا بعد أن يعذب به المكذّبين .

إذا أتضح هذا في الجملة ؛ هل الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب إذا نزل إذا تابوا ودعوا وبكوا ، قبل أن يأخذهم به !!؟ .

قلنا دون خلاف : هذا من الغيب الذي لم يكن يعلمه نبيّ الله يونس عليه السلام ، ولم يأذن الله تعالى أن يطلّعه عليه صلوات الله عليه .

لكن في هذا إشكال عويص جدّاً ، فهل لا يعلم يونس صلوات الله عليه ، أنّ المؤاخذة بالعذاب التّازل ، معلق على المشيئة والبداء؟! .

قلنا بإيجاز : لم يكن يعلم عليه السلام ، أنّ البداء يطرأ على بعض المحتوم ؛ فهناك البيان ..

لم يرفع الله عذاباً أنزله قبل يونس !!

فلم يحدث في تاريخ القضاء الإلهي المحتوم أن رفع الله سبحانه وتعالى العذاب الشامل ، عن قوم كذبوا الرسل ، بعد إنزاله عليهم ، إلا قوم النبي يونس صلوات الله عليه ؛ فهذا أول ما أخفاه الله تعالى عن يونس عليه السلام .

يدلّ على هذه كبرى الملازمة ، وعدم طرؤ البدء على العذاب إذا نزل ، قوله تعالى : ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾^(١).

وكذا قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

الآية الشريفة ظاهرة جداً ، في مؤاخذه المكذّبين بالعذاب النازل عليهم حتماً ، لا يطرأ عليه البدء .

وأصرح من ذلك قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٣).

ففي الاستثناء من الآية الشريفة ، ظهور أن الله تعالى لم يرفع عذاباً أنزله على قوم إلا قوم يونس صلوات الله عليه ، ويتضح من ذلك أن قانون الله تعالى الحتمي في المكذّبين ، مؤاخذتهم بالعذاب إذا أنزله عليهم ، ولم يستثن الله تعالى إلا قوم يونس .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ .

(١) الزمر : ٥٤ .

(٢) يونس : ٩٢ .

(٣) يونس : ٩٨ .

قال الطبري (٣١٠هـ): ومعنى الكلام: فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب، ونزول سَخَطِ الله بها، بعضيانا ربهما واستحقاقها عقابه، فنفعها إيمانها ذلك، في ذلك الوقت، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه في غيّه، واستحقاقه سَخَطِ الله بمعصيته: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا﴾ فإتّهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم. فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى، الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم، وأخرجهم منهم، وأخبر خلقه أنه نفعهم أيمانهم خاصة، من بين سائر الأمم غيرهم^(١).

قلت: لم أجد مخالفاً في هذا بين المفسرين، وفيه نصوص ثابتة ستأتي.

الزبدة: كان في علم يونس صلوات الله عليه، وهو حقّ، أنّ البداء لا يطرأ على العذاب إذا نزل؛ فلا يرفعه الله سبحانه حتّى يعذب به المكذّبين المعاندين.

وقد تقول هذا خلاف العقيدة الجازمة أنّ البداء لا يطرأ على المحتوم من قضاء الله تعالى؛ للزوم التّكذيب !!؟

قلنا بإجماع أصحابنا، ووافقنا كثير من أهل السنّة: هذا تام في الوعد، وهو ثواب المطيعين وأجر الصالحين؛ فلا بداء في أصله ولا محو؛ وإلّا لزم الظلم والكذب، وهما محال. ولا مانع أن يطرأ البداء من باب: ﴿فَيُؤْفِقُهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ضرورة أنّه زيادة في الفضل والرحمة.

وأما في الوعيد، وهو المحتوم من العقاب والعذاب؛ فلا مانع من طرؤ البداء والمحو والإثبات في أصله؛ ضرورة أنّ مآل طرؤ البداء على العذاب المحتوم ورفع، الفضل والرحمة، أمّا في الوعد؛ فالظلم والكذب وهو محال.

وننبّه أنّ المحتوم فيما نحن فيه إضافي لا مطلق، وسيأتي البيان في فصل مستقل.

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد شاكر) ١٥: ٢٠٥. مؤسسة الرسالة، بيروت.

النص أن الله لم يطلع يونس على رفع العذاب

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه ، قال حدثنا محمد بن الحسن الصفار ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن الحسن بن علي ابن فضال ، عن أبي المغراء حميد بن المثنى العجلي ، عن سماعة أنه سمعه عليه السلام وهو يقول : «مارد الله العذاب عن قوم أظلمهم إلا قوم يونس». فقلت : أكان قد أظلمهم؟! فقال عليه السلام : «نعم حتى نالوه بأكفهم». قلت : فكيف كان ذلك؟! .

قال عليه السلام : «كان في العلم المثبت عند الله عز وجل ، الذي لم يُطَّلَع عليه أحدٌ أنه سيصرفه عنهم»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، أو موثق على اصطلاح المتأخرين .

وهو صريحٌ في أمور ، أهمها أمران :

أولاً : نزول العذاب من المحتوم ؛ لتحقق نزوله فعلاً ؛ فلقد : «نالوه بأكفهم» كما هو صريح النص الصحيح .

ثانياً : الله سبحانه وتعالى إذا أنزل العذاب ، عذب به والعياذ بالله ، وهذا قانون إلهي حتم لا يرد ولا يبذل ، إلى عهد النبي يونس عليه السلام ، لكن لم يطلع الله تعالى يونس عليه السلام أن هذا الحتم في معرض البداء ؛ وقد علم ضرورة فيما بعد أن الله تعالى قد يخلف وعيده وعذابه مع التوبة ؛ رحمةً بعباده ، بخلاف الوعد فإنه سبحانه لا يخلفه .

الزبدة : علم يونس صلوات الله عليه بنزول العذاب حتم ، لا تعلیق فيه ، لكن لم يطلع الله تعالى يونس أن هذا المحتوم مما يطرأ عليه المحو والإثبات ، مع التوبة ، أو أن هذا القانون في معرض المشيئة المحكومة بالرحمة ، وهذا هو المحتوم الإضافي وسيأتي البيان في فصلٍ مستقل .

(١) علل الشرائع (: صادق بحر العلوم) ١ : ٦٦ . منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف .

صحيح جميل شاهداً!!

أخرجه القمي (٣٢٩هـ) رضي الله عنه في التفسير قال : حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : «ما رد الله العذاب إلا عن قوم يونس، وكان يونس يدعوهم إلى الاسلام فيأبوا ذلك، فهم أن يدعو عليهم ، وكان فيهم رجلان عابد وعالم، وكان اسم أحدهما مليخا والآخر اسمه روبيل، فكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم ، وكان العالم ينهاه ، ويقول : لا تدع عليهم ؛ فإن الله يستجيب لك ، ولا يحبُّ هلاك عباده ، فقبل قول العابد ، ولم يقبل من العالم، فدعا عليهم فأوحى الله عزوجل إليه يأتيهم العذاب ، في سنة كذا وكذا ، في شهر كذا وكذا ، في يوم كذا وكذا ، فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيها ، فلما كان في ذلك اليوم نزل العذاب فقال العالم لهم : يا قوم افزعوا إلى الله سبحانه؛ فلعله يرحمكم ويردّ العذاب عنكم، فقالوا كيف نصنع؟! .

قال العالم : اجتمعوا واخرجوا إلى المفازة ، وفرقوا بين النساء وأولادها ، والإبل وأولادها ، وبين البقر وأولادها ، وبين الغنم وأولادها ، ثم ابكوا وادعوا فذهبوا وفعلوا ذلك ، وضجوا وبكوا فرحمهم الله ، وصرف عنهم العذاب ، وفرّق العذاب على الجبال ، وقد كان نزل وقرب منهم...»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

قلت : وهو صريحٌ في أمرين : الأول : نزول العذاب ، وهذا حتم محتوم ، وأمرٌ مبروم ، لا مردّ له؛ ضرورة نزوله .

الثاني : التعذيب به ، وهذا وإن كان حتماً ، لكنّه معلق على مشيئة الله إذا آمنوا وتابوا ؛ فضلاً ورحمة ، وهذا أخفاه سبحانه عن يونس ولم يطلعه عليه ، وسيأتي السبب في ذلك .

صحيح أبي عبيدة الحذاء شاهداً

قال العياشي رضي الله تعالى عنه (٣٢٠هـ) : عن أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : وجدنا في بعض كتب عليّ عليه السلام أنّه قال : حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جبرئيل عليه السلام حدّثه أنّ يونس بن متى بعثه الله تعالى إلى قومه ، وهو ابن ثلاثين سنة ، وأنّه أقام فيهم يدعوهم إلى الله تعالى فلم يؤمن به إلا رجلاً :

أحدهما : روبيل ، وكان روبيل من أهل بيت العلم والنبوة والحكمة^(١) ، وكان قديم الصّحة ليونس عليه السلام قبل أن يبعثه الله بالنبوة ، وكان صاحب غنم يرعاها ويتقرّوت منها صلوات الله عليه .

والثاني : تنوخا رجلٌ عابد زاهد ليس له علم ولا حكمة ، وكان محتطبٌ يأكل من كسبه ، فلما رأى يونس أنّ قومه لا يجيبونه ، وخاف أن يقتلوه ، شكى ذلك إلى ربّه تعالى .

فأوحى الله تعالى إليه : أنّ فيهم الحبلي والجنين والطفل الصّغير والشيخ الكبير والمرأة الضّعيفة ، أحبُّ أن أرفق بهم ، وأنظر توبتهم ، كهيئة الطّبيب المداوي العالم بمداواة الدّاء ، فأنزل العذاب يوم الأربعاء في وسط شوال بعد طلوع الشّمس .

فأخبر يونس عليه السلام تنوخا العابد به وروبيل ؛ ليعلمهم ، فقال تنوخا^(٢) : أرى لكم أن تعزلوا الأطفال عن الأمّهات في أسفل الجبل في طريق الأدوية ، فإذا رأيتم رجلاً صفراء أقبلت من المشرق ، فعجّوا بالصّراخ ، والتوّبه إلى الله تعالى جلّت قدرته بالاستغفار ، وارفعوا رؤوسكم إلى السّماء ، وقولوا : ربّنا ظلمنا أنفسنا فاقبل توبتنا .

(١) ننبّه أنّ مثل هذا التعبير ، لم يرد في القرآن وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام إلا في الأوصياء أولاد الأنبياء ، فالراجح أنّ روبيل من الأوصياء ؛ فيكون مع يونس كالحضر مع موسى عليهم السلام .

(٢) الصحيح : روبيل ، كما ورد في أغلب المصادر الأخرى ، منها ما مضى عن القمي في تفسيره ، وهو ما يلائم كونه عالماً من أهل بيت النبوة والحكمة .

ولا تَمَنَّ من التَّصَرع إلى الله جَلَّتْ عظمتُه والبكاء ، حتَّى تتوارى الشمس بالحجاب ، ويكشف الله عنكم العذاب ، ففعلوا ذلك فتاب عليهم ، ولم يكن الله اشترط على يونس أنه يهلكهم بالعذاب، إذا أنزله .

فأوحى الله جلّ جلاله إلى إسرافيل : أن اصرف عنهم ما قد نزل بهم من العذاب ، فهبط إسرافيل عليهم ، فنشر أجنحته فاستاق بها العذاب ، حتَّى ضرب بها الجبال التي بناحية الموصل ، فصارت حديداً إلى يوم القيامة ، فلَمَّا رآى قوم يونس أن العذاب صرف عنهم ، حمدوا الله ، وهبطوا إلى منازلهم ، وضمّوا إليهم نساءهم وأولادهم .

وغاب يونس عليه السلام عن قومه ثمانية وعشرين يوماً ، سبعة في ذهابه ، وسبعة في بطن الحوت ، وسبعة بالعراء ، سبعة بالعراء ، وسبعة في رجوعه إلى قومه ، فأتاهم فأمنوا به وصدّقوه وأتبعوه عليه السلام^(١) .

أخرجه ابن الراوندي قال : وبالإسناد المتقدم^(٢) عن الحسن بن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي جعفر عليه السلام^(٣) . قلت : إسناده صحيح .

(١) تفسير العياشي (ت: هاشم المحلاتي) : ١٢٩ . المكتبة العلميّة الإسلاميّة ، طهران .

(٢) أي قول الصدوق : حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل ، حدّثنا عبدالله بن جعفر الحميري ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، الحسن بن محبوب وإسناد ابن الراوندي ههنا إلى الصدوق صحيح ، وسيأتي ذكره في داود عليه السلام .

(٣) قصص الأنبياء (ت: غلام عرفانيان) : ٢٠٣ . مؤسسة الهادي ، إيران .

النص أن الله وكَّلَ يونس إلى نفسه طرفة عين

وأخرج القمّي (٣٢٩هـ) قال : حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن عبد الله بن سيار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة في ليلتها فقدته من الفراش فدخلها من ذلك ما يدخل النساء فقامت تطلبه في جوانب البيت حتى انتهت إليه وهو في جانب من البيت قائم رافع يديه يبكي وهو يقول : « اللهم لا تنزع مني صالح ما أعطيتني أبداً ، اللهم ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً ، اللهم لا تشمت بي عدواً ، ولا حاسداً أبداً ، اللهم لا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً . » قال فانصرفت ام سلمة تبكي ، حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها ، فقال لها : « ما يبكيك يا ام سلمة؟! » فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ولم لا أبكي وأنت بالمكان الذي أنت به من الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، تسألها أن لا يشمت بك عدواً أبداً ولا حاسداً ، وأن لا يردك في سوء استنقذك منه أبداً ، وأن لا ينزع عنك صالح ما أعطاك أبداً ، وأن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين أبداً .

فقال صلى الله عليه وآله : « يا أم سلمة وما يؤمنني ، وإنما وكَّلَ الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين ، فكان منه ما كان »^(١) .

قلت : إسناده حسن صحيح ، عبد الله بن سيار وثقه القمّي توثيقاً عاماً .

وأخرج الكليني رضي الله عنه في الكافي ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن سحيم ، عن ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ، وهو رافع يده إلى السماء : « رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً ، لا أقل من ذلك ولا أكثر ، قال : فما كان بأسرع من أن تحدر الدموع من جوانب لحيته ثم أقبل علي فقال : يا

ابن أبي يعفور ، إنّ يونس بن متى وكَلَّه الله عز وجل إلى نفسه أقل من طرفة عين ، فأحدث ذلك الذنب^(١).

قلت : صحيح في الجملة ، إلّا قوله : (ذلك الذنب) فلا شاهد له في الأخبار المعتمدة ، على أنّ هذا الإسناد مجهول ، رجاله ثقات وموثقون ، سوى ابن سنان فمختلف فيه ، وهو ثقة إذا لم يخالف الأصول ، وثمة مخالفة واضحة ههنا ، وسوى سحيم السندي ، وهو مجهول الحال ، لكن ترجم له الطوسي في أصحاب الصادق دون طعن .

في قوله عليه السلام : (وكلّ الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين ، فكان منه ما كان) يتعيّن بيان أمر هام جليل ؛ فلقد نحسب أنّه قد اتّضح لك أنّ يونس صلوات الله عليه وحاشاه لم يخطيء ؛ لقضائين محتومين :

الأول : نزول العذاب ، وهذا محتوم ؛ لتحقّق نزوله العيني الخارجي .

الثاني : المؤاخذة به حتمٌ إلى زمان يونس عليهم السلام ، وهو قانون تكويني .

ولو أنّ الله سبحانه عدّ بهم به بعد إنزاله ، لكان عين العدل والحكمة ، علم يونس كلّ هذا ، وعلمه صلوات الله عليه عين العلم والعصمة ، والفهم والحكمة ؛ ضرورة أنّ إهلاكهم بالعذاب : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٢) .

الزبدة : سيّدنا يونس صلوات الله عليه ، لم يخطيء في العلم ، ولم يشطط في الفهم ، ولم يناف فعله قانون الحتم ، إذن فما معنى أنّ الله تعالى وكَلَّه إلى نفسه طرفة عين؟! .

قلت : خيرّه سبحانه بين أمرين ، كلاهما حقٌّ وصدق ، كما في مرّ في صحيح جميل ، وهو ظاهرٌ في التخيير .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ٥٨١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الأحزاب : ٦٢ .

كيف وكل الله تعالى يونس إلى نفسه

مرّ في صحيح جميل قول الصادق عليه السلام: «وكان يونس يدعوهم إلى الإسلام فأبوا ذلك، فهمّ أن يدعو عليهم، وكان فيهم رجلان عابد وعالم، وكان اسم أحدهما مليخا والآخر اسمه روبيل، فكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم، وكان العالم ينهاه، ويقول: لا تدع عليهم؛ فإن الله يستجيب لك، ولا يحب هلاك عباده، فقبل قول العابد، ولم يقبل من العالم، فدعا عليهم فأوحى الله عزوجل إليه يأتيهم العذاب في سنة كذا وكذا في شهر كذا وكذا في يوم كذا وكذا...».

وقد تقول أين الخطأ في هذا؟!.

قلنا بإجماع: لا خطأ في البين إطلاقاً، بل هو الصواب؛ ضرورة أنّ قانون الله تعالى في المكذّبين بالرسول أن يعمّم سبحانه بالعذاب؛ تطهيراً للأرض منهم؛ كما قال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(١).

بإيجاز: للمعصوم، مع المكذّبين بالرسالات خياران لا ثالث لهما، كلاهما حقّ إذن الله تعالى به:

الأوّل: الدعاء عليهم إذا كذبوا وعاندوا وجحدوا؛ تطهيراً للأرض منهم.

الثاني: انتظار ما تحكم به مشيئة الله فيهم، وهذا أحبّ إلى الله تعالى.

الحاصل: كان يونس مخيراً بين أمرين كلاهما حقّ وصدق وتسليم لأمر الله تعالى، لكن الثاني أشرف كونه تسليماً محضاً، وهو منهج نبينا محمد في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْعَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾^(٢).

(١) سورة نوح: ٢٦.

(٢) سورة يونس: ٢٠.

التص أن ما جرى على يونس لتكريمه

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) في العلل قال : حدثنا علي بن أحمد بن محمد رضي الله عنه ، قال حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، عن موسى بن عمران النخعي ، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن علي بن سالم ، عن أبيه ، عن أبي بصير ، قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام : لأي علة صرف الله عز وجل العذاب عن قوم يونس ، وقد أظلمهم ، ولم يفعل كذلك بغيرهم من الأمم؟! .

فقال عليه السلام : «لأنه كان في علم الله عز وجل أنه سيصرفه عنهم ؛ لتوبتهم ، وإنها ترك سبحانه إخبار يونس عليه السلام بذلك ؛ لأنه عز وجل أراد أن يفرغه لعبادته في بطن الحوت ، فيستوجب بذلك ثوابه وكرامته»^(١).

قلت : إسناده قويّ معتبر .

ولا يرد إشكال : أو لم يكن يونس عابداً قبل الحوت؟! .

قلنا : جوابه في العبادة الخاصّة ، الدائرة مدار الابتلاء الشديد ، كما في قوله تعالى وهو قول يونس صلوات الله عليه : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

(١) علل الشرائع : (صادق بحر العلوم) ١ : ٦٦ . منشورات المكتبة الحيدريّة ، النجف .

(٢) سورة الأنبياء : ٨٣-٨٧ .

علم لوط وإبراهيم وجبرائيل بين المعلق والمحتوم

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) في علل الشرائع قال : حدثنا محمد بن موسى بن عمران المتوكل رحمه الله قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إن قوم لوط كانوا أهل قرية أشحاء على الطعام ، فأعقبهم البخل داء لا دواء له في فروجهم...؛ إن قرية قوم لوط كانت على طريق السيارة إلى الشام ومصر، فكانت السيارة تنزل بهم فيضيفونهم، فلما كثر ذلك عليهم ضاقوا بذلك ذراعاً؛ بخلاً ولؤماً ، فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف ، فضحوه من غير شهوة بهم إلى ذلك، وإنما كانوا يفعلون ذلك بالضيف حتى ينكل النازل عنهم، فشاع أمرهم في القرية وحذرهم النازلة، فأورثهم البخل بلاء لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم ، من غير شهوة لهم إلى ذلك، حتى صاروا يطلبونه من الرجال في البلاد ويعطونهم عليه الجعل... . قال أبو بصير: فقلت له جعلت فداك ، فهل كان أهل قرية لوط كأنهم هكذا يعملون؟! »

فقال عليه السلام : « نعم، إلا أهل بيت منهم من المسلمين، أما تسمع لقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ إن لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة يدعونهم إلى الله تعالى ويحذرهم عذابه، وكانوا قوماً لا يتنظفون من الغائط، ولا يتطهرون من الجنابة، وكان لوط ابن خالة إبراهيم، وكانت امرأة إبراهيم سارة اخت لوط، وكان لوط وإبراهيم نبيين مرسلين منذرين، وكان لوط رجلاً سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به ويحذرهم قومه، قال: فلما رأى قوم لوط ذلك منه قالوا له: إنا ننهاك عن العالمين لا تقري ضيفاً ينزل بك، إن فعلت فضحنا ضيفك الذي ينزل بك وأخزيناك، فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه ؛ وذلك إنّه لم يكن للوط عشيرة، قال: ولم يزل لوط وإبراهيم يتوقعان نزول العذاب على قومهم، فكانت لإبراهيم وللوط منزلة من الله تعالى شريفة ؛ وإنّ الله تعالى إذا أراد عذاب قوم لوط ، أدركته مودة إبراهيم وخلته ومحبة لوط فيراقبهم ، فيؤخر عذابهم ».

قال أبو جعفر عليه السلام : « فلما اشتد أسف الله على قوم لوط ، وقدرَ عذابهم ، وقضى أن يعوض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم ، فيسلى به مصابه بهلاك قوم لوط ، بعث الله رسلاً إلى إبراهيم يبشرونه بإسماعيل ، فدخلوا عليه لثلا يفرغ منهم ، وخاف أن يكونوا سراقاً ، فلما رآته الرسل فرغاً مذعوراً : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ .

قال أبو جعفر عليه السلام : « والغلام العليم هو اسماعيل بن هاجر ، فقال إبراهيم للرسل : ﴿ قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾؟! . فقال إبراهيم : فما خطبكم بعد البشارة؟! . ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ قوم لوط إتهم كانوا قوماً فاسقين لننذرهم عذاب رب العالمين .»

قال أبو جعفر عليه السلام : « فقال إبراهيم للرسل : ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكْرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ يا لوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيام ولياليها ﴿ بِقَطْعِ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ إذا مضى نصف الليل : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ . وقال : ﴿ وَامْضُوا ﴾ و أمضوا من تلك الليلة ﴿ حَيْثُ تَوْمَرُونَ ﴾ .

قال : أبو جعفر عليه السلام : فلما كان يوم الثامن مع طلوع الفجر ، قدم الله تعالى رسلاً إلى إبراهيم يبشرونه بإسحاق ، ويعزونه بهلاك قوم لوط ، وذلك قوله : ﴿ وَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ يعني ذكياً مشويا نضجاً : ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾ فبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿ فَضَحِكْتِ ﴾ يعني فتعجبت من قولهم : ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٧٢) قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتِ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ .

قال أبو جعفر عليه السلام : فلما جاءت إبراهيم البشارة بإسحاق ، وذهب عنه الروح ، أقبل يناجي ربه في قوم لوط ، ويسأله كشف البلاء عنهم ، فقال الله تعالى : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ وإتهم آتيتهم عذابي بعد طلوع الشمس ، من يوم محتوم غير مردود^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

وأخرجه الكليني عن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن داود بن فرقد ، عن أبي يزيد الحمار ، عن أبي عبد الله قال : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ أَرْبَعَةَ أَمْلَاقٍ فِي إِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطَ : جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَكَرُوبِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَاقَ نَحْوَمَا تَقَدَّمَ» .

قلت : صحيح في الجملة ، وهذا الإسناد مجهول بأبي يزيد الحمار .

وأخرج الصدوق عن أبيه ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي نصر عن أبان عن أبي بصير وغيره ، عن أحدهما قال : إن الملائكة لما جاءت في هلاك قوم لوط ، قالوا : إنا مهلكوا أهل هذه القرية ، قالت سارة عجبت من قتلهم وكثرة أهل القرية ، فقالت : ومن يطيق قوم لوط فبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضحكت وجهها وقالت : عجوز عقيم وهي يومئذ ابنة تسعين سنة وإبراهيم يومئذ ابن عشرين ومائة سنة ، فجادل إبراهيم عنهم ، وقال إن فيها لوطا ، قال : جبرئيل نحن أعلم بمن فيها فزاده إبراهيم فقال جبرئيل يا إبراهيم اعرض عن هذا إنه جاء أمر ربك ، وإتهم آتاهم عذابٌ ، غير مردود^(٢).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

(١) علل الشرائع (ت: بحر العلوم) ٢: ٥٤٨. منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٥: ٥٤٦. الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) علل الشرائع (ت: بحر العلوم) ٢: ٥٥٢. منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف .

تصريح لوط باحتمال طرؤ البداء في العذاب

روى الكليني والصدوق والبرقي رضي الله عنهم ، واللفظ للكليني : عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن محمد بن سعيد ، قال : أخبرني زكريا بن محمد ، عن أبيه ، عن عمرو ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « وكان يعظهم لوط ويوصيهم ، وإبليس يغويهم ، حتى استغنى النساء بالنساء ، فلما كملت عليهم الحجة ، بعث الله جبرئيل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام ، في زي غلمان ، عليهم أقبية ، فمروا بلوط عليه السلام ، وهو يحرث ، فقال : أين تريدون ، ما رأيت أجمل منكم قط؟! . قالوا : إنا أرسلنا سيدنا إلى رب هذه المدينة . قال : أو لم يبلغ سيدكم ما يفعل أهل هذه المدينة ؛ يا بني ، إثمهم والله يأخذون الرجال ، فيفعلون بهم حتى يخرج الدم... » .

قال الباقر عليه السلام : « وقال لهم لوط : يا رسل ربي ، فما أمركم ربي فيهم؟! . قالوا : أمرنا أن نأخذهم بالسحر . قال : فلي إليكم حاجة؟! . قالوا : وما حاجتك؟! . قال تأخذونهم الساعة ؛ فإني أخاف أن يبدو لربي فيهم!! . فقالوا : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ^(١) .

قلت : قال التقي المجلسي : إسناده قوي كالصحيح ^(٢) .

وأخرج الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن داود بن فرقد ، عن أبي يزيد الحمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الله عز وجل بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط : جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكرويل صلوات الله عليهم... » وفيه قال الصادق عليه السلام : « وقال له جبرئيل ، إنا بُعثنا في إهلاكهم » . فقال لوط : يا جبرئيل ، عجل . فقال جبرئيل : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ^(٣) .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٥ : ٥٤٦ . الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) روضة المتقين ١٠ : ٦٩ .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ٥ : ٥٤٦ . الكتب الإسلامية ، طهران .

قوله لوط لجبرائيل عليهما السلام : (عَجَل) ، وقوله الآخر عليه السلام : (فإني أخاف أن يبدو لربي فيهم) أي أخاف أن يرفع سبحانه العذاب عنهم ؛ فضلاً ورحمة ، مع أنهم غير مستحقين لذلك عدلاً وحكمة ؛ تعبداً منه عليه السلام بقول نوح عليه السلام : ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ .

وهو ظاهرٌ ، وربما صريحٌ أنّ البداء مما قد يطرأ حتى على بعض المحتوم ، وسيأتي أنّ المحتوم على أقسام ، منها ما يطرأ عليه البداء ؛ فضلاً ورحمة .

النبي داود عليه السلام بين العلم المعلق والمحتوم

حار أكثر العلماء ، سيما علماء التفسير ، في عويصة من تسوّر الخصمين المحراب على داود صلوات الله عليه ؛ إذ لم يبيّن أحدٌ معنى هذه الآية كما أراد أهل البيت عليهم السلام ، مع أنّ تفسيرها - في الجملة - لا يعدو ، ما ذكرناه في قصة آيينا إبراهيم وموسى صلوات الله عليهما ، وإن اختلفت التفاصيل والخصوصيات ؛ هاك لترى ..

قال الله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ (٢٠) وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخِطْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْفَ خَصْمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٣٠﴾ .

في الآيات الشريفة أعلاه أمور :

أولاً : مرّ أنّ إبراهيم عليه السلام لم يعلم أنّهم ملائكة : ﴿ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَ ﴾ وكذلك دواد عليه السلام لم يعلم أنّها ملكين : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْفَ ﴾ وسيأتي النصّ أنّها ملكان عليهما السلام .

وثانياً : حكم داود صلوات الله عليه في قضية النعاج ، صحيح عقلاً وشرعاً ، إجماعاً ونصاً وضرورة ؛ وإلا لزم تكذيب قوله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ وهو نصّ قرآني صريح أنّ كلّ ما يقوله داود في القضاء ، لا يجانب الحقّ بأيّ حال .

وفصل الخطاب : القضاء دون خطأ ، والحكمة : الصواب في القول والعمل .

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾^(١).

ثالثاً : إذا كان داود عليه السلام ، قضى بالفهم الصواب ويفصل الخطاب ، وهو كذلك قطعاً ونصاً وضرورة ، فلم : ﴿ظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَتَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾!؟.

قيل في جواب ذلك : لأن داود صلوات الله عليه لم يسأل المدعي البيّنة ، وهذا خلاف الشرائع التي أمرت بالبيّنة . وقيل : لتزوجه بامرأة أوريا والعياذ بالله، وقيل غير ذلك ، وكلّه باطل ؛ لعدم النص الصحيح الصريح .

وعجبٌ من جلّ المفسّرين التشاغل باحتتمالات غير معتبرة لم ينزل الله بها من سلطان ، ولم تؤثر عن أهل البيت عليهم السلام بوضوح ، ولم تشهد لها قرائن القبول ، وترك ما هو واضح من مجموع أقوالهم عليهم السلام علاوة على ما ذكره القرآن الكريم .

والصحيح في تفسير الآية ، مجموع أمرين :

الأول : طلب داود علم الباطن ؛ لضرورة ألّمت به .

إنّ الله تعالى كرّم داود عليه السلام بعلم الباطن علاوة على الظاهر ، وقد كان داود عليه السلام هو من سأل الله تعالى ذلك ؛ لضرورة ألّمت به سنعرض لها قريباً ؛ فالله سبحانه أذن له عليه السلام أن يحكم ويقضي من دون بيّنة ؛ كقضاء الله تعالى في الآخرة .

ظنّ داود صلوات الله عليه نتيجة لذلك ، وظنّه حقّ ، أنّ الله تعالى لم يخلق خلقاً أعلم منه في زمانه ؛ فعاتبه الله تعالى على ذلك ، ففتنه (امتحنه) بإرسال ملكين تسورا المحراب ، لم يعلم أنّهما ملكان..؛ فنبّهه الله تعالى أنّ كلّ ما بذل له الله من العلم ، ليس شيئاً قبّال المكنون

من علم الله تعالى ؛ فيكفي أنّ ما عنده من العلم ، عاجز عن أن يتعرّف على ملكين من خلقه سبحانه إلّا بإذنه سبحانه..

الأمر الثاني : عدم تحقق الغرض من علم الباطن .

لا ريب أنّ منيع علم الباطن ، هو علم الغيب المكنون المختص بالله تعالى ، والله سبحانه قد يفيض منه على بعض أصفياه ما يلائم حكمته ورحمته ، لطفاً بعباده ..

كما لا ريب أنّ هذا العلم ، عين الحق والحقيقة ، لكن تتساءل ، هل يتحقق غرض الله تعالى ، وهو : انتظام حال العباد ، في دار الإبتلاء ، بهذا العلم القدسيّ المستور ، والغيب الباطن أم لا ؟!

عاب الله سبحانه وتعالى نبيّه العظيم داود صلوات الله عليه ، أنّ غرضه سبحانه في انتظام حال العباد في دار التكليف ، لا يتحقق إلّا بالعلم الظاهر ؛ لأنّ العباد بكلّ بساطة لا يطيقون علم الباطن ؛ فما أسرع أن يكفروا به نتيجة لذلك والعياذ بالله : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ إذ لا طاقة لهم على احتياها .

هاك مجموعة من النصوص ، تبين ما ذكرناه من الأمرين ..

معتبر الهروي في فتنة داود عليه السلام

روى الصدوق رحمته الله (٣٨١هـ) قال : حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهم قالوا : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال : حدثنا القاسم بن محمد البرمكي قال : حدثنا أبو الصلت الهروي قال : لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الاسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر المقالات فلم يبق أحد إلا وقد أزمه حجته كأنه ألقم حجرا ، قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال للرضا عليه السلام : يقولون : إنّ داود عليه السلام ، كان في محرابه يصلي ، فتصور له إبليس على صورته طير ، أحسن ما يكون الطيور ، فقطع داود صلواته ، وقام ليأخذ الطير ، فخرج الطير إلى الدار ، فخرج الطير إلى السطح ، فصعد في طلبه ، فسقط الطير دار أوريا بن حنان ، فاطلع داود في أثر الطير بامرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها ، وقد أخرج أوريا في بعض غزواته ، فكتب إلى صاحبه أن قدم أوريا أمام التابوت فقدم ، فظفر أوريا بالمشركين ، فصعب ذلك على داود ، فكتب إليه ثانية أن قدمه أمام التابوت ، فقدم فقتل أوريا ، فتزوج داود بامرأته .

قال أبو الصلت رضي الله عنه : ف ضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال : «إنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله إلى التهاون بصلواته ، حتى خرج في أثر الطير ، ثم بالفاحشة ثم بالقتل» .

فقال ابن الجهم : يا بن رسول الله فما كان خطيئته؟! .

فقال : «ويحك ، إنّ داود إنّما ظن أنّ الله عزّ وجل ، ما خلق خلقاً هو أعلم منه ، فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب ، فقالا : ﴿حَصَمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢)﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ نَسْعٌ وَنَسْعُونَ نَعَجَةً وَإِي نَعَجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ فعجل داود عليه السلام على المدعى

عليه فقال: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ﴾ ولم يسأل المدعى البيّنة على ذلك ، ولم يُقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول، فكان هذا خطيئة رسم الحكم...^(١).

قلت : إسناده قويّ ، رجاله ثقات إلا البرمكي فلم نقف على حاله ، لكنّه من مشايخ القمّي في غير التفسير، روى عنه ثلاثة من الأجلّة ، لم يطعن فيه أحد .

قلت : قوله عليه السلام : (ما خلق خلقاً هو أعلم منه) حقّ لا ريب فيه ذاك الوقت، وإنّما عاتبه الله ؛ لأنّه تعالى : ﴿ يَمْحُو... مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ومّا أثبتّه الله تعالى أي أوجده ، الملكان اللذان خفي أمرهما على داود عليه السلام.

وقد تقدّم أنّ الله تعالى أرى إبراهيم كلّ الملوك ، وكلّ أصناف الملائكة ، لكنّه عليه السلام لم يعلم أنّ ضيفه ملائكة ، حتّى أنّه جائهم بعجل حنيد ، فكيف بداود ، وهو أدنى رتبة من إبراهيم عليهم السلام جميعاً؟!.

وسنبيّن أنّ عدم سؤال المدعي البيّنة ، لا ينافي عصمة حكم داود وقضائه ، فليس في حكمه خطأ إطلاقاً ؛ لما ثبت في النصّ المعتبر الآتي أنّ داود اسأذن الله أن يقضي بلا بيّنة بما فيه قوام الدين والرسالة ؛ لضرورة ألّت به ، والله تعالى أذن له كما سترى..

وإنّما لحقه الإشكال والعتاب من حيثية أخرى ، وهي الأمر الثاني الأنف ؛ ضرورة عدم تحقّق غرض الله تعالى من علم الباطن ، كما أخبر أهل البيت عليهم السلام في الأخبار الصحيحة الآتية قريباً ؛ فكان على داود عليه السلام أن ينتظر أمر الله تعالى فيما ألّم به من الضرورة لا أن يستعجل الله تعالى الإذن بقضاء علم الباطن ..

(١) عيون أخبار الرضا(ت: حسين الأعلمي) ٢ : ١٧٢ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت.

بيان خبر الهروي رضي الله عنه!!

ثمة أمران خفيا على داود عليه السلام ، ما يهتمان منه الثاني ، كالآتي :

الأول : العلم بأنهم ملائكة.

فحتى لو افترضنا أن داود صلوات الله عليه ، عالم بما كان وما يكون حتى قيام الساعة ؛ كعلمه المقدس بكل أصناف الملائكة التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، لكن هل هذا العلم كل شيء؟!؟

قلنا : كلا ، فلقد تقدم أن الله سبحانه يزيد في الخلق ما يشاء ؛ فالمحتمل قوياً ، بل هو الظاهر ، أن الملكين اللذين تسورا المحراب ، من زيادة الله سبحانه في الخلق الملكوتي ، التي لم يحط بها النبي داود ، أو جاءه في صورة جديدة عليه لم يعهدها صلوات الله عليه .

الثاني : حكمة علم الظاهر

فحتى لو كان قضاء داود عليه السلام ، من علم الباطن ، عين الصواب ، معصوماً من الخطأ ، منزهاً عن أي زلل ، لا يحتاج معه إلى بيّنة ، كما هو صريح القرآن : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ لكن الله تعالى لم يتعبد الخلائق بالعلم الباطن ، وإنما بالعلم الظاهر الذي جاء به الأنبياء عليهم السلام ؛ لحكمة عظيمة لا يتحقق نظام الابتلاء والغرض من خلق الدنيا إلّا بها .

فالحكمة هي : أن انتظام حال الخلائق في الدنيا قبل قيام دولة العدل ، لا يستقيم إلّا بعلم الظاهر غالباً ، أمّا علم الباطن فالخلق لا يطبقونه ، لذلك لم يأذن به الله تعالى إلّا في أوقات مخصوصة منصوصة ؛ كالذي عند الخضر عليه السلام في قضية الغلام .

داود عليه السلام ، سأل الله تعالى ، بل ألحّ في السؤال أن يحكم بعلم الباطن ويقضي بمثل قضاء الله تعالى في الآخرة ، بلا بيّنة ؛ لضرورة ألّمت به .. ، هاك النصوص لترى .

النص على عدم انتظام حال الخلق بعلم الباطن

روى الكليني رضي الله تعالى عنه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه .ح .

وعدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «إنّ داود عليه السلام سأل ربه أن يريه قضية من قضايا الآخرة ، فأوحى الله عز وجل إليه : يا داود ، إنّ الذي سألتني ، لم أطلع عليه أحداً من خلقي ، ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيري»!!؟.

قال : فلم يمنعه ذلك أن عاد ، فسأل الله أن يريه قضية من قضايا الآخرة ، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له : يا داود ، لقد سألت ربك شيئاً لم يسأله قبلك نبي ، يا داود إنّ الذي سألت ، لم يُطَّلِع عليه أحداً من خلقه ، ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيره ..؟ قد أجاب الله دعوتك ، وأعطاك ما سألت .

قال الباقر عليه السلام : ثمّ قال جبرائيل عليه السلام : يا داود إنّ أول خصمين يردان عليك غداً ، القضية فيهما ، من قضايا الآخرة.

قال الباقر عليه الصلاة والسلام : «فلما أصبح داود عليه السلام ، جلس في مجلس القضاء فأتاه شيخ متعلق بشاب ، ومع الشاب عنقود من عنب.

فقال له الشيخ : يا نبي الله ، إنّ هذا الشاب دخل بستاني ، وخرب كرمي ، وأكل منه بغير إذني ، وهذا العنقود أخذه بغير إذني.

فقال داود للشاب : ما تقول ، فأقر الشاب أنّه قد فعل ذلك.

فأوحى الله عز وجل إليه : يا داود ، إنّني إنّ كشفت لك عن قضايا الآخرة ، فقضيت بها بين الشيخ والغلام ، لم يحتملها قلبك ، ولم يرض بها قومك ..؟ يا داود إنّ هذا الشيخ اقتحم على أب هذا الغلام في بستانه ، فقتله ، وغضب بستانه ، وأخذ منه أربعين ألف درهم

، فدفنها في جانب بستانه ، فادفع إلى الشاب سيفاً ، ومره أن يضرب عنق الشيخ ، وادفع إليه البستان ، ومره أن يحفر في موضع كذا وكذا ، ويأخذ ماله .

قال الباقر عليه السلام : «ففرغ من ذلك داود عليه السلام ، وجمع إليه علماء أصحابه ، وأخبرهم الخبر ، وأمضى القضية على ما أوحى الله عز وجل إليه»^(١) .
قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

قلت : قول الله تعالى في الحديث القدسي : (يا داود ، إني إن كشفت لك عن قضايا الآخرة ، ففضيت بها بين الشيخ والگلام ، لم يحتملها قلبك ، ولم يرض بها قومك) ..
صريحٌ فصيحٌ مليحٌ ، أن انتظام حال العباد في الدنيا ، لا يستقيم إلاّ بعلم الظاهر ، أمّا الباطن ، فيوجب النفرة من الدين ، وبغض ما جاء به الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ؛ إذ ما أسهل على فسقة البشر والشياطين ، تكذيب الأنبياء عليهم السلام ، فيما خفي على الناس ولم يكن ظاهراً محسوساً لهم متعارفاً بينهم ؛ كعصى موسى وفصاحة القرآن .

وهذا لا يحصل زمان المهدي عليه السلام ؛ كونه بإذن الله تعالى مبسوط اليد ، لذلك تعبده الله تعالى بعلم الباطن كما تعبده بالظاهر ..

قول الله تعالى لداود في الحديث القدسي : (لم يحتملها قلبك) مثاله في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِنَفْسِي بَعِيرٍ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ سَيِّئًا نُّكْرًا... ﴾ هذا مع أنّ كليم الله موسى ، أشرف من داود علماً وقُدساً ورتبةً ووجوداً صلوات الله على الأنبياء أجمعين ، فكيف بمن دون موسى من الرسل والأنبياء والأوصياء عليهم السلام أجمعين؟! .

تَصُّرٌ فِي الضَّرُورَةِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِدَاوُدَ عليه السلام

روى شيخ مشايخنا الكليني رضي الله تعالى عن ، محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيوب ، عن داود بن فرقد ، عن إسماعيل بن جعفر قال : « اختصم رجلان إلى داود عليه السلام في بقرة ، فجاء هذا بيّنة على أنّها له ، وجاء هذا بيّنة على أنّها له .

قال : فدخل داود عليه السلام المحراب ؛ فقال : يا رب ، إنّه قد أعياني ، أن أحكم بين هذين ، فكن أنت الذي تحكم ، فأوحى الله عز وجل إليه ، اخرج فخذ البقرة من الذي في يده ، فادفعها إلى الآخر ، واضرب عنقه .

قال : فضجت بنو إسرائيل من ذلك ، وقالوا جاء هذا بيّنة ، وجاء هذا بيّنة ، وكان أحقهم بإعطائها ، الذي هي في يده ، فأخذها منه وضرب عنقه ، وأعطاهها هذا .

قال : فدخل داود المحراب فقال : يا رب ، قد ضجت بنو إسرائيل مما حكمت به ، فأوحى إليه ربه : إنّ الذي كانت البقرة في يده ، لقي أبا الآخر فقتله ، وأخذ البقرة منه ؛ فإذا جاءك مثل هذا فاحكم بينهم بما ترى ، ولا تسألني أن أحكم حتى الحساب^(١) .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، وإن كان موقوفاً على إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام ؛ ضرورة أنّ مثل هذا الخبر ، بشهادة صحيح الثمالي المتقدّم ، لا ينهض به غير المعصوم ، فله حكم المرفوع إلى المعصوم عليه السلام . ولعلّ هذا هو مقصود المجلسي الأوّل في قوله : وفي الصحيح عن إسماعيل^(٢) .

والحديث صريحٌ فيما قلناه من الأمرين .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٧: ٤٤٣ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) روضة المتقين (ت: حسين الكرمانى) ٦: ٦١ . بنياد فرهنگ إسلامي .

صحيح زرارة شاهد آخر

روى سعد بن هبة الله الراوندي (٥٧٣هـ) رضي الله عنه في قصص الأنبياء قال : أخبرني الشيخ علي بن علي بن عبد الصمد النيشابوري ، عن أبيه ، أخبرنا السيد أبو البركات علي بن الحسين الجوزي ، أخبرنا الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، أخبرنا أبي قال : أخبرنا سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ، عن محمد بن خالد البرقي ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبي بكر ، عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إن داود عليه السلام كان يدعو أن يلهمه^(١) الله القضاء بين الناس بما هو عنده تعالى الحق ، فأوحى الله إليه : يا داود إنَّ الناس لا يحتلمون ذلك ، وإنِّي سأفعل ، وارتفع عليه رجلان ، فاستعداه أحدهما على الآخر ، فأمر المستعدي عليه أن يقوم إلى المستعدي فيضرب عنقه ، ففعل ، فاستعظمت بنو إسرائيل ذلك ، وقالت : رجل جاء يتظلم من رجل ، فأمر الظالم أن يضرب عنقه .

فقال داود عليه السلام : «رب أنقذني من هذه الورطة»^(٢).

قلت : إسناده حسنٌ صحيح . شيخ الرواندي علي ، ثقة جليل . وأبوه عالم صالح . والسيد أبو البركات رضي الله عنه فقيه محدث ثقة من وجوه الطائفة ، والبقية ثقات . إسماعيل بن إبراهيم ، هو : القصير ثقة دون كلام ، وأبو بكر هو الحضرمي ، وهو رضوان الله عليه ، ثقة دون كلام .

وهو صريحٌ فيما ذكرناه .

(١) في المصدر : يسلمه ، وما أثبتناه عن البحار وبقية المصادر .

(٢) قصص الأنبياء(ت: غلام عرفانيان) : ٢٠٣ . مؤسسة الهادي ، إيران .

تنبيه في قضية داود عليه السلام !!

ورد في بعض الأخبار المكذوبة ، تلك المأخوذة عن الإسرائيليات أن داود صلوات الله عليه ، رأى امرأة يوريا بن حنّان رضي الله عنه عارية تغتسل ، فافتتن بها ؛ لذلك أمر داود أن يتقدّم يوريا للجهاد ، بقصد قتله وأخذ أمراته من بعده .

لكن -وبكل بساطة- يردُّ على هذا الكذب البواح ، والكفر الصراح الذي تقشعرّ منه الأبدان ، عدم وجود رواية واحدة ، رواها أهل السنّة ، مسندة متّصلة مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم تذكر هذا الافتراء البين ، وكلّ ما سرده أهل السنّة من هذا الزيف والاجترأ ، موقوف على التابعين ، أو عن بعض الصحابة الذين كانوا يتعبّدون برواية إسرائيليات اليهود المنهي عنها .

وأما ما ذكره أصحابنا عن الرضا عليه السلام في ذلك ، فقد بان من حال الرضا لما ضرب جبهته المقدّسة كما في معتبر الهروي الآنف ؛ أنّه فرية عظيمة على الأنبياء والمرسلين ، فالموجود عندنا من ذلك حكاية عمّا رواه رواة الإسرائيليات من غير الشيعة ، في نبيّ الله داود عليه السلام .

الزبدة : لا توجد في كتب أهل القبلة سنّة وشيعة ، رواية واحدة ، واحدة فقط ، مسندة صحيحة ، متصلة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ، أو غيره من المعصومين ، تثبت هذه الفرية على نبيّ الله داود عليه السلام ، وإنّما هي حكاية المعصوم أو أصحاب المعصوم ، لما ذكره الخصوم لا غير .

النص أن افتتان داود بامرأة أوريا فرية

أخرج ابن الراوندي (٥٧٣هـ) في قصص الأنبياء قال : أخبرنا جماعة منهم الإخوان الشيخ محمد وعلي ابنا علي بن عبد الصمد ، عن أبيهما ، عن السيد أبي البركات علي بن الحسين الحسيني ، حدثنا الشيخ أبو جعفر بن بابويه ، حدثنا أبي ، حدثنا سعد بن عبد الله ، عن يعقوب بن يزيد ، عن حماد بن عيسى ، عن الحسين بن المختار ، عن زيد الشحام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «لو أخذت أحداً يزعم أن داود وضع يده عليها لحدته حدين : حداً للنبوة ، وحداً لما رماه به»^(١).

قلت : إسناده حسنٌ صحيح ، ناهيك عن اعتضاده بأقوال أصحابنا .

وأخرج الصدوق في الأمالي (٣٨١هـ) قال : حدثنا أبي رحمه الله ، قال : حدثنا علي بن محمد بن قتيبة ، عن حمدان بن سليمان ، عن نوح بن شعيب ، عن محمد بن إسماعيل ، عن صالح ، عن علقمة ، قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليها السلام ، وقد قلت له : يا بن رسول الله ، أخبرني من تقبل شهادته ومن لا تقبل شهادته . فقال : يا علقمة ، كل من كان على فطرة الاسلام جازت شهادته .

قال علقمة : فقلت للصادق عليه السلام : يا بن رسول الله ، إن الناس ينسبوننا إلى عظام الأمور ، وقد ضاقت بذلك صدورنا .

فقال عليه السلام : «يا علقمة ، إن رضا الناس لا يملك ، وألستهم لا تضبط ، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام؟! ألم ينسبوا يوسف عليه السلام إلى آته هم بالزنا ، ألم ينسبوا أيوب عليه السلام إلى أنه ابتلى بذنوبه ، ألم ينسبوا داود عليه السلام إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهوها ، وأنه قدّم زوجها أمام التابوت حتى قتل ثم تزوج بها ، ألم ينسبوا موسى عليه السلام إلى أنه عين وآذوه حتى برأه

(١) قصص الأنبياء(ت: غلام عرفانيان) : ٢٠٦ . مؤسسة الهادي ، إيران .

الله مما قالوا ، وكان عند الله وجيها ، ألم ينسبوا جميع أنبياء الله عليهم السلام إلى أنهم سحرة طلبية الدنيا ، ألم ينسبوا مريم بنت عمران عليها السلام إلى أنها حملت ببعيسى من رجل نجار اسمه يوسف ، ألم ينسبوا نبينا محمداً صلى الله عليه وآله إلى أنه شاعر مجنون...^(١).

قلت : إسناده قويّ ، رجاله موثقون ، إلاّ علقمة بن محمد الحضرمي ، فمن أصحاب الصادق لم يطعن بشيء .

وسياتي البسط في هذه الأمور المتعلقة بالأنبياء عليهم السلام ، في كتابنا القادم : قصص الأنبياء والأوصياء عليهم السلام .

تعيّن التأويل في عدم سؤال داود البيّنة !!

إنّما أفردنا هذا العنوان؛ لجلالة عويصات قضايا المرسلين والنبیین ومطلق المعصومين ، وخطورة المطلب في الدين ..

فقد يقال : لم ترتضوا ، ما احتمله غير واحد من العلماء ، أنّ سبب معاتبه الله لداود عليه السلام ، كونه لم يسأل المدّعي البيّنة ، فقلتم : إنّ هذا الاحتمال باطل ، مع أنّ معتبر الهروي عن الرضا عليه السلام صرّح بذلك !!.

قلنا : في تفسير قول المعصوم عليه السلام : (لم يسأل المدّعي البيّنة) احتمالان : أحدهما باطل بالضرورة ؛ كالأتي :

الاحتمال الأوّل : التمسك بظاهر الخبر .

وظاهره أنّ صواب حكم داود ، متوقّف على البيّنة ، وإلّا فخطأ ، فعاتبه الله تعالى على ذلك . وهذا عين البطلان ؛ للزوم تكذيب قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ ضرورة أنّ فصل الخطاب هو : القضاء المعصوم من الخطأ .

فلا معنى لأن يعاتب الله داود لأنّه لم يسأل البيّنة ؛ ضرورة أنّ داود عليه السلام قضى بالعلم الباطن المعصوم من الخطأ ؛ فسؤال المدّعي البيّنة لغو ، والمعصوم منزّه عنه تماماً .

الاحتمال الثاني : تعيّن تأويل الخبر .

لأنّ البشر لا يطيقون علم الباطن الذي لا يحتاج إلى بيّنة ؛ كونه غيباً ليس حسّاً متعارفاً عندهم ؛ أدّى هذا إلى الرد على الرسل والأنبياء وربما تكذيبهم ، لذلك عاتب الله داود . وقد مرّ صحيح إسماعيل : «فضجت بنو إسرائيل من ذلك ، وقالوا جاء هذا بيّنة ، وجاء هذا بيّنة ، وكان أحقّهم بإعطائها ، الذي هي في يده ، فأخذها منه وضرب عنقه ، وأعطائها هذا» وهو صريح في الرد على المعصوم .

وصي داود عليه السلام بين الحتم والتعليق

روى الكليني رضي الله عنه عن الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن علي بن محمد ، عن بكر بن صالح ، عن محمد بن سليمان ، عن عيثم بن أسلم النجاشي ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود ، لرجال مسمين ، ليس للإمام أن يزويها عن الذي يكون من بعده ؛ إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن اتخذ وصياً من أهلك ؛ فإنه قد سبق في علمي أن لا أبعث نبياً إلا وله وصي من أهله.. »

قال الصادق عليه السلام : « وكان لداود عليه السلام أولاد عدة ، وفيهم غلام كانت أمه عند داود ، وكان لها محباً ؛ فدخل داود عليه السلام عليها حين أتاه الوحي فقال لها : إن الله عز وجل أوحى إليّ يأمرني أن أتخذ وصياً من أهلي.. »

فقال له امرأته : « فليكن ابني » !! .

قال داود عليه السلام : « ذلك أريد » وكان السابق في علم الله المحتوم عنده ، أنه سليمان ، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى داود أن لا تعجل دون أن يأتيك أمري^(١) .

قلت : إسناده مجهول ، بل ضعيف . الدليمي فيها قال النجاشي ضعيف جداً . وعيثم مجهول الحال ، لكن كبراه شهدت لها الأخبار .

والكبرى هي قوله عليه السلام : (وكان السابق في علم الله المحتوم عنده أنه سليمان ، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى داود أن لا تعجل دون أن يأتيك أمري) وهي عين قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾^(٢) وعين قوله سبحانه : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٧٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكهف : ٢٣ .

علم النبي سليمان عليه السلام بموته ، بين الحتم والتعليق

روى الكليني رحمته الله محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن الوليد بن صبيح ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الله عز وجل أوحى إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، إن آية موتك أن شجرة تخرج من بيت المقدس يقال لها : الخرنوبة » .

قال الصادق عليه السلام : « فنظر سليمان يوماً ، فإذا الشجرة الخرنوبة قد طلعت من بيت المقدس ، فقال لها : ما اسمك؟! » .

قالت الشجرة : أنا الخرنوبة .

قال الصادق عليه السلام : « فولى سليمان مديراً إلى محرابه ، فقام فيه متكئاً على عصاه ، فقبض روحه من ساعته ، فجعلت الجن والإنس يخدمونه ويسعون في أمره كما كانوا ، وهم يظنون أنه حي لم يميت ، يغدون ويروحون وهو قائم ثابت ، حتى دبّت الأرض من عصاه ، فأكلت منسأته فانكسرت وخرّ سليمان إلى الأرض ، أفلا تسمع لقوله عز وجل : ﴿ مَا دَعَّاهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (١) .

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام ، رواه ، وجوه الطائفة ، وثقات الفرقة .

فحتى لو افترضنا أن سليمان عالمٌ بساعة موته ، إلا أنه من العلم المعلق ؛ فلم يعلم عليه السلام منيته على نحو الحتم ، إلا بعد طلوع شجرة الخرنوبة من بيت المقدس ، وهي علامة جعلها الله تعالى له ليعلم الوقت الحتمي بالموت ؛ لقوله سبحانه : (آية موتك أن شجرة تخرج من بيت المقدس يقال لها : الخرنوبة) .

مع التنبيه والتأكيد أنّ هذا لا ينافي علم سليمان عليه السلام بساعة موته على نحو التعليق ؛ فالمعصوم عندنا - أيّ معصوم - عالمٌ بها كان وما يكون ، ممّا هو مكتوب في اللوح المحفوظ ، حتى قيام الساعة ..

لكن كما ذكرنا مراراً وتكراراً ، بعضه غير محتوم الوقوع ، بل معلق على مشيئة الله تعالى ؛ أي : على المحو والإثبات والتقديم والتأخير .

وستأتي النصوص القطعيّة عن الفريقين ، أنّ بعض الأنبياء عالمون بساعة موتهم ، لكنّه علم معلق على ما يشاء الله ليس حتمياً ، كما سيأتي أنّ الله سبحانه ، خير بعض المعصومين بين الموت والبقاء ، وهذا دليل على التعليق وعدم الحتم .

قال الفيروز آبادي (٨١٧هـ) في القاموس : والخرنوب ، وقد تفتح هذه : شجرٌ ، برئُهُ : شوك ذو حمل كالتفاح ، لكنه بشع . وشاميُّه ذو حمل كالخيار ، إلّا أنّه عريض^(١) .

وللفائدة فما رواه الكليني أعلاه ، رواه من أهل السنّة البزار (٢٩٢هـ) في مسنده قال : حدثنا محمد بن مرزوق بن بكير ، قال : حدثنا موسى بن بكير ، قال : حدثنا موسى بن مسعود ، قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنّ نبي الله سليمان كان ذات يوم يصلي ، إذا شجرة نابتة بين يديه فقال لها : ما اسمك؟! قالت : الخرنوبة...^(٢) . وساق نحوه ما رواه الكليني عليه السلام .

قلت : إسناده حسنٌ صحيح ، رجاله رجال الصحيح .

وما رواه الصدوق رضوان الله عليه بقوله : حدثنا أبي رضي الله عنه قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه إبراهيم بن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن أبان ، عن أبي

(١) القاموس المحيط (ت: العرقسوسي) : ٧٩ . مؤسسة الرسالة ، لبنان .

(٢) مسند البزار (ت: عادل سعد) : ١١ : ٢٧٠ . رقم : ٥٠٦٠ . مكتبة العلوم والحكم ، المدينة .

بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمر سليمان بن داود الجنّ ، فصنعوا له قبة من قوارير، فبينما هو متكئ على عصاه في القبة ، ينظر الى الجن كيف يعلمون ، وهم ينظرون إليه ، إذ حانت منه التفاتة ، فإذا رجل معه في القبة ، قال سليمان عليه السلام : من أنت؟! .

قال عزرائيل صلوات الله عليه : «أنا الذي لا أقبل الرشا ، ولا أهاب الملوك ، أنا ملك الموت» فقبضه وهو قائم متكئ على عصاه في القبة ، والجن ينظرون إليه .

قال الباقر عليه السلام : «فمكثوا سنة يدأبون له ، حتى بعث الله عزوجل الأروسة فأكلت منساته ، وهي: العصا»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

وهذا الصحيح لا ينافي خبر الخرنوبة بأيّ حال كما هو واضح ، كما لا ينافي أنّ قاطبة المعصومين مخيرون بين الموت والحياة ، وستأتي نصوص الفريقين القطعية في ذلك .

(١) علل الشرائع(ت: صادق بحر العلوم) ١ : ٧٤ . منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف .

علم عزرائيل بموت العباد بين الحتم والتعليق

أخرج سعد بن هبة الله الراوندي (٥٧٣هـ) رضي الله عنه في قصص الأنبياء قال : أخبرني الشيخ علي بن علي بن عبد الصّمد النيشابوري ، عن أبيه ، أخبرنا السيّد أبو البركات علي بن الحسين الجوزي ، أخبرنا الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، أخبرنا أبي قال : أخبرنا سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ، عن الحسن بن عليّ الوشاء، عن عليّ بن سوجه ، عن عيسى الفراء ، وأبي عليّ العطار ، عن رجل ، عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : بينا داود عليه السلام دالس وعنده شاب رثّ الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطلب الصّمت إذا أتاه ملك الموت ، فسلم عليه وأحد ملك الموت التّظر إلى الشّاب ، فقال داود عليه السلام : نظرت إلى هذا؟! .

فقال عزرائيل : نعم إنّي أمرت بقبض روجه إلى سبعة أيّام في هذا الموضع ، فرحمه داود ، فقال : يا شاب هل لك امرأة؟! قال : لا وما تزوّجت قط ، قال داود : فأت فلاناً ؛ رجلاً كان عظيم القدر في بني إسرائيل فقل له : إنّ داود يأمرك أن تزوّجني ابنتك ، وتدخلها اللّيلة عليّ ، وخذ من النّفقة ما تحتاج إليه وكن عندها ، فإذا مضت سبعة أيّام فوافني في هذا الموضع .

فمضى الشّاب برسالة داود عليه الصلاة والسلام ، فزوّد الرّجل ابنته ، وأدخلها عليه ، وأقام عندها سبعة أيّام ، ثمّ وافى داود اليوم الثّامن .

فقال له داود عليه السلام : يا شاب كيف رأيت ما كنت فيه؟! .

قال الشاب : ما كنت في نعمة ولا سرور قط أعظم ممّا كنت فيه ، قال داود : اجلس فجلس داود ينظر أن تقبض روجه ، فلمّا طال قال : انصرف إلى منزلك فكُن مع أهلِكَ ، فإذا كان اليوم الثامن فوافني ها هنا .

فمضى الشاب ، ثم وافاه اليوم الثامن وجلس عنده ، ثم انصرف أسبوعاً آخر ، ثم أتاه وجلس فجاء ملك الموت إلى داود ، فقال داود : أأست حدثتني بأنك أمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعة أيام فقد مضت ثمانية وثمانية؟! .

قال يا داود : إن الله تعالى رحمه برحمتك له ، فأخّر في أجله ثلاثين سنة^(١) .

قلت : إسناده مبهم . لكن يشهد لأصله دون خصوصياته ؛ ما ثبت في المتواترات من إنساء الآجال وإطالة الأعمال بالدعاء والعمل الصالح ، روى هذا الفريقان سنة وشيعة ، بالطرق الكثيرة جداً ، سرد بعضها هذا الكتاب عن البخاري والكليني .

هل يعلم المعصوم بمنيّته (=ساعة موته) !!؟

فيما نحن فيه احتمالات أربعة :

الاحتمال الأوّل : لا يعلم المعصوم بساعة موته .

وهذا الاحتمال باطل ؛ للأخبار المتواترة ، أنّ المعصوم عليه السلام ، عالمٌ بما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، ومن ذلك علمه بالمنايا والآجال والبلايا إلى يوم القيامة ، كما هو صريح النصوص القطعيّة الماضية والآتية .

الاحتمال الثاني : يعلم المعصوم بساعة موته .

وهذا الاحتمال باطل قطعاً ؛ للأخبار القطعيّة الكثيرة ، أنّ علم المعصوم بساعة موته معلّق ، إمّا على علامة قبيل وفاته ؛ كخروبة النبي سليمان عليه السلام ، وإمّا على شرط ما ، وستأتي النصوص القطعيّة في هذا الشرط قريباً ، وهو الاحتمال الثالث .

الاحتمال الثالث : التفصيل بين العلم المعلق والحتمي .

هذا هو الحقّ ؛ فقد اتّضح ممّا سبق في الجملة ، أنّ المعصوم وإن كان عالماً بما كان وما يكون حتى قيام الساعة ، ومن ذلك منيّته وساعة موته صلوات الله عليه ، لكن ليس هذا كلّ شيء ؛ ضرورة أنّ الأصل في علم المعصوم التعليق ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ و : ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يُحْكَمَ اللَّهُ ﴾^(١) ..

الاحتمال الرابع : لا مانع أن يعلم المعصوم بساعة منيّته على نحو الحتم بتعليم من الله تعالى ، لكن لا يسوغ دعوى هذا إلاّ بدليل معتمد صحيح ، وسيأتي في فصل مستقل أنّ كلّ ما فيه قوام الدين يعلمه المعصوم على نحو الحتم المطلق ؛ أي لا يطرأ عليه البداء .

الأصل في علم المعصوم التعليل

إلا إذا شاء الله سبحانه وتعالى أن يمضيه فيجعله محتوماً ؛ يدلّ على هذا الأصل مجموع ما تواتر عن أهل البيت عليهم السلام في فصل سابق ، أنّ المعصوم عالمٌ بما كان وما يكون حتى يوم القيامة ، أو حتى قيام الساعة في لفظ آخر ، ناهيك عن مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿ وقوله سبحانه : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ .

الزبدة : الأصل في علم المعصوم بوقت منيته وساعة موته ، التعليل على المشيئة ، موقوفٌ على ما يشاء الله تعالى ؛ فإن شاء أثبتته ، كما هو مكتوب في اللوح المحفوظ ، وإن شاء محاه من اللوح المحفوظ وأثبت وقتاً لمنية المعصوم عليه السلام غيره ، على ما تقضي به حكمته ورحمته سبحانه .

وقد مضى أنّ علم المعصوم عليه السلام المعلق ، هو علم الغيب الظاهر ، وهو : علم الكرسي ، إلا إذا دلّ الدليل على الحتم وآنه علم عرشي .

ولا يمكن دعوى أنّ علم المعصوم بمنيته ، علم عرشيّ بالمحتوم ، إلاّ بدليل ثابت عنهم عليهم السلام .

وربما تقول : ورد في الأخبار أنّ المعصوم عليه السلام ربما يخبر بموته قبل يوم أو ساعات من وفاته على نحو الحتم ، ويكون كما قال ، وهل هذا إلاّ علم بالمحتوم!!؟ .

قلنا : لا إشكال أن يعلم المعصوم بساعة موته على نحو الحتم قبيل وفاته بقليل ، بعلامة جعلها الله لذلك ؛ كما في صباح الأوز عند خروج أمير المؤمنين عليه السلام للصلاة؛ فيكون الأمر كما كان في خروبة النبي سليمان عليه السلام ..

لكن ليس كلامنا عن هذا ليرد ما تقول ، وإنما عن علم المعصوم عليه السلام بساعة موته قبل العلامة ، أو قبل الشرط المجعول من قبل الله تعالى أو تعليمه سبحانه ..

النّص أنّ عند المعصوم علم المنايا

وظاهرها إحاطة المعصوم عليه السلام بساعة موته ، لكن لا يمكن التمسك بهذا الظاهر مطلقاً فيما نحن فيه ؛ لاحتمال كونه معلّقاً على ما يشاء الله تعالى ..

مضى ما رواه الكليني (٣٢٩هـ) رضي الله عنه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد العزيز بن المهدي ، عن عبد الله بن جندب ، أنّه كتب إليه الرضا عليه السلام : «أما بعد فإنّ محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه ، فلما قبض صلى الله عليه وآله كنّا أهل البيت ورثته ، فنحن أمناء الله في أرضه ، عندنا علم البلياء والمنايا...»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الصّفّار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا عبد الله بن عامر ، عن عبد الرحمن بن ابي نجران قال كتب أبو الحسن الرضا عليه السلام رسالة وأقرأنيها قال : قال عليّ بن الحسين عليه السلام إنّ محمداً صلى الله عليه وآله وساق مثله^(٢).

وروى الكليني رضي الله عنه عن أحمد بن مهران عن محمد بن علي ومحمد بن يحيى عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن محمد بن سنان ، عن الفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما جاء به علي عليه السلام آخذ به وما نهى عنه أنتهي عنه ، جرى له من الفضل ، مثل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله ، ولمحمد صلى الله عليه وآله الفضل على جميع من خلق الله عز وجل...، وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول : لقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي ؛ علمت المنايا والبلياء والأنساب وفصل الخطاب ، فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني...»^(٣).

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٦٢ . باب الرد إلى الكتاب والسنة . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة) : ١٣٩ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٦٢ . باب الرد إلى الكتاب والسنة . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : إسناده صحيح على الأظهر الأقوى ، رجاله ثقات ، سوى محمد بن سنان ، وهو ثقة متكلم فيه .

وروى الصفار قال : حدثنا العباس بن معروف ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن حمران بن ميسم (ميثم) عن عباية بن رباعي قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : «سلوني قبل أن تفقدوني ، ألا تسألون من عنده علم المنايا والبلايا والأنساب»^(١) .

قلت : إسناده صحيح ، حماد من أصحاب الإجماع .

الأخبار في هذا المعنى كثيرة الطرق متواترة ، رواها قاطبة أصحابنا أهل الحديث القدماء ؛ كالكليني والصدوق والمفيد والشيخ الطوسي والصفار والبرقي وغيرهم رضوان الله عليهم .

والمقصود بعلم المنايا : علم الآجال ، مفردها منية ؛ أي : أجل . وعلم البلايا : ما يجري على الإنسان من مولده إلى مماته . وفصل الخطاب : القضاء المعصوم من الخطأ .

والأخبار أعلاه ظاهرة ، وربما تقول صريحة ، أنّ المعصوم عالمٌ بكلّ هذا ؛ أي عالمٌ بساعة موته على الحتم ، لكن التمسك بظاهرها وإطلاقها في غاية الإشكال ؛ لمنافاتها الأخبار القطعية ، مضى بعضها ويأتي غيرها ، أنّ كثيراً من علم المعصوم معلق على ما يشاء الله تعالى ، يطرأ عليه المحو والإثبات .

من هذه الأخبار ، ما تواتر أنّ الله تعالى في ليلة القدر من كلّ سنة ، يمحو كثيراً من علم المعصوم المعلق ويثبت بدله المحتوم ، ولا بأس بسرّد طائفة من الأخبار الثابتة فيما نحن فيه ، ليتضح الحال ..

النص أنّ المعصوم عالمٌ بساعة موته

عنون الكليني باباً في الكافي قال : باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلاّ باختيار منهم. اهـ.

قلت : لا خفاء أنّ عناوين أبواب الكليني رضي الله عنه فتاوى ، ونشير إلى أنّ قاطبة أصحابنا عبر التاريخ ، أمضوا ما قاله الكليني فيما نحن فيه حتى يومنا هذا ..

أخرج الكليني عن علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن عبد الحميد ، عن الحسن بن الجهم : قال قلت للرضا عليه السلام : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله ، والليلة التي يقتل فيها ، والموضع الذي يقتل فيه ، وقوله لما سمع صياح الإوز في الدار : صوائح تتبعها نوائح. وقول أم كلثوم : لو صليت الليلة داخل الدار ، وأمرت غيرك يصلي بالناس ، فأبى عليها . وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح ، وقد عرّف عليه السلام أنّ ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف ..؟ كان هذا ممّا لم يجز تعرضه^(١)! .

فقال الرضا عليه السلام : « ذلك كان ، ولكنّه خَيْرٌ في تلك الليلة ؛ لتمضي مقادير الله عز وجل »^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات. عليّ بن محمد هو ابن بندار الثقة ، وهو عينه أبو القاسم البرقي رضي الله عنه فيما استظهر السيّد الخوئي وغيره. وسهل مختلف فيه ، وثقه جماعة ، وضعّفه آخرون ، والأظهر الأقوى توثيقه . الحسن بن الجهم بن بكسر الشيباني ثقة جليل من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام . محمد بن عبد الحميد بن سالم العطار ثقة جليل .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٥٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

(٢) هذا تساؤل من الحسن بن الجهم حاصله : أليس هذا من أمير المؤمنين القاء للنفس في التهلكة ؛ فأجابه الرضا عليه السلام بالتخير ، وهو تكليف ، فارتفع الإشكال .

وأخرج الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن أبي جميلة ، عن عبد الله بن أبي جعفر قال : حدثني أخي ، عن جعفر ، عن أبيه الباقر أنه أتى علي بن الحسين عليه السلام ، ليلة قبض فيها ، بشراب فقال: يا أبت اشرب هذا؟! .

فقال السجّاد عليه السلام : «يا بني إنّ هذه الليلة التي أقبض فيها ، وهي الليلة التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

قلت : معتبر بكثرة الطرق ، وهذا الإسناد مجهول ، رجاله ثقات إلا عبد الله بن أبي جعفر فمجهول الحال ، لكنّه من أولاد الأئمة عليهم السلام .

وأخرج الصفّار رضي الله عنه (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء ، عن الرضا عليه السلام قال لمسافر : يا مسافر ، هذه القناة فيها حيتان؟! .
قال : نعم جعلت فداك» .

قال عليه السلام : «أما أنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله البارحة وهو يقول ، يا عليّ عندنا خيرٌ لك»^(٢) .
قلت : إسناده صحيح .

وأخرج الصفّار قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء قال : حدثني مسافر قال : كنت مع أبي الحسن (=الرضا عليه السلام) فمرّ يحيى بن خالد ، فغطى أنفه من الغبار!! .

فقال الرضا عليه السلام : «مساكين ، لا يدرون ، ما يحل بهم في هذه السنة» .

ثمّ قال عليه الصلاة والسلام : «وما أعجب من هذا ، وأنا وهو وترٌ ، كهاتين؟! وضّم اصبعيه .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٦٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه) : ٥٠٢ . مطبعة الأحمدية ، طهران .

قال مسافر : ما عرفت معنى حديثه ، حتى دفنناه عليه السلام معه^(١).

قلت : إسناده صحيح .

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن موسى المتوكل قال : حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن مسافر قال : كنت مع أبي الحسن الرضا عليه السلام بمنى ، فمرّ يحيى بن خالد مع قوم من آل برمك ، فقال عليه السلام : «مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم في هذه السنة»؟! . ثم قال عليه السلام : «هاه ، وأعجب من هذا ، هارون وأنا كهاتين» وضم أصبعيه . قال مسافر : فوالله ما عرفت معنى حديثه حتى دفنناه معه^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

وأخرج الصّفّار قال : حدثنا محمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن اسماعيل ، عن عليّ بن النعمان ، عن عمر بن مسلم صاحب الهروي ، عن سدير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إنّ أبي مرض مرضاً شديداً ، حتى خفنا عليه ، فبكا بعض أهله عند رأسه فنظر فقال لي : لست بميت من وجعي هذا؛ إنّه أتاني اثنان فأخبراني أنّي لست بميت من وجعي هذا . قال فبرء ومكث ما شاء الله أن يمكث فينا ، هو صحيح ليس به بأس .

قال عليه السلام : «يا بني إنّ اللذين أتياي من وجعي ذلك ، أتياي فأخبراني أنّي ميت يوم كذا وكذا» . قال عليه السلام : «فمات في ذلك اليوم»^(٣).

قلت : إسناده قويّ ، رجاله ثقات ، إلّا عمر بن مسلم الهراء ، ترجم له أصحابنا ؛ كالشيخ الطوسي دون طعن ، قالوا : من أصحاب الصادق عليه السلام .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٥٠١ . مطبعة الأحمدى، طهران.

(٢) عيون أخبار الرضا(ت: حسين الأعلمي): ٢: ٤٦٢ . مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(٣) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٥٠١ . مطبعة الأحمدى، طهران.

ورواه الصفّار ، بإسناد آخر صحيح ، قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن السائي قال : دخلت عليه وهو شديد العلة ؛ فيرفع رأسه من المخدّة ، ثم يضرب بها رأسه ويزيد ؛ قال السائي : فقلت جعلت فداك نخاف ، أن يكون هؤلاء اغتالوك؟! .

فقال عليه السلام : « ليس عليّ بأس » فبرأ الحمد لله رب العالمين^(١).

قلت : إسناده صحيح ، السائي هو علي بن سويد ، وهو ثقة بإجماع .

وأخرج الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الوشاء ، عن أحمد بن عائذ ، عن أبي خديجة ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « كنت عند أبي في اليوم الذي قبض فيه ، فأوصاني بأشياء في غسله وفي كفنه وفي دخوله قبره ، فقلت : يا أباه ، والله ما رأيتك منذ اشتكيت ، أحسن منك اليوم ، ما رأيت عليك أثر الموت؟! .

فقال الباقر عليه السلام : « يا بني ، أما سمعت علي بن الحسين عليه السلام ينادي من وراء الجدار ، يا محمد تعال عجل »^(٢).

قلت : إسناده صحيح . رجاله ثقات ، ابن عائذ الأحمسي ثقة ، وسالم بن مكرم أبو خديجة الكناسي ثقة ثقة .

ورواه الصفّار ، عن أحمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء ، به مثله^(٣).

وروى الصفّار قال : حدثنا إبراهيم بن هاشم ، عن الحسن بن علي بن عقبة قال : حدثني جدّي ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه أتى أبا جعفر في الليلة التي قبض فيها ، وهو ينام ، فأوماً إليه بيده أن تأخر ، فتأخر حتى فرغ من المناجات ، ثمّ أتاه فقال : يا بني إنّ هذه الليلة التي قبض فيها ، وهي الليلة التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وآله .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٥٠١ . مطبعة الأحمدية، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٦٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

(٣) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٥٠١ . مطبعة الأحمدية، طهران.

قال الصادق عليه السلام : «وحدثني أنّ أباه عليّ بن الحسين أتاه بشراب في الليلة التي قبض فيها ، وقال : اشرب هذا. قال : يا بنيّ إنّ هذه الليلة التي وعدت أن أقبض فيها فقبض فيها»^(١).

قلت : معتبر ، وهذا الإسناد مجهول ، سقناه شاهداً.

وأخرج الصّفّار قال : حدثنا الحسن بن عليّ الزيتون ، عن إبراهيم بن مهزيار وسهل بن هرمزان ، عن محمد بن أبي الزعفران ، عن أم أبي محمد قالت : قال لي أبو محمد يوماً من الأيام ، تصيبني في سنة حرارة ، أخاف أن انكب فيها نكبة ؛ فإنّ سلمت منها ، فألى سنة سبعين . قالت : فإظهرت الجزع وبكيت.

فقال لي عليه السلام : «لابد لي من وقوع أمر الله ، فلا تجزعني فلما أن كان أيام صفر أخذها المقيم المقعد»^(٢) ، وجعلت تقوم وتقعّد ، وتخرج في الأحايين إلى الجبل ، تتجسس الأخبار ، حتى ورد عليها الخبر^(٣).

قلت : معتبر ، وهذا الإسناد مجهول ، سقناه شاهداً.

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٥٠٢ . مطبعة الأحمدي، طهران.
 (٢) أي : أخذها الحزن الشديد ؛ الذي يقيم صاحبه ويقعده ، لا يجعله مستقراً .
 (٣) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٥٠١ . مطبعة الأحمدي، طهران.

النص على تختيار المعصوم بين الموت والحياة !!

أجمع على هذا -في الجملة- الفريقان سنة وشيعة ، إجماعاً قطعياً محققاً ، واختلفنا وإياهم في التفصيل ؛ فخصّ أهل السنة المعصوم بالأنبياء كنبينا محمد فقط ، ونحن عممنا للأوصياء علاوة على الأنبياء عليهم السلام جميعاً ..

فمما روينا في هذا الأصل ، ما أخرجه الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن ابن رثاب ، عن ضريس الكناسي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وعنده أناس من أصحابه : فقال له حرمان : جعلت فداك ، رأيت ما كان من أمر ، قيام عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام ، وخروجهم ، وقيامهم بدين الله عز ذكره ، وما أصيبوا من قتل الطواغيت إياهم ، والظفر بهم ، حتى قتلوا وغلبوا؟! .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «يا حرمان ، إنّ الله تبارك وتعالى ، قد كان قدّر ذلك عليهم ، وقضاه ، وأمضاه ، وحثّمه على سبيل الاختيار ، ثمّ أجراه ؛ فبتقدم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله ، قام علي والحسن والحسين عليهم السلام ، ويعلم صمت من صمت ممّن ، ولو أتهم يا حرمان ، حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله ، عز وجل ، وإظهار الطواغيت عليهم ، سألو الله عز وجل أن يدفع عنهم ذلك ، وألخوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيت ، وذهاب ملكهم ، إذن لأجابهم ، ودفع ذلك عنهم ، ثمّ كان انقضاء مدة الطواغيت ، وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد ، وما كان ذلك الذي أصابهم يا حرمان لذنّب اقترفوه ، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ، ولكن لمنازل وكرامة من الله ، أراد أن يبلغوها ، فلا تذهبن بك المذاهب فيهم»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات دون كلام .

شواهد قطعية أنّ المعصوم مخيرٌ في الموت

تخير أئمتنا إبراهيم عليه السلام

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: «إنّ إبراهيم لما قضى مناسكه رجع إلى الشام فهلك، وكان سبب هلاكه أنّ ملك الموت أتاه لقبضه، فكره إبراهيم الموت ، فرجع ملك الموت إلى ربه عزوجل فقال : إنّ إبراهيم كره الموت.

فقال الله سبحانه : «دع إبراهيم ؛ فإنّه يحب أن يعبدني».

قال : حتى رأى إبراهيم عليه السلام شيخاً كبيراً ، يأكل ويخرج منه ما يأكله ، فكره الحياة وأحب الموت...»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام ، رواه أساطين الفرقة وجهابذة الملة .

وروى الصدوق قال : حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري ، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن القاسم وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ سارة قالت لإبراهيم : إنّك قد كبرت وقرب أجلك، فلو دعوت الله عزوجل أن ينسئ في أجلك وأن يمدّ لك في العمر ، فتعيش معنا ، وتقر أعيننا».

قال: فسأل إبراهيم ربه ذلك ، فأوحى الله عزوجل إليه : سل من زيادة العمر ما أحببت تعطه. قال: فأخبر إبراهيم سارة بذلك. فقالت له: سل الله أن لا يميتك حتى تكون أنت الذي تسأله الموت.

(١) علل الشرائع(ت: صادق بحر العلوم) ١: ٣٨. منشورات المكتبة الحيدريّة ، النجف .

قال : فسأل إبراهيم ربه ذلك، فأوحى الله عزوجل إليه ذلك لك . قال : فأخبر إبراهيم سارة بما أوحى الله عزوجل إليه في ذلك .

فقال سارة لإبراهيم : « اشكر الله ، واعمل طعاماً ، وادع عليه الفقراء وأهل الحاجة ، ففعل ذلك إبراهيم ودعا إليه الناس... »^(١) .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد صحيح على الأظهر ، فالقاسم وإن كان مجهول الحال ، إلا أن فيها الحسن وهو من أصحاب الإجماع ، ومن أهل العلم من صحح للقاسم .

تخيير نبي الله موسى عليه السلام

أخرجه الصدوق قال : حدثنا أبي رضى الله عنه قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن ملك الموت أتى موسى بن عمران عليه السلام فسلم عليه ، فقال : من أنت؟! .

فقال عزرائيل عليه السلام : « أنا ملك الموت » . فقال موسى عليه السلام : ما حاجتك؟! . فقال له : جئت أقبض روحك . فقال له موسى : من أين تقبض روحي؟! . قال : من فمك . فقال له موسى : كيف وقد كلمت ربي عزوجل . فقال : من يديك . فقال له موسى : كيف وقد حملت بها التوراة . فقال : من رجلك . فقال : وكيف وقد وطئت بها طور سيناء . قال : وعد أشياء غير هذا .

فقال له ملك الموت : فإنني أمرت أن أتركك ، حتى تكون حتى أنت الذي تريد ذلك . فمكث موسى عليه السلام ما شاء الله ثم مرّ برجل ، وهو يحفر قبراً ، فقال له موسى : ألا أعينك على حفر هذا القبر؟! . فقال له الرجل : بلى . قال : فأعانة على حفر القبر ولحد اللحد ، فأراد الرجل أن يضطجع في اللحد لينظر كيف هو؟! .

(١) علل الشرائع (ت: صادق بحر العلوم) ١ : ٣٨ . منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف .

فقال له موسى: أن اضطجع فيه، فاضطجع موسى فرأى مكانه من الجنة، وأقال: منزله من الجنة، فقال: يارب أقبضني إليك، فقبض ملك الموت روحه، ودفنه في القبر وسوى عليه التراب.

قال الصادق عليه السلام: «وكان الذي يحفر القبر ملك الموت في صورة آدمي، فلذلك لا يعرف قبر موسى عليه السلام»^(١).

قلت: إسناده حسنٌ صحيحٌ دون أدنى كلام، رواه جهابذة الفرقة وأساطين الملة.

تخيير أمير المؤمنين عليه السلام

مضى أخرج الكليني، بإسناد صحيح على الأقوى، عن علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عبد الحميد، عن الحسن بن الجهم قال: سألت الرضا عليه السلام عن علم أمير المؤمنين بمقتله وصياح الأوز...، فقال عليه السلام: «ذلك كان، ولكنه خيّر في تلك الليلة؛ لتمضي مقادير الله عز وجل»^(٢).

تخيير الحسين سيّد الشهداء عليه السلام

وروى الكليني رضي الله عنه، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم بن عن سيف بن عميرة، عن عبد الملك بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أنزل الله تعالى النصر على الحسين عليه السلام، حتى كان ما بين السماء والأرض، ثم خيّر النصر، أو لقاء الله؛ فاختر لقاء الله تعالى»^(٣).

(١) علل الشرائع (ت: صادق بحر العلوم) ١: ٧٠. منشورات المكتبة الحيدرية، النجف.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٥٩. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٦٠. دار الكتب الإسلامية، طهران.

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . وابن أعين ثقة عارفٌ جليل ؛ روى الكشي رواية صحيحة الإسناد ، فيما جزم السيد الخوئي وغيره ، وهو الحق ، أن إمامنا الصادق عليه السلام ، زار قبره في مكة ، وترحم عليه .

تخيير الإمام الكاظم عليه السلام

وأخرج الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : « إن الله عز وجل غضب على الشيعة ، فخيرني نفسي ، أو هم ، فوقيتهم والله بنفسي »^(١).

قلت : إسناده مبهم ، ببعض الأصحاب ، ضعيف على مبنى المشهور ، وهو صحيح على مبنى المحقق الحلي وغيره رضي الله عنهم .

تخيير الرضا عليه السلام

أخرجه الصقار رضي الله عنه (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسن بن عليّ الوشاء ، عن الرضا عليه السلام قال لمسافر : يا مسافر ، هذه القناة فيها حيتان؟! قال : نعم جعلت فداك .

قال عليه السلام : « أما آتي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله البارحة وهو يقول ، يا عليّ عندنا خيرٌ لك »^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه السلام : (عندنا خيرٌ لك) ظاهرٌ في تخيير الرضا عليه السلام ، كما أنّ اختيار ما عند رسول الله وهو عالم الرفيق الأعلى ، أتم من البقاء على الحياة في الدنيا .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٦٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه) : ٥٠٢ . مطبعة الأحمدى ، طهران .

تخيير أبينا نوح عليه السلام

أخرج الكليني رضي الله تعالى عنه ، عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وثلاثمائة سنة ، منها : ثمانمائة وخمسين سنة قبل أن يبعث ، وألف سنة إلا خمسين عاماً ، وهو في قومه يدعوهم ، وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء ؛ فمصر الأمصار وأسكن ولده البلدان .

ثم إن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال : السلام عليك .

فرد عليه نوح عليه السلام قال : ما جاء بك يا ملك الموت؟! .

قال عزرائيل صلوات الله عليه : «جئتك لأقبض روحك» .

قال نوح صلوات الله عليه : «دعني أدخل من الشمس إلى الظل» .

فقال له ملك الموت عليه السلام : «نعم»^(١) .

فتحول ثم قال : يا ملك الموت كل ما مرَّ بي من الدنيا ، مثل تحويلي من الشمس إلى الظل ، فامض لما أمرت به ، فقبض روحه عليه السلام» .

قلت : معتبر ، وهذا الإسناد مبهم ببعض الأصحاب ، وهو صحيح على مبنى المحقق الحلبي رضي الله عنه .

قول أبينا نوح عليه السلام : (دعني أدخل... ، فامض لما أمرت به) ظاهرٌ بل صريحٌ أنه صلوات الله عليه مخير ، وإلا لما سمح له ملك الموت عزرائيل صلوات الله عليهما ، بذلك الانتقال ، لو كان حتماً مقضياً .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٨ : ٢٨٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

تخيير نبي الله سليمان عليه السلام

أخرج الصدوق قال : حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام ، قال : «إن سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه : إن الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، سخَّر لي الريح والإنس والجن والطير والوحوش ، وعلمني منطق الطير ، وآتاني من كل شيء ، ومع جميع ما أوتيت من الملك ما تم سروري يوم إلى الليل ، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد ، فأصعد أعلاه ، وأنظر إلى مملكي ، فلا تأذنوا لأحد عليّ ؛ لئلا يرد علي ما ينغص عليّ يومي . فقالوا : نعم .

فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده ، وصعد إلى أعلى موضع من قصره ، ووقف متكياً على عصاه ينظر إلى مملكه مسروراً بما أوتي ، فرحاً بما أعطي ، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره ، فلما أبصره سليمان قال له : من أدخلك إلى هذا القصر ، وقد أردت أن أخلو فيه اليوم ، ويأذن من دخلت؟! .

قال الشاب : ادخلني هذا القصر ربه ، ويأذنه دخلت . فقال : ربه أحق به مني فمن أنت؟! . قال : أنا ملك الموت . قال : وفيما جئت؟! .

قال عليه السلام : جئت لأقبض روحك .

قال سليمان عليه السلام : أمض لما أمرت به ، فهذا يوم سروري ، وأبى الله عز وجل أن يكون لي سرور دون لقائه ، فقبض ملك الموت روحه ، وهو متكىء على عصاه^(١) .

قلت : إسناده معتبر ، بل حسن ، بل صحيح على مبنى إفادة شيخوخة الإجازة التوثيق . علي بن معبد البغدادي ، من أصحاب الهادي عليه السلام ، من أصحاب الكتب ،

ترجم له الطوسي والنجاشي دون طعن . والبقية ثقات . الحسين بن خالد ، هو الخفاف ، وهو ثقة عند غير واحد من الأساطين .

في قوله عليه السلام : (أمض لما أمرت به) بضميمة كل ما تقدّم ، ظهور قويّ أنّ عزرائيل عليه السلام لا يقبض روح المعصوم إلاّ بعد ظهوره أمامه ، ومخاطبته واستثذانه ، ولو لم يقل سليمان لعزرائيل عليه السلام : (امض) لما ساغ له قبض روحه .

الزبدة : المعصوم عندنا مخيّر بين الموت والحياة ، وكونه مخيّرأ ، لا ينافي أن يجعل الله تعالى له علامة على ساعة موته المعلقة على التخيير ..

فصياح الأوز عند خروج أمير المؤمنين عليه السلام ، علامة حتمية على الموت ، لكنها ليست تعينية وإتبا تحيرية ..

نص البخاري : الأنبياء مخبرون بين الموت والحياة

أخرج البخاري قال : حدثني يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، في رجال من أهل العلم: أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخَيَّر» .

فلما نزل به ، ورأسه على فخذي ، غشي عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى» .

قلت (=عائشة): إذن لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به، قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «اللهم الرفيق الأعلى»^(١).

وأخرجه البخاري أيضاً قال : حدثنا أبو اليان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني عروة بن الزبير، إن عائشة، قريب منه^(٢) .

وأخرجه مسلم (٢٦١هـ) في الصحيح قال : حدثني عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد ، حدثني أبي، عن جدي ، حدثني عقيل بن خالد، قال : قال ابن شهاب بالإسناد الأوّل مثله^(٣) .

قلت : إسناد الحديثين صحيح بإجماع أهل السنة .

وأخرج أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) قال : حدثنا يعقوب، قال: حدثنا أبي، قال: عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن عمر العبلي، قال: حدثني عبيد بن جبير، مولى الحكم بن أبي العاص، عن عبد الله بن عمرو، عن أبي مويبة، مولى رسول الله صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري (ت: زهير النار) ٨: ١٠٦، رقم: ٦٥٠٩. دار طوق النجاة.

(٢) صحيح البخاري (ت: زهير النار) ٦: ١٠، رقم: ٤٤٣٧. دار طوق النجاة.

(٣) صحيح مسلم (ت: عبد الباقي) ٤: ١٨٩٤، رقم: ٢٤٤٤. إحياء التراث العربي، بيروت.

وسلم قال: قال رسول الله: يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا، والخلد فيها، ثم الجنة، وخيرت بين ذلك، وبين لقاء ربي عز وجل والجنة؟!.

قال: قلت: بأبي وأمي، فخذ مفاتيح الدنيا، والخلد فيها، ثم الجنة.

قال عليه السلام: لا والله، يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي، والجنة.

قال الأرناؤوط: حديث صحيح، في استغفاره لأهل البقيع واختياره لقاء ربه^(١).

قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات^(٢).

وأخرج عبد الرزاق (٢١١هـ) عن معمر بن راشد، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالرعب، وأعطيت جوامع الكلام، وأعطيت الخزائن، وخيرت بين أن أبقى، حتى أرى ما يفتح على أمتي، وبين التعجيل، فاخترت التعجيل»^(٣).

قلت: مرسلٌ إسناده صحيح على شرط الشيخين، فطاووس بن كيسان اليماني روى عن أكثر من خمسة عشر صحابياً، لكنّه لم يدرك النبي صلى الله عليه وآله.

(١) مسند أحمد (ت: الأرناؤوط) ٢٥: ٣٧٦، رقم: ١٥٩٩٧. الرسالة، بيروت.

(٢) مجمع الزوائد ٩: ٢٤، رقم: ١٤٢٤٧. مكتبة القدسي، القاهرة.

(٣) مصنف عبد الرزاق (ت: الأعظمي) ١١: ٩٩، رقم: ٢٠٠٣٤. المجلي العلمي، باكستان.

تخيير الله موسى بين الموت والحياة

أخرج الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) قال : حدثنا علي بن حمشاذ العدل، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا عمار بن أبي عمار، قال: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ ملك الموت كان يأتي الناس عياناً، فأتى موسى بن عمران فلطمه موسى ، ففقأ عينه، فخرج ملك الموت فقال: يا رب إنّ عبدك موسى فعل بي كذا وكذا ولولا كرامته عليك لشققت عليه».

فقال الله : «إئت عبدي موسى ، فخيّره ، بين أن يضع يده على متن ثور ، وله بكلّ شعرة وارتما كفه سنة ، وبين أن يموت الآن، فأتاه فخيره، فقال موسى: فما بعد ذلك؟! قال: الموت، قال: فالآن إذا، فقبض روحه ، فكان بعد ذلك يأتي الناس في خفية»^(١).

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

قلت : أصل الحديث لا إشكال فيه ، موافق للأصول الضرورية التي رواها السنّة والشيعّة ، إلّا فقاً عين ملك الموت صلوات الله عليه ؛ فهذا لا يكون من المؤمن العادي فضلاً عن الأنبياء عليهم السلام ، كونه خلاف كلّ الشرائع ؛ ضرورة حرمة إيذاء الآخرين بهذا النحو إلّا جهاداً أو قصاصاً ، وكلاهما مفقود في المقام .

وأيضاً فأبدان الملائكة ملكوتية محضة حين التمثّل البشري ، لا تعمل فيها قوانين الدنيا ، كما تعمل في الأبدان الملكوتية المقيدة بالذنيوتية كأبدان الأنبياء عليهم السلام ؛ فهذه تخرج مثلاً وتلك لا .

وكأنّ الزيادة في أصل الحديث ، من زيادات أبي هريرة الإسرائيلية ، أدرجها في الأخبار الصحيحة ؛ فإنّه كان مكثراً من رواية الإسرائيليات ؛ غير مبرراً من الإدراج ، بل قد اتهمه كبار الصحابة بذلك .

(١) مستدرک الحاكم ٢: ٦٣٢، رقم: ٤١٠٧. دار الكتب العلمية، بيروت.

مرسل الخراساني : الله ينسي المعصوم ساعة موته

أخرجه محمد بن الحسن الصفار (٢٩٠هـ) رضي الله تعالى عنه قال : حدثنا أحمد بن محمد (=بن عيسى الأشعري) عن إبراهيم بن أبي محمود (=الخراساني) قال : قلت الامام يعلم متى يموت؟! قال عليه السلام : «نعم».

فقلت : حين ما بعثه إليه يحيى بن خالد (=البرمكي) برطب وريحان مسمومين ، علم به؟! قال عليه السلام : «نعم».

قلت : فأكله ، وهو يعلم ؛ فيكون معيناً على نفسه؟!.

فقال عليه السلام : «لا يعلم قبل ذلك ؛ ليتقدم فيما يحتاج إليه ؛ فإذا جاء الوقت ، ألقى الله على قلبه النسيان ؛ ليقضى فيه الحكم»^(١).

قلت : ظاهر الإسناد الصحّح ، رجاله ثقات الملة ، وأجلاء الطائفة ، وابن أبي محمود وإن كان يروي عن الرضا عليه السلام ، لكنّه فيما نحن فيه ، معلّ بالإرسال .

يدلّ على الإرسال ما أخرجه الصفار نفسه قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن إبراهيم بن أبي محمود ، عن بعض أصحابنا قال : قلت للرّضا عليه السلام : الإمام يعلم إذا مات؟!.

قال عليه السلام : «نعم ، يعلم بالتعليم ، حتى يتقدم في الأمر».

قلت : علم أبو الحسن (=الكاظم عليه السلام) بالرطب والريحان المسمومين ، الذين بعثهما إليه يحيى بن خالد؟!.

قال عليه السلام : «نعم».

قلت : «فأكله ، وهو يعلم»؟!.

قال عليه السلام : «أنساه ؛ لينفذ فيه الحكم»^(١).

قلت : إسناده مبهم ببعض الأصحاب ، وهو ضعيف على مبنى المشهور ، صحيح على مبنى المحقق الحلّي .

وعلى أيّ حال ، لا يمكن التمسك بهذا الخبر للقول بالإنساء ، وأنّ الله تعالى ينسي الإمام ساعة موته ، للمعارض ، ومنافاة ما هو أقوى سنداً ودلالة وقرينة ..

فقد تقدّم في العوان السابق ما رواه الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : «إنّ الله عز وجل غضب على الشيعة ، فخيرني نفسي ، أو هم فوقيتهم والله بنفسي».

وهذا ؛ أي تخيير الإمام بين الموت والبقاء ، أو إحاطة المعصوم عليه السلام بساعة منيته بعلامة ؛ كصياح الأوز ، تشهد له الطرق الصحيحة الكثيرة ، علاوة على انجبارها بأقوال أصحابنا المشهورة .

أمّا الإنساء ، وأنّ الله تعالى ينسي الإمام عليه السلام ساعة موته ، فلم نظفر له على خبر متّصل صحيح الإسناد ، منزه عن العلة .

النص أنّ علم الرضا بموته معلق ليس محتوماً

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن علي ماجيلويه ، ومحمد بن موسى المتوكل ، وأحمد بن زياد بن جعفر الهمداني ، وأحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم ، والحسين بن إبراهيم بن تاتانه ، والحسين بن إبراهيم أحمد بن هشام المؤدب ، وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهم قالوا :

حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن أبي الصلت الهروي، قال: بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام إذ قال لي : « يا أبا الصلت غداً أدخل على هذا الفاجر ، فإنّ أنا خرجت وأنا مكشوف الرأس فتكلم أكلمك ، وإنّ أنا خرجت وأنا مغطى الرأس فلا تكلمني ».

قال أبو الصلت: فلما أصبحنا من الغد لبس ثيابه وجلس ، فجعل في محرابه ينتظر ، فبينما هو كذلك إذ دخل عليه غلام المأمون فقال له: أجب أمير المؤمنين ، فلبس نعله ورداءه وقام يمشي ، وأنا اتبعه حتى دخل المأمون ، وبين يديه طبق عليه عنب ، وأطباق فاكهة ، وبيده عنقود عنب قد أكل بعضه وبقي بعضه ، فلما أبصر بالرضا عليه السلام وثب إليه فعانقه ، وقبل ما بين عينيه ، وأجلسه معه ، ثم ناوله العنقود ، وقال: يا بن رسول الله ما رأيت عنباً أحسن من هذا.

فقال الرضا عليه السلام: «ربما كان عنباً حسناً يكون من الجنة»!! فقال له: كلّ منه. فقال له الرضا عليه السلام: «تعفيني منه»؟! فقال المأمون : لا بد من ذلك وما يمنعك منه ، لعلك تتهمنا بشيء ، فتناول العنقود ، فأكل منه ، ثم ناوله فأكل منه الرضا عليه السلام ثلاث حبات ، ثم رمى به وقام. فقال المأمون: إلى أين؟!.

فقال عليه السلام : «إلى حيث وجهتني» فخرج عليه السلام مغطى الرأس فلم أكلمه حتى دخل الدار...» والخبر طويل بقيته : حضور إمامنا الجواد عليه السلام موته وتغسيله وتكفينه ودفنه ، أخذنا منه موضع الحاجة ^(١).

قلت : إسناده حسن صحيح ، باتفاق أصحابنا ، دون أدنى كلام .

قلت : وقد أخرج الصدوق قال : حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني بن خلف الطاطري قال : حدثني هرثمة بن أعين وساق نحو ما تقدّم ، سوى أنّ هرثمة هو من تولى دفن الإمام وحفر قبره وما جرى من قضية الحوت بمحضر المأمون ^(٢).

لكن لا اعتبار بذلك ؛ لأنّ إسناده مهمل ، محمد بن خلف الطاطري مهمل لم تذكره كتب الرجال ، كما أنّ هرثمة نفسه ، مجهول الحال فيما جزم السيد الخوئي وغيره ، فلا ينهض لمعارضة صحيح الهروي رضي الله عنه .

ويمكن دعوى أنّ هرثمة شارك الهروي وغيره في دفن الإمام .

•

(١) هيون أخبار الرضا(ت: حسين الأعلمي) ٢: ٢٧٢ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

(٢) عيون أخبار الرضا(ت: حسين الأعلمي) ٢: ٢٧٥ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

تقريب الاستدلال بصحيح الهروي

قلتُ : الخبر ظاهر فصيح أنّ علم الرضا عليه السلام بساعة منيته المقدّسة على نحو الحتم معلق على علامة ؛ بالضبط كعلم النبيّ سليمان عليه السلام المعلق على وجود الخرنوبة في بيت المقدس ..

ففي صحيح الهروي فقرتان :

الفقرة الأولى : وهي قول الرضا عليه السلام لأبي الصلت رضي الله عنه : (يا أبا الصلت غداً أدخل على هذا الفاجر ، فإنّ أنا خرجت وأنا مكشوف الرأس فتكلّم أكلمك ، وإنّ أنا خرجت وأنا مغطى الرأس فلا تكلمني).

وهو صريحٌ فصيحٌ في التعليق ؛ فعلم الرضا صلوات الله عليه بمنيته ، قبل دخوله على المأمون لعنه الله كان معلقاً ليس محتوماً ، وعلامة التعليق تردد الرضا عليه السلام في خروجه عليه السلام من عند هذا الطاغية مغطى الرأس أو لا .

الفقرة الثانية : قوله عليه الصلاة والسلام : (ربما كان عبناً حسناً يكون من الجنة) وهذا المقطع لعمر الله تعالى ، غاية الفصاحة ومنتهى البلاغة ونهاية البراعة ؛ ففيه إشارة على التعليق ، لا يحسنها إلا المعصوم صلوات الله عليه ، بيانها ..

ظاهر التردد في قول المعصوم عليه السلام : (ربما...) شكٌ في كون عبب الجنة أفضل من عبب الدنيا ، وهذا باطل قطعاً ؛ ضرورة أفضليّة عبب الجنة على عبب الدنيا إجماعاً ونصّاً وضرورة ؛ فتعيّن التأويل والتقدير ، وهو :

لا تردد ولا تردد في أفضليّة عبب الجنة على عبب الدنيا ، وإنّما التردد في موتي غداً بالسّم ؛ فإنّك (ربما) سممتني ؛ فإذا فعلت ذلك (كان) ما سأكله غداً بعد موتي واستشهادي (عبناً حسناً يكون من الجنة) فاحفظ .

ونبّه أنّ هذا لا ينفي علم الرضا أنّ المأمون سيسمّه ، لكنه معلق على المشيئة .

الزبدة : علم المعصوم بمنيته ، حتماً وتعليلاً

الإمام من جهة يعلم متى يموت ، ومن أخرى لا يعلم ، ولا تنافي بينهما ؛ فالإمام كما أوضحنا يعلم ساعة موته علماً تعليلياً ؛ أي : مشروطاً بما يشاء الله من المحو والإثبات ، والتقديم والتأخير ، كما أنه مشروط باختياره فيما قضى الله تعالى ، ومردّد التخير إلى التعليل ؛ لتردده بين اختياريين : الموت أو الحياة .

أما العلم الحتمي بالموت ، فلا يعلمه الإمام إلا قبيل الموت بفترة قليلة ، بعلامة أو أمارة يضعها الله سبحانه وتعالى ، كما في خرنوبة النبي سليمان صلوات الله عليه ، وكما في تخير الإمام الرضا عليه السلام بين الموت والحياة ، وكما في رؤية الإمام المعصوم للنبي صلى الله عليه وآله يبشره بالموت .

وقد تقول : أو ليس العلم المعلق ، علم ؛ فالإقدام على الموت أو السم ، مع هذا العلم ، إلقاء للنفس في التهلكة؟! .

قلنا : كلا ؛ لأنّ إقدام المعصوم على الموت فيما نحن فيه ، تكليف شرعي ؛ ضرورة أنّه تخير من الله تعالى بين الموت والحياة ؛ للنصوص الكثيرة الماضية .

ولا ارتياب أنّ التخير تعليل ليس بحتم ؛ لتردد متعلّقه بين طرفين أو أكثر ؛ وكون المعصوم مخير بين الموت والحياة ، يعني أنّ قضاء الله سبحانه بموت المعصوم عليه السلام ، معلق على اختيار المعصوم نفسه ..

فإن اختار المعصوم عليه السلام الموت ، أمضى الله ما قدره في اللوح المحفوظ ، وإن أبى المعصوم الموت وأراد الحياة ، كما ثبت عن نبيّ الله موسى ، محي الله سبحانه ما في اللوح من تقدير الأجل الأوّل ، وأثبت أجلاً غيره .

علم المعصوم بمنايا شيعته

الأخبار عندنا في هذا قطعياً ، متواترة ..

فمن ذلك ما أخرجه الصفّار (٢٩٠هـ) رضي الله تعالى عنه قال : حدثنا الحسن بن علي بن فضال ، عن معاوية ، عن إسحق قال : كنت عند أبي الحسن عليه السلام ودخل عليه رجل فقال له أبو الحسن عليه السلام يا فلان ، إنك تموت إلى شهر قال : فأضمرت في نفسي كأنه يعلم آجال شيعته!!!.

قال عليه السلام : يا إسحق ، وما تنكرون من ذلك ، وقد كان رشيد الهجري مستضعفاً ، وكان يعلم علم المنايا والبلايا ؛ فالامام أولى بذلك..؛ يا إسحق تموت إلى سنتين ، ويشتت أهلك وولذك ، وعيالك وأهل بيتك ، ويفلسون إفلاساً شديداً^(١).

قلت : إسناده صحيح ، ومعاوية مردد بين ثلاثة : ابن وهب ، وابن عمّار ، وابن حكيم وهو الأظهر من الطبقة ، وكلّهم ثقات وجهاء أجلاء ، وفي بعض المصادر التصريح أنّه ابن وهب ، وهو مع إمكانه مستبعد .

وهو صريحٌ في علم المعصوم بآجال بعض شيعته علماً حتمياً بتعليم من الله سبحانه ، وليُعلم أنّ قضية تشتت عيال إسحاق ، وإفلاسهم إفلاساً شديداً ، عقوبة تكوينية لما أضمر في قلبه من الشك في مقام المعصوم ، وتباً لما فعل رحمه الله .

وروى الصفّار رضي الله عنه قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي أسامة (=زيد الشحام رضي الله عنه) قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا زيد كم أتى عليك من سنة؟! . قلت : جعت فذاك كذا سنة.

قال عليه السلام : «يا أبا أسامة ، جدّد عبادة ربك ، وأحدث توبة».

فبكيت ، فقال لي : ما يبكيك يا زيد؟! .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجه): ٢٨٥ . مطبعة الأحمدي، طهران.

قلت : نعتت إليّ نفسي .

قال : يا زيد أبشر ؛ فإنك من شيعتنا ، وأنت في الجنة^(١) .

قلت : إسناده صحيح .

أخرج الصفّار قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم ، عن ميسر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «يا ميسر ، لقد زيد في عمرك ، فأبّي شيء تعمل»؟! .

قال : كنت أجيراً ، وأنا غلام بخمسة دراهم ؛ فكنت أجريها على حالي^(٢) .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات أجلاء .

والأخبار في هذا كثيرة ، وهذا ممّا يعلمه المعصوم على نحو الحتم ، إمّا كلّ سنة ليلة القدر كما في النصوص القطعيّة ، وإمّا كلّ جمعة كما ثبت في الأخبار الصحيحة ، وإمّا في آن الخطاب إذا تقوّم به الدين وأمر الإمامة والعصمة ، وسيأتي التفصيل والبيان .

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه): ٢٨٤ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجه): ٢٨٤ . مطبعة الأحدي، طهران.

شبهة إقدام المعصوم على الهلكة!!

أشكل بعض الأغبياء أنّ إقدام المعصوم على الموت ، مع علمه اليقيني بساعة موته ووقت منيته ، إلقاءً للنفس في التهلكة ، وهي معصية عظيمة .

قلنا : عجيبٌ أمر الغباء إذا استفحل في ذات الغيبي ، ولعله عناد لا أكثر ؛ فجواب الشبهة في مقدمتين واضحتين ضرورتين :

المقدمة الأولى : المعصوم ، لا يفعل شيئاً إلاّ بأمر الله تعالى ورسوله ، وإلاّ لما كان معصوماً ، وهذا معلوم ضرورة ، والنصوص فيه متواترة ؛ منها ما مرّ في الأخبار القطعية كونه عليه السلام مخيراً بين الموت والحياة ، والتخير تكليف وامثالٌ إجماعاً وقولاً واحداً .

الثاني : الإقدام على الموت ، إذا كان في سبيل الله ، ليس إلقاءً للنفس في التهلكة ، بل هو دين وشريعة ، إجماعاً ونصاً وضرورة ؛ حسبنا قوله تعالى : ﴿ وَكَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ ﴾^(١) .

الزبدة : إقدام المعصوم على الموت في سبيل الله ، دين وشريعة .

ثمّ يدلّ على المقدمة الأولى ، في الأخبار الثابتة ، صحيح عبد الملك بن أعين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « أنزل الله تعالى النصر على الحسين عليه السلام ، حتى كان ما بين السماء والأرض ، ثمّ خيّرَ النصرَ ، أو لقاء الله ؛ فاختر لقاء الله تعالى »

وهو صريحٌ أنّ استشهاد الحسين عليه السلام ، تكليفٌ إلهي وشرعٌ ربّانيّ ، لكن على نحو التخيير ، لا التعيين ، ولا ارتياب أنّه مقدّم واردٌ على أدلّة حفظ النفس .

ويدلّ عليها صحيح الحسن بن الجهم ، عن الرضا عليه السلام قال في إقدام أمير المؤمنين عليه السلام : « خيّرَ في تلك الليلة ؛ لتمضي مقادير الله عز وجل » .

قال الفيض : أراد السائل أنه عليه السلام كان عارفاً بقتله في ذلك الوقت وقد قال عند سماع صياح الإوز : «صوائح تتبعها نوائح» وقد منعتهم أم كلثوم عن الخروج من الدار في ذلك الوقت ، وهذه دلائل واضحة على أنه لم يشك في قتله .

حينئذ ومع ذلك فأبى إلا الخروج ، وهذا مما لم يجوز تعرضه في الشرع ، أو لم يحل ، أو لم يحسن على اختلاف النسخ ؛ فقد قال الله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ . فأجابه عليه السلام بأنه عليه السلام ، خيرٌ في تلك الليلة ، أي : جعل إليه الأمر بأن يختار لقاء الله ، أو البقاء في الدنيا ، فاختار لقاء الله ، فسقط عنه وجوب حفظ النفس^(١) . اهـ .

ويدل عليه خبر بعض الأصحاب ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : «إن الله عز وجل غضب على الشيعة ، فخيرني نفسي ، أو هم ، فوقيتهم والله بنفسي» .

قال الفيض رضي الله عنه (١٠٩١هـ) : (فخيرني نفسي أو هم) يعني خيرني الله في أن أوطن نفسي على الهلاك والموت ، أو أرضى بإهلاك الشيعة ؛ فوقيتهم والله بنفسي ، فاخترت هلاكي دونهم^(٢) .

قال المازندراني (١٠٨١هـ) رضي الله عنه : (إن الله عز وجل غضب على الشيعة) لكثرة مخالفتهم وقلة إطاعتهم ، وعدم نصرتهم للإمام الحق . قوله : (فخيرني نفسي أو هم) أي فخيرني بين إرادة موتي أو موتهم ؛ ليتحقق المفارقة بيني وبينهم ، فوقيتهم والله بنفسي ؛ للشوق إلى لقاء الله تعالى ؛ وللشفقة عليهم ؛ ولثلاثا ينقطع نسل الشيعة بالمرّة ؛ ولتوقع أن يخرج من أصلابهم رجال صالحون^(٣) .

وقال المجلسي (١١١١هـ) رضي الله عنه : (غضب على الشيعة) إمّا لتركهم التقية ، فانتشر أمر إمامته عليه السلام ؛ فتردد الأمر بين أن يقتل الرشيد شيعته وتبعمه ، أو يحبسه

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٦٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الوافي (ت: ضياء الحسيني) ٣ : ٥٩٩ . مكتبة الإمام علي ، أصفهان .

(٣) شرح أصول الكافي (ت: علي عاشور) ٦ : ٤١ . إحياء التراث العربي ، بيروت .

عليه السلام ويقتله ، فدعا عليه السلام لشيئته واختار البلاء لنفسه ، أو لعدم انقيادهم لإمامهم وخلوصهم في متابعتهم وإطاعة أو أمره ، فخير الله تعالى بين أن يخرج على الرشيد فتقتل شيئته إذا يخرج ، فينتهي الأمر إلى ما انتهى إليه .

وقيل : خيرني الله بين أن أوطن نفسي على الهلاك والموت ، أو أرضى بإهلاك الشيعة (فوقيتهم والله بنفسي) يعني فاخترت هلاكي دونهم ، وقيل : أي فخيرني بين إرادة موتي أو موتهم لتحقق المفارقة بيني وبينهم ، فاخترت لقاء الله شفقة عليهم^(١).

(١) مرآة العقول (ت: هاشم الرسولي) ٣: ١٢٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

الفصل السابع

المحتوم المطلق والإضافي

النص أن علم المعصوم : حتمي ومعلق!!

ذكرنا أن العلم المفاض من الله على المعصوم ، على قسمين : حتمي ومعلق ..

الأول : العلم المعلق.

مضى بيانه في فصلٍ مستقل ، وقد يسمّى موقوفاً ؛ لتوقفه على مشيئة الله سبحانه وتعالى ؛ أي على المحو والإثبات والتقديم والتأخير ؛ فإن شاء الله تعالى محاه وأثبت غيره ، وإن شاء سبحانه أمضاه وأبقاه ، على ما تقضي به رحمته وحكمته ..

يدلّ عليه في الأخبار القطعية الماضية ، ما رواه الحميري في قرب الإسناد عن البزنطي، عن الرضا عليه السلام قال : « قال أبو عبد الله ، وأبو جعفر ، وعلي بن الحسين ، والحسين بن علي ، والحسن بن علي ، وعلي بن أبي طالب عليهم السلام : « والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ » (١) .

قلت : إسناده صحيح ، رواه جهابذة الفرقة وأساطين الملة .

قوله عليه السلام : (لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة) صريحٌ جداً أن كثيراً من علم المعصوم معلق على المحو والإثبات ، ليس بحتم .

ومن النصوص المعتبرة التي تجمع بين القسمين ، ما رواه الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الله عز وجل أخبر محمداً صلى الله عليه وآله بما كان ، منذ كانت الدنيا ، وبما يكون إلى انقضاء الدنيا ، وأخبره بالمحتوم من ذلك ، واستثنى عليه فيما سواه » (٢) .

قلت : معتبر بالنصوص القطعية ، وهذا الإسناد مبهم كما هو واضح . جعفر هو الأشعري وهو ثقة على الأظهر الأقوى . يونس لم أعرفه تعييناً .

(١) قرب الإسناد : ٣٥٤ . مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٤٨ . باب البداء . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

القسم الثاني : العلم بالمحتوم.

وهو: علم المعصوم بقضاء الله الممضي، الذي لا بدّ للعباد منه، ممّا فيه قوام الأديان والشرائع، لا يطرأ عليه البداء، وإلاّ لزم تكذيب الكتب والرسالات، وانتفاء الغرض.

يدلّ عليه ممّا مضى من الأخبار القطعيّة، صحيح الفضيل بن يسار رضي الله عنه، عن الباقر عليه السلام قال: «فعلم عند الله مخزون، لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علمه ملائكته ورسله، فما علمه ملائكته ورسله، فإنّه سيكون، لا يكذب نفسه».

قوله عليه السلام: (سيكون) أي حتمّ، لا بدّ من تحقّقه، وإلاّ لزم التكذيب.

وسياقي صحيح سدير، عن الباقر قال: «فأمّا العلم الذي يقدره الله عز وجل، فيقضيه، ويمضيه، فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ إلينا».

قوله عليه السلام: (يمضيه) أي يوجد حتماً، ويحقّقه خارجاً؛ فيما علم ضرورة.

ومضى أيضاً ما رواه الكليني عليه السلام بإسناد صحيح، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله علمين علم مكنون مخزون، لا يعلمه إلاّ هو، من ذلك يكون البداء، وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه، فنحن نعلمه»^(١).

والأخبار فيه قطعيّة ضروريّة متواترة، منها ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن قول الله عز وجل: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾؟!.

قال عليه السلام: «هما أجلان: أجل محتوم، وأجل موقوف»^(٢).

قلت: معناه ضروريّ، وهذا الإسناد صحيح بإجماع.

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٤٧. باب البداء. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٤٧. باب البداء. دار الكتب الإسلامية، طهران.

نصوصٌ قطعيةٌ في معنى المحتوم

المحتوم: ما لا يردّ ولا يبدّل من قضاء الله سبحانه .

ولك أن تقول هو : قضاء الله النافذ الممضي ، الذي لا يطرأ عليه البداء .

يدلّ على هذا في الأخبار القطعية ، ما أخرجه أحمد بن محمد البرقي في المحاسن ، عن أبيه ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن الرضا عليه السلام قال : « لا يكون إلّا ما شاء الله ، وأراد ، وقدر ، وقضى...، إذا قضاها أمضاه ؛ فذلك الذي لا مردّ له^(١) . وإسناده صحيح .

كما يدلّ عليه ممّا مضى ، ما أخرجه الصدوق بإسناده عن هشام بن سالم ، عن أبي بصير ، ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال في حديث طويل : « فلما جاءت إبراهيم البشارة بإسحاق ، وذهب عنه الروح ، أقبل يناجي ربه في قوم لوط ، ويسأله كشف البلاء عنهم ، فقال الله تعالى: يا إبراهيم ، أعرض عن هذا ؛ إنّه جاء أمر بك ، وإثم آتيهم عذابي بعد طلوع الشمس ، من يوم محتوم ، غير مردود^(٢) .

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

ومن طريق آخر للصدوق رضي الله تعالى عنه قال : أبي رحمه الله قال : حدثنا سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبان ، عن أبي بصير وغيره ، عن أحدهما عليهما السلام : « فقال جبرئيل : يا إبراهيم ، أعرض عن هذا ، إنّه جاء أمر ربك ، وإثم أتاهاهم عذابٌ غير مردود^(٣) .

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

(١) المحاسن (ت: جلال الحسيني) : ١ : ٢٤٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) علل الشرائع (ت: بحر العلوم) : ٢ : ٥٤٨ . منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف .

(٣) علل الشرائع (ت: بحر العلوم) : ٢ : ٥٥٢ . منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف .

وروى الكليني ، في الأخبار المتواترة القطعية ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن أحمد بن الحسن بن علي ، عن عمرو بن سعيد ، عن مصدق بن صدقة ، عن عمار بن موسى الساباطي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، فقل : ... واجعل فيما نقضي وتقدر ، من الأمر المحتوم ، فيما يفرق من الأمر الحكيم ، في ليلة القدر ، من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل...»^(١).

قلت : إسناده موثق صحيح .

وأخرج القمي (٣٢٩هـ) في تفسيره قال : حدثني أبي ، عن النضر بن سويد ، عن الحلبي ، عن عبد الله عن مسكان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «الأجل المقضي هو : المحتوم الذي قضاه الله وحتمه . والمسّمى هو : الذي فيه البداء ؛ يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن عيسى ، عن أبي عبد الله المؤمن ، عن إسحاق بن عمار قال : سألته عليه السلام : قلت فما معنى يمضيه في ثلاث وعشرين؟! .

قال عليه السلام : «إنّه يفرقه في ليلة إحدى وعشرين ، ويكون له فيه البداء ؛ فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين أمضاه ؛ فيكون من المحتوم ، الذي لا يبدو له فيه تبارك وتعالى»^(٣).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد رجاله ثقات إلا المؤمن ، وثقه ابن قولويه في الكامل .

الأخبار في معنى المحتوم ، وآته الممضى النافذ الذي لا يطرأ عليه البداء ، قطعية الصدور ، كثيرة الطرق جداً ، متواترة لفظاً أو معنى ، بل المعنى من الضروريات .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٤ : ١٥٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) تفسير القمي (ت: طيّب الجزائري) ١ : ١٩٤ . مؤسسة دار الكتاب ، قم إيران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ٤ : ١٥٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

النّص أنّ المحتوم هو : الذي لا استثناء فيه

مضى واضحاً إن شاء الله تفسير الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

بيّنه ما رواه الكليني بإسناد معتبر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنّ الله عز وجل أخبر محمداً صلى الله عليه وآله بما كان ، منذ كانت الدنيا ، وبما يكون إلى انقضاء الدنيا ، وأخبره بالمحتوم من ذلك ، واستثنى عليه فيما سواه»^(١) .

وهو ظاهرٌ أنّ بعض علم المعصوم ، وهو العلم المعلق ، مستثنى غير محتوم الوقوع ؛ كونه عرضة للمحو الإثبات ، والتقديم والتأخير ..

أما المضمي المحتوم من علم المعصوم عليه السلام ؛ فلا استثناء فيه ، لا يطرأ عليه البداء ، غير معلق على المشيئة ..؛ أحاط به المعصوم بأمر الله تعالى ، وسيأتي النّص أنّ كلّ ما فيه قوام الدين ، وتتطلبه إمامة المعصومين ، في انقياد الناس لربّ العالمين ، محتوم لا محالة ، وإلّا لزم تكذيب الرسل والمعصومين .

يدلّ عليه في الأخبار القطعية الكثيرة ، ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن زرارة قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : «ألا أدلّك على شيء ، لم يستثن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؛ الدعاء يرّد القضاء، وقد أبرم إبراهيم ، وضّم أصابعه»^(٢) .

قلت : إسناد حسن صحيح بإجماع .

قوله عليه السلام : (لم يستثن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله) لكونه محتوماً لا يرد ولا يبدل ، ولا يطرأ عليه البداء ، وهو أنّ : (الدعاء يرّد القضاء) .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٤٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ٤٧٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

وفي هذا أخرج الصدوق رضي الله عنه (٣٨١هـ) في ثواب الأعمال قال : حدثني محمد بن موسى بن المتوكل قال حدثني محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن حسان، عن إسماعيل بن مهران، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «من قرء سورة العنكبوت والروم ليلة ثلاث وعشرين، في شهر رمضان : فهو والله يا أبا محمد، من أهل الجنة، لا أستثني فيه أبداً، ولا أخاف أن يكتب الله عليّ في يميني إثماً، وإن لهاتين السورتين من الله مكاناً»^(١).

قلت : معتبر في الجملة، وهذا الإسناد ضعيف بالحسن البطائني وأبيه، لكن قد يقال أنّها كانا على العدالة، قبل انحرافهما، وأياً كان فقد سقناه شاهداً لأصل المحتوم غير المستثنى بالمشيئة.

يشهد لهذا الأصل أيضاً ما أخرجه الصدوق رضي الله عنه قال : حدثني محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثني محمد بن جعفر، قال : حدثني محمد بن موسى بن عمران، عن الحسين بن يزيد، عن سيف بن عميرة، عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما يصنع الله بالحاج؟!.

قال عليه السلام : «مغفور -والله- لهم، لا أستثني فيه»^(٢).

قلت : إسناده صحيح، رجاله ثقات، ومحمد بن جعفر الأسدي ثقة عين.

قوله عليه السلام في الحاج : (مغفور -والله- لهم، لا أستثني فيه) لكونه محتوماً لا يطرأ عليه البداء؛ فكلّ من حجّ بيت الله سبحانه من المسلمين، فهو من المغفور لهم حتماً، كلّ حسب درجته، إلّا الجاحد ومنكر الضروري؛ كالناصبي والخارجي المارق من الدين كما يمرق السهم من الرميّة؛ فهؤلاء خارجون تخصّصاً بنصّ النبيّ المتواتر.

(١) ثواب الأعمال (تقديم محمد الخرسان): ١٠٩. مطبعة أمير، قم.

(٢) ثواب الأعمال (تقديم محمد الخرسان): ٥٠. مطبعة أمير، قم.

صحيح ابن رثاب، المحتوم: الممضى من القضاء المبرم

أخرج الكليني رضي الله تعالى عنه عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن علي بن رثاب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن جماعة من بني أمية في إمارة عثمان، اجتمعوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم جمعة، وهم يريدون أن يزوجوا رجلاً منهم، وأمير المؤمنين عليه السلام قريب منهم، فقال بعضهم لبعض: هل لكم أن نخجل علينا الساعة..؟ نسأله أن يخطب بنا وتكلم؛ فإنه يخجل ويعيا بالكلام، فأقبلوا إليه فقالوا: يا أبا الحسن، إننا نريد أن تزوج فلاناً فلانة، ونحن نريد أن نخطب بنا. فقال عليه السلام: «هل تنتظرون أحداً». فقالوا: لا.

قال الصادق عليه السلام: «فو الله ما لبث حتى قال الحمد لله المختص بالتوحيد المتقدم بالوعيد الفعال لما يريد...، أما بعد؛ فإن الله أبرم الأمور، وأمضاها على مقاديرها، فهي غير متناهية عن مجاريها، دون بلوغ غاياتها، فيما قدر وقضى من ذلك، وقد كان فيما قدر وقضى، من أمره المحتوم، وقضاياه المبرمة، ما قد تشعبت به الأخلاف، وجرت به الأسباب، وقضى من تناهي القضايا بنا وبكم، إلى حضور هذا المجلس»^(١).

قلت: إسناده صحيح بإجماع، رواه أساطين الطائفة وعلماء الملة.

والحديث صريحٌ فصيحٌ أنّ المحتوم، هو الممضى. ومعنى الممضى: قضاء الله الذي لا يطرأ عليه البداء. وهو النافذ؛ أي: المتحقق في الخارج، الذي لا يرد ولا يبدل.

والمبرم من الإبرام، وهو الإحكام، وضده النقص. قالت العرب: نقضت البيت والحبل والعهد والعقد، إذا هدمته وأعدمته وفسخته. والعرب تقول أيضاً: أبرمتُ الحبل وبناء البيت والعقد: أي أحكمته بالقواعد والأصول.

لكن هل كل ما كان ممضى من القضاء المبرم، محتوماً لا يطرأ عليه البداء، سيأتك التفصيل والبيان؛ فإنما عقدنا هذا الفصل أنّ المحتوم في مرتبتين مطلق وإضافي..

التص أن القضاء المبرم : هو القضاء النازل

أخرج الكليني عن أبي علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن بسطام الزيات ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنّ الدعاء يرد القضاء ، وقد نزل من السماء ، وقد أبرم إبراماً»^(١).

قلت : إسناده صحيح بإجماع .

وأخرج الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : كان علي بن الحسين عليه السلام يقول : «الدعاء يدفع البلاء النازل وما لم ينزل»^(٢).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد صحيح ، على الأقوى من وثاقة سهل الأدمي .

نتساءل : فهل القضاء بقيد كونه نازلاً من السماء ، محتوم أم معلق؟! .

قلنا : عقدنا هذا الفصل لبيان هذا ، وهذا هو المحتوم الإضافي ؛ فثمة جهتان :

الأولى : نزول العذاب محتوم .

نفس نزول العذاب محتوم ، لا ينبغي الريب في ذلك ؛ لتحقق نزوله من السماء ؛ فلو لم يكن محتوماً ، لا يكون نازلاً البتة ؛ ضرورة أنّ المحتوم ، هو : الممضى النافذ ، المتحقق في الواقع العيني الخارجي ، والعذاب النازل كذلك .

الثانية : التعذيب به .

وهذا معلق لا يكون محتوماً إلاّ بإمضاء ثان ، وإذن آخر غير الأوّل ، وقد مضى الدليل القطعي في نزول العذاب الحتمي على قوم يونس عليه السلام ؛ إذ لا شبهة أنّ نزوله عليهم حتمي لتحقّقه الخارجي ؛ وفي الأخبار القطعية : (أظلمهم العذاب) حتّى ظنّ يونس أنّ الله تعالى معذبهم به لا محالة ؛ لكن خفي عليه أنّ الله رفعه عنهم برحمته ، كما أوضحنا سابقاً .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ٤٧٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ٤٧٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

يشهد لهذا في الأخبار القطعية ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن أبي ولاد ، قال : قال أبو الحسن موسى عليه السلام : « ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن ، فيلهمه الله عز و جل الدعاء ، إلاّ كان كَشْفُ ذلك البلاء وشيكاً ، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن ، فيمسك عن الدعاء ، إلاّ كان ذلك البلاء طويلاً ؛ فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله عز و جل »^(١).

قلت : إسناده صحيح بإجماع أساطين النقد، ولا عبرة بغيرهم .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من تقدم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء ، و قالت الملائكة صوت معروف ، ولم يحجب عن السماء ، ومن لم يتقدم في الدعاء ، لم يستجب له إذا نزل به البلاء ، و قالت الملائكة : إنّ ذا الصوت لا نعرفه »^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني أيضاً عن العدة عن البرقي عن أبيه ، عن عبيد الله بن يحيى ، عن رجل ، عن عبد الحميد بن غواص الطائي ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « كان جدي يقول : تقدموا في الدعاء ؛ فإن العبد إذا كان دعاءً فنزل به البلاء فدعا قيل صوت معروف ، وإذا لم يكن دعاءً فنزل به بلاء فدعا قيل أين كنت قبل اليوم »^(٣).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد مبهم .

قول أبي الحسن عليه السلام : (ما من بلاء ينزل) ظاهرٌ أنّ مجرد النزول نافذٌ محتومٌ ؛ لتحقق النزول في الخارج والعيان ، فهذا محتوم من دون أدنى شبهة ، لكن التعذيب به معلق على عدم الدعاء ، مرفوعٌ معه .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٤٧٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٤٧٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٤٧٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

هذا هو ما أستخدم عليه القاصر : المحتوم الإضافي ، قبال المحتوم المطلق ، والحق فإنها صُنِّفَتْ كُلُّ هذا الكتاب ؛ لبيان هذا العويص وما كان على منواله .

ومن ثمراته العظيمة في باب العقيدة ، ما مضى في عويص قضية النبي يونس مع قومه صلوات الله عليه ؛ إذ يمتنع القول بعصمته إلا على القول بالمحتوم الإضافي ، كما بيّنا ونبين في الفصل السابق وفي هذا الفصل بتفصيل آت .

الزبدة : القضاء المبرم هو : القضاء الممضى النافذ المحتوم ، لكنه من قسم المحتوم الإضافي ، لا المطلق .

فسيأتيك أنّ المحتوم الإضافي على أربعة أنواع : فهو بالإضافة إلى ذاته محتوم نافذ ممضى ؛ لتحققه في الخارج ، لكنّه بالإضافة إلى خصوصياته التي قد يطرأ عليها البداء ، على أربعة أنواع:

النوع الأوّل : المحتوم المعلق على التقديم والتأخير .

النوع الثاني : المحتوم المعلق على السعة والضيق .

النوع الثالث : المحتوم المعلق على الشدة والضعف .

النوع الرابع : المحتوم المعلق على النسخ التشريعي أو التكويني .

وبإيجاز ، فالمحتوم الإضافي هو : النافذ الممضى المتحقق في الخارج والعيان ، لكنّه بالنظر لخصوصياته يحتاج إلى إمضاء ثاني وإذن آخر غير الأوّل ، وسيأتي التفصيل .

صحيح سدير في معنى المحتوم

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رثاب، عن سدير الصيرفي قال : سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾؟! .

قال عليه السلام : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بَعْلَمَهُ ، عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالِ كَانٍ قَبْلَهُ ؛ فَابْتَدَعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُنَّ سَمَاوَاتٌ وَلَا أَرْضُونَ ، أَمَا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ ﴾؟! .

فقال حمران : رأيت قوله جل ذكره : ﴿ عَالَمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾؟! .

فقال أبو جعفر عليه السلام : ﴿ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رُسُولٍ ﴾ وكان والله محمد ممن ارتضاه ، وأما قوله : ﴿ عَالَمِ الْغَيْبِ ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، عَالِمٌ بِمَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ ، فَمَا يَقْدَرُ مِنْ شَيْءٍ وَيَقْضِيهِ ، فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ ، وَقَبْلَ أَنْ يَفْضِيَهُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَذَلِكَ يَا حَمْرَانَ عِلْمٌ مَوْقُوفٌ عِنْدَهُ ، إِلَيْهِ فِيهِ الْمَشِيئَةُ ، فِيمَضِيهِ إِذَا أَرَادَ ، وَيَبْدُو لَهُ فِيهِ فَلَا يَمْضِيهِ .

فأما العلم الذي يقدره الله عز وجل فيقضيه ويمضيه ، فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إلينا^(١) .

وأخرجه الصفار (٢٩٠هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب به مثله^(٢) .

(١) في بعض المصادر : (فيما) وفي أخرى ما أثبتناه ، وكلا الاحتمالين لا يضران في أصل المعنى ، بيد أن ما أثبتناه أفصح .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٥٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) بصائر الدرجات (ت: حسن باغي) : ١٣٣ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

قلت : إسناداهما صحيح ، رجالهما ثقات ، وابن رثاب الكوفي ، ثقة جليل ، عظيم المنزلة ، وسدير وإن لم يرد فيه توثيق صريح إلا أنه عظيم المنزلة^(١) .

في قول أبي جعفر الباقر صلوات الله عليه فقرتان :

الفقرة الأولى : «علمٌ موقوف عنده ، إليه فيه المشيئة ، فيمضيه إذا أراد ، ويبدو له فيه فلا يمضيه» ومعنى المشيئة ههنا : البدء ، والمحو والإثبات ، والتقديم والتأخير ، والتغيير والتبديل ؛ ومنه نسخ التشريع وهو معروف ، ونسخ التكوين ؛ كتغيير الآجال والأرزاق .

والفقرة الثانية : «فأما العلم الذي يقدره الله عز وجل ، فيقضيه ، ويمضيه ، فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إلينا»^(٢) .

قلت : وقد أجمع العلماء ، دون خلاف أعلمه ، بل هو معلوم ضرورة ، أن معنى يمضيه : يحتّمه ويوجده خارجاً ، لا يردّ ولا يبدّل ؛ فالقضاء الممضى هو : المحتوم المفروغ عنه ، الذي لا يطرأ عليه البدء ، والمحو والإثبات ، والتغيير والتبديل ، والتقديم والتأخير ، وصحيح حران صريحٌ في ذلك .

وفي صحيح سدير إشكال عويص ، هاكه لترى ..

(١) روى الكشي عن علي بن محمد القتيبي ، عن الفضل بن شاذان ، عن ابن أبي عمير ، عن بكر بن محمد الأزدي ، عن زيد الشحام أنه كان يطوف وكفه في كفّ الصادق عليه السلام فقال دموعه تجري على خديه : يا شحام ما رأيت ما صنع ربي إليّ ؛ ثم بكى ودعا ثم قال : يا شحام إني طلبت إلى إلهي في سدير وعبد السلام بن عبد الرحمن وكانا في السجن فوهبها لي وخطى سبيلها . قلت : إسناده معتبر معتمد .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٥٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

إشكال عويص في صحيح سدير !!

في قوله عليه السلام : «فأما العلم الذي يقدره الله عز وجل ، فيقضيه ، ويمضيه ، فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إلينا» إشكال عويص ، حاصله : إن هذه الفقرة صريحة أن كل علم المعصوم مضى ؛ أي : محتوم لا يرد ولا يبدل ، لا يطرأ عليه البداء والمحو والإثبات .

وهذا ، فيما أتضح ، يناقض تماماً قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ناهيك عن الأخبار القطعية ؛ كصحيح البنزطي ، عن الرضا عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام : «والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة ، وهي : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ...﴾ .

وكذا صحيح سماعه ووهيب بن حفص ، كلاهما ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إن لله علمين علم مكنون مخزون ، لا يعلمه إلا هو ، من ذلك يكون البداء ، وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه ، فنحن نعلمه»^(١).

مجموع هذا الأخبار القطعية الكثيرة ، صريح جداً أن كثيراً من علم المعصوم في معرض البداء والمشيئة والمحو والإثبات !!

قلنا : لا تناقض في البين ؛ فسيأتي مفصلاً أن علم المعصوم الدائر على ما فيه قوام الدين ، وإمامة المعصومين ، محتوم لا يطرأ عليه البداء ، وإلا لزم انتفاء الغرض وتكذيب الرسالات والمرسلين ، وهو المقصود من صحيح سدير ؛ جمعاً بين الأخبار ، وإنها يطرأ البداء على ما عدا ذلك من علم المعصوم ، كوقت الفرج ووقت العذاب ونحوهما ؛ فهذا لا يعلمه على نحو الحتم سوى الله تعالى ، وسيأتي مزيد بيان .

قلت : إننا صنفنا هذا الفصل لبيان هذا العويص وأمثاله .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٤٧ . باب البداء . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

مناقشة المازندراني رضي الله عنه

قال رضي الله عنه (١٠٨١هـ): قوله عليه السلام: (موقوف عنده) لأن ذلك الشيء في محل البداء والله (فيه المشيئة فيمضيه إذا أراد أمضاه (ولا يمضيه) إذا أراد عدم إمضائه ، وهذا علم بالغيب مختص به ، وأما الذي قدره وقضاه وأمضاه ، فهو الذي أظهره للملائكة والأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وبالجملة العلم قسماً :

القسم الأول : علم موقوف.

وهو : العلم بالأشياء قبل إمضائها ، في حال المشيئة والإرادة والتقدير والقضاء ؛ فإتيا في هذه المراتب في محل البداء ، فإذا تعلق بهذا الإمضاء بعد القضاء ، خرجت عن حدّ البداء ، ودخلت في الأعيان.

القسم الثاني : وعلم مبدول.

وهو : العلم بالأشياء بعد تعلق الإمضاء^(١) . اهـ كلامه رضي الله عنه.

قلت : كلامه الشريف تام ، إلا الإطلاق في قوله طيب الله ثراه في العلم المبدول : (هو : العلم بالأشياء بعد تعلق الإمضاء) ففيه الإشكال الذي مضى في العنوان السابق ..

• فيرتب على علم المعصوم بالأشياء بعد تعلق الإمضاء ، صيرورة علم المعصوم محتوماً محضاً ، لا يطرأ عليه البداء ، وهذا فيما اتضح ، يبطله قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ..

ناهيك عن الأخبار المتواترة المنتشرة في البحوث الماضية ، الصريحة أن الأصل في علم المعصوم التعليل على الإذن والإمضاء ، لا أنه محتوم محض مطلقاً . ولا يخرج من هذا العويص إلا ما قلناه ، وكذا كون المحتوم : مطلق وإضافي ، إجمالي وتفسيري فيها سترى .

(١) شرح الكافي (ت: علي عاشور) . إحياء التراث العربي ، بيروت.

صحيح حمران وعويصة طرق البدء على المحتوم

روى الكليني رضي الله عنه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن الفضيل وزرارة ومحمد بن مسلم ، عن حمران أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ﴾؟! .

قال عليه السلام : «نعم ليلة القدر...، يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة ، إلى مثلها من قابل ، خير وشر ، وطاعة ومعصية ، ومولود وأجل أو رزق ؛ فما قدر في تلك السنة وقضي ، فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة» .

قال : قلت : ليلة القدر خير من ألف شهر أي شيء عنى بذلك؟! .

فقال عليه السلام : «العمل الصالح فيها ، من الصلاة والزكاة وأنواع الخير ، خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ؛ ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا ، ولكن الله يضاعف لهم الحسنات بحبنا» (١) .

قلت : إسناده صحيح .

في قوله عليه السلام : (فما قدر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة) إشكال اعتاص على كثير من العلماء!! .

إذ كيف يكون محتوماً مضمي ؛ أي محققاً مثبتاً مخلوقاً موجوداً ، لا محو فيه ولا إثبات مع أنّ النص الشريف يقول : « فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة» أي محو وإثبات وتغيير وتبديل؟! .

قلنا : لا مخرج من هذا إلا ما ذكرناه إجمالاً من أنّ المحتوم على قسمين مطلق وإضافي ، ولقد آن أوان التفصيل والبيان ، هاك لترى ..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٤: ١٥٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

ما ذكره أصحابنا عليهم السلام في دفع الإشكال

قال الفيض (١٠٩١هـ) رضي الله عنه في كتاب الوافي: يشبه أن يكون هذا الحديث قد سقط منه شيء؛ لأنّ المحتوم ما ليس لله فيه المشيئة، ولا يلحقه البداء، وما لله فيه المشيئة ويلحقه البداء، فليس بمحتوم^(١). اهـ.

وتابعه البحراني (١١٨٦هـ) رضي الله عنه في كتاب الحدائق قال: قوله عليه السلام: «فهو المحتوم والله فيه المشيئة» لا يخلو من إشكال، ولعلّه سقط من البين شيء، لأنّ المحتوم لا تدخله المشيئة، كما دلت عليه الأخبار...، وما أطلع عليه ملائكته ورسله؛ فإنّه محتوم لا يداخله البداء، ولا ريب أنّ ما تكتبه الملائكة في هذه الليلة، وتنزل به إلى النبي صلى الله عليه وآله، والإمام القائم بعده، من أحوال تلك السنة، وما يتجدد فيها، إنّما هو من الثاني، فكيف تكون فيه المشيئة، كما دل عليه الخبر المذكور؟!^(٢). اهـ.

وقال المجلسي رضي الله تعالى عنه في المرأة: «ولله عز وجل فيه المشيئة» قال الفاضل الأسترآبادي: مقتضى الحديث السابق، ومقتضى الأحاديث الصريحة في أنّ الله تعالى لا يكذب ملائكته ورسله؛ إنّ الملائكة إنّما يكتبون ما يحتم في تلك الليلة، وهنا أمر آخر يعلمه الله لا يكتبونه، والله فيه المشيئة. والظاهر أنّه سقط هنا شيء، والأصل: وأمرٌ موقوفٌ والله عز وجل فيه المشيئة^(٣).

قلت: على تقدير سقوط شيء من الخبر، يكون قوله عليه السلام مقدراً، كالاتي: (فما قدر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم و) أمرٌ موقوف (لله عز وجل فيه المشيئة).

ويرد عليه أنّ افتراض السقوط ليس تاماً، فيما سنبيّن؛ فنمّة وجهان في تخريج الخبر، أحدهما التقدير، كالاتي..

(١) الوافي (ت: ضياء الحسيني) ١١: ٣٨٠. مكتبة الإمام علي، أصفهان.
 (٢) الحدائق (ت: محمد الأيرواني) ١٣: ٤٥٠. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
 (٣) مرآة العقول ١٦: ٣٨٣.

الوجه الأوّل : التقدير .

وهو تقدير كلام الإمام عليه السلام (فما قدر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة) على النحو الآتي :

(فما قدر في تلك السنة وقضي) وأمضي (فهو) القضاء (المحتوم و) إن كان موقوفاً معلّقاً فإنّ (الله عز وجل فيه المشيئة) وهو القضاء المعلق ، ولعلّ هذا التقدير هو مقصود الفيض ، وكذا غيره من العلماء ، سيما الاسترابادي ، في دعوى سقوط شيء من الخبر ، وإلّا فعجيبٌ منهم رضي الله عنهم دعوى السقوط مع إمكانية التقدير .

وأياً كان يرد على هذا الوجه ، وعلى ما قالوه من السقوط :

أولاً : الأصل في كلام المعصوم عليه السلام ، الواصل إلينا عن طريق الثقات ، عدم سقوط شيء ، وإلّا لما بقي حجرٌ على حجر .

ثانياً : يرد على التقدير ، الفصل بجملته غير اعتراضية ، وكلام المعصوم منزّه عن ذلك قطعاً ، ومن ذلك تقدير غسل الأرجل في : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ ...

ثالثاً : فيه ردُّ النصوص الكثيرة الظاهرة في طروّ البداء على ما أصطلح القاصر عليه : المحتوم الإضافي ، وهي أخبارٌ كثيرة ، تفيد القطع الإجمالي بهذا المعنى ؛ منها : ما مرّ في قصة لوط ويونس عليهما السلام ، وغير ذلك سيما أخبار ليلة القدر القطعية .

رابعاً : الخبر ظاهرٌ في المحتوم الإضافي ، بناءً على حجّة مفهوم الغاية ، وسيأتي أنّه حجّة في خصوص ما نحن فيه .

ف قوله عليه السلام : «ليلة القدر...» ، يقدر في ليلة القدر كلّ شيء يكون في تلك السنة ، إلى مثلها من قابل... ، فما قدر في تلك السنة وقضي ، فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة» أي في السنة التي بعدها وسيأتي الكلام .

فقوله عليه الصلاة والسلام : (فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة) بضميمة الأخبار الكثيرة التي في هذا الباب ، ظاهرٌ جداً أنّ البداء مما قد يعرض على بعض المحتوم ، ولا مانع منه على بعض الوجوه والأصول^(١) ، بل له كما ذكرنا ما يعضده في الثابتة الماضية ، والآتية ؛ كصحيح محمد بن مسلم الآتي وغيره .

ضرورة أنّه يمكن بيانه من دون أي مانع ؛ إذ المحتوم ، كما يستفاد من النصوص القطعية عن أهل البيت عليهم السلام ، علاوة على نصوص القرآن الكريم ، على قسمين : مطلق وإضافي ، وهذا هو الوجه الثاني الآتي وسيأتي التفصيل ..

(١) من هذه الأصول أنّ الله تعالى أن يخلف وعيده في عذاب العصاة ؛ فضلاً ورحمة ، وهذا عين الغنى والكمال ، لكن لا يخلف وعده ، وهو الثواب ؛ للزوم الكذب والظلم والنقص ، وهو محال نصّاً وإجماعاً .

صحيح الثمالي في المحتوم الإضافي

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) رضي الله تعالى عنه ، في علل الشرائع قال : حدثنا محمد بن موسى بن عمران المتوكل رحمه الله قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، الحسن بن محبوب ، عن مالك بن عطية (الأحمسي ثقة بإجماع) عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم لوط؟!.

فقال جبرائيل عليه السلام : «إن قوم لوط كانوا أهل قرية ، لا يتنظفون من الغائط ، ولا يتطهرون من الجنابة ، بخلاء أشحاء على الطعام ، وإن لوطاً لبث فيهم ثلاثين سنة ، وإنها كان نازلاً عليهم ، ولم يكن منهم ، ولا عشيرة له ولا قوم ، وإنه دعاهم إلى الله تعالى وإلى الايمان به واتباعه ونهاهم عن الفواحش ، وحثهم على طاعة الله فلم يجيبوه ، ولم يطيعوه ، وإن الله تعالى لما أراد عذابهم ، بعث اليهم رسلاً منذرين عذراً نذراً ، فلما عتوا عن أمره ، بعث اليهم ملائكة ليخرجوا من كان في قريتهم من المؤمنين ، فما وجدوا فيها غير بيت من المسلمين فأخرجهم منها ، وقالوا للوط : اسر بأهلك من هذه القرية الليلة بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحد وأمضوا حيث تؤمرون ، فلما انتصف الليل سار لوط ببناته ، وتولت امرأته مدبرة فانقطعت إلى قومها تسعى بلوط وتخبرهم إن لوطاً قد سار ببناته.

قال جبرائيل عليه السلام : «وإني نوديت من تلقاء العرش لما طلع الفجر: يا جبرئيل ، حَقَّ القولُ من الله -بحتم- عذاب قوم لوط ، فاهبط إلى قرية قوم لوط وما حوت ، فاقلعها من تحت سبع أرضين ، ثم اخرج بها إلى السماء ، فأوقفها حتى يأتيك أمر الجبار في قلبها ، ودع منها آية بيّنة من منزل لوط عبرة للسيارة ، فهبطت على أهل القرية الظالمين ، فضربت بجناحي على الأيمن على ما حوى عليه شرفيها ، وضربت بجناحي الأيسر على ما حوى عليه غربيها ، فاقتلعتها يا محمد من تحت سبع أرضين ، إلا منزل لوط؛ آية للسيارة ، ثم عرجت بها في خوافي جناحي ، حتى أوقفتها حيث يسمع أهل السماء صياح ديوكها ونباح

كلاهما، فلما طلعت الشمس ، نوديت من تلقاء العرش يا جبرئيل : اقلب القرية على القوم، فقلبتها عليهم ، حتى صار أسفلها أعلاها ، وامطر الله عليهم حجارة من سجيل ، مسومة عند ربك وما هي يا محمد من الظالمين من أمتك ببعيد. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل واين كانت قريتهم من البلاد؟! . فقال جبرئيل: كان موضع قريتهم في موضع بحيرة طبرية اليوم ، وهي في نواحي الشام. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أرأيتك حين قلبتها عليهم في أي موضع من الأرضين وقعت القرية وأهلها؟! . فقال: يا محمد وقعت فيما بين بحر الشام إلى مصر فصارت تلوأ في البحر»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

صحيح الثمالي صريحٌ أنّ بعض المحتوم الممضى ، المتحقق في الخارج ، معلق على البداء والمشيئة والإذن ، ففي النص محتومان :

المحتوم الأول : أصل عذاب قوم لوط.

هذا قضاءٌ محتوم لا يردّ ولا يبدّل ؛ لقوله عليه السلام : (نوديت من تلقاء العرش: يا جبرئيل ، حَقَّ القولُ من الله -بحتم- عذاب قوم لوط) لكنّه معلق على الوقت .

المحتوم الثاني : وقت العذاب .

أي وقت تعذيب قوم لوط به ، وهو : قول جبرائيل عليه السلام : (فأوقفها حتى يأتيك أمر الجبار في قلبها...، فلما طلعت الشمس ، نوديت من تلقاء العرش يا جبرئيل : اقلب القرية على القوم) وهو صريحٌ فيما قلناه من التعليق على طلوع الشمس .

بل ثمة ما هو أكبر من ذلك ، فلقد مرّ عليك في الفصل السابق ، ما أخرجه الصدوق بإسناده القويّ المعتبر ، عن عمرو ، عن الباقر عليه السلام : «وقال لهم لوط : يا رسل ربي ، فما أمركم ربي فيهم؟! . قالوا : أمرنا أن نأخذهم بالسحر .

(١) علل الشرائع(ت: بحر العلوم) ٢: ٥٥١ . منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف .

قال لوط : في إليكم حاجة؟! قالوا : وما حاجتك؟! قال تأخذونهم الساعة ؛ فيأتي أخاف أن يبدو لربي فيهم!! فقالوا : ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾^(١).

قلت : قول لوط عليه السلام : (تأخذونهم الساعة ؛ فيأتي أخاف أن يبدو لربي فيهم) صريحٌ في كون عذابهم معلقٌ على الإمضاء الثاني كما يكون محتوماً مطلقاً .

الزبدة :

قول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام : (يا جبرئيل ، حَقَّ الْقَوْلُ مِنْ اللَّهِ بِحَتْمٍ - عَذَابِ قَوْمِ لُوطٍ) محتومٌ معلقٌ على إمضاء ثانٍ ، وهو طلوع الشمس ، وهذا هو المحتوم الإضافي ؛ إنه المحتوم المعلق على بعض الخصوصيات كالوقت ؛ فإن تحققت خصوصياته أضححت محتوماً مطلقاً وإلا فلا .

إذا أتضح هذا ، ننبه شديداً للفرق الجوهرية بين قضيتي يونس ولوط عليهما السلام ؛ ففي قصة لوط أخبر الله تعالى أن كلاً من نزول العذاب والتعذيب به محتوم ؛ غاية الأمر أنه معلقٌ على الوقت ، وهو طلوع الشمس ، وكلاهما تحقق ، فهو محتوم مطلق .

وفي قصة يونس عليه السلام أخبر الله سبحانه يونس أن نزول العذاب محتوم ، وقد نزل فعلاً وتحقق خارجاً ، لكن لم يخبره سبحانه أنه سيعذبهم به حتماً ، بل قد رفع العذاب ؛ فالتفت للفرق الجوهرية بين المحتوم المطلق والإضافي .

فحقيقة المحتوم المطلق : تحقق الإمضائين ، كما في عذاب قوم لوط ، الأول : نزول العذاب ، والثاني مؤاخذتهم به في وقت بعينه ، فلولا تحقق الإمضاء الثاني لكان معلقاً .

وأما المحتوم الإضافي ، فهو : المحتوم الممضي بالإمضاء الأول ، معلقٌ على الإمضاء الثاني ، كما في قوم يونس ؛ فلقد تحتم نزول العذاب عليهم وتحقق خارجاً ، لكن لم يمض الله مؤاخذتهم به ، كونهم تابوا وأنابوا .

صحيح الحذاء في المحتوم الإضافي

روى الكليني (٣٢٩هـ) عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ..

وعدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد جميعاً ، عن الحسن بن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن أبي عبيدة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ غَلَبَتْ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١)؟! .

فقال الباقر عليه السلام : «يا أبا عبيدة ، إنَّ لهذا تأويلاً ، لا يعلمه إلاَّ الله والراسخون في العلم من آل محمد صلوات الله عليهم ؛ إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، لما هاجر إلى المدينة ، وأظهر الإسلام ، كتب إلى ملك الروم كتاباً ، وبعث به مع رسول يدعوهُ إلى الإسلام ، وكتب إلى ملك فارس كتاباً يدعوهُ إلى الإسلام ، وبعثه إليه مع رسوله ، فأما ملك الروم فعظَّم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأكرم رسوله ، وأما ملك فارس ، فإنَّه استخف بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومزَّقه ، واستخف برسوله ، وكان ملك فارس يومئذ يقاتل ملك الروم ، وكان المسلمون يهونون أن يغلب ملك الروم ملك فارس ، وكانوا لناحيته أرجى منهم لملك فارس .

فلما غلب ملك فارس ملك الروم ، كره ذلك المسلمون ، واغتموا به ، فأنزل الله عز وجل بذلك كتاباً قرآنا : ﴿ غَلَبَتْ الرُّومُ ﴾ يعني غلبتها فارس ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ وهي الشامات وما حولها ﴿ وَهُمْ ﴾ يعني : وفارس ﴿ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾ الروم ﴿ سَيَغْلِبُونَ ﴾ يعني يغلبهم المسلمون ﴿ فِي بَضْعِ سِنِينَ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ فلما غزا المسلمون فارس وافتتحوها ، فرح المسلمون بنصر الله عز وجل .

قال أبو عبيدة الحدّاء رضي الله تعالى عنه : قلت : أليس الله عز وجل يقول : ﴿ فِي بِيْعِ سِنِيْنَ ﴾ وقد مضى للمؤمنين سنون كثيرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفي إمارة أبي بكر ، وإنّما غلب المؤمنون فارس في إمارة عمر؟! .

فقال الباقر عليه السلام : « ألم أقل لكم : إنّ لهذا تأويلاً وتفسيراً ، والقرآن يا أبا عبيدة ناسخ و منسوخ ، أما تسمع لقول الله عز وجل : ﴿ لَهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ يعني إليه المشيئة في القول ، أن يؤخّر ما قدّم ، ويقدّم ما أخّر في القول ، إلى يوم يُحْتَمَّ القضاء ، بنزول النصر فيه على المؤمنين ؛ فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي : يوم يُحْتَمَّ القضاء بالنصر^(١) .

وأخرجه القمّي (٣٢٩هـ) في تفسيره قال : حدثني أبي ، عن محمد بن أبي عمير ، عن جميل ، عن أبي عبيدة به مثله^(٢) .

قلت : إسناد القمّي حسن صحيح بإجماع . وإسناد الكلينيّ الأوّل صحيح بإجماع ، رجاله وجوه الطائفة . والثاني صحيح على الأقوى .

ثمة محتومان :

الأوّل : أصل النصر على الفرس . وهذا الأصل لا يطرأ عليه البداء ، لا بدّ من تحقّقه في العيان الخارجي ، وإلّا لزم تكذيب القرآن .

الثاني : طرّو البداء في وقت تحقّقه . فالله قال : ﴿ فِي بِيْعِ سِنِيْنَ ﴾ والبضع : أقل من عشر سنين إجماعاً ، في حين لم يوجد الله تعالى إلّا بعد أربعة عشر عاماً عهد عمر .

الزبدة : هذا هو المحتوم الإضافي ؛ فهو في المثال أعلاه ، محتوم بالإضافة إلى أصل تحقّقه ، إلّا أنّه معلق بالإضافة إلى وقت إيجاده وتحقيقه ؛ تبعاً لطاعة العباد ومعصيتهم .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٨ : ٢٧٠ . الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) تفسير القمي (ت: طيّب الجزائري) ٢ : ١٥٢ . مطبعة النجف .

صحيح ابن مسلم شاهداً لصحيح حمران

لقول الباقر عليه السلام في صحيح حمران : (فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة) عدا ما ذكرنا ، شواهدٌ صحيحةٌ أخرى ، مضى بعضها وسيأتي غيرها ..

مرّ في صحيح الساباطي أنّ الصادق عليه السلام قال : «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، فقل : «...واجعل فيما تقضي وتقدر ، من الأمر المحتوم ، فيما يفرق من الأمر الحكيم ، في ليلة القدر ، من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل».

وهو ظاهرٌ أنّ القضاء ليلة القدر ، محتومٌ مطلق ، لا يردّ ولا يبدّل ، غير معلّق على المشيئة والبداء والمحو والإثبات ..

لكن ينافيه تماماً ما رواه الكليني عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيوب ، عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام قال : سألته عن علامة ليلة القدر؟! :

فقال عليه السلام : «علامتها أن تطيب ریحها ، وإن كانت في برد دفئت ، وإن كانت في حر بردت فطابت ، تنزل فيها الملائكة ، والكتابة إلى السماء الدنيا ، فيكتبون ما يكون في أمر السنة ، وما يصيب العباد ، وأمرُهُ عِنْدَهُ موقوفٌ له ، وفيه المشيئة ؛ فيقدم منه ما يشاء ، ويؤخر منه ما يشاء ، ويمحو ويثبت وعنده أم الكتاب»^(١).

قلت : إسناده صحيح بإجماع أصحابنا ، رواه أساطين الملة ، وفقهاء الفرقة .

وربما ورد في بعض المصادر ، كدعائم الإسلام والبحار وغيرها ، بلفظ : «والأمر عِنْدَهُ موقوفٌ له» .

الزبدة : ظاهر الخبرين التنافي التام ، ولا مخرج إلا القول بالمحتوم الإضافي .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٤: ١٥٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

صحيح ضريس : طرؤ البدء على النافذ المحتوم

أخرج الصقّار (٢٩١هـ) قال : حدثنا محمد بن إسماعيل ، عن علي بن الحكم ، عن ضريس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : إنّ الله علمين : علم مبذول وعلم مكفوف ؛ فأما المبذول ؛ فإنه ليس من شيء يعلمه الملائكة والرسل إلا ونحن نعلمه ، وأما المكفوف ، فهو : الذي عنده في أم الكتاب ، إذا خرج نفذ^(١).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

قوله عليه السلام : (الذي عنده في أم الكتاب ، إذا خرج نفذ) صريحٌ جداً في المحتوم المطلق ؛ فمعنى نفذ : تحقق في الواقع العيني الخارجي ، لا يردّ ولا يبدّل .

مضى أخرج الكليني رضي الله تعالى عنه بإسناده الصحيح دون كلام ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «إنّ الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النطفة ...، ثمّ يبعث الله ملكين خلاقين؛ يخلقان في الأرحام ما يشاء الله...، فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء، ويشقان له السمع والبصر وجميع الجوارح، وجميع ما في البطن بإذن الله، ثمّ يوحي الله إلى الملكين اكتبنا عليه : قضائي ، وقدري ، ونافذ أمري، واشترط لي البدء فيما تكتبان»^(٢).

الحاصل : قول الباقر : (إذا خرج نفذ) أي تحتمّ وتحقق لا يطرأ عليه البدء ، وهذا يباين تماماً قوله الآخر عليه السلام : (ونافذ أمري، واشترط لي البدء فيما تكتبان) .

ولا مخرج من هذا إلا القول بالمحتوم الإضافي ؛ فالمعنى أنّ البدء لا يطرأ على أصل ما في اللوح ؛ كونه متحققاً في الخارج ، وإنّما يطرأ على خصوصياته، سعةً وضيقةً، شدةً وضعفاً ، تقدياً وتأخيراً ، وسيأتي البيان في الأنواع الأربعة .

(١) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة) : ١٢٩ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

(٢) الكافي (علي غفاري) ٦ : ١٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

منجبر المسلمي شاهداً

جزم به الصدوق (٣٨١هـ) في الفقيه قال : قال الصادق عليه السلام : «في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان التقدير ، وفي ليلة إحدى وعشرين القضاء ، وفي ليلة ثلاث وعشرين ، إبرام ما يكون في السنة إلى مثلها ، والله جل ثناؤه أن يفعل ما يشاء في خلقه»^(١).

وأخرجه الكليني رضي الله عنه في الكافي عن عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن علي بن الحكم ، عن ربيع المسلمي وزياد بن أبي الحلال ذكراه عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله عدا اضطراب بعض الألفاظ^(٢).

وهو بسبب نسخ النسخ ولا يضرّ..؛ وما أثبتناه أعلاه ، صححناه عن العلامة في كتبه ، والمجلسي في البحار ، والحر في الوسائل وغيرهم رضي الله عنهم .

قلت : الخبر مقبول بالانجبار ، وهذا الإسناد ضعيف بالرجل المبهم . رجاله ثقات إجلة ، والمسلمي سيق متابعة لا غير ، وكما قلنا : فالخبر منجبر بأقوال أصحابنا قدماء ومتأخرين رضي الله عنهم لم أجد مخالفاً ، ناهيك عن جزم الصدوق ، وجزم القدماء حجة على بعض الأقوال ، لا أقل عند الجازم كالصدوق رضي الله عنه .

وأياً كان ؛ فإننا سقناه شاهداً لصحيح حران ؛ فقلوه : (وفي ليلة ثلاث وعشرين ، إبرام ما يكون في السنة إلى مثلها ، والله جل ثناؤه أن يفعل ما يشاء في خلقه)
شاهدٌ لقلوه عليه السلام : (فما قدر في تلك السنة وقضي ، فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة) .

أي أنّ ما أبرمه الله تعالى وحثّمه من القضاء في تلك السنة ، قد يطرأ عليه البداء في السنة التي بعدها ؛ فضلاً من الله ورحمة ، بناءً على حجّية مفهوم الغاية ..

(١) الفقيه(ت: علي أكبر غفاري) ٢: ١٥٦ . مؤسسة النشر الإسلامي ، قم .

(٢) الكافي(ت: علي غفاري) ٤: ١٦٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

حجّية مفهوم الغاية فيما نحن فيه

ذكرنا في موضع سابق من هذا الكتاب أنّ العلماء اختلفوا في حجّية المفهوم ، ذهب أكثر بل قاطبة القدماء إلى عدم حجّيته ، وأكثر المتأخرين إلى حجّيته في الجملة ..
والحقّ أنّه ليس بحجّة بنحو الموجبة الكلية ، إلاّ إذا دلّ الدليل على حجّيته في موردٍ بخصوصه ، كما فيها نحن فيه ، هاك البيان ..

روى القمّي في تفسيره قال : أخبرنا أحمد بن إدريس قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن هارون بن خارجة ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا أجلها﴾؟! .!

قال : «إنّ عند الله كتباً مرقومة ، يقدّم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، فاذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كلّ شيء يكون ، إلى ليلة مثلها»^(١) .
قلت : إسناده صحيح .

وقال الباقر عليه السلام في صحيح حران : «يقدر في ليلة القدر كلّ شيء ، يكون في تلك السنة ، إلى مثلها من قابل ، خير وشر ، وطاعة ومعصية ، ومولود وأجل ورزق ؛ فما قدر في تلك السنة وقضي ، فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة» .

قلت : وهو ظاهرٌ أنّ القضاء محتوم (في تلك السنة إلى مثلها من قابل) وفحواه أنّ الله سبحانه في السنة التي بعدها ، المشيئة في إثبات ما هو أحسن منه ، فضلاً منه سبحانه ورحمة ، لكن ما الدليل على هذا؟! .!

قلنا : الأدلّة ثابتة ، بل متواترة ، بل ضرورية ، حسبنا منها ، هذا المثال :

(١) تفسير القمي (ت: طيب الجزائري) ٢ : ٣٧١ . مطبعة النجف ، منشورات دار الهدى .

فالأشقياء - في اللوح المحفوظ - على الشقاوة ، وفي هذه الدنيا أيضاً إذا لم يتوبوا ، لكن ماذا لو تاب شقيٌّ في آخر سنة من سني عمره الخمسين مثلاً ، مع أن الله كتب وأمضى في كل ليالي القدر التسع والأربعين السابقة أنه شقيٌّ؟! .

إن قيل : لا يقبل الله توبته في سن الخمسين ، تكذيب صريح لقوله تعالى : ﴿ لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبُهُم مِّنْقَلْبِهِمْ فَأَخِيبِينَ ﴾ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣١﴾ .

ناهيك عن أخبار المعاينة المتواترة ؛ ففيها أن الله سبحانه أقدر قاطبة عباده على التوبة ، حتى الأشقياء ، إلى ما قبل المعاينة ، أي قبيل الموت بقليل .

ولا ينافي استطاعة قاطبة الأشقياء على التوبة ، مع اختيار بعضهم عدم التوبة في عالم الله القديم ؛ إذ لا ملازمة بين الأمرين ؛ ضرورة أن الله تعالى قضى وأمضى أن يكون نظام الابتلاء محكوماً باختيار العبد ، لا علمه الأزلي القديم سبحانه .

هاك هذه النصوص القطعية المتواترة معنى في ما ذكرناه ..

تواتر طرّوّ البداء على محتوم ليلة القدر

أخرج الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، عن ابن بكير ، عن أبي عبد الله أو عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ آدم عليه السلام قال : يا رب سلطت عليّ الشيطان ، وأجريتني منّي مجرى الدم ، فاجعل لي شيئاً .

فقال سبحانه : «يا آدم ، جعلت لك أنّ من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه ، فإنّ عملها كتبت عليه سيئة ، ومن هم منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة ، فإن هو عملها كتبت له عشرأ». قال آدم : «يا رب زدني».

قال سبحانه : «جعلت لك أنّ من عمل منهم سيئة ثم استغفر له غفرت له». قال يا رب زدني. قال : «جعلت لهم التوبة» أو قال : «بسطت لهم التوبة ، حتى تبلغ النفس هذه» قال : «يا رب حسبني»^(١).

قلت : إسناده حسن صحيح دون أدنى كلام .

أخرج الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ، ثم قال : إنّ السنة لكثيرة : من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته ، ثم قال : إنّ الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته ثم قال : إنّ الجمعة لكثير ، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته ، ثم قال : إنّ يوماً لكثير ، من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته»^(٢).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد مرسل ؛ يشهد له .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ٤٠٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ٤٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا بلغت النفس هذه ، وأهوى بيده إلى حلقة لم يكن للعالم توبة وكانت للجاهل توبة^(١).

قلت : إسناد حسن صحيح دون أدنى كلام .

قوله عليه السلام : (لم يكن للعالم توبة وكانت للجاهل توبة) الجاحد ، أي العالم أنه على الجحود والعناد ، لا مطلق العاصي ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٢).

لكن لو تاب فرعون قبل هذا بشهر مثلاً ؛ فقد يقبل الله سبحانه وتعالى توبته ، أمّا مع المعاينة فكلاً ؛ لقوله عليه السلام : (من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته).

قوله عليه السلام : (قبل أن يعاين) أي قبل أن ينكشف له عالم الآخرة ، ضرورة أن المعاينة والإنكشاف يحصل للإنسان قبل الموت بقليل ، والأخبار فيه قطعية ثابتة ؛ منها معاينة الميت رسول الله وأمير المؤمنين عليّ وعزرائيل قبيل موته بقليل ؛ فإن كان مؤمناً رأى منهم عليهم السلام ما يحبّ ، وإلا رأى ما يكره ، أعادنا الله تعالى مما نكره بحق محمد وآل محمد ؛ إنه سميع مجيب ..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ٤٠٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) سورة يونس : ٩٢ .

زبدة الاستدلال بأخبار المعاينة على المحتوم الإضافي

وهو حاصل الجمع بين طائفتين من الأخبار المتواترة ، صرّح بتواترها ، غير واحد من أصحابنا رضي الله عنهم وهو الحق ، وهما كالآتي :

الطائفة الأولى : المحتوم في سنة بعينها .

وهي أخبار ليلة القدر المتواترة ؛ كقوله عليه السلام : (فما قدر في تلك السنة وقضي ، فهو المحتوم) وهي صريحة أنّ الله حتمّ في كلّ سنة ، في ليلة القدر ، ما قضى به وقدره سبحانه ، فلا يطرأ عليه البداء ، فلو حتمّ سبحانه شقاوة شقيّ في ليلة القدر من سنة بعينها ، فهو كذلك على الشقاوة أبداً ، لا يطرأ عليه البداء ، في السنين التي بعدها .

هذا هو ظاهر هذه الطائفة من الأخبار بدوّاً ، لكن ليس هذا كل شيء ؛ فثمّة ..

الطائفة الثانية : طرؤ البداء على هذا المحتوم .

وهي أخبار التوبة قبل المعاينة ، وهي لعمر الله ، صريحة أنّ الله تعالى حتمّ أن يتوب على الإنسان حتى آخر لحظة في حياته ، قبل المعاينة ، أو قبل أن تبلغ النفس الحلقوم ، وهو صريح أنّ كلّ قضاء الله في الشقيّ ، في معرض البداء طيلة عمره إلى وقت المعاينة .

والجمع بين الطائفتين جليّ واضح ؛ فمجموعهما صريح أنّ ما حتمّه الله تعالى في ليلة القدر من سنة معيّنة ، كشقاوة الشقيّ ، ونفاق المنافق ، وكفر الكافر المعاند ، قد يطرأ عليه البداء مع التوبة في السنة التي بعدها ، إلى وقت المعاينة ، أو إلى أن تبلغ النفس الحلقوم كما في بعض الأخبار الثابتة الأخرى .

فيكون تفسير صحيح همران كالآتي : (فما قدر في تلك السنة وقضي ، فهو المحتوم و) لكنّ (الله عز وجل فيه المشيئة) في السنة الجديدة التي بعدها ، ويتعيّن هذا التفسير وإلّا لزم تكذيب الأخبار المتواترة أنّ الله يتوب على من تاب حتى آخر لحظة ، قبل المعاينة ، لكن لماذا أطلقنا عليه المحتوم ، مع أنّ الأولى أن يقال : الموقوف أو المعلق .

قلنا لقوله عليه السلام : (فما قدر في تلك السنة وقضي ، فهو المحتوم) فهو محتوم قياساً بما سبقه من القضاء في السنة السابقة ، كما أنّ الذي في السابقة محتومٌ بالنسبة للسنة التي سبقت السابقة ، وهكذا ، وهذا معنى المحتوم الإضافي .

لكن ما غرض الله تعالى من المحتوم الإضافي؟! .

قلنا : لبيان أنّ الله تعالى ذو فضلٍ عظيم ، وأنّه سبحانه قد يخلف وعيده فيما حتمه على العباد من القضاء إلى آخر لحظات الحياة؛ لكونه سبحانه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

مع التنبيه أنّ هذا خاص بما أطلقنا عليه المحتوم الإضافي ، فهو الذي يطراً عليه البداء ، دون المحتوم المطلق ؛ فعذاب الله تعالى لإبليس ليس من قسم الإضافي إطلاقاً ، بل هو من المطلق الذي لا يطراً عليه البداء ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ وهذا بضميمة الآيات الشريفة الأخرى ، حتم مطلق لا بداء فيه ؛ نافذ لا يرد ولا يبدل .

وإنّما عرفنا أنّ شقاوة بعض الأشقياء محتوم مطلقاً لا يطراً عليها البداء ؛ للنص القطعي ، ومن هؤلاء قتلة الحسين عليه السلام ..

زبدة ما تقدّم : المحتوم : مطلق وإضافي

احتمله المجلسي رضي الله عنه في البحار قال : يحتمل أن يكون المراد بالبداء في المحتوم ، البداء في خصوصياته ، لا في أصل وقوعه^(١).

وقال أيضاً في المرأة رضي الله عنه : (فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة) لعلّ المعنى أنّه محتوم بالنسبة إلى التقدير السابق ، بحيث يعسر تغييره ، لكنّ الله فيه المشيئة أيضاً^(٢).

قلت : بل هو ظاهرٌ في المحتوم الإضافي ..؛ إذ الفرق الماهوي الحقيقي بين المحتوم المطلق والمحتوم الإضافي ، أنّ المحتوم المطلق هو : ما لا بدّ من تحققه مطلقاً دون قيد أو شرط ؛ كقضاء الله بنعيم أهل الجنة مثلاً ، وإلّا لزم كذب الرسالات ، وهو محال .

وأما الإضافي ، كسعة نعيم الجنة ، بأكثر ممّا وعد الله تعالى ؛ فلا مانع منه ، وهذا قد يعرض عليه البداء دون شبهة ؛ لقوله تعالى : ﴿ هَلْ مِمَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾^(٣).

تحصّل أنّ أصل المحتوم ؛ كنعيم الجنة ، لا بداء فيه ؛ وإلّا لزم كذب الرسالات ، وهو محال ، أمّا خصوصياته وأحواله ؛ كالزيادة فيه ، فلا مانع من طروّ البداء فيه ..

وقد كنّا قدمنا في فصل سابق أنّ الاثبات في : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ على ثلاثة أقسام ، ثانيها : بمعنى الزيادة على القضاء السابق من دون محو ، ومن ذلك زيادة أجلّ المتصدّق ، وواصل الرحم ، والبار بالديه ، وزائر الحسين عليه السلام .

وفي المحتوم الإضافي ؛ كزيادة فضل الله تعالى على المثبت في اللوح المحفوظ ، نصوص كثيرة ، قطعية الصدور ، سيأتي بعضها في العنوان التالي ..؛ فالمحتوم على قسمين : مطلق وإضافي ..

(١) بحار الأنوار(ت: البهبودي) ٥٢ : ٢٥١ . مؤسسة الوفاء ، بيروت .

(٢) مرآة العقول ١٦ : ٣٨٣ .

(٣) سورة ق: ٣٥ .

معنى المحتوم المطلق

المحتوم المطلق هو : القضاء المحتوم ، المجرد عن الخصوصيات .

وخصوصياته هي : التقديم والتأخير ، والسعة والضييق ، والشدة والضعف ، والنسخ تكويناً وتشريعاً أو التحول والثبات ، وسيأتي بيان كل واحد منها قريباً..

فمن المحتوم المطلق ، ورود كل الخلائق النار ؛ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾^(١) أي قضاءً محتوماً ، لا مردّ له ، لا يتخلف ، وإلاّ لزم كذب الرسالات والكتب والأنبياء والملائكة والعياذ بالله .

المحتوم المطلق ، تعلق بمحض علم الله ومشيتته وقضائه وإمضائه سبحانه ؛ وكلّ هذا من الغيب الذي لا يحيط به المخلوق أيّاً كان ؛ لامتناع إحاطة المحدود بغير المحدود ، فالله تعالى عالم بما كان ، وما يكون ، وما سيكون كيف سيكون ، وهذا لا يتخلف .

الزبدة : أصل ورود الخلائق النار ، دون خصوصياته ، قضاءً حتم ، لا بداءً فيه ؛ لقوله تعالى : ﴿ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ والله لا يكذب نفسه في كتبه .

ويجب أن تعرف أنّ معنى الورد ليس دخول النار ، وإنّما الكون على حدودها ، كورود الإبل الماء للشرب ؛ فالإبل لا تدخل الماء حينما تشرب ، وإنّما تكون على الشاطئ ، وهو الحد الفاصل بين الماء واليابسة .

ومن ذلك أيضاً أصل خروج المهدي صلوات الله عليه ، دون خصوصيات الخروج ؛ فهذا الأصل دون خصوصياته ، محتوم ، لا مردّ له ، لا محو فيه ولا إثبات ولا بداء ، لكن ورد في الأخبار القطعية أنّ الله تعالى البداء في خصوصياته ؛ كالتقديم والتأخير ، وسيأتي بعض هذه النصوص القطعية قريباً ، كما ستأتي النصوص المتواترة في المطلق..

المحتوم الإضافي وأنواعه

المحتوم الإضافي هو : قضاء الله المحتوم ، الذي يطرأ على خصوصياته البداء .

وهو بالنظر لخصوصياته الأربع ، على أربعة أنواع ، كالآتي :

النوع الأول : المحتوم المعلق على التقديم والتأخير .

هو المحتوم المضى الذي لا بدّ من تحقّق أصل وجوده ؛ كأصل خروج المهدي صلوات الله عليه ، وأنّه أرواحنا له الفداء يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، فأصل هذا الخروج ، حتم لا يردّ ولا يبدّل ، لا يطرأ عليه البداء ، وإلّا لزم تكذيب الكتب والرسالات ، لكن خصوصيات هذا الخروج من التقديم والتأخير ممّا يطرأ عليه البداء دون كلام ؛ للأخبار القطعية الآتية ..

منها : ما أخرجه أصحابنا بإسناد حجّة معتضد بعدم الخلاف ، عن إسحاق بن عمّار ، عن الصادق عليه السلام قال : «قد كان لهذا الأمر وقت ، وكان في سنة أربعين ومائة ، فحدثتم به وأذعتموه ، فأخّره الله عز وجل» وسيأتي تحريجها ..

ومن ذلك أيضاً أصل عذاب قوم لوط ؛ فأصل العذاب محتوم لا مردّ له ، لا بداء فيه ؛ للنصّ الصحيح ، لكنّ الله تعالى مشيئة وبداء في وقت تحقّقه ؛ تقدماً أو تأخيراً ، على ما تقضي به الحكمة والرحمة ، وقد مضت بعض النصوص الصحيحة فيه .

ومن ذلك تأخير الميقات في قوله تعالى : ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَمْتَمْنَاهَا بَعْشَرٍ فِتْمٍ مِّمَّاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (١) .

فأصل الميقات محتوم لا بداء فيه ، لكن تقدّمه أو تأخّره عشرة أيام معلق على المشيئة ، وقد شاء الله سبحانه تأخيره عشرة أيام .

النوع الثاني : المحتوم المعلق على الشدة واليسر

يدلّ عليه في النصوص القطعية الثابتة ، ما أخرجه الصدوق (٣٨١هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا عليّ بن موسى بن جعفر بن أبي جعفر الكميدياني ومحمد بن يحيى العطار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : «إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلَ قَرَابَةَ لَهُ ، ثُمَّ أَخَذَهُ وَطَرَحَهُ عَلَى طَرِيقٍ أَفْضَلَ سَبَطَ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، ثُمَّ جَاءَ يَطْلُبُ بَدْمَهُ ، فَقَالُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ سَبَطَ آلِ فُلَانٍ قَتَلُوا فُلَانًا ، فَاخْبِرْنَا مِنْ قَتْلِهِ ؟!». قال موسى صلوات الله عليه : اتنوني ببقرة ﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

قال الرضا عليه السلام : ولو أنهم عمدوا إلى أيّ بقرة أجزأتهم ، ولكن شددوا فشدد الله عليهم ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ .

ثم قال الرضا عليه السلام : «ولو أنهم عمدوا إلى أيّ بقرة أجزأتهم ، ولكن شددوا فشدد الله عليهم ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئِهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْئِهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ ﴾ .

ثم قال الرضا عليه السلام : «ولو أنهم عمدوا إلى أيّ بقرة ، لأجزأتهم ، ولكن شددوا فشدد الله عليهم ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُوفٌ تُبَيِّرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

قال الرضا عليه السلام : « فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فقال : لا أبيعها إلاّ بماء مسكها ذهباً ، فجاؤوا إلى موسى عليه السلام فقالوا له ذلك ، فقال : اشتروها فاشتروها و جاؤوا بها ، فأمر بذبحها ثم أمر أن يضرب الميت بذنبها ، فلما فعلوا

ذلك حيِّ المقتول وقال : يا رسول الله ، إن ابن عمي قتلني دون من يدعي عليه قتلي فعلموا بذلك قاتله...»^(١).

قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

القضاء في هذا النصّ على ثلاثة مراتب طولية ، كلّها محتوم لا مردّ له ، كالآتي :

المحتوم الأول : قضى الله وحتمّ وأمضى ذبح بقرة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ أي بقرة ﴿قَالُوا اتَّخِذْنَا هُزُؤًا﴾ لكنهم شدّدوا فشدّد الله عليهم ، وهذا هو :

المحتوم الثاني : وهو نفس المحتوم الأول ، لكن بقيد الشدّة ؛ وهو : ذبح ﴿بَقَرَةً صَفْرَاءَ فَاقِعَ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ﴾ فلم يمتثلوا ، فشدّد الله عليهم ، وهذا هو :

المحتوم الثالث : وهو أشدّ من الثاني ؛ وهو ذبح : ﴿بَقَرَةً لَا دَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ .

قلت : والأخبار في جملة هذا المعنى ، عدا القرآن ، متواترة في كتب الفريقين .

منها ما رواه الكليني رضي الله عنه ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عبد الصمد بن بشير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة ، وهي منسأة في العمر ، وتقي مصارع السوء ، و صدقة الليل تطفئ غضب الرب»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

فأصل الحساب محتوم ، لكن كونه هيئاً يسيراً أم شديداً عسيراً ، معلق على صلة الرحم وعدمها ، وبالجملة : على الطاعة أو المعصية .

(١) عيون أخبار الرضا (ت: حسين الأعلمي) ٢: ١٦ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٤٠٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

النوع الثالث : المحتوم المعلق على السعة والضيق .

يدلّ عليه ، الأخبار القطعيّة المتواترة ، الصريحة في ذلك ؛ كسعة الرزق وزيادته مع صلة الرحم ، وضيقه مع قطيعة الرحم ..

فمن ذلك تتمّة صحيح البنزطي ، في النوع السابق ، قال : قال الرضا عليه السلام : « فقال رسول الله موسى بن عمران عليه السلام لبعض أصحابه : إنّ هذه البقره لها نبأ ..؛ إنّ فتىً من بني إسرائيل كان باراً بأبيه ، وأنه اشترى تبيعاً (=ولد البقر) فجاء إلى أبيه ورأى أنّ المقاليد تحت رأسه ، فكره أن يوقظه ، فترك ذلك البيع ، فاستيقظ أبوه فأخبره ، فقال له : أحسنت ، خذ هذه البقرة ، فهي لك عوضاً لما فاتك».

قال الرضا عليه السلام : «فقال رسول الله موسى بن عمران عليه السلام : انظروا إلى البر ما بلغ بأهله».

وفي هذا أخبار متواترة عند الفريقين ؛ منها : ما أخرجه البرقي (٢٧٤هـ) بإسناد صحيح ، عن أبيه ، عن الوشاء ، عن الحسن بن علي بن فضال ، عن المثني الحناط ، عن محمد بن مسلم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «من حسنت نيته ، زاد الله في رزقه»^(١).

وبالجمله : فأصل الرزق ممّا قد حتمّه الله تعالى وأمضاه ، لا يردّ ولا يبذل ، لا يطرأ على أصله البداء ؛ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٢) لكن شاء الله تعالى أن يكون له بداء ومشئته في خصوصياته ؛ سعة وضيقاً ، حسب طاعة العباد وعصيانهم ، لقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣).

(١) المحاسن(ت: جلال الحسيني) ١: ٢٦١. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) هود : ٦ .

(٣) الأعراف : ٩٦ .

النوع الرابع : المحتوم المعلق على النسخ .

بقسميه التكويني والتشريعي ، أمّا التشريعي فلطروّ البداء على الحلال فيكون حراماً مع الإثم والمعصية والعدوان ، كما في قوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ هَادُوا... ، حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ .

وأمّا التكويني ، فكما في من كتبهم الله تعالى أشقياء في ليلة القدر في سنة بعينها ، دون السنة التي بعدها ، وقد مضى النصّ الصحيح الصريح أنّ ما يكتبه الله تعالى في ليلة القدر ، في سنة بعينها ، فهو محتوم لا مردّ له في تلك السنة ، دون السنة التي بعدها ؛ لأخبار المعاينة المتواترة بل الضرورية .

وقد مضى خبر أبي بصير ، وهو صحيح على الأظهر ، عن أبي عبد الله عليه السلام : «من قال في دبر صلاة الفجر ودبر صلاة المغرب سبع مرات بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، دفع الله عز وجل عنه سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الريح والبرص والجنون، وإن كان شقياً محي من الأشقياء وكتب في السعداء» .

وهو صريحٌ أنّ الله تعالى أوجده في الواقع العيني الدنيوي شقيّاً ، فكونه كذلك محتوم لا محالة ، لكن لله تعالى مشيئة في أن يكتبه من السعداء إذا تاب .

وأوضح مثال على هذا النوع من المحتوم قوله تعالى : ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ وهو نصّ صريحٌ أنّ السيئات محتوم متحقق في العيان قد يطرأ عليه النسخ التكويني لأنّ الله تعالى كان : ﴿ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

تنبيه!!

ننبه أن المعيار في كون المحتوم مطلق أو إضافي ، وأن هذا الإضافي من هذا النوع أو ذاك من الأنواع الأربعة ، متوقف على ثبوت هذه الخصوصية أو تلك ، بالنصّ الثابت الصحيح عن أهل البيت عليهم السلام ، وإلا فلا يسوغ دعوى هذا أو ذاك من دون دليل .

وقد تقول : النوع الرابع معلق ليس محتوماً ؛ لتعلق البداء في أصله لا خصوصياته كما في الأنواع الثلاثة الأخرى !؟.

قلنا : كلاً ، بل هو محتوم إضافي ؛ فثمة حيثيات ثلاث :

الأولى : أصل كل نوع من الأنواع الأربعة السابقة ، محتوم مضمي متحقق في العيان ؛ ضرورة أن المحتوم هو : النافذ المتحقق في العيان ، وشقاوة الشقي في النوع الرابع مثلاً ، محتوم قطعاً ؛ لتحقيقها العيني الخارجي ، ملكوتاً وملكاً ، في عالم الذر وفي هذه الدنيا .

الثاني : علق الله سبحانه وتعالى شقاوته الحتمية السابقة في عالم الذر ثم في عالم الدنيا ، على التوبة اللاحقة ، في كل سني عمره إلى ما قبل المعاينة ؛ سيما ليالي القدر ؛ فضلاً منه سبحانه ورحمة ؛ فإذا تاب محي الله عز وجل شقاوته وأثبت بدلها السعادة ، وإلا فهو على الشقاوة ، وعلى كلا التقديرين ؛ فالشقاوة السابقة من المحتوم ؛ لنفوذها وتحقيقها الخارجي .

الثالث : الشقاوة طارئة على ذات الشقي ؛ لتواتر النصوص أن الأصل في الخلق الفطرة والإيمان ، وهذا محتوم لتحقيقه الخارجي في عالم الملكوت ؛ فلقد خلقهم الله سبحانه هكذا ؛ وإنما أضحى الشقي شقياً بما عصى الله تعالى في امتحان يوم الذر .

فلا يقال : المحتوم في الأنواع الثلاثة الأولى باق على حاله ، لا يطرأ البداء إلا على خصوصياته لا أصله ، وفي الرابع يطرأ البداء على نفس المحتوم فيمحي ويثبت غيره ؛ فالإشكال باق على حاله !؟.

قلنا : كلا ؛ لأمرين محتومين :

الأمر الأوّل : الشقاوة طارئة على ذات الشقي ، بما عصى الله سبحانه وتعالى في اختبار يوم الذر ؛ حيث عصى الأشقياء الله تعالى فلم يمثلوا أمره سبحانه بدخول النار ، وهذا محتومٌ نافذٌ متحقّق يوم الذر قبل خلق الدنيا .

الأمر الثاني والأهم : أصل الشقي قبل اختبار يوم الذر ، على الفطرة والإيمان قبل طرؤ العصيان ، وهذا أيضاً محتوم نافذ لا مردّ له ، كونه متحقّقاً موجوداً في عالم الملكوت ، قبل امتحان يوم الذر .

الزبدة : أصل النوع الرابع ؛ كشقاوة الشقي ، الفطرة والإيمان ، وهذا محتوم مضمي متحقّق في الخارج في عالم الملكوت ؛ فمعنى أنّ الله تعالى يتوب على من تاب من الأشقياء فيكتبه سبحانه سعيداً ، ويبدل سيئاته حسنات ..

قلنا : معنى ذلك ، أنّ الله سبحانه سيرجعه إلى أصله الذي هو الفطرة والإيمان والسعادة ؛ فالله تعالى خلق الخلائق دون استثناء على السعادة والفطرة ، وإنّها تمايزوا بالطاعة والمعصية في اختبار يوم الذر كما فصلنا هذا في كتابنا عالم الذر ؛ لذلك ربما عنونا هذا النوع بالتحوّل والثبات ؛ فالشقي قبل اختبار عالم الذر على الفطرة والسعادة والإيمان والإقرار بالتوحيد ، وبعد الاختبار على الشقاوة ..

لكن لم تقف رحمة الله سبحانه على هذا القضاء المحتوم (الإضافي) ، فلقد حتمّ الله سبحانه أن يتوب على الأشقياء شرط أن يتوبوا إلى ما قبل المعايبة ؛ فيرجعهم إلى أصلهم الفطري بعد التوبة ، فاحفظ هذا جيّداً .

وإن أبيت كلّ هذا ؛ فلهه تعالى أنّ يخلف وعيده المحتوم في الأشقياء ، فيطرأ عليه البداء ؛ لأنّه سبحانه عين الفضل والرحمة والكمال ، فلا إشكال .

نص في طرّوّ البداء في خصوصيّات المحتوم

أخرج الكليني (٣٢٩هـ) عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني، قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره، قال الله عز وجل: «يا آدم...، أنا الخالق العالم، بعلمي خالفت بين خلقهم، وبمشيئتي يمضي فيهم أمري، وإلى تدبيرى وتقديرى صائرون، لا تبديل لخلقى، إنّما خلقت الجن والإنس ليعبدون، وخالقت الجنة، لمن أطاعنى وعبدنى منهم واتبع رسلى ولا أبالى، وخالقت النار لمن كفر بى وعصانى ولم يتبع رسلى ولا أبالى، وخالقتك وخالقت ذريتك من غير فاقة بى إليك وإليهم، وإنّما خلقتك وخالقتهم؛ لأبلوك وأبلوهم أيكم أحسن عملاً فى دار الدنيا، فى حياتكم وقبل مماتكم، فلذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار، وكذلك أردت فى تقديرى وتدبيرى وبعلمى النافذ فىهم، خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقى والسعيد والبصير والأعمى والقصير والطويل والجميل والدميم والعالم والجاهل والغنى والفقر والمطيع والعاصى والصحيح والسقيم، ومن به الزمانة، ومن لا عاهة به فينظر الصحيح إلى الذى به العاهة، فيحمدنى على عافيته، وينظر الذى به العاهة إلى الصحيح، فيدعونى ويسألنى أن أعافيه، ويصبر على بلائى، فأثيبه جزيل عطائى، وينظر الغنى إلى الفقير فيحمدنى ويشكرنى، وينظر الفقير إلى الغنى فيدعونى ويسألنى، وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدنى على ما هديته؛ فلذلك خلقتهم لأبلوهم فى السراء والضراء، وفيما أعافيهم، وفيما أبتليهم، وفيما أعطيهم، وفيما أمنعهم، وأنا الله الملك القادر، ولى أن أمضى جميع ما قدرت على ما دبرت، ولى أن أغير من ذلك ما شئت إلى ما شئت، وأقدم من ذلك ما أخرت، وأؤخر من ذلك ما قدمت، وأنا الله الفعال لما أريد، لا أسأل عمّا أفعل، وأنا أسأل خلقى عمّا هم فاعلون»^(١).

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٧. دار الكتب الإسلامية، طهران.

قال المجلسي في مرآة العقول: إسناده حسن^(١).

قلت : بل صحيح في أعلى درجات الصحة ، رواه عيون الطائفة المرحومة .

من ذلك صحيح زرارة ، المعتضد بعدم الخلاف عن الباقر عليه السلام : « يوحى الله إلى الملكين اكتبنا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري، واشترط لي البدء فيما تكتبان . فيقولان: يا رب ما نكتب؟! . فيوحى الله إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمه فيرفعان رؤوسهما، فإذا اللوح بقرع جبهة أمه، فينظران فيه، فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه شقياً أو سعيداً وجميع شأنه» .

قال عليه السلام : « فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح، ويشترطان البدء فيما يكتبان، ثم يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه» .

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة أنّ رجلاً سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله جل وعز: ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ فقال وأبوه يسمع عليها السلام حدثني أبي عليه السلام قال :

« إنّ الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم عليه السلام، فصبّ عليها الماء العذب الفرات، ثم تركها أربعين صباحاً، ثم صبّ عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عرماً شديداً، فخرجوا كالذر من يمينه وشماله، وأمرهم جميعاً أن يقفوا في النار، فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها^(٢) .

أقول : متواتر ، وهذا الإسناد حسن صحيح دون أدنى كلام .

الزبدة : الأخبار المتواترة أعلاه صريحة في أمور :

(١) مرآة العقول ٧ : ٢٤ .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

الأول : السعادة والشقاوة محتومان في عالم الذر .

ضرورة أنّ من المحتوم : هو الممضى المتحقق في الخارج والعيان ، والسعادة والشقاوة كلاهما متحقق في عالم الذر ، قبل خلق الدنيا .

الثاني : السعادة والشقاوة معلقان في عالم الدنيا .

كلّ من السعادة والشقاوة، محتومان في عالم الذر ، معلقان على البداء في عالم الدنيا . فأمّا السعادة المحتومة في عالم الذر ، فتطرأ عليها الزيادة والسعة في عالم الدنيا مع الطاعة والشكر، وهو النوع الثالث . وأمّا الشقاوة المحتومة في عالم الذر ، فيطرأ عليها المحو في عالم الدنيا مع الطاعة والتوبة ، وهو النسخ والتغيير والتبديل في النوع الرابع .

الثالث : تداخل الأنواع الأربعة .

يدلّ عليه قول الباقر عليه السلام : « فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في

اللوح، ويشترطان البداء فيما يكتبان، ثمّ يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه»

وقوله عليه السلام : «وأنا الله الملك القادر، ولي أن أمضي جميع ما قدرت على ما

دبرت، ولي أن أغير من ذلك ما شئت إلى ما شئت، وأقدم من ذلك ما أخرت، وأؤخر من ذلك ما قدمت، وأنا الله الفعال لما أريد» صريحٌ في أكثر ما ذكرناه .

والمعنى أنّ الشقي إذا تاب واتفق وآمن وعمل صالحاً ؛ فلا تكتفي رحمة الله أن تنقله

من الشقاوة إلى الإيثار فقط كما في النوع الرابع ، بل سيزيده الله تعالى من فضله ؛ بأن يزيد في رزقه وعمره ويسّر له كلّ دينه ودنياه ، أولاه وأخراه .

النص أنّ الله حتمّ على العباد الإيمان لا الكفر

فالله سبحانه ، أوجد الخلائق كلّهم على الإيمان والفطرة قبل خلق الدنيا ؛ فجعل فيهم الإيمان والفطرة جعلاً تكوينيّاً ، ثمّ دعاهم إلى الإيمان في الدنيا وحببهم إليه ، ونهاهم عن الكفر وبغضهم إليه .

روى الكليني رضي الله عنه (٣٢٩هـ) عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن حسين بن نعيم الصحاف قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : لِمَ يكون الرجل عند الله مؤمناً ، قد ثبت له الإيمان عنده ، ثم ينقله الله بعد من الإيمان إلى الكفر؟! .

فقال عليه السلام : «إنّ الله عز وجل هو العدل ؛ إنّما دعا العباد إلى الإيمان به ، لا إلى الكفر ، ولا يدعو أحداً إلى الكفر به ؛ فمن آمن بالله ، ثمّ ثبت له الإيمان عند الله ، لم ينقله الله عز وجل بعد ذلك من الإيمان إلى الكفر» .

قلت له : فيكون الرجل كافراً ، قد ثبت له الكفر عند الله ، ثم ينقله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان؟! .

فقال عليه السلام : «إنّ الله عز وجل خلق النّاس كلّهم على الفطرة ، التي فطرهم عليها ، لا يعرفون إيماناً بشريعة ، ولا كفراً بجحود ، ثمّ بعث الله الرسل تدعوا العباد إلى الإيمان به ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من لم يهده الله»^(١) .

قلت : إسناده صحيح بإجماع . الحسين بن نعيم الصحاف الأسدي ، ثقة بإجماع .

الزبدة : أشرف محتوم حتمّه الله سبحانه على الخلائق مطلقاً ، هو أنّه تعالى خلق خلقه كلّهم على المعرفة والإيمان والفطرة والخير والسعادة ، لكن أبى بعض خلقه بسبب الحسد إلّا الجحود والعناد ، أعادنا الله تعالى من ذلك بحق محمد وآل محمد .

(١) الكافي (علي غفاري) ٢: ٤١٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

المحتوم الإضافي في الوعد والوعيد

في كليهما بدء ومحو وإثبات ، إلا إذا أخبر سبحانه أنه لا بداء فيه ، وهي كالاتي :

الأول : محتوم الوعد .

الوعد ، هو الثواب ، وأصل الثواب الذي أخبرنا به الله سبحانه محتوم نافذ ، لا يرد ولا يبدل ، لا يطرأ عليه البداء ؛ وإلا لزم النقص والظلم والكذب ، وهذا محال ، بل ممتنع ؛ لاجتماع النقص والكمال ، وهما نقيضان ؛ يرشد له قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾^(١) والآيات في هذا لا تحصى .

لكن لا مانع من طرؤ البداء على خصوصيات أصل الثواب ؛ بمعنى زيادته وسعته بأكثر مما وعد به سبحانه ؛ ضرورة أن خزائنه لا تنفذ سبحانه ؛ يدل عليه صريحاً قوله تعالى : ﴿ لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾^(٢) . وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٣) وهذا عين الكمال .

وهو الظاهر من مجموع صدر وذيل قوله عليه السلام : «فما قدر في تلك السنة وقضي ، فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة... ، ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا ، ولكن الله يضاعف لهم الحسنات بحبنا»

المحتوم الإضافي ههنا : أن أصل الثواب ، لا يطرأ عليه البداء ؛ لما ذكرناه من محذور التكذيب ، لكنّه بالإضافة إلى سعته وتعجيله ، يطرأ ، وكذا الوعد في تبديل السيئات إلى حسنات وهو النوع الرابع ؛ فالوعد يتناول الأنواع الأربعة كلّها .

(١) النساء : ١٢٢ .

(٢) فاطر : ٣٠ .

(٣) النساء : ١٧٣ .

الثاني : محتوم الوعيد (العذاب والعقاب) .

مضى في النصوص القطعية ، وسيأتي أن من كتبه الله تعالى شقيّاً من ليالي القدر في السنة الثلاثين من عمره مثلاً ، فشقاوته من المحتوم لقوله عليه السلام : (في تلك السنة ، إلى مثلها من قابل... ، فما قدر في تلك السنة وقضي ، فهو المحتوم ، والله عز وجل فيه المشيئة) أي معلقة على التوبة في السنة التي بعدها ، بل إلى آخر لحظات حياته ، شرط أن يكون قبل المعاينة ، كما ورد في الأخبار القطعية الآتية .

فالشقاوة حتمٌ حتمه الله سبحانه وتعالى ، وإنما يطرأ عليه البداء ؛ لأن الله سبحانه وتعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وهذا حاكم على القضاء الحتمي الإضافي ، لا المطلق .

وكما بيّنا مراراً ، فمعنى المحتوم الإضافي هيئنا ، أن الله كتب على الشقي الشقاوة ، في ليلة القدر ، في السنة الثلاثين من عمره على سبيل المثال ، وهذا محتوم ، لا يرد ولا يبدل في تلك السنة ، ولكنه بالإضافة إلى السنة التي بعدها ، بل إلى وقت المعاينة ، مما يطرأ عليه البداء مع التوبة ؛ فضلاً من الله تعالى ورحمة .

وهذا له أصل في القرآن ؛ بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ وهو صريح في محو الكفر والعذاب شرط الإيمان ، وهما محتومان لمن لم يؤمن في سنة بعينها ، وإثبات الإيمان والنعيم لمن آمن وتاب ، في السنة التي بعدها ، بل إلى ما قبل المعاينة .

معيّار معرفة المطلق والإضافي، طينة المؤمن مثلاً

سيأتي عن أهل البيت عليهم السلام ، أنّ كلّ ما فيه قوام الدين ، وما يحقّق انقياد العباد لرب العالمين ، بطاعتهم للمعصومين ، نبيّين ووصيّين ، فهو محتوم مطلق ، وإلّا لزم انتفاء الغرض وكذب الكتب ، وكلاهما محال .

لكن لا سبيل لمعرفة أنّ هذا محتوم مطلق وذاك إضافي ، إلّا النّص الثابت الصحيح الصريح عن أهل العصمة عليهم السلام ، وكلّ ما عدا ذلك ممّا ورد عن المعصوم من العلم ، فمعلّق على ما يشاء الله سبحانه وتعالى ، كما في وقت خرج القائم عليه السلام ..

من الأخبار المتواترة أو القطعيّة ، ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن محبوب ، عن صالح بن سهل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك من أي شيء خلق الله عز وجل طينة المؤمن؟! .

فقال عليه السلام : «من طينة الأنبياء فلم تنجس أبداً»^(١).

قلت : إسناده حسن صحيح ، الحسن من أصحاب الإجماع ، وصالح ممدوح .

فعدم طرؤ النجاسة على أصل طينة المؤمن ، محتوم مطلق ؛ كونه وعداً و ﴿الله لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ فلا يطرأ عليه البداء إطلاقاً ؛ وإلّا لزم في أقل القول تكذيب الكتاب .

وإنّما جزمنا بكونه من قسم المحتوم المطلق ، النّص الثابت الصحيح ، وإلّا فلا يسوغ شرعاً دعواه من دون دليل ؛ لكونه تشريعاً محرّماً وتقوّلاً على الشرع المبين ؛ فالزم هذا ، فمن هيهنا جائت الفتن والضلالات .

الزبدة : الأخبار في المحتوم المطلق : المجرد عن الخصوصيّات ، متواترة معني ، منها ما تواتر في أخبار الطينة ناهيك عمّا تواتر في غيرها ؛ وكذا الإضافي كوقت فرج القائم .

(١) الكافي (علي غفاري) ٢ : ٤ . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران .

إشكال وجواب!!

وقد تتساءل هل يطرأ بداء على المحتوم المطلق ؛ كعذاب الخالدين في جهنم؟! . فهل يسوغ اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى ، ربما يرفع العذاب على من حتم عليهم العذاب حتماً مطلقاً ؛ كإبليس وبقية الطغاة المجرمين!!؟

قلنا : لولا أنّ الله سبحانه وتعالى أخبر أنّه لا بداء فيه مطلقاً ، وأنّ عذابهم دائم لا يرتفع أبداً ؛ لقلنا بطرؤ البداء ؛ لأنّه سبحانه كتب على نفسه الرحمة ، لكن لا نستطيع أن نلتزم بذلك ؛ لصريح قوله سبحانه في محكم الكتاب: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ ، قَالَ اخْسُئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ .

وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَّرُونَ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^(٢). وقال عز وجل : ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^(٣).

والآيات في هذا الحتم المطلق كثيرة ، وهي ظاهرة ، أو صريحة أنّ أصل عذاب هؤلاء محتوم مطلق دائم ، لا مردّ له والعياذ بالله ، ولا مجال للقول بطرؤ البداء إلا بالنص الصحيح ، ولا وجود له في كتب أهل القبلة .

أعاذنا الله الرحمن الرحيم من ذلك ، بحق محمد وآل محمد ، وصلى الله على محمد وآل محمد ما دامت السماوات والأرضين ، ورحمة رب العالمين .

(١) البقرة: ٨٦.

(٢) البقرة: ١٦٢.

(٣) آل عمران : ٨٨.

النص أن وقت خروج القائم محتوم إضافي

أما أصل الخروج ، فهو محتوم مطلق ؛ لتعلقه بها أراد الله ، وهذا لا يتخلف ، إجماعاً ونصاً وضرورة ، وإلا لزم الخروج عن الدين ، بجحد المتواترات القرآنية والنبوية ..

وأما خصوصياته؛ كوقت الخروج ، فليس بمحتوم إلا على نحو الإضافة ؛ لتعلقه بطاعة العباد أو معصيتهم ؛ فلربما يتقدم أو يتأخر بحسب ذلك ..

يدلّ عليه ما رواه النعماني رضي الله عنه (٣٨٠هـ) في الغيبة قال : حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ، قال : حدثنا محمد بن الفضل بن إبراهيم بن قيس بن رمانة الأشعري وسعدان بن إسحاق بن سعيد وأحمد بن الحسين بن عبد الملك ومحمد بن أحمد بن الحسن القطواني ، قالوا جميعاً : حدثنا الحسن بن محبوب الزراد ، عن إسحاق بن عمار الصيرفي ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «قد كان لهذا الأمر وقت ، وكان في سنة أربعين ومائة ، فحدثتم به وأذعتموه ، فأخره الله عز وجل»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، أو موثق على اصطلاح المتأخرين . ابن رمانة ، أبو جعفر الأشعري ثقة دون كلام ، ومن فوقه كلهم ثقات أجلاء ، والبقية سيقوا للاعتبار .

قوله عليه السلام : (قد كان لهذا الأمر وقت... ، فأخره) صريحٌ فصيحٌ في القسمين ؛ فلا ريب أن أصل خروج القائم من المحتوم الذي لا يعرض عليه البداء ؛ لتعلقه بوعد الله سبحانه ، وهو لا يتخلف ، كما أخبر نبيّنا وأهل بيته عليهم السلام .

لكن تفاصيله وخصوصياته ؛ كالتقدم والتأخر ، وربما السعة والضيق ، بما قد يعرض عليها البداء ؛ لتوقفها فيما قضى الله سبحانه على الطاعة والمعصية ، كما في : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ...﴾ .

ومن ذلك ما رواه الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) في الغيبة بإسناده الصحيح ، عن الفضل بن شاذان وهو من أصحاب الإجماع ، عن محمد بن علي ، عن سعدان بن مسلم ، عن أبي بصير قال: قلت له: ألهذا الأمر أمد نريح إليه أبداننا وننتهي إليه؟! .

قال : «بلى ، ولكنكم أذعتم فزاد الله فيه»^(١) .

وروى الشيخ الطوسي رضي الله عنه أيضاً بإسناد صحيح قال : وروى الفضل بن شاذان ، عن محمد بن إساعيل ، عن محمد بن سنان ، عن أبي يحيى التمام السلمي ، عن عثمان النواقي: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان هذا الأمر فيّ ، فأخره الله تعالى ، ويفعل الله بعد في ذريتي ما يشاء»^(٢) .

وروى عبد الله بن جعفر الحميري القميّ (٣٠٤هـ) رضي الله عنه ، عن أحمد بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال : سألت الرضا عليه السلام عن قرب هذا الأمر؟! .

فقال عليه السلام : «قال أبو عبد الله عليه السلام ، حكاه عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : أول علامات الفرج سنة خمس وتسعين ومائة ، وفي سنة ست وتسعين ومائة تخلع العرب أعتها ، وفي سنة سبع وتسعين ومائة يكون الفناء ، وفي سنة ثمان وتسعين ومائة يكون الجلاء وفي سنة تسع وتسعين ومائة يكشف الله البلاء إن شاء الله ، وفي سنة مائتين يفعل الله ما يشاء» .

فقلنا له : جعلنا فذاك ، أخبرنا بما يكون في سنة المائتين .

(١) الغيبة (ت: عباد الطهراني): ٤٢٨ . مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم .

(٢) الغيبة (ت: عباد الطهراني): ٤٢٨ . مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم .

قال: «لو أخبرت أحداً لأخبرتكم، ولقد خبرت بمكانكم، ما كان هذا من رأيي أن يظهر هذا مني إليكم، ولكن إذا أراد الله تبارك وتعالى إظهار شيء من الحق لم يقدر العباد على ستره.

فقلت له: جعلت فداك، إنك قلت لي في عامنا الأول، حكيت عن أبيك عليه السلام، أن انقضاء ملك آل فلان، على رأس فلان وفلان، ليس لبني فلان سلطان بعدهما.

قال عليه السلام: «قد قلت ذاك لك».

فقلت: أصلحك الله، إذا انقضى ملكهم، يملك أحد من قريش يستقيم عليه الأمر؟! قال عليه السلام: «لا». قلت: يكون ماذا؟! قال عليه السلام: «يكون الذي تقول أنت وأصحابك».

قلت: تعني خروج السفيناني؟! فقال عليه السلام: «لا».

فقلت: قيام القائم؟!.

قال عليه السلام: «يفعل الله ما يشاء»^(١).

قلت: إسناده صحيح دون كلام.

والأخبار في هذا قطعية مضي بعضها، وسيأتي غيرها كصحيح ثابت بن دينار، أبي حمزة الثمالي رضي الله عنه، عن الباقر عليه السلام قال: «يا ثابت إن الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر في السبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه، اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة...».

(١) قرب الإسناد: ٣٧١. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

خروج السفيناني من المحتوم الإضافي

روى النعماني (٣٨٠هـ) في الغيبة قال رضي الله عنه : حدثنا أحمد بن إدريس، عن علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول: «خروج السفيناني من المحتوم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من المغرب من المحتوم» وأشياء كان يقولها من المحتوم^(١).

قلت : من الضروريات ، وهذا الإسناد حسن صحيح ، رجاله ثقات إلا علي بن قتيبة ، وهو معتمد عند الأجلء ، لا ينزل عن رتبة الحسن .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم ، عن الفضل الكاتب قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم الخراساني .

فقال عليه السلام : «ليس لكتابك جواب ، اخرج عنا...، يا فضل حتى يخرج السفيناني ؛ فإذا خرج السفيناني فأجيبوا إلينا ، وهو من المحتوم»^(٢).

قلت : إسناده صحيح.

قوله عليه السلام : (خروج السفيناني من المحتوم) أي لا بدّ من تحقّق أصل خروجه فيما قضى الله تعالى ، لكن هل لنا أن نحتمل أن يكون خروجه لعنه الله ، أقل ضرراً ، وأخف وطأة على المستضعفين إذا أطاعوا الله ، وتابعوا المعصوم عليهم السلام بنحو مرضي كما أراد الله سبحانه وتعالى؟!!!

قلنا : وما المانع في ذلك؟! هاك هذا النص لترى ..

(١) الغيبة للنعماني (ت: فارس الحسون): ٤٣٥ . مطبعة مهر ، قم .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري): ٨: ٢٧٣ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

خبر الجعفري : لله تعالى البداء في محتوم السفيناني

أخرج النعماني في الغيبة قال : أخبرنا محمد بن همام قال: حدثنا محمد بن أحمد بن عبد الله الخالنجي قال: حدثنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري قال: كُنَّا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليها السلام ، فجرى ذكر السفيناني وما جاء في الرواية من أن أمره ، من المحتوم فقلت لأبي جعفر عليها السلام: هل يبدو لله في المحتوم؟!.

قال عليه السلام : «نعم».

قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم عليه السلام!؟.

فقال عليه السلام : «إِنَّ الْقَائِمَ مِنَ الْمِعَادِ، وَاللَّهِ : ﴿لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾»^(١).

قلت : إسناده مجهول ، رجاله ثقات أجلاء ، إلا الخالنجي ؛ فلم أقف عليه ، لم أجد له ذكراً في كتب الفريقين ، سنة وشيعة ، ونحتمل كما احتمل البعض أن الاسم مصحّف عن النسخ ، والتصحيح كثير في النسخ القديمة .

ويستبعد أن يروي محمد بن همام الإسكافي ، وهو رأس الشيعة في زمانه ، وعين الطائفة المرحومة ذاك العهد ، عن راو مهمل تماماً عند أهل القبلة ، لا يعرفه السنة ولا الشيعة ؛ لذلك احتمل بعض أهل النباهة أنه الثقة : محمد بن أحمد بن عبد الله بن مهران بن خانبة الكرخي . والكرخي هذا كان أبوه ي كاتب الرضا عليه السلام ، فتأمل جيداً .

ولا يرد علينا الاحتجاج للمحتوم الإضافي بالأخبار ضعيفة الإسناد ؛ كخبر الخالنجي المهمل أعلاه ؛ ضرورة كثرة الأخبار في أصل ما نحن فيه ، وهي في الجملة قطعية الصدور معتمدة بالقرآن فيما عرفت ، فلا تغفل عن هذا ؛ ضرورة أن الأخبار في المحتوم الإضافي بأنواعه ، متواترة إجمالاً ، لا يسعُ أحدٌ ردّها ..

(١) الغيبة للنعماني(ت: فارس الحسون): ٣٠٣. مطبعة مهر ، قم.

من ذلك فيما عرفت : وقت خروج القائم عليه السلام ، لا أصل لخروجه ، وكذا خصوصيات خروج السفينائي ؛ كشدّة وطأة خروجه وضعفها ، لا أصل لخروجه ، وكسعة نعيم الجنّة لا أصل للنعيم وغير ذلك .

قال صاحب البحار محمّد باقر المجلسي رضي الله تعالى عنه: لعلّ للمحتوم معان يمكن البداء في بعضها وقوله : «من الميعاد» إشارة إلى أنّه لا يمكن البداء فيه ؛ لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ﴾ .

والحاصل : إنّ هذا شيء وعد الله رسوله وأهل بيته ، لصبرهم على المكاره التي وصلت إليهم من المخالفين ، والله لا يخلف وعده . ثمّ إنّّه يحتمل أن يكون المراد بالبداء في المحتوم ، البداء في خصوصياته ، لا في أصل وقوعه^(١) . اهـ .

قلت : أجاد وأفاد رضي الله عنه وطيب ترتبه الشريفة ، لكن لا داعي لتردّده مع ما سردناه من الأخبار القطعيّة ، سيما ما ذكرناه في تأخير خروج القائم ، مع أنّه من المحتوم ؛ إذ لا مخرج إلّا ما ذكرناه من تقسيم المحتوم إلى مطلق وإضافي .

معتبر الجازي : لله المشيئة في النواصب

روى الكليني ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن (مصحّف الحسين) عن النضر بن شعيب ، عن عبد الغفار الجازي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنّ الله عز وجل خلق المؤمن من طينة الجنة ، وخلق الكافر من طينة النار ؛ إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً ، طيّب روحه وجسده ، فلا يسمع شيئاً من الخير إلّا عرفه ، ولا يسمع شيئاً من المنكر إلّا أنكره».

قال الجازي : وسمعه يقول : «الطينات ثلاث : طينة الأنبياء ، والمؤمن من تلك الطينة إلّا أنّ الأنبياء هم : من صفوتها ، هم الأصل ، ولهم فضلهم . والمؤمنون : الفرع من طين لازب ، كذلك لا يفرق الله عز وجل بينهم وبين شيعةهم».

وقال عليه السلام : «طينة الناصب من حمأ مسنون . وأمّا المستضعفون : فمن تراب ، لا يتحول مؤمن عن إيمانه ، ولا ناصب عن نصبه ، والله المشيئة فيهم»^(١).

وأخرجه الصقّار رضي الله عنه في البصائر ، عن محمد بن الحسين ، به مثله ، وزاد : «ولله المشيئة فيهم جميعاً»^(٢).

قلت : إسناده صحيح على الأظهر ، ضعيف على المشهور ، رجاله ثقات . محمّد بن الحسن ، مصحّف محمّد بن الحسين ابن أبي الخطاب الثقة ، كما هو صريح بصائر الدرجات وغيره . عبد الغفار بن حبيب الطائي ثقة ، والجازي من الجازية وهي قرية بالنهرين . واختلف أساطين النقد في النضر بن شعيب ، فقيل : هو ابن سويد الثقة عينه ، وقيل : هو غيره ، وهو المشهور ؛ يؤيد المشهور أنّ التعدد المذكور في كتب القدماء .

لكن الحقّ إنّ هذه الشهرة واهية للغاية ؛ والأرجح قوّة اتحادهما لأمر :

(١) الكافي (علي غفاري) ٢ : ٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت : حسن كوجة) : ٣٦ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

الأول : لا عبرة بتعدد ذكرهما عند القدماء فيما نحن فيه ؛ ضرورة وقوع الخلط والتصحيف عندهم في الاسمين ؛ فيضعون أحدهما بدل الآخر ، كما حصل في كتابي الشيخ الطوسي التهذيب والاستبصار ، في باب من يقضي شهر رمضان أنه بالخيار إلى زوال الشمس ؛ ففي التهذيب عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن النضر بن سويد ، عن جميل بن دراج ، عن أبي عبد الله عليه السلام . وفي الاستبصار : مثله سوى النضر بن شعيب بدل النضر بن سويد ، والموارد كثيرة .

الثاني : لم يرو عن النضر بن شعيب ، غير محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، فلا توجد رواية للنضر بن شعيب إلا من طريقه .

الثالث : قال السيد الخوئي في المعجم : له روايات كثيرة في الكتب الأربعة ، والراوي عنه كثيراً محمد بن الحسين ، ووقع في طريق النجاشي والشيخ والصدوق إلى خالد بن ماد القلانسي ومع ذلك لم يذكر في كتب الرجال .

قلت : يستبعد جداً عدم ذكر مكثر الرواية في كتب الرجال ، بل لم أجد مكثراً تناسته كتب الرجال ، وهذا قرينة قوية على الاتحاد .

الرابع : روى محمد بن الحسين ، عن النضر بن سويد أخباراً كثيرةً بالعشرات ، في الكتب الأربعة والبصائر وتفسير القمي وكامل ابن قولويه وغيرها ، صحح كثيرٌ منها السيد الخوئي رضي الله عنه فيما يعرف المنتبع ، ناهيك عن كون الحسين أحد رواة كتاب ابن سويد فيما ذكر النجاشي .

فعجيبٌ قول السيد الخوئي طيب الله قبره الشريف في المعجم : لم يثبت رواية محمد بن الحسين عن النضر بن سويد ، وقد أكثر الرواية عن النضر بن شعيب . اهـ . ولعله رضوان الله عليه يقصد شيئاً آخر ، أو روايات بعينها ، لا مطلقاً؛ فتأمل جيداً .

الزبدة : مجموع ما قلنا يقوي الاتحاد ، وقد قال به القهبائي وغيره .

بيان هذا العويص !!

قوله عليه السلام : (لا يتحوّل مؤمن عن إيمانه ، ولا ناصب عن نصبه ، والله المشيئة فيهم) من العويص ، كونه بإيجاز ، من اجتماع النقيضين المحال ، كالآتي :

فظاهر قوله عليه السلام : (لا يتحوّل ناصب عن نصبه) محتوم مطلق ، لا مردّ له ؛ فلا يطرأ عليه البداء إطلاقاً .

وفي المقابل فظاهر قوله عليه السلام كما في البصائر : (والله المشيئة فيهم جميعاً) أنّ تحوّلهم للإيمان ، ليس محتوماً مطلقاً ، بل قد يطرأ عليه البداء إذا تابوا .

الحاصل : عدم تحول الناصبي إلى الإيمان ، محتوم وليس بمحتوم في آن واحد ، وهذا ممتنع ذاتاً ؛ كونه من اجتماع النقيضين .

لذلك فهذا الخبر ، من جنس الأخبار الشريفة ، التي ربا اعتاصت على بعض أساطين أصحابنا رضي الله عنهم ، ولا مخرج من ذلك إلا ما ذكرناه من تقسيم المحتوم إلى مطلق وإضافي ، المبنيان على قاعدتين ضروريتين في مذهبنا المرحوم :

القاعدة الأولى : نفى العجز عن الله سبحانه وتعالى ؛ فالله تعالى قادر أن يبدّل شقاوة الناصبي إلى سعادة ، ناهيك عن كونه سبحانه قد : ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ .

القاعدة الثانية : أنّ لمطلق الأشقياء ؛ كالكافر والمنافق والناصبي ، استطاعة للتوبة والطاعة ، وهذا لا ينافي علم الله بعدم توبة كثير منهم ، حتى مع استطاعتهم عليها .

فيمكن رفع التناقض بما أطلقنا عليه المحتوم الإضافي من النوع الرابع ؛ ضرورة أنّ التناقض لا يتصور إلا إذا كان المحتوم مطلقاً ، وما نحن فيه ليس كذلك ؛ فالله سبحانه حتّم أن يوجد الشقيّ شقيّاً يوم الذر وفي الدنيا قبل التوبة ، وهذا لا مردّ له ولا يطرأ عليه البداء . لكن قد يطرأ عليه البداء في عالم الدنيا إذا تاب ، فلا تناقض إطلاقاً .

النّص أنّ النّصب محتوم إضافي

روى الكليني عن أبي علي الأشعري ومحمد بن يحيى، عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو علم الناس كيف ابتداء الخلق ما اختلف اثنان..؛ إنّ الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماء عذبةً، أخلق منك جتي وأهل طاعتي، وكن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم أمرهما فامتزجا؛ فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن، ثم أخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فإذا هم كالذر يدبون فقال لأصحاب اليمين إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب الشمال إلى النار ولا أبالي، ثم أمر ناراً فأسعرت فقال لأصحاب الشمال ادخلوها فهابوها، فقال لأصحاب اليمين ادخلوها فدخلوها فقال: كوني برداً وسلاماً، فكانت برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال يارب أقلنا؟!..»

فقال سبحانه: قد أقلتكم فادخلوها، فذهبوا فهابوها، فتمّ ثبتت الطاعة والمعصية، فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء، ولا هؤلاء من هؤلاء»^(١).

أقول: إسناده صحيح دون كلام..

قوله عليه السلام: (فتمّ ثبتت الطاعة والمعصية، فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء، ولا هؤلاء من هؤلاء) بضميمة بقية أخبار عالم الذر المتواترة، ظاهرٌ جداً في المحتوم الإضافي من النواع الرابع، لا المطلق؛ فهذا الثبوت، حتمٌ محتومٌ مضى متحقق في عالم الذر، قبل خلق الدنيا، وأما في الدنيا فلله المشيئة فيهم إذا تابوا وأطاعوا.

فقوله عليه السلام في معتبر الجازي: (لا يتحوّل مؤمن عن إيمانه، ولا ناصب عن نصبه) إنّما هو في عالم الذر قبل خلق الدنيا، بل حتى بعد خلق الدنيا قبل التوبة (و) لكن (لله) المشيئة فيهم) في عالم الدنيا إذا تابوا وأطاعوا وأنبأوا.

الزبدة :

لا تناف في قوله عليه السلام : (لا يتحول ناصب عن نصبه ، والله المشيئة فيهم) إطلاقاً ؛ فقله عليه السلام (لا يتحول...) متعلّق بمحتوم يوم الذر والميثاق ، لكن ليس هذا كلّ شيء ؛ فإنّ : (الله المشيئة فيهم) أي : الله سبحانه أن يبذل الله شقاوتهم إلى سعادة إذا أطاعوا بعد إنزالهم إلى الدنيا ، رحمةً منه وفضلاً ، وهذا هو المحتوم الإضافي .

يتعيّن تأويل الخبر بهذا ؛ لقول الباقر عليه السلام : (فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه شقيّاً أو سعيداً وجميع شأنه... ، فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ، ويشترطان البداء فيما يكتبان) وهو صريح أيّما صراحة في محتومين :
الحتم الأوّل : أوجدهم الله أشقياء .

دَلّ على هذا أخبار الذر المتواترة ، فالله سبحانه وتعالى خلقهم في عالم الذر أشقياء بما عصوا في اختبار ذاك العالم ، بل قد أنزلهم الله سبحانه إلى عالم الدنيا أشقياء ، لكن ليس هذا كلّ شيء ؛ فنمّة .

الحتم الثاني ، وهو : طرو البداء والمشيئة على هذا الحتم .

وهذا أيضاً دلّت عليه الأخبار القطعية المتواترة ، فلقد صرّحت النصوص القطعية أنّ الله تعالى يتوب على من تاب منهم في عالم الدنيا ؛ حسبنا من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنِ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

ولا ينافي هذا علم الله تعالى بعدم تحوّل كثير من النواصب ، من الشقاوة إلى السعادة ، حتّى مع استطاعتهم على التوبة وقدرتهم على السعادة ؛ فلا يختلطن عليك .

وكنا قد ألمحنا في بحوث سابقة من هذا الكتاب ، وفي كتبنا الأخرى ؛ ككتاب الفرقة الناجية من مطبوعات العتبة الحسينية ، إلى أنّ الأشقياء ؛ كالنواصب والكفّار والمنافقين ، على قسمين في مرتبتين :

المرتبة الأولى : المحتوم المطلق .

وهؤلاء في علم الله سبحانه ، لا يزيدون ولا ينقصون ، وأعدادهم قليلة قياساً ببقية الناس ، والله أخبر المعصومَ بأسائهم على نحو الحتم المطلق ، أنهم لا يتوبون في الدنيا ، ويموتون على الشقاوة ؛ من هؤلاء رؤوس البرامكة لعنهم الله تعالى كما سترى في الفصل الأخير من هذا الكتاب ، لكن ليس هذا حال كلِّ الأشقياء ؛ فتمّة ..

المرتبة الثانية : المحتوم الإضافي .

وهو المحتوم من النوع الرابع ، وهؤلاء وإن حتمَّ الله تعالى أنهم أشقياء أو نواصب أو كفّار في عالم الذر ، وفي هذه الدنيا أيضاً قبل التوبة ، إلا أنّ هذا الحتم إضافي ليس بمطلق؛ كونهم في معرض البداء والتوبة والرحمة ، وهؤلاء كثير ؛ فأهل الحق في مبدء الإسلام قليل وهم اليوم ملايين .

وغير خاف على الجميع أنّ بعض القبائل والعشائر ، كانت عهد بني أمية وبني العباس ، على النصب وبغض أهل البيت عليهم السلام ، لكنهم اليوم كلّهم شيعة موالين لأهل البيت عليهم السلام .

هاك هذا المثال لترى الأمر ..

الأمويّة بين المحتوم المطلق والإضافي

أخرج أبو القاسم ، جعفر بن محمد بن قولويه (٣٦٨هـ) رضي الله عنه ، بإسنادٍ معتبر ، منجبر بالشهرة العظيمة ، والسيرة القطعيّة ، عن علقمة بن محمد الحضرمي ، عن الباقر عليه السلام في نصّ زيارة الحسين يوم عاشوراء : «إني سلّم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم الى يوم القيامة، فلعن الله آل زياد وآل مروان، ولعن الله بني أميّة قاطبة»^(١).

وهو صريحٌ في تعلّق اللعن ، بكلّ فردٍ من أفراد بني أميّة ، لا يخرج منهم أحدٌ ؛ للاستيعاب في قوله عليه السلام : (قاطبة).

لكن في المقابل ينافيه تماماً ، ما أخرجه الشيخ المفيد رضي الله عنه (٤١٣هـ) في الاختصاص قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن أحمد الكوفي الخزاز قال: حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي، عن ابن فضال، عن إسماعيل بن مهران، عن أبي مسروق النهدي، عن مالك بن عطية، عن أبي حمزة، قال: دخل سعد بن عبد الملك ، وكان أبو جعفر عليه السلام يسمّيه سعد الخير ، وهو من ولد عبد العزيز بن مروان ، على أبي جعفر الباقر عليه السلام ، فبينما ينشج كما تنشج النساء قال له أبو جعفر عليه السلام: ما يبكيك يا سعد؟! .

قال سعد الخير : وكيف لا أبكي ، وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن!! .

فقال له عليه السلام : «لست منهم ؛ أنت أمويٌّ منّا أهل البيت ، أما سمعت قول الله عزوجل يحكي عن إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾»^(٢).

قلت : إسناده موثّق صحيح ، رجاله موثّقون عند أصحابنا ؛ كالسيدّ الخوئي رضي الله عنه ، لكن ناقش السيدّ الخوئي بعدم ثبوت نسبة كتاب الاختصاص إلى الشيخ المفيد رضي الله تعالى عنه.

(١) كامل الزيارات .

(٢) الاختصاص(ت: علي أكبر غفاري) : ٨٥ . دار المفيد ، لبنان .

وفيه ما لا يخفى ؛ إذ المشهور شهرة قويّة جداً نسبة الكتاب للشيخ المفيد ، كما ذكر صاحب البحار والحر العالمي والمحقق البحراني والشيخ الأنصاري وغيرهم ، بل ربما لم نجد من شكك في ذلك قبل السيّد الخوئي رضي الله عنهم جميعاً ، فلاحظ !! .

يتضح من مجموع الخبرين المعتبرين ، بضميمة كلّ ما تقدّم ، ثلاثة أمور :

الأول : الأمويّة محتومٌ إضافي .

قضى الله قضاءً حتمياً ، في اللوح المحفوظ ، أو في عالم الذر ، بل في عالم الدنيا قبل التوبة ، أنّ كلّ بني أميّة فرداً فرداً ، ملعونون ؛ يدلّ على كونه محتوماً ، هو أنّ الله كتب ذلك وأوجده في الخارج والعيان على الحقيقة ، بما جحدوا أمر الله تعالى في اختبار يوم الذر .

لكن نتساءل ، هل هذا المحتوم مطلق أم إضافي ؟ !! .

الأمر الثاني : الأمويّة ، محتومٌ إضافي من النوع الرابع .

كونه معلّقاً على التحوّل والثبات ؛ فالله تعالى حتمّ سابقاً شقاوة الشقي في عالم الذر ، وهو العالم السابق على عالم الدنيا ، وكذلك أنزلها الله في الدنيا ، لكن ليس هذا حتماً مطلقاً ؛ ضرورة أنّ الشقاوة معلّقة على مشيئة الله تعالى في التوبة اللاحقة .

فالأمويّة بالإضافة إلى عالم الذر ، بل عالم الدنيا قبل التوبة ، محتوم لا مردّ له ؛ ضرورة أنّ الله تعالى أوجدهم كذلك في الخارج والعيان ، في عالم الذر ثمّ في عالم الدنيا .

لكن بالإضافة إلى قدرتهم على التوبة والطاعة ، معلّق على المشيئة والبداء والتوبة . وهي هنا نتساءل : هل يستطيع من حتمّ الله عليه الشقاوة ، التوبة والطاعة ؟ !! هذا هو ..

الأمر الثالث : محتوم الأمويّة على قسمين :

الأمويّون على قسمين ، كلّ من القسمين ، قادر على التوبة ، مستطيع للطاعة ، وهذا من ضروريّات مذهبنا في نفي الجبر ، والقسمان كالآتي :

محتوم الأموية على قسمين مطلق وإضافي

القسم الأول : محتوم الأموية المطلق .

هذا القسم هو محتوم الأموية المطلق ؛ ففي علم الله الأزلي الأبدي السرمدى ، أن بعض الأمويين لا يريد التوبة والطاعة ، جحوداً وعناداً ، حتى مع استطاعته عليهما ؛ فشقاوة هذا القسم محتوم مطلق ، من هؤلاء سفياي آخر الزمان ، ومن قتلهم نبينا في بدر .

وقد ورد في أخبار أهل القبلة الثابتة ، بل المتواترة إجمالاً في طرق الفرقين ، أن الله سبحانه وتعالى أعطى نبيه محمداً صلى الله على محمد وآل محمد يوم المعراج ، صحيفتين فيهما أسماء هؤلاء الأشقياء فرداً فرداً ، لا يزيدون ولا ينقصون ، وفي أخبارنا الصحيحة القطعية أن أهل البيت عليهم السلام ، ورثوهما عن جدّهم النبي صلى الله عليه وآله ، وهؤلاء لا يزيدون ولا ينقصون ، وأعدادهم قليلة جداً قياساً ببقية البشر .

القسم الثاني : محتوم الأموية الإضافي .

حقيقة أن بني أمية ، ملعونون مطرودون من الرحمة يوم الذر وفي الدنيا قبل التوبة ، حتم محتوم لا بداء فيه ؛ لما صدر عنهم من جحود في امتحان يوم الذر .

لكن ليس هذا كلّ شيء ؛ فبالإضافة إلى المشيئة اللاحقة في عالم الدنيا ، في تبديل شقاوتهم إلى سعادة إذا تابوا ، يكون هذا المحتوم ، معلق على التوبة في عالم الدنيا ، وهذا معنى المحتوم الإضافي .

يدلّ عليه خارجاً أنّ كثيراً من الأمويين من هذا القسم اختاروا التوبة ؛ كسعد الخير الأموي رضي الله عنه ، وهؤلاء يبذل الله شقاوتهم إلى سعادة و: ﴿ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ .

الزبدة : قوله عليه السلام في رواية الجازي : (لا يتحوّل ناصب عن نصبه) في عالم الذر ، بل حتى بعد إنزالهم إلى الدنيا قبل التوبة (و) لكن ليس هذا كلّ شيء ضرورة أنّ (الله المشيئة فيهم) إذا تابوا في عالم الدنيا ، فع هذا جيّداً واحفظه .

معار الإيمان بين المحتوم المطلق والإضافي

روى الكليني (٣٢٩هـ) عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن أبي أيوب ، عن محمد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام قال : سمعته يقول : «إنَّ الله عز وجل خلق خلقاً للإيمان لا زوال له ، وخلق خلقاً للكفر لا زوال له ، وخلق خلقاً بين ذلك ، واستودع بعضهم الإيمان ؛ فإنَّ يشأ أن يتمه لهم أمته ، وإنَّ يشأ أن يسلبهم إياه سلبهم ، وكان فلان منهم معاراً»^(١).

قلت : إسناده صحيح بإجماع ، وهو ضروريّ.

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن حبيب ، عن إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنَّ الله جبل النبيين على نبوتهم فلا يرتدون أبداً ، و جبل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدون أبداً ، و جبل بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدون أبداً ، ومنهم من أغير الإيمان عارية ؛ فإذا هو دعا وألح في الدعاء مات على الإيمان»^(٢).

قلت : صحيح بل ضروري ، وهذا الإسناد مجهول بالقاسم .

وأخرج الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن مرار ، عن يونس ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي الحسن صلوات الله عليه مثله ، وزاد صلوات الله عليه : «إنَّ فلاناً كان مستودعاً إيمانه ؛ فلما كذب علينا ، سلب إيمانه ذلك»^(٣).

قلت : صحيح بل ضروري ، وهذا الإسناد مبهم ببعض الأصحاب ، صحيح على مبنى المحقق الحلي رضي الله عنه .

(١) الكافي (علي غفاري) ٢ : ٤١٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (علي غفاري) ٢ : ٤١٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي (علي غفاري) ٢ : ٤١٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن موسى بن بكر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : «إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ؛ فَمَنْ دَخَلَ بَابَهُ كَانَ مُؤْمِنًا ، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ بَابِهِ كَانَ كَافِرًا ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ ، كَانَ فِي الطَّبَقَةِ الَّتِي اللَّهُ فِيهِمُ الْمَشِيئَةُ»^(١).

قلت : إسناده موثّق . يونس من أصحاب الإجماع ، وموسى واقفي معتمد ثقة .

أحاديث هذا الباب ، وهي كثيرة ، صريحة في أقسام ثلاثة :

القسم الأول : خلق الله خلقاً للإيمان ، لا زوال له ؛ وهؤلاء من ورد فيهم النص المتواتر بلفظ : «محضوا الإيمان» أو : «من محض الإيمان» كسلمان وأبي ذر وحذيفة والمقداد وعمار وشهداء بدر وكربلاء وأضرابهم رضوان الله عليهم .

القسم الثاني : خلق سبحانه خلقاً للكفر ، لا زوال له ، وهؤلاء محضوا الكفر ، وهؤلاء من ورد فيهم النص المتواتر : «من محض الكفر» كقتلى النبي في بدر ، ومن هؤلاء ذو الشدية وبقية رؤوس الخوارج المارقين من الدين ، وقاطبة النواصب .

قال تعالى فيهم : ﴿ ذَلِكْ بِأَتَمِّهِمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(٢).

قلت : وهو ظاهر ، بل صريح في المحتوم المطلق .

القسم الثالث : بقية الخلائق ، وهم كثرة الخلق الكاثرة ، استودعهم سبحانه الإيمان ، لكنّه معلق على المشيئة والبداء والمحو والإثبات ، المحكومين ، فيما قضى الله سبحانه وتعالى ، بالطاعة والمعصية .

(١) الكافي (علي غفاري) ٢ : ٣٨٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) سورة النحل : ١٠٨ .

وواضح أنّ القسمين الأوّلين ، محتوم نافذ مطلق ، لا مردّ له ؛ فهؤلاء على الإيمان والكفر في عالم الذر ، وفي عالم الدنيا إلى يوم القيامة ، لا يتحول مؤمن عن إيمانه ولا كافر عن كفره ، وهؤلاء قليلٌ جداً .

أما القسم الثالث ، وهم كثرة الخلق الكاثرة ، وفيهم الشقيّ الذي لم يحضض الشقاوة تماماً ، فمن المحتوم الإضافي دون ريب ؛ فلقد حتمّ الله تعالى وأمضى أن يستودعهم الإيمان والفتنة ومعرفة الله والخير والشرّ ؛ فالله تعالى خلقهم وأوجدهم خارجاً هكذا ، لكنّه معلق على المشيئة ، كما هو صريح صحيح يونس رضي الله تعالى عنه .

ومعنى التعليق على المشيئة ، أنّ من اختار الإيمان من هذا القسم ، أتمّ الله له الإيمان ، ومن أختار الكفر سلب الله عنه ما استودعه من الإيمان ؛ ليكون كافراً .

ومعنى الإيمان المعار : التذبذب بين ثبوته إذا أطاع العبد ، وبين زواله إذا عصى العبد ؛ لصريح قوله عليه السلام في خبر إسحاق : (فإذا هو دعا وألح في الدعاء مات على الإيمان) ولقوله عليه السلام في خبر ابن مرار : (إنّ فلاناً كان مستودعاً إيمانه ؛ فلما كذب علينا ، سلب إيمانه ذلك) .

مناقشة ما ذكره أصحابنا رضي الله عنهم

ما ذكره المجلسي رضي الله عنه

قال المجلسي رضي الله عنه (١١١١هـ) : الظاهر أن الضمير في قوله عليه السلام : (فيهم) راجع إلى الجميع ، ويحتمل رجوعه إلى المستضعفين ؛ لأنه عليه السلام لما ذكر حال الفريقين ، فالظاهر أن هذا حال الفريق الثالث ، لكن قوله عليه السلام : (جميعاً) يأبى عن ذلك ، وليس في الكافي ، ولعله زيد من النسخ^(١).

لكنّه عاد في موضع آخر من البحار فقال رضي الله عنه : قوله عليه السلام : (ولله المشيئة فيهم) أي في المستضعفين ، والتعميم بعيد^(٢) . اهـ.

قلت : ربما يرد على تأويل الخبر بالمستضعفين القبح الظاهر ؛ فقوله عليه السلام : (لا يتحول مؤمن عن إيمانه ، ولا ناصب عن نصبه ، والله المشيئة فيهم) الفصل بجمله غير اعتراضية ، وكلام المعصوم ، الذي هو إمام الفصاحة والبيان ، منزه عن ذلك .

الزبدة : الصحيح أن يقال أنّ النصب على قسمين : مطلق وإضافي ، فنصب الناصبي المطلق محتوم لا مشيئة فيه ، بخلاف النصب الإضافي ..

ومعنى النصب الإضافي أنّ نصب الناصبي بالإضافة إلى عالم الذر والميثاق ، محتوم مطلق لا مردّ له ؛ فلا مشيئة فيه ولا بدء بالإضافة إلى ذاك العالم ؛ إذ هو في اللوح المحفوظ ناصبي لا غير ، بل قد أنزله الله سبحانه وتعالى إلى عالم الدنيا ناصبياً شقيّاً ..

لكن ليس هذا كلّ شيء ؛ إذ نصب الناصبي بالإضافة إلى عالم الدنيا معلق على البدء والمشيئة ؛ أي معلق على محو النصب وإثبات الإيذان ، شرط التوبة والطاعة ..

(١) بحار الأنوار (ت: اليهودي) ٢٥ : ٩ . مؤسسة الوفاء ، بيروت .

(٢) بحار الأنوار (ت: اليهودي) ٦٤ : ٨٣ . مؤسسة الوفاء ، بيروت .

فيكون بيان الحديث هكذا : (لا يتحول مؤمن) في عالم الذر (عن إيمانه) بعد إنزاله إلى عالم الدنيا أبداً ؛ فهذا قضاء لا يرد ولا يبدل ؛ ضرورة أنّ الله لا يخلف الميعاد (ولا) يتحوّل (ناصب) في عالم الذر (عن نصبه) عند إنزاله إلى الدنيا إلاّ إذا تاب بعد إنزاله إليها ، وقوله عليه السلام : (والله المشيئة فيهم) باعتبار استطاعة جميعهم على التوبة في عالم الدنيا ، وإلاّ انتقض الغرض من إنزالهم إلى عالم الدنيا .

يتعيّن هذا التأويل ؛ لدفع إشكاليّة عظيمة ، وهي إشكاليّة السفه وانتفاء الغرض من خلق الدنيا ؛ فالله سبحانه وتعالى إنّها خلق عالم الدنيا برمته ، وقد مرّت بعض النصوص الصحيحة في ذلك ؛ كصحيح حبيب السجستاني عن الباقر عليه السلام وغيره ..

قلنا : إنّها خلق الله تعالى الدنيا ؛ لزيادة إيمان مؤمن يوم الذر فيها ، ولتوب على من تاب فيها من أشقياء يوم الذر ؛ فافتراض أنّ كلّ من كان ناصبياً يوم الذر ، يبقى على النصب والشقاوة في عالم الدنيا نقضٌ للغرض ، وهو محال .

وسياتي النصّ ، وقد مرّ بعضه ، أنّ أهل الشقاوة والطغيان والإجرام من النواصب ، ممّن لم يتب بعد إنزاله إلى الدنيا ، قليل قياساً بقيّة البشر ..

مناقشة الفيض رضي الله عنه

قال الفيض (١٠٩١هـ) رضي الله عنه في الوافي : قوله عليه السلام : (لا يتحول مؤمن عن إيمانه ، ولا ناصب عن نصبه ، والله المشيئة فيهم) ردّ لتوهم الإيجاب في فعله سبحانه ، وفيه إشارة إلى قوله عز وجل : ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

قلت : مقصوده الشريف ، ما ذكرناه أنّ الله سبحانه قادرٌ مختار ، ليس بعاجز أن يهدي الجميع ، لكنّه سبحانه وتعالى لم يفعل ذلك ؛ لحكمة الابتلاء كما في قوله سبحانه : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

بيد أنّ هذا الجواب ، وإن كان صحيحاً في نفسه ، إلاّ أنّه لا يدفع إشكاليّة السفه وانتقاض الغرض ؛ فمع علم الله ببقاء كلّهم على النصب ، يتتفي غرض إنزالهم من عالم الذر إلى الدنيا ، وهذا عين السفه ، ناهيك عن إشكاليّة الجبريّة ، وهما محال.

ولقد بان أنّ النواصب نواصبٌ في عالم الذر ؛ بما عصوا ربّهم هناك ؛ فكونهم نواصب في عالم الذر ، وفي عالم الدنيا ، محتوم لا مردّ له ، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ.

لكن ليس هذا كلّ شيء ؛ فالله وإن حتمّ إنزالهم نواصب إلى عالم الدنيا ، لكن فتح لهم باب التوبة والطاعة وأقدرهم عليهما ، هم على قسمين ، فبعضهم تاب ، وهم الأكثر ، وآخر بقي على نصبه وجحوده ، وهم أهل الشمال والجحود والطغيان ، وهم قليل جداً .

يدلّ عليه في الأخبار الثابتة خبر إبراهيم ، عن الصادق عليه السلام : (وقال للذي بشماله منك الجبارون والمشركون والكافرون والطواغيت ، ومن أريد هوانه وشقوته ، فوجب لهم ما قال)^(٢).

(١) الوافي ٤ : ٢٨ .

(٢) الكافي (علي غفاري) ٢ : ٥ . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران .

مناقشة المازندراني رضي الله عنه

قال رضي الله عنه : (١٠٨١ هـ) قوله عليه السلام : (لا يتحول مؤمن عن إيمانه) بيان لحال كلّ واحد من الأقسام الثلاثة ، ولا ينافيه ما قد يقع من التحول ؛ لأنّ المتحول من الايمان لم يكن مؤمناً في الحقيقة ، وإنّما اكتسب الايمان بما فيه من رائحة طينة المكتسبة بالمخالطة ، فلما زالت عاد إلى ما كان عليه من الكفر في العهد القديم .

والمتحوّل من الكفر لم يكن كافراً في الحقيقة ، وإنّما اكتسب الكفر بما فيه من رائحة النار ، فلما زالت عاد إلى ما كان عليه من الإيمان . وبالجملة الإيمان في الأول حسنة نشأت من التخليط المذكور ، والكفر في الثاني سيئة نشأت منه ، والتخليط قد يفضي إلى اتّصاف كلّ واحد من الفريقين بصفات الآخر ، لكنّه غير مستقر غالباً ^(١) . اهـ .

قلت : فيه مصادرة واضحة ؛ فقوله الشريف : (ولا ينافيه ما قد يقع من التحول ...) ؛ والمتحوّل من الكفر لم يكن كافراً في الحقيقة) ينافي تماماً صراحة النصوص المتواترة الصريحة أنّ المؤمن والكافر في عالم الذر ، مؤمن وكافر على الحقيقة .

من ذلك صحيح زرارة ، المعتضد بعدم الخلاف عن الباقر عليه السلام : « يوحى الله إلى الملكين اكتبنا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري ، واشترط لي البداء فيما تكتبان . فيقولان : يا رب ما نكتب؟! . فيوحى الله إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمّه فيرفعان رؤوسهما ، فإذا اللوح يقرع جبهة أمّه ، فينظران فيه ، فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه شقيماً أو سعيداً وجميع شأنه... » « فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ، ويشترطان البداء فيما يكتبان ، ثمّ يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه » .

وهو صريح أنّ الشقاوة يوم الذر ، أمرٌ محتوم نافذ على الحقيقة ؛ غاية الأمر أنّه محتوم إضافي ؛ فبالإضافة إلى عالم الدنيا معلق على التوبة والبداء .

(١) شرح أصول الكافي (ت: علي عاشور) ٨: ٨ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

قوله رضي الله عنه : (والمتحوّل من الكفر لم يكن كافراً في الحقيقة، وإنّما اكتسب الكفر بما فيه من رائحة النار، فلما زالت عاد إلى ما كان عليه من الإيمان).

قلت : هذا في غاية العجب ؛ لمنافاته مثل قوله تعالى : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَتَهُمْ فَيَقْبَلُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾^(١).

فهل الكفّار في هذه الآية ، لم يكونوا كفّار على الحقيقة ؟!!

أجمع مفسّرون الفريقين في تفسير الآية أعلاه ، أنّ هؤلاء كفّار على الحقيقة ، وهو لا ينافي تحوّلهم للإيمان بالتوبة والطاعة ، وعجيبٌ غفلة قلمه الشريف عن هذا .

بل حتّى السعادة محتوم إضافي ، لكنها من النوع الثاني والثالث أو كليهما ؛ كونها فيما علمت معلّقة على اليسر وزيادة الفضل والسعة .

الفصل الثامن

علم المعصوم الجملي والتفسيري

نَبّه أنّ هذا التقسيم فيما يتعلّق بعلم المعصوم عليه السلام ورد في الأخبار الثابتة فيما ستعرف ، لكن بلفظ العلم الجُملي ، لا الإجمالي ..

وأياً كان فقد حار في معناه غير واحد من العلماء والحكماء ؛ لذلك هو أصعب مطالب علم المعصوم عليه السلام وأظرفها على الإطلاق ، بل هو أصعب مطالب الحكمة والكلام ، وأثقلها على الأفهام ، وهو مطلب جليل ، يتوقف فهم كثير من أخبار أهل البيت فيما نحن فيه على الإمام التام به .

ما نحن فيه متفرّع على ما عنوانه العلماء في الحكمة والكلام : علم الله الإجمالي والتفصيلي ، وقد ظلّ فيه غير واحد منهم إلى درجة مقيئة ؛ ظناً منهم أنّ العلم الإجمالي غير التفصيلي ، مع أنّ التفصيلي في المرتبة الأشرف ، وهي مرتبة الذات ، هو عين الإجمالي ، بل إنّ التفصيلي في مرتبة الفعل معلول للإجمالي مخلوق له سبحانه .

سبب هذا الظن الفاسد ، توهمهم استحالة علم الله تعالى بالجزئيات ، قبل وجودها في الخارج والعيان .

ترتّب على هذا ما هو أفسد منه ، بل قد صرّح به غير واحد من الحكماء المشهورين ، وهو أنّ علم الله تعالى بالجزئيات بعد إيجادها ، حصولي ليس حضورياً .
وهذا مبني على أمرين ممتنعين :

الأوّل : احتياج الله تعالى إلى آلة ؛ ضرورة أنّ العلم الحصولي لا يتحقّق إلا بألة ماديّة ؛ كالسمع والبصر و... ، وهذا ممتنع بالبدئية ؛ فالله تعالى ليس بجسم ولا جسماني .

الثاني : علم الله تعالى بالجزئيات والتفاصيل ، حصل بعد جهل ؛ ضرورة أنّ حقيقة الحصولي هو العلم بألة من بعد جهل ، وهذا ممتنع ؛ ضرورة أنّ علم الله تعالى محض ، غير مقيد بشيء ولا محدود بحد ، وما كان هكذا فهو حضوري ذاتي ليس حصولياً طارئاً .

ويجب التنبيه إلى أمور وإن كان بعضها معروفاً :

الأول : إطلاق العلم الإجمالي عليه خطأ ، والصحيح : الجُملي كما ورد في النصوص .

الثاني : العلم الإجمالي (=الجُملي) ، هو : علم الله تعالى البسيط المحض ، بما كان وما يكون وما سيكون كيف سيكون ، أولاً وسرمداً وأبداً ، ومعنى البسيط المحض : غير المحدود بحدّ ، منزّه عن كلّ حدود الإمكان ، وقيود الفقر .

الثالث : العلم الإجمالي (=الجُملي) عين الذات المحضّة ، وهي منزّهة عن الحدّ .

الرابع : العلم الإجمالي عين القدرة المطلقة على الإيجاد ، كونه عين الذات الأقدس ؛ فهو علّة العلل .

الخامس : العلم بالتفاصيل قبل وجودها الخارجي ؛ لا ينافي الإجمال والبساطة عقلاً ؛ ضرورة أنّ العلم بالعلّة التامة يعني -فيما يعني- العلم بوجود المعلول قطعاً ، وستأتي النصوص الشرعيّة القطعيّة في هذا؛ ففيها أمثلة جليّة ، واقعيّة في العيان ، لما ادعيناه وقلناه واعتقدناه .

السادس : العلم الإجمالي ، الذي هو عينه التفصيلي في مرتبة الذات ، حضوري ليس حصولياً ؛ ضرورة أنّ الحصولي لا يكون إلاّ بألّة أو واسطة ، والذات الأحديّة بسيطة ، منزّهة عن الآلّة والواسطة .

السادس : علم الله التفصيلي في مرتبة الذات ، هو عين الإجمالي ، وهو خالق كونه عين الذات ، وأمّا في مرتبة الفعل فهو مخلوق ؛ أي معلول لما كان في مرتبة الذات .

إذا أتضح هذا ، وهو ثابت في الأخبار القطعيّة عند الفريقين ؛ فثمّة خلط في معنى العلم التفصيلي ، وقع في حفرته غير واحد من الحكماء والمتكلمين ؛ فلقد حسب كثير منهم أنّ معنى العلم التفصيلي هو علم الله تعالى بالجزئيات والتفاصيل بعد إيجادها ، وأنّه سبحانه لا علم له بها قبل إيجادها ، وهذا عين الباطل المنافي للبرهان والبيان والتبيان ..

توهم أنّ التفصيلي هو علم الله بالجزئيات بعد إيجادها

قلنا بإجماع أصحابنا ووافقنا جلّ أهل السنّة : الله تعالى عالم بكلّ شيء قبل وبعد الإيجاد ؛ وإلاّ لزم النقص والجهل والتركيب في مرتبة الذات الأحديّة ، وهذا ممتنع ، ناهيك عن بطلانه ؛ ولا أقلّ من جحد القرآن القائل : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١) والاطلاق حجّة ؛ سيما مع اعتضاده بالبرهان القطعيّ والإجماع العلمي.

وقوله تعالى : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وقال سبحانه : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(٣).

الآيات ، بضميمة عدم الخلاف ، صريحة أنّ الله تعالى عالمٌ بكلّ شيء...؛ أي بكلّ الجزئيات وكلّ التفاصيل ، قبل إيجادها ؛ وإلاّ لزم الجهل والنقص والحدّ والتركيب في الذات الأحديّة ، وهذا ممتنع ، كما يلزم جحد القرآن ، وهذا عين الباطل .

الزبدة : علم الله الإجمالي البسيط ، المنزه عن الحدّ والتركيب والنقص في مرتبة الذات ، هو عين الذات ، وهو عينه علم الله بالتفاصيل والجزئيات ، قبل الإيجاد .

وأما بعد الإيجاد ، وهو علم الله التفصيلي في مرتبة الفعل ؛ فمخلوق معلول لما كان في مرتبة الذات ، فيما هو معلوم ضرورة . وبالجمله علم الله تعالى في مرتبتين ، كالآتي :

(١) الطلاق : ١٢ .

(٢) الشورى : ١٢ .

(٣) سبأ : ٣ .

مرتبنا علم الله التفصيلي

علم الله التفصيلي في مرتبتين كالآتي :

الأولى : علم الله التفصيلي في مرتبة الذات .

وهو علم الله سبحانه وتعالى بتفاصيل الأشياء وجزئياتها في مرتبة الذات الأحديّة البسيطة قبل إيجادها ؛ فهذا العلم عين الذات ، إجمالي بسيط منزّه عن كلّ حدّ وقيد ، وهو عين الحياة والقدرة المحضة..؛ فهو علّة علل الإيجاد ومعلولاتها.

ونؤكّد أنّ العلم بالتفاصيل قبل إيجادها ، لا ينافي البساطة بأيّ حال ؛ كعلم الإنسان البسيط بنهر الفرات ، الذي لا ينافي القدرة على العلم بتفاصيله وجداوله قبل إيجادها .

الثاني : علم الله التفصيلي في مرتبة الفعل .

وهو علم الله بتفاصيل الأشياء وجزئياتها بعد إيجادها في مرتبة الفعل.

ولا ارتياب أنّ علم الله التفصيلي في مرتبة الذات أشرف من الذي في مرتبة الفعل ؛ ضرورة أنّ كلّ ما كان في مرتبة الفعل ، معلولٌ مطلقاً لما كان في مرتبة الذات ؛ فذاك خالق وهذا مخلوق ، فاعلٌ ومفعول .

ويجب التنبيه أنّ لعلم الله التفصيلي ، بعد الإيجاد ؛ أي : في مرتبة الفعل ، مرتبتان :

الأولى: علم العرش، وهو علم المشيئة والإرادة ، وهو المطوي في أمّ الكتاب .

الثاني: علم الكرسي، وهو علم التقدير والقضاء، وهو المطوي في اللوح المحفوظ.

وقد مضى بيان هذا في فصل مستقل ، لكن يجب التنبيه إلى أنّ علم الكرسي ، هو علم إجمالي بسيط بالإضافة إلى ما دونه ، وتفصيلي بالإضافة إلى ما فوقه وهو علم العرش .

كما أنّ علم العرش إجمالي بسيط بالإضافة إلى علم الكرسي ، وتفصيلي بالإضافة إلى علم الله في مرتبة الذات . وهذا هو الإجمال الإضافي لا المطلق .

الإجمالي : البسيط المنزه عن الحد والتركيب!!

البسيط : هو المنزه عن التركيب والحدّ . وهو في مرتبتين :

البسيط المحض : وهو الوجود المطلق ، المنزه عن التركيب وكل قيود الفقر .

وهذا هو الواجب الحقّ عزّ وجل ؛ فكونه تعالى منزهاً عن كل قيود الفقر والتركيب ، يعني أنّه فاعل حيّ قادر غنيّ حكيم ؛ علّة مطلقة لما أوجده وما سيوجده من الممكنات سبحانه وتعالى .

البسيط الإضافي : وهو الوجود ، المنزه عن أكثر قيود الفقر .

كأرباب الأنواع ؛ يدلّ عليه ما مضى في فصل سابق أنّ الروح الأوّل ، نورٌ مخلوقٌ لله تعالى ، أذن سبحانه أن يكون علّة لما دونه من الأرواح في الوجود الطولي : ﴿ فَتَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ وقد مضت النصوص القطعيّة المبيّنة لهذا ، ومنه إماتة عزرائيل لكلّ الخلائق .

فالروح الأوّل ، أو عزرائيل عليه السلام : بسيط إضافي لا مطلق ، فهو بسيط بالإضافة إلى ما دونه ، محدود مركّب بالإضافة إلى الله تعالى ؛ ضرورة كونه معلولاً ، أي : مخلوقاً مقيداً بالفقر والاحتياج إلى علته حدوداً وبقاءً .

فالإنسان في مرتبة الكرسي والجبروت نورٌ مجرد بسيط ، وفي عالم الذر مركّب ؛ لتقيده ببدن ملكوتي ، وهذا تفصيل وتركيب .

وفي المقابل ، فهذا التفصيل الملكوتي ، بساطةٌ وإجمالٌ بالإضافة إلى عالم الدنيا ؛ فالإنسان في عالم الدنيا مقيد بقيود الزمان والمكان الفانيين ، وعالم الملكوت منزّه عنها تماماً فهو بسيط من هذه الجهة .

ومعنى أنّ علم الكرسي إجمالي بسيط بالإضافة إلى ما دونه ، كونه منزهاً عن كلّ قيود الإمكان الخارجيّة بالإضافة إلى ما دونه ، لكنّه بالإضافة إلى علم العرش مركّب غير بسيط ، وقد تقدّم بيان هذا في فصل العرش .

الزبدة : الإجمال فيما نحن فيه يعني البساطة والتنزه عن قيود الفقر .

وكما ذكرنا فالبسيط على قسمين : مطلق ، وإضافي ، والمطلق مختص بالذات الأحديّة ، أمّا علم العرش والكرسي ؛ فهما من الإجمال الإضافي لا المطلق ؛ لتقيدهما ببعض قيود الفقر ، ولا أقل من كونها حادثين مخلوقين .

ولقد أجاد وأفاد صدر الدين الشيرازي (١٠٥٠هـ) في قوله الشريف : واعلم أنّ كلّ من تشبّث في إثبات علمه تعالى بالأشياء ، بشيء من مجعولاته ؛ كعقل أو نفس^(١) ، أو يقول : علمه التفصيلي متأخر عن ذاته^(٢) ؛ فذلك لقصور نظره وضعف عقله .

والراسخُ في الحكمة عندنا ، مَنْ أثبت علمه بجميع الأشياء ، مع كثرتها وتفصيلها ، في مرتبة ذاته السابقة على جميع اللوازم والخوارج^(٣) ، من غير أن يلزم اختلاف حيثية في ذاته ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، والله ذو الفضل العظيم^(٤) . اهـ .

وهو صريحٌ ، في بطلان بل امتناع ، توقف علم الله بالتفاصيل على وجودها الخارجي ؛ وإلّا لزم الجهل والتركيب والنقص في الذات الأحديّة ، بل لزوم احتياج الذات الأحديّة إلى آلة ، وأنّ علمه سبحانه وتعالى حصوليّ ليس حضورياً ، وكلّ هذا ممتنع في ذاته ، تعالى الله عن هذه علواً كبيراً .

(١) وهو توهم أنّ الله لا يعلم بالجزئيات والتفاصيل إلاّ بواسطة خارجية مخلوقة ؛ كالعقول والنفوس ؛ كونها مسانخة من جهة التجرد لذات الباري ، ومسانخة من جهة أخرى لذات المخلوقات المقيّدة بقيد الفقر ؛ فصلحت أن تكون واسطة لله لإحاطته بالجزئيات والتفاصيل ، تعالى الله عن هذا التوهم علواً كبيراً .

(٢) بيان للتوهم أعلاه ، وهو توهم أنّ الله لا يعلم بالجزئيات والتفاصيل إلاّ بعد إيجادها خارجاً .

(٣) يشير رضي الله عنه إلى قاعدتي : بسيط الحقيقة كلّ الأشياء . و: اتحاد العلم والعالم والمعلوم .

ومعنى القاعدتين بإيجاز أنّ مردّ حقيقة كلّ الأشياء إذا تجرّدت عن قيود الفقر والإمكان ، إلى العلم الأوّل ، وهو إجمالي بسيط عين الذات الأحديّة ؛ فالعلم هو عين المعلوم في رتبة الذات وهما عين العالم .

(٤) الأسفار ٨ : ٢٤٩ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

النص أنّ التفصيلي في مرتبة الذات عين الإجمالي

الروايات في هذا متواترة إجمالاً ومعنى، لا يسعنا سردها ههنا ..

هاك منها ؛ تذكرة وتبصرة، ما رواه الكليني (٣٢٩هـ) رضي الله عنه عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام قال : « كان الله عز وجل ، ولا شيء غيره ، ولم يزل عالماً بما يكون ؛ فعلمه به قبل كونه ، كعلمه به بعد كونه »^(١).

قلت : متواتر معنى ، وهذا الإسناد صحيح معتضد بالضرورة والإجماع .

وروى الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن خالد الطيالسي ، عن صفوان بن يحيى ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، والقدرة ذاته ولا مقدور ؛ فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم ، وقع العلم منه على المعلوم ، والسمع على المسموع ، والبصر على المبصر ، والقدرة على المقدور »^(٢).

قلت : متواتر معنى ، وهذا الإسناد صحيح على الأظهر .

قوله عليه السلام : (وقع العلم منه على المعلوم) أي أنّ علم الله التفصيلي في مرتبة الذات ، الذي هو عين الإجمالي ، علّة لإيجاد علم الله تعالى التفصيلي الذي في مرتبة الفعل .

قال المازندراني شارحاً : لأنّ علمه بالأشياء ، عين ذاته ، وتقدّم ذاته على معلولاته الحادثة ومعلوماته الكائنة ، ظاهرٌ..؛ فظهر أنّّه كان عالماً ، ولم يكن معلوم في الوجود سوى ذاته ، فهو كان في الأزل عالماً ومعلوماً وعلماً ، ولم يكن معه شيء^(٣).

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٠٧. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٠٧. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) شرح أصول الكافي (ت: علي عاشور) ٤: ١٨٢ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

قلت : لله درّ المازندراني رضي الله عنه على هذا الفهم العميق ، والإيجاز الفصيح البليغ ، الذي لا يقتدر عليه إلا أهل الأفهام رضي الله عنه وعنهم .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن عيسى ، عن أيوب بن نوح أنّه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عز و جل : أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها ، أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها ؛ فعلم ما خلق عند ما خلق ، وما كوّن عند ما كوّن؟! .

فوقع بخطه عليه السلام : «لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء»^(١).

قلت : متواتر ؛ ضروريّ المعنى ، وهذا الإسناد صحيح دون كلام .

وروى الكليني محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن الكاهلي قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء : الحمد لله منتهى علمه؟! .

فكتب إليّ عليه السلام : «لا تقولن منتهى علمه فليس لعلمه منتهى ، ولكن قل منتهى رضاه»^(٢).

قلت : متواتر معنى ، وهذا الإسناد صحيح دون كلام .

الأخبار في هذا متواترة وهي صريحة في كلّ ما ذكرناه ، بل ما نحن فيه من ضروريّات ديننا الحنيف ، لم يختلف عليه أساطين أهل القبلة سنّة وشيعة .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٠٧. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ١٠٧. دار الكتب الإسلامية ، طهران .

النص أنّ عند الله جملة العلم

أخرج الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، جميعاً عن الحسن بن العباس بن الحريش ، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال : «قال أبو عبد الله عليه السلام : بينا أبي عليه السلام يطوف بالكعبة ، إذا رجل معتجر قد قيض له ، فقطع عليه أسبوعه ، حتى أدخله إلى دار جنب الصفا فأرسل إلي ، فكنا ثلاثة.

فقال المعتجر : «أخبرني عن هذا العلم الذي ليس فيه اختلاف من يعلمه»!؟.

قال عليه السلام : «أما جملة العلم فعند الله جل ذكره ، وأما ما لا بد للعباد منه فعند الأوصياء»^(١).

قلت : متواتر إجمالاً ، وهذا الإسناد معتمد كما بيّنّا في التنبهات أوّل الكتاب .

قوله عليه السلام : «جملة العلم فعند الله جل ذكره» كّل العلم ، لا يعزب عنه شيء مما كان وما يكون ما سيكون أبداً وأزلاً وسرمداً .

مع التنبه أنّ هذا هو عين العلم إجمالي ، ومعنى الإجمالي كما ذكرنا مراراً : المحض البسيط ، غير المحدود بحدٍّ ؛ يدلّ عليه في الأخبار القطعية ، صحيح الكاهلي قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء : الحمد لله منتهى علمه!؟.

فكتب إليّ أبو الحسن عليه السلام : «لا تقولن منتهى علمه ؛ فليس لعلمه منتهى ، ولكن قل منتهى رضاه»^(٢).

قلت : قوله عليه السلام : (ليس لعلمه منتهى) أي محض بسيط ، عين الذات ، غير محدود بحد ولا مقيّد بقيد .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٤٣ . باب تفسير إنا أنزلناه . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٠٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

زبدة ما تقدم

أولاً: العلم الإجمالي ، هو علة علل الإيجاد؛ فهو عين الذات والقدرة المحضة .

ثانياً: العلم الإجمالي ، هو عين علم الله تعالى التفصيلي في مرتبة الذات ، وإلا لزم الجهل والنقص والحد والتركيب ، وهذا ممتنع .

ثالثاً: في العلم التفصيلي مرتبتان : الأولى : في مرتبة الذات وهي عين الإجمالي .
والثانية : في مرتبة الفعل كونها بعد الإيجاد ، وهي ؛ أي : المرتبة الثانية ، مقيدة بقيود الفقر والإمكان ؛ ضرورة كونها مخلوقة .

رابعاً: المرتبة الثانية من العلم التفصيلي ، معلولة للمرتبة الأولى ، فالأولى خالق والثانية مخلوق .

خامساً: العلم التفصيلي في مرتبة الفعل ، أي : العلم بالجزئيات بعد إيجادها ، مرتبتان :

الأولى : علم العرش .

والثانية : علم الكرسي ، والثاني معلول الوجود للأول .

سادساً: العلم التفصيلي في مرتبة الفعل ، إجمالي إضافي ؛ فعلم الكرسي بالإضافة إلى علم العرش تفصيلي ، وبالإضافة إلى ما دونه كعالم الدنيا إجمالي بسيط . والكلام هو الكلام في علم العرش ؛ فهو بالإضافة إلى علم الكرسي إجمالي بسيط ، وبالإضافة إلى علم الذات تفصيلي؛ ينبغي أن يكون هذا معلوماً ضرورة .

سابعاً: معنى الإجمالي في مرتبة الذات الأحديّة : البساطة المحضة ، والغنى المطلق ، والقدرة الصرفة ، منزه عن كلّ قيود الإمكان ، من الحد والفقر ، هذا هو الإجمالي المطلق .
أما الإجمالي الذي في مرتبة الفعل ؛ أي : العرش والكرسي ، فهو إضافي .

ثامناً : ذكرنا في فصل سابق أنّ علم المعصوم ، لدنيّ ، وهو لا يعدو علم الكرسي ، وهو علم الغيب الظاهر ، وهو علم التقدير ، أمّا علم الغيب الباطن في مرتبة الفعل ، فهو علم العرش ، أو علم المشيئة ، وهذا لا يحيط به المعصوم عليه السلام ؛ لامتناع أن يحيط المعصوم بكلّ ما يشاء الله سبحانه ، اللهم إلاّ أذن سبحانه أن يفيض على المعصوم بما يلائم الرحمة والحكمة ؛ يرشد إليه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾^(١).

قلت : ما ذكرناه بإيجاز قبل قليل ، مقدّمة لاستيعاب علم المعصوم الإجمالي والتفصيلي ، أو : الجملي والتفسيري ، كما ورد في النصوص الثابتة ، هاك لترى .

علم المعصوم إجمالاً وتفصيلاً (وتفسير)

لم يجد القاصر من عرض لهذا العنوان من أصحابنا القدماء والمتأخرين رضي الله عنهم كما يجب ، وإن كانت لهم كلمات شريفة متناثرة هنا وهناك ، وإنما أرجأناه إلى هذا الموضع من الكتاب ، لتوقف فهمه واستيعابه على ما ذكرناه من معنى الإجمال والتفصيل ، وعلى الإحاطة المجدية بما أطلقنا عليه في الفصل السابق : المحتوم الإضافي ، سيما النوع الأول منه ، فاستوعب كما يجب ..

المرتبة الأولى : علم المعصوم الإجمالي.

هو : علم المعصوم المحتوم بما في اللوح المحفوظ ، غير المقيد بالخصوصيات الأدنى .

أو علم الغيب الظاهر ، أو : علم الكرسي ، أو علم التقدير بما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، ما شئت فعبّر .

هذا العلم ، إجماليٌ بسيطٌ أشرف بالإضافة إلى ما دونه . وما دونه علم القضاء ، المعلول في وجوده إلى علم التقدير . كما أنّ هذا العلم تفصيلي بالإضافة إلى علم العرش ، وهو علم المشيئة ؛ ضرورة أنّ المشيئة ، كما في الأخبار القطعية ، علّة وجود علم التقدير .

المرتبة الثانية : علم المعصوم التفصيلي (=التفسيري).

وهو : عين الإجمالي ، سوى كونه مقيداً بالخصوصيات الأدنى .

يجب أن يعلم أنّ علم المعصوم الإجمالي هو عينه التفصيلي ، والخصوصيات التي علمها المعصوم في مرتبة العلم التفسيري ، في ليلة القدر من عالم الدنيا ، كان عليه السلام عالماً بها كلّها في مرتبة الإجمالي ، في عالم الكرسي والعرش ، لا يعزب عنه شيءٌ منها .

غاية الأمر ، تقيدها بقيود الفقر ، وهي : خصوصيات الوجود الأدنى التي في عالم الدنيا ، إمّا سعة وضيقاً ، أو شدة وضعفاً ، أو تقديماً وتأخيراً ، أو نسخاً .

في اللوح المحفوظ إجمالاً عين التفصيل !!

ذكرنا أنّ ما في اللوح المحفوظ من العلم ، إجمالي ليس تفصيلياً ، لكن ليس معنى هذا خلوّ اللوح المحفوظ عن التفاصيل والخصوصيات ، بل فيه كلّ شيء إلى يوم القيامة.. فهناك هذا النص ، وهو واحد من عشرات النصوص القطعية المتواترة ؛ لتبيّن معنى الإجمالي بجلاء ووضوح ..

روى الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن عليّ ، عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «من قرأ مائة آية يصلي بها في ليلة ، كتب الله عز وجل له بها قنوت ليلة ، ومن قرأ مائتي آية في غير صلاة لم يحاجه القرآن يوم القيامة ، ومن قرأ خمسمائة آية في يوم وليلة في صلاة النهار والليل ، كتب الله عز وجل له في اللوح المحفوظ قنطاراً من الحسنات ، والقنطار ألف ومائتا أوقية والأوقية أعظم من جبل أحد»^(١).

قلت : إسناده موثّق صحيح ، على اصطلاح المتأخرين ، والحسن هو ابن فضال .

وهو صريح أنّ اللوح يضمّ كلّ التفاصيل في مرتبة البساطة والإجمال ؛ فإنّ الله سبحانه كتب في اللوح ، وأمضى إمضاءً إجمالياً منزّهاً عن الخصوصيات الدنيوية الآتي:

أولاً : إذا قرأ : مائة آية يصلي بها في ليلة ، كتب الله عز وجل له بها قنوت ليلة .

ثانياً : وإذا قرأ ومن قرأ مائتي آية في غير صلاة ، لم يحاجّه القرآن يوم القيامة .

ثالثاً : وإذا قرأ خمسمائة آية في يوم وليلة في صلاة النهار والليل ، كتب الله عز وجل له

في اللوح المحفوظ قنطاراً من الحسنات .

قلنا : فهذا العلم المبذول من الله سبحانه للمعصوم ، وهو المكتوب في اللوح

المحفوظ ، وهو علم إجمالي عين التفصيلي ؛ غاية الأمر ، هو معلق على قيود دنيوية أدنى ، ولك أن تقول : مشروط باختيار العبد في عالم الدنيا .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ٦٢٢ . الكتب الإسلامية، طهران .

فحقيقة الكتابة في قوله عليه السلام : (وإذا قرأ خمسمائة آية ، كتب الله عز وجل له في اللوح المحفوظ قنطاراً من الحسنات) ليست كتابة جديدة فيما لو اختارها العبد ، وإنما إيجادٌ دنيوي بخصوصيات دنيوية ، لما كتبه الله سبحانه تعليقاً على اختيار العبد في عالم الكرسي والملكوت ؛ فإذا اختاره العبد أثبتته الله سبحانه وأمضاه في الدنيا ليلة القدر كما هو صريح النصوص القطعية ، ومحى ما في اللوح من الاختيارين الأوليين ، وكذا لو اختار العبد الخيار الأول مثلاً ؛ فإن الله سيثبته ويمضيه ، ويمحو الآخرين .

لكن أي شيء سيختار العبد في الخاتمة من الخيارات الثلاثة أعلاه ، هذا لا يعلمه استقلالاً إلا الله سبحانه وحده ، بلى ربما يطلع الله المعصوم على ذلك ، بإمضاء تفصيلي آخر غير الإجمالي الأول ، وهو ما يفرضه الله سبحانه وتعالى على المعصوم ، ليالي القدر الدنيوية ، من علم الغيب المطلق ، أو العرشية المكنون ، الذي لا يحيط به غيره سبحانه .

ومن نصوص أهل السنة في هذا ما أخرجه الترمذي (٢٧٩هـ) قال : حدثنا إسماعيل بن موسى ، قال : حدثنا داود بن الزبرقان ، عن مطر الوراق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه : «قولوا : سبحان الله وبحمده مائة مرة ، من قالها مرة كتبت له عشرأ ، ومن قالها عشرأ كتبت له مائة ، ومن قالها مائة كتبت له ألفأ ، ومن زاد زاده الله ، ومن استغفر الله غفر له» .

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب^(١) .

قلت : والكلام فيه كالكلام في موثق إسحاق ، والمعنى فيهما من ضروريات أهل القبلة كما لا يخفى ، ونحسب أنك أحطت بالمقصود ؛ فالمعصوم عليه السلام لا يعزب عنه شيء من التفاصيل والخصوصيات في عالم الكرسي واللوح المحفوظ ، لكن هذه التفاصيل والخصوصيات ملكوتية في عالم العرش والكرسي ، وأما في عالم الدنيا فمقيّدة بقيد الزمان والمكان الفانيين ؛ لذلك قد يطرأ عليها البداء في عالم الدنيا ، بل لهذا خلق الله الدنيا .

(١) سنن الترمذي (ت: بشار عواد) ٥ : ٣٩٠ ، رقم : ٣٤٧٩ . الغرب الإسلامي ، بيروت .

الإجمال في اللوح هو عدم الحدّ والقيّد !!

ولكي تعي المطلب أكثر فأكثر ، نقول ماذا لو قرأ العبد أكثر من خمسمائة آية؟!!

قلنا : يجيبه ما رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله : «...ومن قالها مائة كتبت له ألفاً، ومن زاد زاده الله »

وما رواه الشيخ الطوسي ، وقد مضى تخريجه ، بإسناده الصحيح ، عن كثير النوا في صيام رجب قال عليه السلام : «ومن صام خمسة وعشرين يوماً منه قيل له : استأنف العمل فقد غفر لك ، ومن زاد زاده الله .»

فمعنى : (ومن زاد زاده الله) في اللوح المحفوظ ، البساطة والإجمال ؛ فلم يقيد الله سبحانه وتعالى المتعبّد والتسييح بقيد مائة حسنة أو ألف حسنة أو غير ذلك من القيود ؛ ضرورة أنّ (زاده الله) غير مقيّدة بشيء ، فلا يحصيها غير الله تعالى ، فهذا هو معنى البساطة والإجمال ؛ إنّه القدرة على الإيجاد غير المحدودة بحدّ .

الزبدة : أصل علم المعصوم عليه السلام بما في اللوح المحفوظ ، علم إجمالي بسيط بالإضافة إلى عالم الدنيا ؛ فالمعصوم يعلم أنّ فضل الله لا يقف مراتب الثواب الثلاث ، بل مراتبه غير محدودة بحدّ قياساً بعالم الدنيا ، ولا أنّها مقيّدة بقيوده الفانية .

وأصل هذا قطعيّ ، ذكره الله تعالى في القرآن ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فيإفاء الأجر تفصيلي وهو رتبة أدنى من : ﴿ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فهذا إجمالي بسيط غير محدود قياساً بالتفصيلي .

إليك الآن ما يميّط عن معنى الإجمالي والتفصيلي التفسيري خلال نصوص أهل البيت عليهم السلام ، وقد كان مقصودنا بموثق إسحاق بن عمار شحذ الذهن لذلك ..

النص أن علم المعصوم جُمَلٌ وتفسير

يدلّ على ما نحن فيه ، ما رواه الكليني عن محمد بن أبي عبد الله ومحمد بن الحسن ،
عن سهل بن زياد ..ح

ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن الحسن بن العباس بن الحريش ، عن
أبي جعفر الثاني عليه السلام ، سأله رجل قال : أرأيت قولك في ليلة القدر ، و: تنزل
الملائكة والروح فيها ، إلى الأوصياء ، يأتونهم بأمرٍ ، لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله قد
علمه ، أو يأتونهم بأمرٍ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه ، وقد علمت أنّ رسول الله
صلى الله عليه وآله مات ، وليس من علمه شيء إلاّ وعلي عليه السلام له واع؟! .

قال أبو جعفر عليه السلام : «فافهم ما أقول لك ؛ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ،
لما أسري به ، لم يهبط ، حتى أعلمه الله جل ذكره علم ما قد كان وما سيكون ، وكان كثيرٌ من
علمه ذلك جُمَلًا ، يأتي تفسيرها في ليلة القدر ، وكذلك كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام
؛ قد علم جُمَل العلم ، ويأتي تفسيره في ليالي القدر ، كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال السائل : أو ما كان في الجمل تفسير؟! .

قال عليه السلام : «بلى ، ولكنته إنّما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي
وإلى الأوصياء : افعل كذا وكذا ، لأمرٍ قد كانوا علموه ، أمروا كيف يعملون فيه» .
قلت : فسر لي هذا؟! .

قال عليه السلام : «لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ حافظاً لجُمَل العلم
وتفسيره» .

قلت : فالذي كان يأتيه في ليالي القدر علم ما هو؟! .

قال عليه السلام : «الأمر واليسر ، فيما كان قد علم» .

قال السائل : فما يحدث لهم في ليالي القدر علم سوى ما علموا؟! .

قال عليه الصلاة والسلام : « هذا مما أمروا بكتانته ، ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلا الله عز وجل ».

قال السائل : فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء؟!.

قال عليه السلام : « لا ؛ وكيف يعلم وصي غير علم ما أُوصِيَ إليه؟! ».

قال السائل : فهل يسعنا أن نقول إن أحداً من الوصاة ، يعلم ما لا يعلم الآخر؟!.

قال عليه السلام : « لا ، لم يمّت نبي إلا وعلمه في جوف وصيه ، وإنما تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر ، بالحكم الذي يحكم به بين العباد ».

قال السائل : وما كانوا علموا ذلك الحكم؟!.

قال عليه السلام : « بلى قد علموه ، ولكنهم لا يستطيعون إمضاء شيء منه ، حتى يؤمروا في ليالي القدر ، كيف يصنعون إلى السنة المقبلة ».

قال السائل : يا أبا جعفر ، لا أستطيع إنكار هذا!!!.

قال أبو جعفر عليه السلام : « من أنكره فليس منا ».

قال السائل : يا أبا جعفر أرأيت النبي صلى الله عليه وآله ، هل كان يأتيه في ليالي القدر شيء لم يكن علمه؟!.

قال عليه السلام : « لا يحل لك أن تسأل عن هذا ؛ أما علم ما كان وما سيكون ، فليس يموت نبي ولا وصي ، إلا والوصي الذي بعده يعلمه ، أما هذا العلم الذي تسأل عنه فإن الله عز وجل أبقى أن يطلع الأوصياء عليه إلا أنفسهم ».

قال السائل : يا ابن رسول الله ، كيف أعرف أن ليلة القدر تكون في كل سنة؟!.

قال عليه السلام : « إذا أتى شهر رمضان ، فاقراً سورة الدخان في كل ليلة مائة مرة ؛ فإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين ، فإنك ناظرٌ إلى تصديق الذي سألت عنه »^(١).

قلت : حديث معتبر معتمد ، رجاله ثقات إلا الحريشي فمختلف فيه ، لكنه في خصوص ما نحن فيه معتمد ، وقد بينا هذا كثيراً ، ناهيك عن كونه معتضد بالشواهد .

الزبدة : علم المعصوم علمان :

العلم الأول : علم الجمل .

وهو : علم المعصوم عليه السلام بكل تفاصيل وجزئيات ما في اللوح في عالم التقدير ، علماً حتمياً بسيطاً ، منزهاً عن قيود الفقر الدنيوية .

لكن لماذا هو إجمالي ، مع كونه يحيط بكل التفاصيل والجزئيات؟! .

قلنا: لتزّه هذه التفاصيل والجزئيات عن قيود الدنيا؛ كالزمان والمكان الفانيين.

فعلم المعصوم الإجمالي هو : علمه عليه السلام بكل التفاصيل المكتوبة في عالم الملكوت واللوحة المحفوظ ، لكن من دون تقيدها بقيودها الدنيوية ؛ كالتقديم والتأخير ، وكالسعة والضيق ، والشدة والضعف ، والنسخ بقسميه التكويني والتشريعي .

وعلى هذا ، فقوله عليه السلام : (بلى قد علموه) أي علموا بكل التفاصيل والجزئيات في عالم الكرسي والتقدير علماً حتمياً (ولكنهم) في عالم الدنيا (لا يستطيعون إمضاء شيء منه) كونه من المحتوم الإضافي لا المطلق ؛ لتوقف إعلان ما علموا عليهم السلام على إمضاء ثان؛ وهذا لا يكون (حتى يؤمروا في ليالي القدر) من عالم الدنيا (كيف يصنعون إلى السنة المقبلة) ضرورة تقيّد تلکم التفاصيل والخصوصيات الملكوتية أو الجبروتية في عالم الكرسي ، بقيود دنيوية في عالم الدنيا ؛ كالزمان والمكان الفانيين ، المشروطين بطاعة العباد وعصيانهم .

ومن ذلك علم المعصوم عليه السلام علماً حتمياً ، بيوم الفرج وقاطبة تفاصيله الملكوتية ، لكنه إجمالي لتزّهه عن قيود عالم الدنيا ؛ كالوقت والتوقيت المشروطين بمشيئة الله المرتبة على طاعة العباد أو معصيتهم في هذه الدار ، على ما قضى الله سبحانه .

العلم الثاني : علم التفسير والتفصيل .

وهو : عين علمه الإجمالي الأنف عليه السلام ، لكن مع تقيده بقيود عالم الدنيا الفانية ؛ وهذا لا يعلمه المعصوم على نحو الحتم المطلق ، إلا ليالي القدر في هذه الدار ؛ كون تفاصيله مقيدة بقيود هذه الدار ، وإن كان المعصوم قد علم كل هذه التفاصيل إجمالاً في عالم الملكوت واللوح المحفوظ .

كعلم النبي الجملي (=الإجمالي) صلى الله عليه وآله أن الحسين صلوات الله عليه سيقتل عطشاناً وحيداً سنة ستين للهجرة ، في كربلاء ، مع أصحابه سادة الشهداء الاثني والسبعين و...؛ فهذا يعلمه النبي صلى الله عليه وآله بكل تفاصيله ، علماً حتمياً ملكوتياً ؛ كونه من علم الكرسي ، مكتوباً في اللوح المحفوظ ، لكنه محتوم إضافي فيما عرفت ؛ لتوقفه على إمضاء ثان مختص بخصوصيات عالم الدنيا التي ربما يطرأ عليها البداء .

فهنا نتساءل ، متى علم النبي صلى الله عليه وآله ، في هذا الدنيا ، بنحو الحتم المطلق الذي لا مرد له ، أن الحسين أرواحنا له الفداء سيجري عليه كل ما في اللوح المحفوظ .

قلنا : لم يعلم النبي صلى الله عليه وآله أنه حتم مطلق لا مرد له ، إلا بعد أن أخبره جبرائيل ، عند ولادة الحسين صلوات الله عليهم في المدينة .

وبعبارة ثانية : إلا بعد أن أمضى جبرائيل عليه السلام ، بعد ولادة الحسين عليه السلام في المدينة ، أن ما علمه النبي في مقتل الحسين عن اللوح المحفوظ ، واقع لا محالة في خصوص هذه السنة من هذه الدنيا ، من دون طرؤ البداء .

الزبدة كل من العلمين حتم ، لكن الأول ملكوتي إجمالي بسيط ، غير مقيد بشيء من القيود الوجودية الدنيوية الفانية ، والآخر مبين مفسر بقيود عالم الدنيا الخارجية ؛ كالتقديم والتأخير؛ لذلك هو يحتاج إلى إمضاء ثاني في ليالي القدر .

كلمة للمازندراني رضي الله عنه

قال المازندراني (١٠٨١هـ) رضي الله عنه : قوله (وكان كثير من علمه ذلك جملاً يأتي تفسيرها في ليلة القدر) لما كان هذا الكلام مجملاً ؛ لاحتمال أنه يأتي نفس تفسيرها وتفصيلها في ليلة القدر ، واحتمال أنه يأتي الأمر بتفصيلها، حمله السائل على الأول ، واستفهم على سبيل التقرير بقوله (أو ما كان في الجمل تفسير) يريد أن فيها تفسيرها، والنفوس القدسية إذا علمت الجملة ، فقد علمت تفسيرها أيضاً ، إمّا بنفس معرفة الجمل ، أو بأدنى التفات ؛ وذلك كما إذا نظرت إلى زيد فقد أبصرت كلاً إجمالاً ، وأبصرت أجزاءه وتفصيله جميعاً عند إبصار واحد ، بل إبصار الكلّ والأجزاء إبصار واحد ، وإنّما يتفاوت بالاعتبار، فأقر به عليه السلام بقوله: (بلى) وصدقه.

وأشار بقوله: (إنّما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي وإلى الأوصياء : افعل كذا وكذا ، لأمر قد كانوا علموه ، أمروا كيف يعملون فيه) إلى أنّ المراد به هو الاحتمال الثاني ؛ وتوضيحه أنّ كثيراً من علمه ذلك كان مجملاً ، لا يعلم هل يأمر سبحانه بإمضائه وفعله وتركه ، أو لا يأمر؟! . وهل يشته أو يمحوه ؛ كما في العلم الذي يجري فيه البداء، وإنّما يأتي الأمر بتفاصيل هذه الأمور في ليلة القدر.

وإنّما قال الباقر عليه السلام (وكان كثير من علمه ذلك جملاً ، يأتي تفسيرها في ليلة القدر) لأنّ كثيراً من علمه ذلك أيضاً ، كان مثبتاً لا يجري فيه البداء ، وكان الأمر به معلوماً لا يحتمل غيره^(١). اهـ.

قلت : لا بأس بما قال رضي الله تعالى عنه في الجملة ، سيما مثاله في إبصار زيد الإجمالي والتفصيلي ، وفي بعض ما قال نظر ، لا يسعنا الآن .

(١) شرح الكافي (ت: علي عاشور) ٦: ١٩ . إحياء التراث العربي ، بيروت.

مثال مادّي حسيّ للإجمالي والتفصيلي !!

أجمع علماء الطبيعة ، وهو الحقّ ، أنّ ضوء الشمس أوّل صدوره عنها أبيض ؛ لكنّه في مكان معيّن من الأرض عند النهار يكون أصفراً ، ذات الوقت يراه الناس في مكان آخر من الأرض أحمرّاً كما هو عند الغروب وهكذا بقيّة الألوان ..

قال علماء الطبيعة ؛ إنّ ضوء الشمس أبيض لا غير ، بيد أنّه يضمّم في ذاته كلّ الألوان السبعة الباقية ، لكن لا تظهر هذه الألوان للعين إلّا إذا دخل نورها الأبيض الغلاف الغازي أولاً ، خلال موضع الأرض من الشمس ثانياً ، شروقاً أو غروباً ، أو ما بينهما .

الآن نتساءل: هل اللون الأحمر موجود في ضوء الشمس الأبيض قبل وصوله إلى الأرض أم هو غير موجود؟! .

إن قلنا: إنّهُ موجود ، فهذا خلاف الواقع والوجدان ؛ إذ لا وجود لغير الأبيض .

وإن قلنا: إنّهُ غير موجود ؛ فهذا ممتنع ، وإلّا لزم وجود الأحمر في الأرض من غير علّة ؛ ضرورة أنّ الضوء الأبيض الصادر من الشمس ، هو علّة وجود الأحمر وغيره .

فالصحيح أن يقال :

إنّ الضوء الأحمر والأزرق والأصفر وبقيّة السبعة ، كلّها موجودة في الضوء الأبيض لحظة صدوره من الشمس على الحقيقة، بوجود إجمالي واحد بسيط ، وحينها يتقيّد هذا الضوء الأبيض بالزمان والمكان الأرضيين تحت الغلاف الغازي ؛ كما في الغروب والشروق وغير ذلك يتفصّل إلى الألوان السبعة أو أحدها ، وهذا معنى الوجود التفصيلي .

إذا اتّضح هذا نتساءل هيهنا تساؤلاً أعظم ؛ كالاتي :

رائد الفضاء ، في الفضاء الخارجي ، لا يرى إلّا الضوء الأبيض صادراً من الشمس ،

لكن نتساءل هل يمكن أن نزعّم أنّ رائد الفضاء يعلم بوجود الأحمر أم لا؟! .

قلنا : ثمّة علمان :

الأول : العلم الإجمالي .

علم رائد الفضاء بالضوء الأبيض قبل نزوله إلى الأرض ، هو عينه علمه ببقية الألوان السبعة ؛ ضرورة أنّ العلم بالعلّة وهو الضوء الأبيض عين العلم بالعلول ، لكن علماً إجمالياً بسيطاً .

الثاني : العلم التفصيلي .

وهو تفصّل اللون الأبيض إلى بقية الألوان السبعة أو أكثر إذا نزل إلى الأرض ، فهذا العلم التفصيلي لا يعلمه رائد الفضاء إلاّ إذا نزل إلى الأرض ، وهذا لا يتنافى علمه الإجمالي البسيط بكلّ الألوان قبل نزوله إلى الأرض .

الزبدة : علم رائد الفضاء في الفضاء الخارجي بالألوان السبعة بمجرد العلم بالضوء الأبيض علم إجمالي بسيط .

وأما علمه بالألوان السبعة المتفصّلة عن الأبيض ، وذلك حينما يشاهدها في الشروق والغروب عند نزوله إلى الأرض ، فهذا علم تفصيلي .

ومجموع هذا أنّ يوضّح أنّ الإجمالي أشرف من التفصيلي ؛ كونه علّة لوجودها ، ولتنزّهه عن القيود الأرضية الفانية المتلاشية .

معنى علم المعصوم الإجمالي وأنه عين التفصيلي!!؟

بيننا هذا أنفأ ، لكن لجلالة ما نحن فيه ، أفردنا هذا العنوان الشريف ؛ فلا توهمن أن الإجمال في قولنا : العلم الإجمالي يعني : المبهم المساق للجهل ، هذا لم يدعه أحد من العلماء ، ناهيك عن منافاته صريح النصوص القطعية الصريحة في ذلك .

فالمقصود بالعلم الإجمالي : عين ما يعلمه المعصوم تفصيلاً في عالم الملكوت واللوح المحفوظ ؛ وإنما هو إجمالي ؛ لكونه غير مقيد بخصوصيات عالم الدنيا الخسيسة الفانية .

وأما في عالم الدنيا ، الذي هو أدنى شرفاً من عالم الملكوت ؛ كونه مقيداً بأكثر قيود عالم الإمكان الفانية وأخسها ؛ كالتقديم والتأخير والزمان والمكان الفانيين ، فهو متوقف على إمضاء دنوي ؛ وقد مضت النصوص القطعية أن المعصوم عالمٌ بها كان وما يكون إلى يوم القيامة ، لا يجهل شيئاً من قضاء الله تعالى في خلقه إلى يوم القيامة ..

يدلّ عليه قوله عليه السلام في معتمد الحريشي : « لم يمّت نبي ، إلا وعلمه في جوف وصيه ، وإنما تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر ، بالحكم الذي يحكم به بين العباد» .

قال السائل : وما كانوا علموا ذلك الحكم!!؟

قال عليه السلام : «بلى قد علموه ، ولكنهم لا يستطيعون إمضاء شيء منه ، حتى يؤمروا في ليالي القدر ، كيف يصنعون إلى السنة المقبلة» .

فالمعصوم عليه السلام وإن كان عالماً بكلّ تفاصيل العلم المبثوثة في اللوح المحفوظ ، حتى أرس الخدش ، لا يجهلها إلى يوم القيامة ، لكن ليس هذا كلّ العلم ، وإنما هل الله تعالى أمضى للمعصوم تبليغ كلّ ما يعلم ، أم علّقه على وقت بخصوصه!!؟

كما في موثّق حفص بن غياث الآتي ، عن الصادق عليه السلام : «نزل القرآن جملةً واحدةً في شهر رمضان ، إلى البيت المعمور ، ثم نزل في طول عشرين سنة» ..

فعلم النبي صلى الله عليه وآله بكلّ القرآن، حرفاً حرفاً، متحقق وهذا هو العلم الإجمالي الملكوتي ، لكنّ الله تعالى لم يمض للنبيّ صلى الله عليه وآله ، تلاوته على الأمة دنيويّاً ؛ أي بالفاظ دنيويّة محكومة بالزمان والمكان الفانيين ، إلاّ الأوقات الدنيويّة المخصوصة على مدى ثلاث وعشرين سنة وهذا هو العلم التفسيري ، وسيأتي البيان ..

يدلّ عليه في الأخبار المتواترة صحيح إسحاق بن عمّار ، عن الصادق عليه الصلاة والسلام : «قد كان لهذا الأمر وقت ، وكان في سنة أربعين ومائة ، فحدثتم به وأذعتموه ، فأخره الله عز وجل» .

كما يدلّ عليه صحيح الثمالي ، عن الباقر عليه السلام قال : قال جبرائيل : «وإني نوديت من تلقاء العرش لما طلع الفجر: يا جبرئيل ، حقّ القول من الله -بحتم- عذاب قوم لوط، فاهبط إلى قرية قوم لوط وما حوت ، فاقلعها من تحت سبع أرضين، ثمّ اخرج بها إلى السماء، فأوقفها حتى يأتيك أمر الجبار في قلبها ...، فلما طلعت الشمس ، نوديت من تلقاء العرش يا جبرئيل : اقلب القرية على القوم، فقلبتها عليهم ، حتى صار أسفلها أعلاها ، وامطر الله عليهم حجارة من سجيل...» وغيره من الأخبار القطعيّة .

والخبر صريح أنّ علم جبرائيل عليه السلام بنزول أصل العذاب على قوم لوط إجمالي ، وهو حتم لا مردّ له ، لا يطرأ عليه البداء؛ ضرورة نزوله فعلاً ، لكن تعذيب قوم لوط به ، معلّق على إمضاء الله في وقتٍ دنيويٍّ بعينه ؛ ففي صحيح الثمالي مثلاً : انتظر جبرائيل من طلوع الفجر إلى أن أذن الله تعالى له عند طلوع الشمس مباشرتهم بالعذاب .

الزبدة : العلمان الإجمالي والتفسيري ، بقضاء الله تعالى ، كلّ منهما في نفسه ، حتم محض ، لا مردّ له في عالمه ، فهما محتومان في عالمين ، لا محتوم واحد في عالم واحد ؛ لكلّ منهما إمضاء خاص به ؛ فالإمضاء الأوّل إجمالي غير مقيّد بخصوصيّة الوقت الدنيوي الفاني، والثاني تفسيري مفسّر الوقت ؛ أي مقيّد بخصوصيّات دنيويّة ؛ لذلك فالأشرف هو الإجمالي لعدم فنائه قياساً بالدنيوي .

ومن ذلك إحاطة المعصوم بكل ما في اللوح المحفوظ من علم التقدير ؛ فالله تعالى :

أولاً : أمضى اللوح المحفوظ ؛ أي أوجده في الخارج والعيان الملكتين ، في عالم الملوك الباقي ، أو عالم الكرسي فيما بان سابقاً ؛ فيه مقادير كل الخلائق إلى يوم القيامة وجوداً حقيقياً إجمالياً (=بسيطاً) ؛ أي : منزهاً عن خصوصيات عالم الدنيا ؛ فهذا في عالم الملوك محتوم لا مردّ له ، أما في عالم الدنيا ، فلا احتمال طرّو البدء في خصوصياته الدنيوية ؛ لذلك هو إضافي .

ثانياً : أمضى الله سبحانه وحتّم أن يعلم المعصوم عليه السلام هذا الأصل ، علماً إجمالياً ملكتياً ؛ أي : غير مفسّر الوقت وبقية الخصوصيات الدنيوية المتوقفة على الإمضاء الثاني في عالم الدنيا ، وهذا هو الإمضاء الإجمالي أو المحتوم الإجمالي ، ما شئت فعبر ، وقد تقدّمت النصوص القطعية أنّ المعصوم عالم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش ، لكنه إجمالي ملكتي بسيط بالإضافة إلى خصوصيات عالم الدنيا ؛ كالتقديم والتأخير ؛ ضرورة أنّ عالم الملوك منزّه عن التقديم والتأخير الفانيين .

ثالثاً : كثيرٌ من علم المعصوم اللوحي ؛ أي : الإجمالي الملكتي البسيط ، معلق على ما يشاء الله سبحانه وتعالى من الخصوصيات الدنيوية والقيود الفانية ، ولا يكون حتماً تفسيريّاً إلا لبيالي القدر ؛ والنصوص فيه قطعية فيما عرفت .

رابعا : مضى في المحتوم الإضافي أنّه له أنواعاً أربعة ، وعلم المعصوم الإجمالي تطراً عليه هذه الأنواع كلّها أو بعضها ؛ فقد يكون إجمالي من جهة التقديم والتأخير فقط فلا يقيد دنيويّاً بهما ، أو يكون إجمالي من جهة الشدة واليسر والسعة والضيق فقط ، أو إجمالي من جهة النسخ فقط ، أو هو إجمالي لطرّوها كلّها ، فلا تغفل .

المادة الإجمالية والتفصيلية ؛ خبزة أم سليم نموذجاً

أخرج البخاري قال : حدثنا الصلت بن محمد، حدثنا حماد بن زيد، عن الجعد أبي عثمان، عن أنس أنّ أمّ سليم أمّه، عمدت الى مدّ من شعير ، ثمّ بعثتني إلى النبي ، فأتيته وهو في أصحابه فدعوته، قال: «ومن معي»؟! فخرج إليه أبو طلحة، قال: يا رسول الله، إنّما هو شيء صنعته أم سليم، فدخل فجيء به، وقال: «أدخل علي عشرة» فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: «أدخل علي عشرة» فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: «أدخل علي عشرة» حتى عد أربعين، ثم أكل النبي ، ثم قام، فجعلت أنظر، هل نقص منها شيء؟!..

وأخرجه مسلم بلفظ : فما زال يدخل عشرة ، ويخرج عشرة ، حتى لم يبق منهم أحد إلاّ دخل فأكل حتى شبع، ثمّ هيأها ، فإذا هي مثلها حين أكلوا منها^(١).

أخرج ابن ماجة القرويني (٢٧٣هـ) في سننه قال : حدثنا أحمد بن عبدة قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن قال: حدثنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: صنعت أم سليم للنبي عليه السلام: خبزة، وضعت فيها شيئاً من سمن، ثم قالت: اذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فادعه قال: فأتيته، فقلت: أمّي تدعوك، قال، فقام، وقال: لمن كان عنده من الناس «قوموا» فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «هاتي ما صنعت».

فقال أم سليم: إنّما صنعته لك وحدك. فقال: «هاتيه».

فقال عليه السلام: «يا أنس أدخل علي عشرة عشرة» قال أنس: فما زلت أدخل عليه عشرة عشرة، فأكلوا حتى شبعوا، وكانوا ثمانين^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، وهو من ضروريّات ومعاجز النبي الباهرات عند الفريقين.

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٧: ٨١، رقم: ٥٤٥٠. دار طوق النجاة

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٧٨٤، رقم: ٧٠٦. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) سنن ابن ماجة (ت: عبد الباقي) ٢: ١١٠٩. دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي .

المادة ؛ كالحبزة أعلاه على قسمين في مرتبتين : إجمالية وتفصيلية .

الأولى : المادة الملكوتية (=الخبز الملكوتي) .

هذا الخبز منزّه عن خصائص الدنيا الفانية ، لا فقدان فيه ؛ فالحبزة الدنيوية التي صنعتها أم سليم ، مدّ من شعير ، لا تكفي إلا لرجل واحد هو النبي فقط ؛ لكن للملكوتيتها ببركة النبي صلى الله عليه وآله ، تنزهت في الدنيا عن الخصائص الدنيوية الدائرة مدار العدم والفقدان ، فلم يعرض عليها أيّ عدم وفقدان ؛ لذلك هي لا تكفي الثمانين صحابياً فقط ، بل تكفي كلّ البشر لو شاء النبي محمد صلى الله عليه وآله إيجاد ذلك بإذن الله تعالى .

ولا يخفى أن الملكوتي ؛ كطعام الجنة ، لا يطرأ عليه عدم أو نقص أو فقدان ، وهذا معلوم ضرورة لكلّ أهل القبلة .

الثانية : المادة التفصيلية (=الخبز الدنيوي) .

وهي الأقراص الثمانين المقيدة بخصائص الدنيا الفانية التي أكلها الصحابة الثمانين ؛ فهذه تفصلت إلى ثمانين قرصاً دنيوياً فانياً ، عن قرص ملكوتي واحد غير فان ؛ أي لا يعرض عليه العدم والفقدان .

ولا ارتياب أن القرص الإجمالي الواحد البسيط ، أشرف من الأقراص الثمانين الدنيوية التي أكلها الصحابة ؛ كونه علّة لوجودها ولوجود أضعاف أضعافها ؛ فاحفظ .

وقد تقول : أليس القرص الأول دنيوياً ليس ملكوتياً؟! .

قلنا : بلى ، لكن في كلّ دنيوي ؛ كالقرص أعلاه ، حقيقة ملكوتية لا تفتنى ، لكن لا يقتدر على الاطلاع عليها إلا المعصوم بما آتاه الله من روح القدس ؛ فلو أطلع عليها ظهرت المعاجز على يديه ، كما في القرص أعلاه ، ولا يسعنا البسط .

أبوة آدم نموذجاً للمادة الإجمالية والتفصيلية !!

لا ريب أنّ الأصل الطيني لكلّ البشر الدنيوي واحد، هو آدم عليه السلام، أذن الله تعالى أن يكون آدم وهو واحدٌ، كثيرٌ بكثرة ذريته؛ فأدم وحدة في عين الكثرة .

لكن هذا محال، إلا إذا افترضنا تعدد العوالم أقلهما عالمي الملكوت والدنيا، وأنّ لكلّ عالم خصوصياته وقیوده وقوانينه، كما أنّ لكل عالم مراتبه الوجودية الطولية .

نتساءل هل كانت كلّ ذرية آدم مخلوقة موجودة، حينما أنزل الله تعالى آدم إلى الأرض مع حواء، وهدما في عالم الدنيا، أم لا؟؟!! .

إن قيل: نعم مطلقاً فهو خطأ، وإن قيل: لا مطلقاً، فهو خطأ أفحش.. والجواب الصحيح مطوي في الإجمالي البسيط والتفصيل التفسيري، كالاتي:

الأول: الوجود الإجمالي البسيط (=المللكوتي) .

لا ريب في أنّ كلّ ذرية آدم موجودون مخلوقون خلقاً ملكوتياً شبيحاً من طين ملكوتي، في عالم الذر، بوجود إجمالي إضافي بسيط دون تفاوت زمني؛ ضرورة أنّ عالم الذر بالإضافة إلى عالم الدنيا، إجمالي بسيط؛ لتجرّده التام عن خصوصيات الدنيا؛ كالزمان والمكان الفانيين .

إذ ليس في عالم الملكوت تقدّم أو تأخر زمني، بل لا وجود للزمان الفاني هناك إطلاقاً؛ ضرورة أنّه من شؤون عالم الدنيا الفانية، الموجود في عالم الملكوت تفاوت في درجات الوجود، لا أكثر ولا أقلّ، ولا يسعنا البسط .

النتيجة كل بني آدم في عالم الذر (=المللكوت) موجودون في آن واحد ، وجوداً إجمالياً بسيطاً ، بلا تقدّم أو تأخر كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ﴾^(١).

الثاني : الوجود التفصيلي التفسيري الدنيوي .

ذرية آدم ، بقيد الخصوصيات الدنيوية التفصيلية ؛ كالتقدّم والتأخر الدنيويين ، غير موجودين ولا مخلوقين حينها خلق الله آدم من طين الدنيا ، بل يستحيل وجودهم في آن واحد ومكان واحد مع آدم أول ما أنزله الله تعالى إلى الأرض مع حواء ، فلا بدّ من تقييد وجود آحاد الذرية بالزمان والمكان الدنيويين ؛ فهذا ولد سنة كذا في مكان كذا ، وذاك سنة كذا ومكان كذا ، وهكذا .

فمعنى الوجود التفسيري : الوجود الظاهر بمادة دنيوية ؛ أي : بدن من لحم وعظم فانين بقيد الزمان والمكان الدنيويين الفانيين . لكن هذا لا ينافي وجودهم الفعلي المللكوتي في عالم الذر ، وهو إجمالي بسيط بالإضافة إلى عالم الدنيا .

مع التنبيه : أنّ وجودهم الإجمالي المللكوتي البسيط ، أشرف من الدنيوي التفسيري ؛ فذلك فيما قضى الله تعالى علّة لوجود الثاني ، بالضبط كما أنّ آدم علّة وجود ذريته ، كما أنّه باقٍ لا يفنى بخلاف الثاني .

الوقت الإجمالي والتفسيري ، عرش بلقيس نموذجاً

حينما يجلب الإنسان شيئاً من نقطة (ا) إلى نقطة (ب) يحتاج إلى قطع مسافة بين النقطتين في زمان مقدّر معلوم ؛ فالزمان هو : مقدار الحركة الماديّة الدنيويّة بين نقطتين دنيويّتين ماديتين .

إذا أتضح هذا ، فكيف نفسر قول آصف لسليمان صلوات الله عليهما : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ... قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾^(١).

قلنا : الوقت وقتان : إجمالي ملكوتي بسيط ، وتفصيلي تفسيري دنيوي :

الأول : الإجمالي الملكوتي البسيط .

أي المنزّه مطلقاً عن التقدّم والتأخّر الدنيويين الفانيين ؛ ضرورة عدم احتياج آصف بن برخيا صلوات الله عليه إلى أيّ وقت دنيوي ، لنقل عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس ؛ فلقد جلب آصف عرش بلقيس من دون أيّ وقت دنيوي .

الثاني : الوقت التفصيلي التفسيري .

وهو مقدار الأشهر أو الأسابيع الدنيويّة أو الساعات ، التي يحتاجها أهل الدنيا ، من الجن والإنس لنقل مثل عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس ، كلّ حسب استطاعته .

بقي أن نسائل : ما هي طبيعة الوقت الملكوتي ، كيف يكون ، وهل في الملكوت حركة وانتقال من نقطة إلى أخرى؟! .

قلنا بإيجاز : نعم ففيها الأكل والشرب والجماع كما هو نصّ القرآن ، لكن بلا فناء أو عدم أو فقدان ، والمقام لا يسمح بالتفصيل ، ناهيك عن كونه من الأمر الجليل .

نص أن الإجمالي محتومٌ ، معلق على التقديم والتأخير

أتضح أن الله تعالى المشية والبداء ، في خصائص ما كان محتوماً نافذاً من قضاء الله المكتوب في اللوح المحفوظ ، على ما اتضح في الأنواع الأربعة الآتفة في الفصل السابق.

وبلا ترديد ، فأصل قضاء الله المكتوب في اللوح المحفوظ ، والذي علمه المعصوم عليه السلام كلاً ، محتومٌ نافذٌ ؛ لا يطرأ عليه البداء ؛ لتحقيقه الخارجي ، وإنما يطرأ على بعض خصوصياته ؛ كالتقديم والتأخير والشدة واليسر و...، وهذا هو الإمضاء التفسيري .

يدلّ عليه ما أخرجه الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ما بعث الله نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال : الإقرار له بالعبودية ، وخلع الأنداد ، وأن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء »^(١).

قلت : إسناده حسنٌ صحيحٌ بإجماع ، من الضروريات .

وما أخرجه أحمد بن محمد البرقي في الأخبار القطعية ، عن أبيه ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن الرضا عليه السلام بإسناد صحيح قال : « لا يكون إلّا ما شاء الله ، وأراد ، وقدر ، وقضى...، إذا قضاها أمضاه ؛ فذلك الذي لا مردّ له »^(٢).

يتناول إطلاقه المرتبتين ؛ فقله عليه السلام : (إذا قضاها أمضاه ؛ فذلك الذي لا مردّ له) أي لا بدّ من تحقق أصل القضاء ؛ أي : وجوده الإجمالي ، لكن ليس هذا كلّ شيء ..

فله سبحانه وتعالى المشية في الدنيا ، أي المحو والإثبات والبداء في خصائص وتفصيل ما أمضاه ، إمضاءً إجمالياً حتمياً في الملكوت .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٤٧ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) المحاسن (ت: جلال الحسيني) : ١ : ٢٤٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

الزبدة : الحتم والإمضاء : إجمالي وتفصيلي

الحتم الأول : كعلم المعصوم بما في اللوح المحفوظ إجمالاً .

وهذا يعلمه المعصوم من الأنبياء والأوصياء والملائكة علماء ملكوتياً إجمالياً بسيطاً، قطعاً وجزماً وبقيناً؛ ضرورة أن الله تعالى حتم وأمضى أن تكون طينة الشقيّ الخبيثة مثلاً، موجودة خارجاً في عالم الملكوت، لا بداء في أصل تحقق هذا الأمر ملكوتياً، كما قد أمضى أن يُطَّلَع المعصوم عليه فعلاً، فلا بداء في أصل هذا العلم الملكوتي؛ لتحقيقه عند المعصوم فعلاً، لكنّه علم إجمالي ملكوتي بأصل ما في اللوح، لا تفصيلي دينوي.

الزبدة : علم المعصوم التفصيلي التفسيري قبل خلق الدنيا، وهو العلم بما كان وما يكون حتى يوم القيامة، هو عينه الإجمالي الملكوتي البسيط؛ وإنّما هو إجمالي بسيط؛ لتنزهه المطلق عن خصوصيات عالم الدنيا وقبورها الفانية، وقد مضى أنّها أنواع أربعة.

الحتم الثاني : تفاصيله وجزئياته.

نتساءل : هل الله تعالى مشيئة وبداء في الأشقياء والنواصب إذا تابوا وعملوا الصالحات في عالم الدنيا، قبل أن تصل الروح إلى الحلقوم، أو قبل المعاينة؟! .

قلنا : بإجماع نعم، وإلاّ لزم الجبر وتكذيب القرآن؛ كقوله سبحانه : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)

فالمعصوم عالمٌ علماءً إجمالياً ملكوتياً بسيطاً، أتهم محرّفون، وهذا محتوم ملكوتي مكتوب في اللوح المحفوظ، لكن هل ثمة احتمال أن يتوب الله سبحانه وتعالى على بعضهم دينوتياً؟! .

قلنا بإجماع ونصّ وضرورة : نعم إذا تابوا ، وهذا لا يعلمه المعصوم تفصيلاً
بالإضافة إلى عالم الدنيا ، إلا بإمضاء تفسيري دنيوي ثان غير المللكوتي الأول ..

فالمعصوم وإن كان عالماً بالأشقياء علماً إجمالياً بسيطاً ملكوتياً ، وهو الذي في اللوح
المحفوظ ؛ لكن لا يعلم المعصوم على التفصيل ما هي مشيئة الله تعالى فيهم دنيوياً ؛ يدلّ
عليه قول الله تعالى : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبُهُم فَيَتَّقَلِّبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ
لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

بيّن الآيتين وغيرهما قوله عليه السلام : (فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما
في اللوح ، ويشترطان البدء فيما يكتبان ، ثم يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه)^(١).

وهو صريحٌ في حتمين وإمضائين :

الأول : أمضى الله وحتم ، أن يعلم المعصوم بكلّ ما في اللوح المحفوظ علماً إجمالياً
ملكوتياً بسيطاً ، وإنّما هو إجمالي بسيط ؛ لتجرّده المطلق عن خصوصيات عالم الدنيا .

الثاني : لم يمض الله سبحانه للمعصوم عليه السلام أن يعلم بنحو الحتم التفصيلي
الدنيوي ، كلّ ما في اللوح المحفوظ من التفاصيل المضاة ملكوتياً ، إلا ما شاء سبحانه في
ليالي القدر ، سيما ليلة ثلاثة وعشرين . وعلم المعصوم الذي يكون فيه البدء ، يدور حول
هذه التفاصيل والخصوصيات الدنيوية ، لا المللكوتية .

إذا البدء لا يتصوّر إلا في هذا القسم ؛ أي : في خصوص هذه المرتبة التفصيلية من
علم المعصوم ، لا الإجمالية البسيطة المللكوتية المنزّهة عن خصائص الدنيا .

(١) الكافي (علي غفاري) ٦ : ١٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

النص أن علم النبي بالقرآن إجمالي وتفصيلي

روى الكليني رضي الله عنه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ..؟

ومحمد بن القاسم عن محمد بن سليمان ، عن داود ، عن حفص بن غياث ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ وإنّا أنزل في عشرين سنة ، بين أوله وآخره؟! .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان ، إلى البيت المعمور ، ثم نزل في طول عشرين سنة»^(١).

قال المجلسي الأول (١٠٧٠هـ) في الروضة : موثق^(٢).

قلت : كما قال المجلسي الأول رضي الله عنه . داود بن النعمان ، عين ثقة . حفص بن غياث عامي ، كان قاضياً للرشيد العباسي ، ترجم له الشيخ في الفهرست وقال : له كتاب معتمد . ووثقه بعض أصحابنا لذلك ؛ ولقول الشيخ الطوسي رضي الله عنه أن الطائفة عملت بأخباره .

وهو صريح في نزولين : إجمالي ملكوتي بسيط ، وتفصيلي دنيوي ، كالآتي :

الأول : النزول الإجمالي للملكوتي البسيط .

وهو نزول القرآن جملة ، نزولاً ملكوتياً بسيطاً ليلة القدر ؛ منزهاً عن خصوصيات الزمان والمكان الدنيويين الفانيين ، وقد تم هذا في عالم الملكوت في البيت المعمور ، والبيت المعمور في السماء الرابعة التي فيها الجنة ، كما هو صريح النصوص القطعية .

النزول الإجمالي في قوله عليه السلام : (نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان ، إلى البيت المعمور) إضافي ؛ أي بالإضافة إلى عالم الدنيا ؛ فهو بسيط لتجرده التام عن كل خصوصيات الدنيا الفانية ، أو المكان والزمان الفانيين ، أو التقدّم والتأخر ما شئت فعبّر .

(١) الكافي (علي غفاري) ٢: ٦٢٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) روضة المتقين (ت: حسين كرماني) ٣: ٤٥٧ . بنياد فرهنگ إسلامي ، إيران .

الثاني : النزول التفصيلي التفسيري الدنيوي .

وقد تحقّق هذا في الدنيا ، في مجموع مكة والمدينة ، على مدى ثلاث وعشرين سنة .

يشهد له صحيح حمران الأنف قال : قال الباقر عليه السلام : « لم ينزل القرآن إلّا في ليلة القدر » ويتعيّن حمله على النزول جملة واحدة نزولاً ملكوتياً إجمالياً ، ضرورة أنّ نزوله الدنيوي استغرق أكثر من عشرين سنة ، في ليلة القدر وفي غيرها من الليالي .

يؤيّد هذا ما رواه الكليني عن حميد بن زياد ، عن الحسين بن محمد ، عن أحمد بن الحسن الميثمي ، عن يعقوب بن شعيب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما أمر الله عز وجل هذه الآيات أن يهبطن إلى الأرض ، تعلقن بالعرش ، وقلن : أي رب ، إلى أين تهبطنا ، إلى أهل الخطايا والذنوب؟! .

فأوحى الله عز وجل إليهن : « أن اهبطن فو عزتي وجلالي ، لا يتلوكن أحدٌ ، من آل محمد وشيعتهم ، في دبر ما افترضت عليه من المكتوبة ، في كلّ يوم ، إلّا نظرت إليه بعيني المكونة في كلّ يوم سبعين نظرة ، أفضي له في كل نظرة سبعين حاجة ، وقبلته على ما فيه من المعاصي ، وهي : أم الكتاب و : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ و : آية الكرسي ، وآية الملك»^(١) .

قلت : إسناده صحيح أو موثّق على اصطلاح المتأخرين .

وهو ظاهرٌ أنّ نزول هذه الآيات نزولاً ملكوتياً ، من عالم العرش والملكوت إلى السماء الدنيا ، قد تمّ جملة واحدة ، لكنّه أضحي مفصلاً مفرّقاً في عالم الدنيا ؛ ضرورة أنّ بين نزول بعض هذه الآيات ونزول بعضها الآخر ، مدة دنيوية طوية .

وننبّه أنّ دليل علم المعصوم بكلّ القرآن جملةً ، قبل نزوله ، لا يقف على الموثّق أعلاه ، علاوة على صحيح حمران رضي الله عنه ؛ ليرد إشكال أنّها أخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً ، أو أنّها غير ظاهرين في ذلك ..

(١) الكافي (علي غفاري) ٢ : ٦٢٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

بل للأخبار المتواترة الماضية في الفصول السابقة ، بعضها من طرق أهل السنة ؛ ففيها أنّ المعصوم عالمٌ بها كان وما يكون حتى قيام الساعة ، والقرآن من ذلك ، وعجيبٌ غفلة بعض أصحابنا رضي الله عنه عن هذا .

بقي شيء!!

في قوله عليه السلام : (نزل القرآن جملةً واحدةً في شهر رمضان ، إلى البيت المعمور ، ثم نزل في طول عشرين سنة) إشارة إلى تداخل عالين هما : عالم الملكوت وعالم الدنيا ؛ فالقرآن أنزله الله تعالى إلى عالم الملكوت جملة واحدة ، أي : إنزالاً ملكوتياً بسيطاً في ليلة القدر أولاً ، ومن ثم أنزله سبحانه إلى عالم الدنيا إنزالاً دنيوياً ؛ أي : مقيداً بالتقديم والتأخير خلال عشرين سنة .

وثمة تساؤل : فهل ليلة القدر من ليالي الدنيا الفانية ، أم من ليالي الملكوت التي لا تفتنى ، بل هل في عالم الملكوت شيء اسمه ليلة القدر!!؟

قلنا بإيجاز : ليلة القدر التي في عالم الملكوت ، هي عين الزمان الدنيوي ، لكن بوجودٍ أشرف بسيط ، منزهة عن التقديم والتأخير والتركيب والنقص والفقدان .

وبعبارة موجزة : فليلة القدر الملكوتية ، هي الأصل الملكوتي للزمان الدنيوي الذي قد يمتد إلى ملايين السنين ، منزهة عن خصائص الزمان الدنيوي الفاني ؛ وقد مضى توضيح أصل هذا في قضية أصف صلوات الله عليه ، وخبزة أم سليم وذرية آدم .

يدلّ عليه ما رواه الكليني بالإسناد المتقدم عن الحريشي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «لقد خلق الله جل ذكره ليلة القدر ، أول ما خلق الدنيا .. ، ولقد قضى أن يكون في كلّ سنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأمور إلى مثلها من السنة المقبلة»^(١) .

قلت : إسناده معتمد فيما نحن فيه ، وإن تكلم في الحريشي .

ما رواه أهل السنة في هذا

أخرج الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرک قال : حدثنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، أخبرنا موسى بن إسحاق القاضي، ثنا أبو بكر، وعثمان، ابنا أبي شيبة، ثنا جرير، عن منصور، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^(١)!.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : «أنزل القرآن جملة واحدة ، في ليلة القدر ، إلى السماء الدنيا، وكان بموقع النجوم، وكان الله ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه في أثر بعض، قال: وقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾^(٢).

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرطها، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي^(٣).

وروى الحاكم أيضاً قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا يزيد بن هارون، أخبرنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(٤). ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٥).

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي^(٦).

قلت : ولا خلاف عندهم في هذا على الظاهر ؛ فليُنظر .

(١) سورة القدر: ١.

(٢) سورة الفرقان : ٣٢.

(٣) مستدرک الحاكم وتلخيصه ٢: ٢٤٢، رقم: ٢٨٧٨. دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) سورة الفرقان : ٣٣.

(٥) سورة الإسراء : ١٠٦.

(٦) مستدرک الحاكم وتلخيصه ٢: ٢٤٢، رقم: ٢٨٧٩. دار الكتب العلمية، بيروت.

أقوال أصحابنا في نزول القرآن جملةً وتفصيلاً

قال الصدوق (٣٨١هـ): اعتقدنا في ذلك ، أن القرآن نزل في شهر رمضان ، في ليلة القدر ، جملة واحدة إلى البيت المعمور ، ثم نزل من البيت المعمور ، في مدة عشرين سنة ، وأن الله عز وجل أعطى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم العلم جملةً ، وقال له : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ^(٢) .

وقال الشيخ الطبرسي (٥٤٨هـ) : معنى إنزال الله القرآن في ليلة القدر أنه أنزله جملةً واحدة إلى السماء الدنيا فيها ، فكان جبرئيل ينزله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نُجُومًا ، وقيل : كان يُنزل ما يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ : في هذه الليلة ، ثم كان ينزله شيئاً فشيئاً وَقَتَّ الْحَاجَةَ^(٣) .

قال السيد المحقق ابن طاووس فيما حكى المازندراني: أنه نزل جملة واحدة من بعض المقامات العالية ، بأمر الله جل شأنه إلى مقام آخر ، ثم نزل من هذا المقام تدريجاً إلى الأرض ، فلا منافاة بين نزوله جملةً ، ونزوله تدريجاً^(٤) .

قلت : مضى أن معنى الجملة لغةً : المجموع الواحد للأجزاء بإلغاء خصوصيات الأجزاء ؛ كقولنا : جملة الحساب ؛ أي : حاصله دون خصوصياته وتفصيله الطارئة .
وجملة علم المعصوم ؛ أي : أصل علمه الملكوتي اللدني ، وهو علة لما دونه . هذا الأصل واحد إذا ألغيت خصوصياته الدنيوية ؛ كالتقدم والتأخر ، والسعة والضيق ، والشدة والضعف ، ونحو ذلك .

(١) سورة طه : ١١٤ .

(٢) اعتقادات الإمامية : ٨٢ . دار المفيد ، بيروت لبنان .

(٣) جمع الجوامع ٣ : ٣٢٠ . جامعة المدرسين ، قم .

(٤) شرح الكافي (ت: علي عاشور) ٦ : ١٩ . إحياء التراث العربي ، بيروت .

اعتراض المفيد والمرضى رضي الله عنهما

قلت : ما ذكرناه ، من نزول القرآن كله ، جملة في ليلة القدر ، لا خلاف فيه بين أصحابنا رضي الله عنهم ، إلا من المرضى والمفيد رضوان الله عليهما ؛ ذكرا أن مدرك هذا القول خبر واحد لا يوجب علماً ولا عملاً .

قال الشيخ المفيد (٤١٣هـ) رضي الله تعالى عنه: الذي ذهب إليه أبو جعفر الصدوق رضي الله عنه في هذا الباب ، أصله حديث واحد ، لا يوجب علماً ولا عملاً . ونزول القرآن على الأسباب الحادثة حالاً بحال^(١) ، يدل على خلاف ما تضمنه الحديث ... وما أشبه ما جاء به الحديث ، بمذهب المشبهة الذين زعموا أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متكلماً بالقرآن ومخبراً^(٢) .

قلت : مقصود الشيخ المفيد رضي الله عنه ، كذب القضية خارجاً بالوجدان ؛ فقوله تعالى على سبيل المثال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ صريح في تقدّم السبب ، وهو انتصار النبي في فتح مكة أو في صلح الحديبية ، على النزول ، وافترض نزولها قبل تحقق الفتح باطل بالوجدان ؛ للزوم تقدم النتيجة على السبب .

قلت : عجيب هذا من الشيخ المفيد طيب الله ثراه ؛ إذ كيف يجزم :

أولاً : أن دليل علم المعصوم بكلّ القرآن جملة قبل نزوله التفصيلي ، خبر آحاد ، مع ما مرّ في الأخبار القطعية ، بل المتواترة ، أن المعصوم عليه السلام عالم بما كان وما يكون حتى قيام الساعة ، والقرآن أجلى مصداق للعلم بما كان وما يكون؟! .

وثانياً : ما المانع أن يطلع الله سبحانه وتعالى نبيّه على قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ معلقة مشروطة على وقت بعينه ؛ كما ذكر الشيخ الطوسي رحمته الله ؛ فإذا حان وقتها أمر الله النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بتلاوتها على الأمة؟! .

(١) يقصد رضي الله عنه ، نزوله نجومًا متفرقًا حسب أسباب النزول ، كما هو الوجدان .

(٢) تصحيح اعتقاد الإمامية (ت: حسين دركاهي) : ١٢٣ . دار المفيد ، بيروت .

فتكون كالآتي : سنأمرك يا محمد بتلاوة : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ على الأمة إذا جاء وقتها ، في صلح الحديبية أو فتح مكة .

يشهد لهذا الأخبار القطعية الكثيرة في هذا الكتاب ، أن كثيراً من علم اللوح المحفوظ معلق على المشيئة والبداء والمحو والإثبات والتقديم والتأخير .

الحق فإن ما ذكره المفيد والمرتضى رضي الله عنهما ، وطيب الله تربتهما الشريفة ، شاذ لم يرتضه قاطبة أصحابنا رضوان الله تعالى عليهم ، حسبنا من ذلك جواب الشيخ الطوسي والعلامة المجلسي رضي الله عنهما ..

جواب أصحابنا عن شبهة المفيد والمرتضى

جواب الشيخ الطوسي رضي الله عنه

قال الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) في التبيان رضي الله عنه : وقوله ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ قيل في معناه قولان :

أحدهما : قال ابن عباس ، وسعيد بن جبیر ، والحسن : إن الله تعالى أنزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ، ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك نجوماً . وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام .

والثاني : أنه ابتداء إنزاله في ليلة القدر من شهر رمضان .

فإن قيل : كيف يجوز إنزاله كله في ليلة ، وفيه الإخبار عما كان ، ولا يصلح ذلك قبل أن يكون؟! .

قلنا : يجوز ذلك في مثل قوله : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ وقوله : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ أي إذا كان يوم القيامة : نادى أصحاب الجنة أصحاب النار (١) . اهـ .

قلت : مقصود الشيخ الطوسي رضي الله عنه ، جواز التعليق والتقدير في نزول وإنزال القرآن ؛ فكما جَوَّزنا التقدير والتعليق في قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ أي إذا كان يوم القيامة ؛ ضرورة عدم تحقق القيامة إلى الآن .

كذلك الأمر في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾ قبل وقعة بدر ؛ فيكون التقدير : يا محمد سنأمرك بتلاوة : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾ على الأمة إذا جاء وقتها التفصيلي وهو الانتصار الخارجي في وقعة بدر .

قلت : عجيبٌ والله غفلة المفيد والمرتضى رضي الله عنهما عن هذا .

(١) التبيان (ت: أحمد القصير) ٢ : ١٢٢ . مكتب الإعلام الإسلامي ، قم .

رد المجلسي على المفيد رضي الله عنهما

قال المجلسي رضي الله عنه : أما الاعتراض الأول الذي أورده الشيخ المفيد قدس سره على الصدوق رحمه الله فغير وارد .

إذ ثبت بالأخبار المستفيضة ، أن جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ، أثبتتها في اللوح المحفوظ قبل خلق السماء والأرض ، ثم ينزل منها بحسب المصالح في كل وقت وزمان ، وأمّا انطباقها على الوقائع المتأخرة فلا ينافي ذلك ؛ لأنّ الله تعالى عالم بما يتكلمون ، ويصدر منهم ، ويقع بينهم بعد ذلك ، فأثبت في القرآن ، المثبت في اللوح ، جواب جميع ذلك ، على وفق علمه الذي لا يتخلف سبحانه وتعالى ، الماضي إنّما يكون بالنسبة إلى زمان التبليغ إلى الخلق .

فلا استبعاد في أن ينزل هذا الكتاب جملةً على النبي صلى الله عليه وآله ، ويأمره بأن لا يقرأ على الأمة شيئاً منه ، إلاّ بعد أن ينزل كلّ جزء منه ، في وقت معين ، يناسب تبليغه ، وفي واقعة معينة يتعلق بها .

وأما تشبيه صاحب هذا القول ، بالمشبهة القائلين بقدم كلام الله ، فلا يخفى ما فيه ، لأنّ صاحب هذا القول ، لا يقول بقدم القرآن ، المؤلف من الحروف^(١) . اهـ .

ثمرة تقسيم المحتوم إلى إجمالي وتفصيلي

أو ثمرة تقسيم علم المعصوم إلى : جملي وتفسيري .

أو ثمرة تقسيم المحتوم إلى : مطلق وإضافي .

أو ثمرة تقسيم الإضافي إلى قسمين بل أقسام .

أو ثمرة تقسيم الإمضاء إلى : إمضاء إجمالي وإمضاء تفصيلي .

نحسب أنّ الثمرة ظهرت ممّا قدّمناه آنفاً ؛ فإنّ أخبار أهل العصمة عليهم السلام الواردة في علم المعصوم ، لا يمكن الوقوف على معانيها المتباينة في الظاهر ، إلاّ بهذا التقسيم ؛ فهذا التقسيم أماط أنّه لا تباين بين هذه الأخبار ، ولا تناف ..

والحقّ فإنّ أشرف أغراض كتابنا المتواضع هذا ، رفع التباين بين الأخبار الكثيرة الواردة في علم المعصوم ، بهذا التقسيم الشريف ، وهو مستفاد عن مجموع أخبار أهل البيت عليهم السلام ؛ سيما المسرودة في هذا الكتاب ؛ ولعلّ المطلب أضحى واضحاً ، لكن لا بأس بقراءة بعض أخبار أهل العصمة في هذا الأمر الجليل ..

روى الكليني عن محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، عن حماد بن عيسى ، عن رباعي بن عبد الله ، عن الفضيل بن يسار ، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « العلم علمان : فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، وعلم علّمه ملائكته ورسله ، فما علّمه ملائكته ورسله ، فإنّه سيكون لا يكذب نفسه ، ولا ملائكته ولا رسله ، وعلمّ عنده مخزون ، يقدم منه ما يشاء ، ويؤخر منه ما يشاء ، ويثبت ما يشاء »^(١) .

قلت : إسناده صحيح .

قلت : قوله عليه السلام : (فما علّمه ملائكته ورسله ، فإنّه سيكون لا يكذب نفسه) ظاهرٌ ، بل ربما صريحٌ ، أنّ كلّ ما وصل إلى المعصوم من العلم ، محتوم متحقّق ممضى ، لا بداء فيه ؛ للمقابلة في قوله عليه السلام : (فما علّمه ملائكته ورسله ، فإنّه سيكون ... ، وعلمّ عنده مخزون ، يقدم منه ما يشاء ، ويؤخر منه ما يشاء ، ويؤخر ...) ..

يشهد له ما مضى من قول الباقر عليه السلام : (فأما العلم الذي يقدره الله عز وجل فيقضيه ويمضيه ، فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إلينا) لكن افتراض أن كل علم المعصوم محتوم الوقوع مطلقاً، كائن لا محالة أبداً ، عين الباطل ، لمنافاته قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْءَ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ .

ومنافاته ما رواه البرزطي في الصحيح ، عن الرضا عليه السلام قال : «قال أبو عبد الله ، وأبو جعفر ، وعلي بن الحسين ، والحسين بن علي ، والحسن بن علي ، وعلي بن أبي طالب عليهم السلام : «والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة : ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

وما رواه الكليني بإسناد معتبر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إن الله عز وجل أخبر محمداً صلى الله عليه وآله بما كان ، منذ كانت الدنيا ، وبما يكون إلى انقضاء الدنيا ، وأخبره بالمحتوم من ذلك ، واستثنى عليه فيما سواه»^(١).

وهما صريحان أن بعض علم المعصوم مستثنى غير محتوم الوقوع ؛ كونه عرضة للمحو الإثبات ، والتقديم والتأخير .

الزبدة : لا يخرج من هذا التنافي إلا التقسيم أعلاه ؛ فمقصود الإمام عليه السلام أن أصل علم المعصوم بما كان وما يكون ، محتوم إجمالي ؛ كونه تعلق بأصل ما في اللوح المحفوظ ، أما المحتوم التفصيلي ، وهو : المتعلق بكل تفاصيل وجزئيات ما في اللوح بالإضافة إلى عالم الدنيا ، فمما قد يعرض على بعض خصوصياته البداء ؛ كما في أصل خروج القائم ووقت خروجه صلوات الله عليه ..

يشهد له أيضاً ما رواه الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد

الله عليه السلام قال : «إنَّ لله عز وجل علمين علماً عنده ، لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، وعلماً نبذه إلى ملائكته ورسله ؛ فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا»^(١).

قوله عليه السلام : (فقد انتهى إلينا) أي تحقَّق العلم به من قبلنا ، وأوجده فينا ملكوتياً ، وهذا هو المحتوم الإجمالي ، أما التفصيلي في عالم الدنيا ، فكلاًّ إلاّ بإمضاء ثانٍ في ليلة القدر ، لكلّ أمرٍ جزئيٍّ بخصوصه .

وروى الكليني عن أبي علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن إسماعيل ، عن علي بن النعمان ، عن سويد القلاء ، عن أبي أيوب ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «إنَّ لله عز وجل علمين : علم لا يعلمه إلاّ هو ، وعلم : علمه ملائكته ورسله ؛ فما علمه ملائكته ورسله عليهم السلام ، فنحن نعلمه»^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، دون أدنى كلام .

قوله عليه السلام : (فنحن نعلمه) أي أمضى الله تعالى وحتم أن نعلمه ملكوتياً ، وهذا هو الإمضاء الإجمالي ، المتعلِّق بأصل ما في اللوح المحفوظ ، لكن ليس هذا كلّ شيء ؛ فجزئيات وتفصيل هذا الأصل ليست محتومة التحقق إلاّ بإمضاء ثانٍ في ليلة القدر من عالم الدنيا ، لكلّ جزء فيه بخصوصه .

ويستثنى من علم المعصوم بما في اللوح ، ما فيه قوام الدين ، وقدس المعصومين ؛ فهذا محتوم مطلقاً لا بداء فيه ؛ للزوم انتفاء الغرض من الرسائل ، وهو محال . وما عدا هذا فعلم المعصوم الإجمالي اللوحي البسيط ، فمما يطرأ على خصوصياته الدنيوية البداء .

(١) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٥٥ . باب الأئمة يعلمون جميع العلوم . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٥٥ . باب الأئمة يعلمون جميع العلوم . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

علم الغيب أزلي وحادث

في هذا العنوان مطلب ظريف جداً ، تجب الإحاطة به .. ؛ فعلم الغيب المتعلق بما خلق الله ، هو علم مكنون ، مكفوف عن الخلق ، وهو بالنظر لما ذكرناه في المحتوم الإجمالي أو التفصيلي ، على ثلاث مراتب طولية في الوجود ، كلّ مرتبة أشرف من التي تليها :

ولقد مضى في فصل سابق ، تقسيم علم الغيب إلى قديم وحادث ، والقديم هو علم الله المتعلق بذاته سبحانه ، وهو عين الذات ، يتمتع أن يحيط به غيره عزّ وجلّ ؛ لامتناع إحاطة المخلوق المحدود بالخالق غير المحدود .

هذا العلم لا بداء فيه ، ولا محو ولا إثبات ، ولا تقديم ولا تأخير ، ولا تغيير ولا تبديل ؛ للمحال ؛ ضرورة تعلق البداء والمحو والإثبات بالحادث المتغير المخلوق ، لا بذات المحدث القديم ، المنزه عن كلّ تغيير وتبديل وتقديم وتأخير ومحو وإثبات .

وأما الغيب الحادث ؛ فهو ما تعلق بما أراد الله تعالى خلقه وإيجاده ، فهو معلولٌ للذات ، لا عين الذات ؛ وكلّ ما كان معلولاً لذات الله ، فهو فعل له سبحانه ؛ لقوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾^(١) ونوحيه فعل من أفعال الله ، تعلق بمخلوق موحى إليه هو النبي ؛ فهذا العلم وإن كان من الغيب المطلق قبل الإيحاء ، إلاّ أنّه أضحي فعلاً له سبحانه بعد الإيحاء ، ولك أن تطلق عليه علم الوحي بالمعنى العام لهذه الكلمة .

الحاصل : علم الغيب المتعلق بالمخلوق ، فعل لله تعالى ، ليس عين الذات ؛ كونه متعلق بالمشيئة وهي حادثة .

ويميّز بين القسمين أن الأوّل عين الذات ، لا يمكن سلبه عنها ، وأما الثاني فيمكن سلبه ، كما في قوله سبحانه وتعالى للكفار : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ وهو صريح في السلب .

طوليّة مراتب علم الغيب الحادث الثلاث

إذا أتضح هذا فعلم الغيب الحادث؛ لتعلقه بما سيحدثه الله، على مراتب ثلاث ، كما هو حاصل النصوص الماضية في فصل العرش وغيره ، كل هذه المراتب الحادثة ، معلولة في الوجود لعلم الغيب الأزلي القديم ، الذي هو عين الذات الأحديّة ، كالآتي :

المرتبة الأولى : علم الغيب الإجمالي الباطن .

وهذا كما مرّ في فصل العرش ، هو : علم العرش ، ولك أن تسميه علم المشيئة ، كما لك أن تسميه علم الغيب الباطن المستور ، تدور معه القدرة حيثما دار ، وهذا العلم الحادث أدنى شرفاً من سابقه معلولٌ له ، كما أنّه أشرف ممّا تحته ؛ لتنزهه عن كلّ قيود عالم الإمكان إلاّ كونه فقيراً إلى الله في الحدوث والبقاء ؛ كونه عين المشيئة .

وهذا لا يحيط به المعصوم ، إلاّ إذا شاء الله سبحانه أن يطلع المعصوم على بعضه ، على ما تقضي به الحكمة والرحمة ، ومن هذا العلم وقت الساعة الحتمي ، وقد مضت نصوص الفريقين المعتضدة بالإجماع أنّ الله لم يطلع المعصوم عليها .

المرتبة الثانية : علم الغيب الإجمالي الظاهر .

وهذا كما مرّ في فصل العرش والكرسي ، هو : علم الكرسي ، ولك أن تسميه علم الغيب الظاهر ، لأنّ الله سبحانه وتعالى أظهره للمعصوم والملائكة ، ولك أن تسميه علم التقدير ، وهذا أدنى رتبة من سابقه ؛ كونه مقيّد بكثير من قيود عالم الإمكان ؛ المجموعة في مقولة الكيف وغيرها؛ كالطول والعرض واللون ، وهذا العلم هو المكتوب المجموع في اللوح المحفوظ .

هذا العلم أمضى الله تعالى وحتمّ أن يحيط به المعصوم عليه السلام ، وهو الوارد في الأخبار القطعيّة أنّ المعصوم عالم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، أو الوارد في النصوص الصحيحة بلفظ : يعلم : «بما تحت العرش» .

المرتبة الثالثة : علم الغيب التفسيري

وهو العلم بقضاء الله تعالى المكتوب في اللوح المحفوظ على نحو الحتم ، أي : بعد الإمضاء الإلهي لما في اللوح المحفوظ دنيوياً ، وهذه المرتبة معلولة لسابقتها ، مرتبة عليها ..
ولا تتوهمن أنّ المرتبة الثالثة أشرف من سابقتها ؛ لكونها حتم مضمي ، لا يطرأ عليها البداء ولا المحو ولا الإثبات ولا التقديم ولا التأخير ، بخلاف المرتبة الثانية الإجمالية المعلقة على المشيئة والمحو والإثبات والإمضاء!!؟

فهذا توهم ساذج فاسد ؛ ضرورة أنّ المرتبة الثالثة ، معلولة للثانية في الوجود الطولي مرتبة عليها وجوداً وعدمياً ، كما أنّ الثانية معلولة للأولى ، والأولى معلولة في الوجود لعلم الله الأزلي القديم ..

وبعبارة أخرى فإنّ الإمضاء ينزل أول ما ينزل عن الذات الأحديّة ، ثم يمرّ بعالم العرش والمشيئة ، ثم يمرّ بعالم الكرسي واللوحة المحفوظ ، إلى أن يصل إلى المعصوم عليه السلام ، فلا تغفل عن هذا .

ولا بدّ من هذه الطولية وإلّا لزم وجود المعلول ، وهو الإمضاء ، من دون علّة ، وهو ممتنع ؛ ضرورة أنّ مردّ الإمضاء إلى التقدير ، والتقدير إلى المشيئة ، والمشيئة إلى علم الذات الأحديّة ؛ فكّل مرتبة علّة لما دونها ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وبعبارة موجزة فإنّ معنى الإمضاء ، جعل ما كان ليس نافذاً في مرتبة المشيئة والإرادة والقدر والقضاء ، نافذاً دنيوياً بعد الإمضاء .

ولا يلزم من هذا دور وما شابه ؛ فإنّ الإمضاء والحتم إجمالي وتفصيلي ؛ فتارة: إمضاء وإيجاد لأصل عالم المشيئة والقدر والقضاء كإيجاد اللوح المحفوظ هذا الإجمالي . وتارة: إمضاء وإيجاد لتفاصيل وخصوصيات ما في اللوح ، وهذا تفصيلي ؛ فلا دور .

ولكي تفهم المراد جيداً ، هاك ما يجب استيعابه ، ويلزم فهمه ؛ كالآتي :

طوليّة المشيئة والقدر والقضاء والإمضاء

بيننا هذا فيما سبق ، وإنّنا نعاود عليه ؛ ترسيخاً للفهم ؛ ولكونه فيما نحن فيه استعصى في التطبيق على كثيرٍ من المبتدئين ؛ فتوهم الدور وغيره ..

أيّاً كان ، فهذا النظام الطولي في الإيجاد الإلهي ، وهو : المشيئة والإرادة والقدر والقضاء والإمضاء ، هو في الحقيقة ، كما أكثرنا ، نظامان لا نظام واحد ، أحدهما إجمالي والآخر تفصيلي على ما عرفت في الجملة ، وما يجب أن تعلمه ، أنّها متغايران متباينان عند طرؤ البداء ..

هاك هذا النصّ لتعي الأمر ؛ فلقد مضت الأخبار القطعيّة ، منها : صحيح عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام قال : قال الله سبحانه وتعالى لآدم : «هذا ابنك داود عمره أربعون سنة ، وإنّي قد كتبت الآجال ، وقسمت الأرزاق ، وأنا أمحو ما أشاء وأثبت وعندني أم الكتاب ؛ فإنّ جعلت له شيئاً من عمرك ، ألحقتُ له» .

قال آدم عليه السلام : «يا رب قد جعلت له من عمري ستين سنة ، تمام المائة» .

ففي النظام الأوّل : المشيئة والإرادة والقدر والقضاء ، ممضى متحقق موجود نافذ ، وهو عمر آدم قبل أن يهب ستين سنة من عمره لابنه داود ؛ لقوله سبحانه : (كتبت الآجال...) أي تحققت كتابتها وأمضيت إيجادها في الخارج والعيان الملكوتين ، وهذا محتوم إضافي وإيجاد إجمالي لا تفصيلي، لكن لا يقف أمر الله عليه سبحانه .

ففي النظام الثاني ؛ أي بعد طرؤ البداء : ثمة نظام من مشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإمضاء غير النظام الأوّل ، وهو بعد أن وهب آدم عليه السلام ستين سنة .

فما نحن فيه نظامان من الأمر الإلهي ، مردّهما إلى موضوعين ، لا موضوع واحد ، وإمضائين لا إمضاء واحد ، وما تعلق به الإمضاء الأوّل الإجمالي ، غير ما تعلق به الإمضاء الثاني التفصيلي ؛ ضرورة أنّ المشيئة في الأوّل غير المشيئة في الثاني ، فلا دور ، فاحفظ .

التص على الطولية

يدلّ على حتمية الترتيب الطولي فيما ذكرناه أخباراً قطعية ، منها ما رواه البرقي أحمد بن محمد بن خالد (٢٧٤هـ) عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير ، عن محمد بن إسحاق قال : قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : «إنّ الله إذا شاء شيئاً أَرادَه ، وإذا أرادَه قدره ، وإذا قدره قضاءه ، وإذا قضاه أمضاه»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، ومحمد بن إسحاق بن عمار التغلبي الصيرفي ، ثقة .

وهو ظاهرٌ صريحٌ أنّ مرتبة المشيئة سابقة على مرتبة القدر ، كما أنّ مرتبة القدر سابقة على مرتبة القضاء ، كما أنّ مرتبة القضاء سابقة على الإمضاء ، ولنا في هذا رسالة آتية إن شاء الله تعالى ، لكن لا تغفل عن النظامين الإجمالي والتفصيلي .

يشهد له ما رواه الكليني عليه السلام في هذا عن عليّ بن إبراهيم القمي ، عن صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن ضريس قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : «إنّ الله عز وجل علمين : علم مبذول وعلم مكفوف ، فأما المبذول ، فإنّه ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسول إلّا نحن نعلمه ، وأما المكفوف فهو : الذي عند الله عز وجل في أم الكتاب ، إذا خرج نفذ»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه السلام : (فأما المبذول ، فإنّه ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسول إلّا نحن نعلمه) ظاهرٌ في مرتبة الإمضاء الإجمالي الإضافي ؛ أي : أمضى الله تعالى أن نحيط علماً ملكوتياً بما علمه الملائكة والرسول ؛ وإنّما هو إضافي ؛ لكون خصائصه ؛ كالتقديم والتأخير ، في معرض البدء والمحو والإثبات في عالم الدنيا .

(١) المحاسن (ت: جلال الحسيني) : ١ : ٢٤٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الأنعام : ٥٩ .

وقوله عليه السلام : (وأما المكفوف فهو : الذي عند الله عز وجل في أم الكتاب ، إذا خرج نفذ) ظاهرٌ في مرتبة عالم الإمضاء التفصيلي ، مع التنبيه أن الإمضاء التفصيلي لا يتصور إلا بعد تحقق الإمضاء الإجمالي ؛ للطولية.

قال المازندراني رضي الله عنه (١٠٨١ هـ) : (في أم الكتاب إذا خرج نفذ) أي مضى ؛ لتعلق القضاء والإمضاء والإظهار به ، ومتى كان كذلك ، كان نافذاً ماضياً ؛ ولعل المراد بـ: (أم الكتاب) اللوح المحفوظ ، أو التقدير الأزلي ؛ فإنه أم لجميع المكتوبات ، وأصل لجميع الموجودات^(١).

قلت : قوله رضي الله عنه تام ، إلا قوله -على نحو الترديد- أن أم الكتاب هو اللوح المحفوظ ؛ فغير تام ؛ لما دلّ أن أم الكتاب غير اللوح المحفوظ ، وهو أشرف منه وجوداً ، وأعلى رتبة ، ولنا في هذا بيان في رسالة القضاء والقدر إن شاء الله تعالى .

ونبه أن علم الغيب الحادث ، وهو ما تعلق بالمخلوق ، على قسمين ؛ فتارة يكون منه البداء ، وهو الذي في أم الكتاب ، وأخرى يكون فيه البداء وهو الذي في اللوح المحفوظ ، والأول هو علم المشيئة المكنون ، وهو علم العرش ، والثاني هو علم التقدير المبذول ، وهو علم الكرسي كما أوضحنا في فصل سابق.

(١) شرح أصول الكافي (ت: علي عاشور) ٦: ٢٩ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

بيان منه البداء وفيه البداء !!!

مضى ما رواه الكليني عليه السلام بإسناد صحيح ، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنَّ الله علم مكتون مخزون ، لا يعلمه إلا هو ، من ذلك يكون البداء ، وعلمٌ علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه ، فنحن نعلمه» .

قال المجلسي : (من ذلك يكون البداء) أي إنّما يكون البداء فيما لم يُطْلَع الله عليه الأنبياء والرسل حتماً ؛ لثلاث يُخبروا فيكذبوا، أو المعنى : أنّ الأمر الأخير الذي يظهر من البداء ، فيما سبق ، إنّما يظهر من العلم الذي لم يصل إلى الأنبياء والملائكة ، والأوّل يؤيده كثيرٌ من الأخبار^(١) .

قلت : هو صريحٌ أنّ منبع البداء العلم المكنون ، وهو علم المشيئة ، أو الغيب المطلق ؛ ضرورة مردّ المشيئة إليه سبحانه ، ولك أن تعبّر بما شئت إذا استوعبت الطوليّة .

وسأتي ما رواه الكليني بإسنادٍ صحيح على الأظهر ، عن إسحاق بن عمار قال قلت له عليه السلام : فما معنى يمضيه في ثلاث وعشرين؟! .

قال عليه السلام : «إنّه يفرّقه في ليلة إحدى وعشرين ، ويكون له فيه البداء ، فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين أمضاه ، فيكون من المحتوم الذي لا يبدو له فيه تبارك وتعالى» .
قلت : إسناده صحيح على الأظهر .

قلت : قوله عليه السلام : (منه البداء) لأعلائيّة وحاكميّة علم الله المكنون ، على العلم المبذول الذي يكون (فيه البداء) أي يكون فيه التغيير والتبديل والمحو والإثبات .

الزبدة : علم الغيب المطلق ، أو العلم الأزلي المكنون ، عين الذات ، وهو علّة إيجاد علم الغيب الحادث في مرتبة العرش فما دونها من المراتب ؛ كمرتبة علم الكرسي ، وهو علم الغيب الظاهر ، وهذا هو علم الوحي بالمعنى العام لمعنى الوحي الشامل لأقسامه الثلاثة ، وقد مضى البيان .

تردد الملائكة بين الحتمين : الإجمالي والتفصيلي

ولك أن تقول : ترددهم بين الحتم الإجمالي ، وهو علمهم بأصل ما في اللوح المحفوظ من القضاء ، وبين الحتم التفصيلي ، وهو ما علموه عليهم السلام تعليقاً من تفاصيل وخصوصيات ما في اللوح المحفوظ ، فلا يعلمون متى يفيض الباري تعالى عليهم إمضاءً تفصيلياً دنيوياً ، لما أمضاه ملكوتياً إجمالاً في رتبة سابقة قبل خلق الدنيا .

ولقد مضى صحيح زرارة رضي الله عنه ، عن الباقر عليه السلام : « فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ، ويشترطان البداء فيما يكتبان ، ثم يختمان الكتاب ، ويجعلانه بين عينيه » .

وهو نصٌ صريحٌ أنّ الملكين عالمان بجميع ما في اللوح المحفوظ ، من قضاء الله تعالى وقدره في قاطبة عباده سبحانه ، وهذا هو العلم المبذول لهم ، لكن لا يقف الأمر على هذا ، فله تعالى في المشيئة ، والمحو والإثبات فيما علماه إجمالاً ، لذلك قد يقع الملكان في حيرة ، ولا ملجأ لهما عليهما السلام إلاّ العلم المكنون ، الذي لا يعلمه إلاّ : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾^(١) .

وقد روى الكليني رضي الله عنه ، عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع رأسه إلى السماء فتبسم ، فقيل له يا رسول الله رأيناك رفعت رأسك إلى السماء فتبسمت؟! » .

قال صلى الله عليه وسلم : « نعم ، عجبت للمكين هبطا من السماء إلى الأرض ، يلتزمان عبداً مؤمناً صالحاً في مصلى ، كان يصلي فيه ؛ ليكتبا له عمله في يومه وليلته ، فلم يجدها في مصلاه ، فمرجا إلى السماء فقالا : ربنا عبدك المؤمن فلان التمسناه في مصلاه ؛ لنكتب له عمله ليومه وليلته فلم نصبه ، فوجدناه في حبالك؟! » .

فقال الله عز وجل : « اكتبنا لعبدي مثل ما كان يعمل في صحته من الخير ، في يومه وليلته ما دام في حبالى ؛ فإنّ عليّ أن أكتب له أجر ما كان يعمل في صحته إذا حبسته عنه »^(١) .
قلت : إسناده صحيح دون أدنى كلام .

ولا تنافي بين الخبرين ؛ فالملائكة وإن كانت عالمة بكلّ قضاء الله تعالى وقدره في جميع عبادته ، ذاك المبذول لهم دون نقص ، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ .

إلا أنّ هذا العلم محكوم بالعلم المكنون الذي هو عين الرحمة بالعباد ، أي بالمشيئة والبداء والمحو والإثبات ، فالله تعالى يقدّم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء على ما تقضي به حكمته ورحمته ، والمحتوم ههنا إضافي ، أحد الأنواع الأربعة كما عرفت .

وفي هذا السياق ما رواه الكليني ، عن عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن عبد الحميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا صعد ملكا العبد المريض إلى السماء ، عند كلّ مساء ، يقول الرب تبارك وتعالى : ماذا كتبتها لعبدي في مرضه؟! »

فيقولان : الشكاية .

فيقول سبحانه : ما أنصفت عبدي ، إنّ حبسته في حبس من حبسي ، ثم أمنعه الشكاية ؛ فيقول : اكتبنا لعبدي ، مثل ما كتبتنا نكتبان له من الخير في صحته ، ولا تكتبنا عليه سيئة حتى أطلقه من حبسي ؛ فإنه في حبس من حبسي^(٢) .

قلت : إسناده صحيح على الأقوى .

وهو ، بضميمة صحيح زرارة عن الباقر : « فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ، ويشترطان البداء فيما يكتبان ، ثم يختبان الكتاب ويجعلانه بين عينيه » .

(١) الكافي (علي غفاري) ٣ : ١١٣ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (علي غفاري) ٣ : ١١٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

نص صريح أن المكتوب في اللوح المحفوظ الشكاية لا غير ، وهي التي استنسخها الملكان في كتابهما : كتاب التدبير الدنيوي عن اللوح المحفوظ ، لكن أبى الله تعالى ؛ رحمةً بالعبد ، إلا أن يمحوها ويكتب غيرها ؛ فلقد قال سبحانه : (اكتب لعبي ، مثل ما كتتما تكتبان له من الخير في صحته).

والخبر صريح في المحتوم الإضافي ، كما أنه صريح في كتابتين ونظامين ومشيتين ، من الأمر الإلهي ، وعلّة تعدد المشيتين ، هو زيادة الفضل والرحمة في الثاني قياساً بالأول ..
ففي النظام الأول : الإجمالي .

تعلقت المشيئة والإرادة والقدر والقضاء والإمضاء ، ب: (الشكاية) وهي ما أثبتها الله وأوجدها وحقّقها سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ ، بل أوجدها سبحانه أيضاً في صحيفة الملكين ، لكن أثبت رحمة الله أن تقف على هذا ؛ ففي النظام التفصيلي : تعلقت رحمة الله بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإمضاء غير الأول ، بل يباينه تماماً ؛ ففي الأول العدل ، وفي الثاني الرحمة ؛ فلقد تعلقت بأمره سبحانه : (اكتب لعبي ، مثل ما كتتما تكتبان له من الخير في صحته) وهذا يباين المكتوب في اللوح المحفوظ الذي هو : (الشكاية) .

والأصل في كلّ هذا ، مجموع قوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ و: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ وغير ذلك .

إشكال وجواب ، وزيادة بيان

اتّضح الإشكال والجواب ممّا مر ، لكن لا بأس بسرد نصوص أخرى في ذلك ،
تعميماً للفائدة ، وترسيخاً للفهم ..

فمن ذلك روى الكليني بإسناد صحيح عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن درست قال : سمعت أبا إبراهيم عليه السلام يقول : «إذا مرض المؤمن أوحى الله عز وجل إلى صاحب الشمال : لا تكتب على عبدي ما دام في جسي ووثاقي ذنباً ، ويوحى إلى صاحب اليمين : أن اكتب لعبدي ما كنت تكتبه في صحته من الحسنات»^(١).

الإشكال :

أي شيء سيكتب الملكان حين يمرض العبد ، أو ليس كلّ شيء قد كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ ، أولاً؟! .

وثانياً : أو ليس الملكان قد كتبا واستنسخا جميع ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ ، والعبد ما زال في بطن أمه؟! .

الجواب :

كلّ هذا تام ، لكنّه معلق على مشيئة الله تعالى ، المطوية في علم الغيب المكنون الذي لا يعلمه الملائكة ولا الأنبياء .

فقول الله سبحانه : (لا تكتب على عبدي... ذنباً) من علم الملائكة المعلق ؛ فالملائكة وإن علمت عن اللوح المحفوظ أنّ العبد مذنبٌ ، إلّا أنّ الله تعالى (يوحى إلى صاحب اليمين : أن اكتب لعبدي ما كنت تكتبه في صحته من الحسنات) وهو صريحٌ في طرّو المحو والإثبات على ما في اللوح المحفوظ من التفاصيل ؛ فضلاً من الله ورحمة .

(١) الكافي (علي غفاري) ٣ : ١١٤ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

حكمة البداء ، الرحمة ورفع العذاب

قال علي بن إبراهيم القمي عليه السلام (٣٢٩هـ) في تفسيره : حدثني أبي ، عن حماد ، عن حريز ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «إنّ الرب تبارك وتعالى ينزل أمره ، كلّ ليلة جمعة ، إلى السماء الدنيا ، من أول الليل ، وفي كلّ ليلة في الثلث الأخير ، وأمامه ملك ينادي : هل من تائب يتاب عليه ، هل من مستغفر فيغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله ، اللهم اعط لكلّ منفق خلفاً ، ولكلّ ممسك تلفاً ، إلى أن يطلع الفجر ، فاذا طلع الفجر ، عاد أمر الرب إلى عرشه ، فيقسم الأرزاق بين العباد».

ثمّ قال عليه السلام لفضيل بن يسار : «يا فضيل نصيبك من ذلك ، وهو قول الله : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾» (١) (٢).

قلت : إسناده حسن صحيح دون كلام ، وحمّاد هو ابن عيسى ، وهو ثقة من أصحاب الإجماع .

هذا العنوان لا ينهض به هذا المختصر ، لكن حسبنا من الشواهد ، ما مضى في الأخبار المعتمدة ؛ كقول الباقر عليه السلام : «لم يمّت رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا حافظاً جُملة العلم وتفسيره» .

فقلت (=الحريثي) : قلت : فالذي كان يأتيه في ليالي القدر علم ما هو؟! .

قال الباقر عليه السلام : «الأمر واليسر ، فيما كان قد علم» .

قلت : والمجموع نصّ أنّ الغرض من البداء : اليسر والتوبة والمغفرة وزيادة الخير .

وروى الصفّار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن ابن أبي حمزة ، عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «إنّ الله

(١) سورة سبأ : ٣٩ .

(٢) تفسير القمي (ت : طيب الجزائري) ٢ : ٢٠٤ . مطبعة النجف .

تبارك وتعالى قال لنبيه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾ أراد أن يعذب أهل الأرض، ثم بدا لله فنزلت الرحمة فقال: ﴿وَدَذَّرْ﴾ يا محمد ﴿فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال أبو بصير: فرجعت من قابل فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، إني حدثت أصحابنا فقالوا بدا لله، ما لم يكن في علمه؟!.

قال عليه السلام: «إنَّ الله علمين، علم عنده لم يطلع عليه احداً من خلقه، وعلم نبذه إلى ملائكته ورسله، فما نبذه إلى ملائكته فقد انتهى البينا»^(١).

قلت: إسناده صحيح على الأظهر، رجاله ثقات ولو بالتوثيق العام.

قوله عليه السلام: (بدا لله فنزلت الرحمة) بضميمة قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُرَهِمَكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ يوضح أنَّ غرض الله تعالى من البداء والمحو والإثبات، اليسر والرحمة وزيادة الخير، لا غير.

ومن النصوص على أنَّ الغرض من البداء الخير، تغيب ليلة القدر، فقد روى البخاري بإسناده الصحيح، عن عبادة عن النبي: «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر، وإنه تلاحي فلان وفلان، فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم» وسيأتي تحريجه ..

موثّق الساباطي : الإمام يُعَلِّمُ إذا أراد أن يعلم

روى الكليني عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن الحسن ، عن أحمد بن الحسن بن علي ، عن عمرو بن سعيد ، عن مصدق بن صدقة ، عن عمار الساباطي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب؟! .

فقال عليه السلام : « لا ، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء ، أعلمه الله ذلك »^(١).

قلت : إسناده صحيح ، والمعنى قطعي لكثرة الأخبار في ذلك .

وروى الكليني عن أبي علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن ابن مسكان ، عن بدر بن الوليد ، عن أبي الربيع ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنَّ الإمام إذا شاء أن يعلم ، أُعَلِّمُ »^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، صفوان وابن مسكان من أصحاب الإجماع ، وبدر بن الوليد الخثعمي ، وأبو الربيع الشامي (=خليد بن أوفى) لم يوثقا ، لكنهما ممدوحان فيما استظهر بعض العلماء .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن عمران بن موسى ، عن موسى بن جعفر ، عن عمرو بن سعيد المدائني ، عن أبي عبيدة المدائني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك »^(٣).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد ضعيف .

وأخرج الصفّار قال : أحمد بن إسحاق ، عن الحسن بن العباس بن حريش ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴿ نور كهيئة العين على

(١) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٥٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٥٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٥٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

رأس النبي والوصياء ، لا يريد أحدٌ منا علم أمر ، من أمر الارض أو من أمر السماء ، إلى الحجب التي بين الله وبين العرش ، إلا رفع طرفه إلى ذلك النور ، فرأى تفسير الذي أراد فيه مكتوباً»^(١).

وروى الصفار في البصائر بإسناد صحيح عن محمد بن مروان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول : «... فيخلق الله الإمام فيسمع الصوت في بطن أمه ؛ فإذا وقع على الأرض ، رفع له منارٌ من نور ، يرى أعمال العباد...»^(٢).

وروى الصفار قال : حدثنا محمد بن أحمد ، عن محمد بن موسى ، عن محمد بن أسد الخزاز ، عن محمد بن إسماعيل ، عن عبد الله الخراساني مولى جعفر بن محمد عن بنان الجوزي عن إسحاق القمي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ، ما قدر الإمام؟! .

قال أبو جعفر عليه السلام : «يسمع في بطن أمه ، فإذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الأيمن مكتوباً: وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ، ثم يبعث أيضاً له عموداً من نور تحت بطنان العرش إلى الأرض ، يرى فيه أعمال الخلاق كلها ، ثم يتشعب له عمود آخر من عند الله إلى أذن الامام ؛ كلما احتاج إلى مزيد افرغ فيه ا فراغاً»^(٣).

يشهد له ما مضى مما رواه الصدوق رضي الله عنه ، مسنداً عن الرضا عليه السلام قال : «أيدنا بروح منه ؛ مقدسة مطهرة ، ليست بملك ، لم تكن مع أحد ممن مضى إلا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهي مع الأئمة منا ، تسددهم وتوفقهم ، وهو : عمود من نور ، بيننا وبين الله عز وجل» .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٦٢ . مطبعة الأحمدية، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٥١ . مطبعة الأحمدية، طهران.

(٣) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٦٢ . مطبعة الأحمدية، طهران.

إشكال عويص في موثق الساباطي

ما معنى : (إنَّ الإمام إذا شاء أن يعلم ، أُعْلِم)؟! .

هل معنى ذلك أنَّ المعصوم عليه السلام ، نبياً كان أم وصياً ، قادرٌ أن يعلم أيَّ شيء متى أراد ، بلا قيد أو شرط؟! .

أم هو مشروط بكونه عليه السلام حجة على النَّاس ، فلا يعلم إلا ما يلبي كونه معصوماً حجة على النَّاس لا غير؟! .

قلنا : الأوَّل ممتنع ؛ لامتناع إحاطة المخلوق المحدود بعلم الخالق غير المحدود ؛ فتعيَّن الثاني .. يدلُّ عليه ما رواه الصَّفَّار قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن أبيه محمد بن خالد البرقي ، عن أبي الجهم ، عن أسباط ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : تسئلون عن الشيء فلا يكون عندكم علمه؟! .

قال : «ربما كان ذلك» . قلت : كيف تصنعون؟! .

قال عليه السلام : «تلقانا به روح القدس»^(١) .

قلت : إسناده صحيح على الأظهر ، رجاله ثقات . أسباط ثقة ولو بالتوثيق العام ، وثمة كلام في أبي الجهم ، وأنه مردد بين ثلاثة رواة ، أحدهم : بكير بن أعين من أصحاب الباقر . والثاني : ثوير بن أبي فاختة من أصحاب الصادق مات في عهده عليه السلام ، والثالث : ما نحن فيه .

لكن لو سلمنا التردد ، وأنَّه ليس ثوير ، وفي هذا نظر ؛ فالرجل على الوثاقة ؛ لأنه من مشايخ ابن أبي عمير ، وهم ثقات على الأظهر ؛ لأنه لا يروي إلا عن ثقة . وأياً كان ، فالمعنى قطعي لكثرة الأخبار في ذلك .

(١) بصائر الدرجات(ت: كوجة باغي): ١٣٠ . مطبعة الأحدي، طهران .

وقد مضى عن الكليني عليه السلام بإسناده الصحيح عن عمار الساباطي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : بما تحكمون إذا حكمتم؟! .

قال عليه السلام : «إذا ورد علينا الشيء، الذي ليس عندنا، تلقانا به روح القدس»^(١).

ومضى عن الصفار بإسناده الصحيح عن هشام بن سالم ، عن عمار أو غيره ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : «إذا ورد علينا ما ليس في كتاب عليّ ، تلقانا به روح القدس ، وألهمنا الله الهاماً» .

فمقصود الإمام عليه السلام : (ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء ، أعلمه الله ذلك) ما ليس في كتاب عليّ مما يحتاجونه للحكم بين العباد بالحقّ .

وبعبارة أخرى ، فمقصود الإمام : (إذا أراد) يتعلّق بكونه إماماً حجّة على الناس ، ويجب على الله تعالى من باب اللطف ، أن يفيض عليه العلم ما دام إماماً ؛ ليحكم بين الناس بالحقّ؛ وإلاّ أضحت إمامته وعصمته لغواً وانتقض غرض الله تعالى ، وهو محال .

وبعبارة ثانية : فالمعصوم صلوات الله عليه على المتيقّن ، لا يعلم من علم الله سبحانه وتعالى إلاّ ما يقوّم عصمته ، أقلّه العلم المبذول بما كان وما يكون حتى قيام الساعة وهو علم اللوح المحفوظ؛ لتدبير حال المكلفين من الهداية والضلال ، على ما قضت به حكمة الابتلاء في دار البلاء ، وسيأتي أنّ المعصوم لا يوكل إلى نفسه ..

وقد روى الكليني رضي الله تعالى عنه في الكافي ، بإسناده صحيح على الأظهر ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «إنّ الله عز وجل أخبر محمداً صلى الله عليه وآله بما كان ، منذ كانت الدنيا ، وبما يكون إلى انقضاء الدنيا ، وأخبره بالمحتوم من ذلك ، واستثنى عليه فيما سواه»^(٢).

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٣٩٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٤٨ . باب البداء . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

توهم التهافت!!

قال الصادق عليه السلام في موثق الساباطي : «إذا ورد علينا الشيء الذي ليس عندنا، تلقانا به روح القدس»^(١).

وقال عليه السلام في صحيح هشام بن سالم : «إذا ورد علينا ما ليس في كتاب علي، تلقانا به روح القدس ، وألهمنا الله الهاماً».

وربما يتوهم منافاة هذا تماماً مع قول الباقر عليه السلام في صحيح أبي بصير : «والذي نفسي بيده ، إنّي لأعلم علم النبي صلى الله عليه وآله ، وعلم ما كان ، وما هو كائن ، فيما بيني وبين قيام الساعة»^(٢).

وما رواه الكليني ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن أبي عبيدة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر؟! فقال عليه السلام : «هو جلد ثور مملوء علماً».

قال له : فالجامعة؟! قال عليه السلام : «تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً ، في عرض الأديم ، مثل فخذ الفالج ؛ فيها كل ما يحتاج الناس إليه ، وليس من قضية إلا وهي فيها ، حتى أورش الخدش»^(٣).

قلت : إسناده صحيح .

فطائفة الأخبار الأولى ، وهي أخبار متواترة قطعية ، صريحة أنّ الإمام صلوات الله عليه قد ترد عليه مسألة ، ليس لديه فيها حكم عن الله ورسوله محمد ، أو هي غير موجودة في كتاب علي عليه السلام الذي أملاه عليه رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٣٩٨ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة) : ١٤٧ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٤١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

في حين أنّ طائفة الأخبار الثانية ، وهي أخبار متواترة قطعياً أيضاً ، صريحة أنّ عندهم ما كان وما يكون حتى قيام الساعة ، بل عندهم كتاب عليّ أو الجامعة التي فيها كلّ ما يحتاج إليه الناس ، حتى أرش الخدش .

فكيف يجمع بينهما؟!..

قلنا : ببساطة ، في كتاب عليّ عليه السلام أو الجامعة ، الذي هو إمام النبيّ صلى الله عليه وآله وخط عليّ ، ما هو محتوم مضمي مطلقاً ، قد فرغ الله تعالى منه ، وفيه ما ليس بمحتوم مطلقاً ، وهو المحتوم الإضافي ، يقدم الله تعالى منه ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ..

فقول المعصوم عليه السلام : (إذا ورد علينا الشيء الذي ليس عندنا) ما ليس بحتم من قضاء الله تعالى وأحكامه ، أو هو العلم الجملي الملكوتي غير المقيد بقيود دنيوية ؛ لما عرفت أنّ جعله دنيوياً (=مفسراً بقيود دنيوية) يحتاج إلى إمضاء الهي تكويني ثانٍ ..

ومن ذلك علم النبيّ الجملي بكلّ القرآن في ليلة القدر أوّل البعثة أو قبل ذلك ، لكن لم يأذن الله له بتلاوة سورة الفتح إلاّ آخر البعثة في وقتٍ دنيوي بعينه ..

فحتى لو كان العلم موجوداً عندهم حاضراً في ذواتهم ، مكتوباً في كتاب عليّ عليه السلام ، لكن ليس كلّ حتم مضمي ؛ ضرورة أنّ بعضه معلق ، فلعلّ المشية تطرأ عليه فيتقدم أو يتأخر ، وهذا هو العلم المعلق على البداء ، أو الجملي الملكوتي ، المعلق على تفسير دنيوي .

وقد مضى بيان ذلك بتفصيل في فصل المحتوم الإضافي ، خلال أنواعه الأربعة ، فراجع واستوعب ، هاك هذا النص لترى ..

نَصُّ فِي إِرْجَاعِ اللَّهِ التَّفْسِيرِي جُمْلِيًّا

روى الكليني عن علي بن محمد بن محمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : «يا ثابت إنَّ الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر في السبعين ، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه ، اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض ، فأخره إلى أربعين ومائة ، فحدثناكم فأذعتم الحديث ، فكشفتم قناع الستر ، ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا ، و: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

قال أبو حمزة : فحدثت بذلك أبا عبد الله ، فقال عليه السلام : «قد كان كذلك»^(١) .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات دون كلام ، والحسن من أصحاب الإجماع .

والحديث صريحٌ أنّ بعض ما عند المعصوم من العلم ، مما قد يطراً عليه المحو والإثبات ، كونه مشروطاً (معلقاً) على المشيئة ما يصدر عن العباد من طاعة أو معصية ؛ فالله تعالى : قضى :

أولاً : أن يكون الفرج في السبعين ؛ إذا لم يقتل الحسين عليه .

ثانياً : قضى سبحانه أن يكون الفرج في المائة والأربعين ، إذا قتل الحسين عليه السلام .

ثالثاً : قضى سبحانه أن لا يجعل للفرج وقتاً مع الإذاعة ، وكشف قناع الستر .

الزبدة : أصل الفرج محتوم إجمالي ملكوتي بسيط ؛ منزّه عن قيود الدنيا الحسيسة ، ضرورة أنّ خصائصه التفصيلية ؛ كسنة سبعين الدنيوية ، لا وجود لها في الملكوت ..

الحاصل : قوله عليه السلام : (ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا) إرجاع ما كان

علمياً مفسراً بقيود دنيوية زمانية ، إلى علم جملي ملكوتي ، منزّه عن التقيد بالزمان الدنيوي .

وبعبارة أخرى : فقولهُ عليه السلام : (ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا) صريحٌ أنّ المعصوم عليه السلام لا يعلم وقته على نحو الحتم التفسيريّ المطلق ، وإن كان قد علمه عن كتاب عليّ أو الجامعة على نحو الحتم الإضافي ، علماً ملكوتياً جلياً ، معلّقاً على قيود الدنيا الزمانيّة .

الزبدة :

علم المعصوم بوقت الفرج ، وهو المكتوب في كتاب عليّ ، أو الصحيفة الجامعة ، أو اللوح المحفوظ ، ما شئت فعبّر ، ليس قضاءً محتوماً ولا علماً حتمياً بالإضافة إلى عالم الدنيا ؛ ضرورة طرؤ المحو والإثبات في خصائصه الدنيويّة كالتقديم والتأخير ، إلا إذا أعلم الله تعالى المعصوم بالمحتوم المطلق منه وأمضاه إمضاءً ثانياً ، وهذا أمرٌ آخر .

وقد مضى تفصيل هذا في علم المعصوم الإجمالي والتفسيري ؛ فكلّ من هذين العلمين في نفسه حتم ممضى ، لكن التفسيري يحتاج إلى إمضاء دنيوي تكويني ثان ، أمّا الأوّل فإجمالي ملكوتي بسيط بالإضافة إليه كما أوضحنا .

وهل إخبار الله تعالى المعصوم بالمحتوم المطلق مستمر حتى قيام الساعة؟! .

قلنا : ورد النصّ القطعيّ قرآناً وستّة أنّه مستمر ، وستأتي النصوص .

ليلة القدر بين الجملي والتفسيري

أخرج البخاري (٢٥٦هـ) قال : أخبرنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إساعيل بن جعفر، عن حميد، حدثني أنس بن مالك، قال: أخبرني عبادة بن الصامت، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر، وإنه تلاحى فلان وفلان، فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، التمسوها في السبع والتسع والخمس»^(١).

قلت : إسناده صحيح على شرط الشيخين البخاري ومسلم .

ومن طريق آخر أخرج أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) في مسنده قال : حدثنا يزيد، أخبرنا المسعودي وأبو النضر، قال: حدثنا المسعودي عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرجت إليكم وقد بينت لي ليلة القدر ومسيح الضلالة، فكان تلاحى بين رجلين بسدة المسجد، فأتيتهما لأحجز بينهما، فأنسيتهما، وسأشدو لكم شدواً، أما ليلة القدر، فالتمسوها في العشر الأواخر وترأ.

قال الإمام أحمد شاكر : إسناده صحيح^(٢).

قلت : مرّ أنّ النسيان يعني الترك ؛ فمعنى : فأنسيتهما أي أمرت بترك الإخبار عنها تكوينا على الأظهر ؛ وذلك بإلغاء قيودها الزمانية التفسيرية الدنيوية ؛ لتبقى ملكوتية . فالحديث أعلاه نصّ صريحٌ ، أنّ العلم المبذول للمعصوم عليه السلام ، مشروط بطاعة العباد ، فلو عصوا منع عنهم ، والمنع خيرٌ لهم ورحمة ، والمتصرّف في كلّ هذا علم الله المكنون المطوي في العرش وهو علم المشيئة المقدّسة ، ومرّدّه إلى الغيب المطلق ، ذاك المكنون المستور ، الذي لا يحيط به غير الله سبحانه ، هذا معنى البداء بإيجاز .

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ١: ١٩، رقم: ٤٩. دار طوق النجاة .

(٢) مسند أحمد (ت: أحمد شاكر) ٨: ٢٢، رقم: ٧٨٩٢. دار الحديث، القاهرة .

ابن جرير الطبري : النبي لا ينسى !!

ربما يقال : يمتنع عقلاً أن ينسى النبي صلى الله عليه وآله ما يوحي إليه ، وإلا لزم انتفاء الغرض ، أو السفه المحال في أقل الأقوال ، ولا بأس به..؛ يعضده ما مرّ أنّ المعصوم محيطٌ بكلّ ما في اللوح والملكوت ؛ غاية الأمر لا يسوغ له إعلانه (=تفسيره) إلاّ بإمضاء ثاني وإذن لاحق .

عدا هذا فمجموع القرآن أرشد قائلاً : ﴿وَلَكِنَّ سِتْنًا لَنَدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾^(١) . وهو ينبيء أنّ الله سبحانه وتعالى لم ينس نبيّه صلى الله عليه وآله وأله شيئاً من علم الوحي ..

قال الطبري : قالوا: وفي قول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَكِنَّ سِتْنًا لَنَدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ما ينبيء عن أنّ الله تعالى ذكره لم ينس نبيّه شيئاً مما آتاه من العلم^(٢) .

وقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣) .

والمجموع ، سيما إطلاق إنزال الذكر ، وكذا إطلاق وجوب البيان للناس ، نصّ فصيحٌ أنّ الله سبحانه وتعالى لم ينس النبي صلى الله عليه وآله شيئاً من العلم المبذول ، ولا أذهب سبحانه عنه صلى الله عليه وآله ، وإلاّ فليس هو بنبي في فرض النسيان ، وإطلاق الآية بأباه تماماً .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلّم : (فأتيتها لأحجز بينهما، فأنسيتها) أي : أمرت بترك إخبار الناس بها ، فاحفظ .

(١) الإسراء : ٨٦ .

(٢) تفسير الطبري (ت: أحمد شاكر) ٢ : ٤٧٩ . مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٣) النحل : ٤٣-٤٤ .

ما فيه قوام الدين من علم المعصوم مفسر محتوم

فلا مشيئة فيه ، ولا محو ولا إثبات ؛ كذا قضى الله تعالى وأمضاه ، بل يستحيل غيره ،
وإلا لزم انتفاء الغرض من التشريع ، والسفه في إرسال الرسل وبعث الأنبياء ، والسفه محال
في فعل الحكيم الذي هو أحكم الحاكمين سبحانه ..

روى الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب
، عن ابن رثاب ، عن ضريس الكناسي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وعنده
أناس من أصحابه : «عجبت من قوم يتولونا ويجعلونا أئمة ، ويصفون أن طاعتنا مفترضة
عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم يكسرون حجتهم ، ويخصمون أنفسهم
بضعف قلوبهم ، فينقصونا حقنا ، ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا
والتسليم لأمرنا .

«أترون أن الله تبارك وتعالى، افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفي عنهم أخبار
السموات والأرض، ويقطع عنهم مواد العلم، فيما يرد عليهم، مما فيه قوام دينهم»؟! .

فقال له حمران : جعلت فداك ، رأيت ما كان من أمر ، قيام علي بن أبي طالب
والحسن والحسين عليهم السلام ، وخروجهم ، وقيامهم بدين الله عز ذكره ، وما أصيبوا
من قتل الطواغيت إيّاهم ، والظفر بهم ، حتى قتلوا وغلبوا؟! .

فقال أبو جعفر عليه السلام : «يا حمران ، إن الله تبارك وتعالى ، قد كان قدّر ذلك
عليهم ، وقضاه ، وأمضاه ، وحثّمه على سبيل الاختيار ، ثم أجراه ؛ فبتقدم علم إليهم من
رسول الله صلى الله عليه وآله ، قام علي والحسن والحسين عليهم السلام ، وبعلم صمت من
صمت منا ، ولو أتهم يا حمران ، حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله ، عز وجل ، وإظهار
الطواغيت عليهم ، سألوها الله عز وجل أن يدفع عنهم ذلك ، وألخوا عليه في طلب إزالة
ملك الطواغيت ، وذهاب ملكهم ، إذن لأجابهم ، ودفع ذلك عنهم ، ثم كان انقضاء مدة
الطواغيت ، وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد ، وما كان ذلك الذي

أصابهم يا حمران لذنوب اقترفوه ، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ، ولكن لمنازل وكرامة من الله ، أراد أن يبلغوها ، فلا تذهبن بك المذاهب فيهم»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات دون كلام .

قوله عليه السلام : («أترون أن الله تبارك وتعالى، افترض طاعة أوليائه على عباده ، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ، ويقطع عنهم مواد العلم ، فيما يرد عليهم ، مما فيه قوام دينهم») ظاهرٌ في أن علم المعصوم بما فيه قوام الدين من المحتوم مطلقاً ، إجمالاً ملكوتياً وتفصيلاً دنيوياً ، بل يستحيل غيره في البرهان ، وإلا انتقض الغرض .

قوله عليه السلام : (ما فيه قوام الدين) في بعض النصوص ، عين قوله عليه السلام : (ما لا بد للعباد منه) في نصوص أخرى ، وهو ما نصّ عليه أبو جعفر الثاني عليه السلام قال : (جملة العلم فعند الله جلّ ذكره ، وأما ما لا بد للعباد منه، فعند الأوصياء) .

وبعبارة أخرى : فما فيه قوام الدين ، هو ما يتعلّق بأصول الدين وفروعه وأركانه ، التي لا تتم حقيقة الدين من دونها في دار البلاء ؛ فهذا حتم مفسّر دنيوياً ، ليس جملياً ملكوتياً منزهاً عن قيود الدنيا ؛ فلا محو فيه ولا إثبات .

ومثل قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْعَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٢) من علم المعصوم الجملي الملكوتي بأصل ما سينزله الله سبحانه من القضاء ، بيد أنه معلق على مشيئة الله سبحانه في التقديم أو التأخير ، ولا يعلم تفسير ذلك غيره سبحانه ؛ فإن عين سبحانه وتعالى زماناً دنيوياً لما سينزله أضحى مفسراً ، وإلا فهو جملي ملكوتي معلق على قيد دنيوي وإمضاء ثان .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٦٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) يونس : ٢٠ .

زبدة الفصل

العلم الإجمالي في الجملة : هو العلم المنزّه عن قيود الفقر الدنيويّة .

أشرفه علم الله تعالى الذي هو عين ذاته ، وهو منزّه عن القيود مطلقاً ، وأدنى منه علم العرش ، وهو علم المشيئة ؛ أي علمه سبحانه المتعلّق بفعله ؛ أي بما شاء وأراد خلقه وإيجاده من مخلوقاته ، وهذا العلم منزّه عن كلّ قيود الفقر إلّا كونه حادثاً مخلوقاً .

وأدنى منه علم الكرسي ، وهو المطوي في اللوح المحفوظ ؛ وفيه ما كان وما يكون وما سيكون إلى يوم القيامة ، وهو ما أودعه الله سبحانه وتعالى في رسله وملائكته وكتبه بالجعل التكويني ، أما ما بعد يوم القيامة فلا يعلمه حتماً إلّا الله سبحانه .

هذا الفصل ، بل هذا الكتاب ، سلّط الضوء على علم الكرسي ؛ أي علم اللوح المحفوظ ، والمعصوم أيّ معصوم لا يحيط حتماً بأكثر منه ، أما علم المشيئة ، أو علم العرش ، فكما قال الله سبحانه : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

قد اتّضح كلّ هذا في الطيّات السابقة ، أهمّها أمور أربعة ، سيما الأخيرين :

الأوّل : أنّ علم المعصوم بها في اللوح المحفوظ ، علم إجمالي ملكوتي بسيط قياساً بعالم الدنيا ؛ لتنزّهه عن قيود الفقر الفانية ، وقد مضت أنواع القيود الأربعة في المحتوم الإضافي .

الثاني : العلم الإجمالي الملكوتي الذي في اللوح المحفوظ ؛ لبساطته وتنزّهه عن قيود الفقر الدنيويّة الفانية ، أشرف من العلم الدنيوي المقيّد بها ، بل هو علّة لوجودها .

الثالث : إنّها العلم الإجمالي الملكوتي أشرف ؛ لكونه في البقاء دون الحدوث ، قياساً بعالم الدنيا ، أبدّي لا يفنى ؛ إذ العلم الدنيوي التفصيلي محدود ، ككون عمر هذا الإنسان أو ذلك مقيّداً بسنة سبعين فيموت ، أمّا عالم الملكوت فعالمٌ أبدّي منزّه عن هذا الفناء ..

فمقصودنا بالأبدّي بقاءً لا حدوثاً ، كونه مخلوقاً ؛ ضرورة أنّ المطلق بقاءً وحدوثاً هو الخالق وحده فقط ؛ إذ ليست لله بداية وحدوث كما في المخلوق ..

تَمَّا يَدُلُّ عَلَى أُبْدِيَّةِ الْمَلَكُوتِيِّ فِي الْبَقَاءِ دُونَ الْحُدُوثِ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَقَاطِبَةِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾^(١) وهو صريحٌ أَنَّ الْبَقَاءَ الْمَلَكُوتِيِّ دُونَ حَدُوثِهِ أَبَدِيٌّ؛ ضَرُورَةٌ أَنَّ الْجَمِيعَ حَادِثٌ مَخْلُوقٌ لَهُ بَدَايَةٌ وَجُودِيَّةٌ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى .

إِذَا اتَّضَحَ هَذَا ؛ فَعَلَّةً كَوْنِ الْعِلْمِ الْإِجْمَالِيِّ الْمَلَكُوتِيِّ ، أَشْرَفَ مِنَ التَّفْصِيلِيِّ الدُّنْيَوِيِّ ؛ لِكَوْنِ الْعِلْمِ الْمَلَكُوتِيِّ ، فِي الْبَقَاءِ دُونَ الْحُدُوثِ ، بَحْرًا مُطْلَقًا لَا يَنْضُبُ ؛ كَخِزْبَةِ أُمِّ سَلِيمِ الْوَاحِدَةِ الَّتِي كَثَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى ثَمَانِينَ قَرِصًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، بَلْ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ ، وَكَذَا مَاءُ حِجْرِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِخِلَافِ التَّفْصِيلِيِّ الدُّنْيَوِيِّ الَّذِي هُوَ فَانٌ مُتَلَاشٍ بَقَاءً وَحُدُوثًا ؛ كَعَمْرِ الْإِنْسَانِ ، وَالشَّمْرِ ، وَالْمَطَرِ ، وَ... .

وَقَدَمَضَى مَا رَوَاهُ أَبُو حَمْزَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : « وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَإِنْ زَادَ زَادَهُ اللَّهُ »^(٢) .

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وَإِنْ زَادَ زَادَهُ اللَّهُ) عِلْمٌ إِجْمَالِيٌّ مَلَكُوتِيٌّ أَبَدِيٌّ ، مُطْلَقٌ لَا نِهَائِيٌّ ، فَهُوَ ، بَقَاءٌ لَا حَدُوثًا ، بَحْرٌ لَا يَنْضُبُ مِنَ الثَّوَابِ غَيْرِ مُحَدَدٍ بِحَدِّ .

الرَّابِعُ : لَكِنْ يَبْقَى هَذَا الْعِلْمُ الْإِجْمَالِيُّ الْمَلَكُوتِيُّ اللَّوْحِيُّ الْأَشْرَفُ ، وَهُوَ عِلْمُ الْكُرْسِيِّ ، مُحْكَمٌ بِالْمَشِيئَةِ وَهُوَ عِلْمُ الْعَرْشِ ، فَمَنْ هُنَاكَ يَأْتِي الْأَمْرُ بِالْبَدَاءِ وَالْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ ، كَمَا أَنَّ عِلْمَ الْعَرْشِ مُحْكَمٌ بِعِلْمِ اللَّهِ .

(١) النساء : ٥٧ .

(٢) المحاسن (ت: جلال الحسيني) ١ : ٣٦ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

الفصل التاسع

ازدياد علم المعصوم عليه السلام أنا فأنا

زيادة علم المعصوم ، محتوم إضافي

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن بريد بن معاوية ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنَّ علياً عليه السلام كان عالماً ، والعلم يتوارث ، ولن يهلك عالم إلا بقي ، مِنْ بعده ، مَنْ يُعلم علمه ، أو ما شاء الله »^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

وروى الكليني علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن حرير ، عن زرارة والفضيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنَّ العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع ، والعلم يتوارث ، وكان علي عليه السلام عالم هذه الأمة ، وإنَّه لم يهلك منا عالم قط إلا خلفه من أهله ، من علم مثل علمه ، أو ما شاء الله »^(٢).

قلت : إسناده حسن صحيح دون كلام .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن البرقي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن عبد الحميد الطائي ، عن محمد بن مسلم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « إنَّ العلم يتوارث ، ولا يموت عالم إلا وترك من يعلم مثل علمه ، أو ما شاء الله »^(٣).

قلت : إسناده صحيح .

المقصود بالمشيئة : البداء ؛ أي : المحو والإثبات ، والتغيير والتبديل ، والتقديم والتأخير ؛ يفعل الله تعالى ذلك رحمةً بعباده ؛ ليزيدهم من فضله .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : قوله عليه السلام : (ولن يهلك عالم إلا بقي ، مِنْ بعده ، مَنْ يعلم علمه ، أو ما شاء الله) من باب الأدب مع الله تعالى ؛ وإلا كما سيأتي في الأخبار القطعية ، أن الله سبحانه شاء الله تعالى وقضى بزيادة علم المعصوم ..

والمقصود أن علم المعصوم اللاحق على فرضين :

الأول : أن يكون علم المعصوم اللاحق ، مساوياً لعلم المعصوم السابق .

الثاني : أن يكون علم المعصوم اللاحق ، أكثر من علم السابق .

والنصوص المتواترة الآتية ، صرّحت بالفرض الأول ؛ منها : صحيح زرارة ، عن الباقر عليه السلام قال : «لولا أنا نزداد لأنفدنا».

ولا يرد إشكال أن اللاحق سيكون أعلم من السابق ؛ ونتيجته أن علم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على سبيل المثال ، سيكون أكثر من علم النبي صلى الله عليه وآله!! .

فسيأتي في النصوص القطعية ، المعتضدة بالبرهان اليقيني ، أن زيادة العلم عند أمير المؤمنين مثلاً ، إنّها تعرض أولاً على النبي صلى الله عليه وآله ؛ كونه هو واسطة الفيض والرحمة على العالمين ، وكذا بين كلّ لاحق وسابق عليهم السلام أجمعين ، وسيأتي البيان .

ولا بد من التذكير أن زيادة العلم على المعصوم ، تفيض من عالم العرش والمشيئة ؛ فلقد مضت الأخبار المستفيضة ، منها ما رواه الحرشي عن الباقر قال : «إنّ لنا في ليالي الجمعة لشأنا من الشأن...؛ تؤذن للملائكة والنبين والأوصياء الموتى وأرواح الأوصياء والوصي الذي بين ظهرانكم ، يعرج بها إلى السماء ، فيطوفون بعرش ربه أسبوعاً... ، ويصبح الوصي والأوصياء ، قد ألهموا الهاماً من العلم ، علماً جماً مثل جم الغفير» .

النصّ أنّ المعصوم يزداد علماً في كلّ آن

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي نصر ، عن ثعلبة ، عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : «لولا أنّا نزداد لأنفدنا...»^(١).
قلت : إسناده صحيح بإجماع أصحابنا ، معناه ضروري .

لكن ثمة تساؤل ، أو ليس المعصوم ، عالمٌ بكلّ المكتوب في اللوح المحفوظ ، ممّا كان وما يكون إلى قيام الساعة ، وهو المبذول لهم من قبل الله تعالى ، فأيّ شيء يزدادون؟! .

قلنا : أتضح من مجموع الفصول السابقة ؛ سيما السابقين على هذا الفصل أنّ علم المعصوم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، علم إجمالي (=جُمليّ) ملكوتي بسيط ؛ أي : منزّه عن الخصائص الدنيويّة الأربع ، وهي : التقديم والتأخير ، والشدة واليسر ، والسعة والضيق ، والنسخ والثبات ؛ فلقد أوضحنا سابقاً بتفصيل لا مزيد عليه أنّ عالم الملكوت منزّه تماماً عن تلكم القيود المختصّة بعالم الدنيا فقط ..

لذلك فعلم المعصوم الجملي الملكوتي البسيط ، هو وإن كان محتوماً بالإضافة إلى عالم الملكوت ، لكنّه معلّق بالإضافة إلى عالم الدنيا الدائرة مدار تلكم الخصوصيّات والقيود ..

تحصّل من مجموع ذلك أنّ علم المعصوم في هذا الدار ، معلّق على المشيئة الدائرة مدار تلكم الخصوصيّات الدنيويّة الأربع ؛ فلا يعلم عليه السلام ما الذي سيُحمى وما الذي سيُنبئ ، إلّا إذا أطلعه الله تعالى عليه .

فالزيادة في علم المعصوم عليه السلام هي: العلم بما حتمته مشيئة الله من تلكم الخصوصيّات الدنيويّة ؛ تلكم الخصوصيّات التي هي حقيقة عالم الدنيا .
مع التذكير بأنّ عالم العرش والمشيئة ، حاكم متصرّف بكلّ العوالم ..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٥٥ . باب الأئمة يزدادون . دار الكتب الإسلاميّة ، طهران .

توهم شنيع !!

ربّما توهم أنّ العلم الحاصل عند المعصوم في عالم الدنيا بالنظر للخصائص الدنيوية الأربع ، أشرف من العلم الجملي الملكوتي البسيط المنزه عنها ؛ وذلك لأنّ العلم بالمحتوم المطلق في دار الدنيا ، لا يتحقّق إلاّ بإحاطة المعصوم بتلك الخصائص الدنيوية كالتقديم والتأخير ، فالنبيّ أوّل البعثة الشريفة وإن كان عالماً بكلّ القرآن علماً ملكوتياً بسيطاً ، منزهاً عن الوقت الدنيوي ، لكنّه صلى الله عليه وآله لم يكن يعلم متى سيأذن الله له بتلاوة سورة الفتح على الأمة ، فعلمه بذلك أشرف كونه محتوماً ؛ فهو إذن أشرف من العلم الملكوتي .

ومن ذلك علم المعصوم الحتمي بوقت الفرج الدنيوي ؛ فهذا أشرف من علمه بأصل الفرج الملكوتي المعلق على الوقت الدنيوي ، والنتيجة أنّ علم المعصوم الدنيوي بوقت الفرج ، أشرف من علمه الملكوتي بأصل الفرج دون وقته .

قلنا: هذا توهم باطلٌ شنيعٌ؛ ضرورة أنّ حقيقة علم المعصوم بالمحتوم المطلق، ليست الإحاطة بالخصائص الدنيوية ، وإنّما الإحاطة بما حتمته مشيئة الله من الخصائص .

ولا شبهة أنّ عالم العرش والمشيئة ، حاكمٌ على عالم الكرسي والتقدير، كما أنّ عالم الكرسي حاكمٌ على عالم الملكوت والقضاء ، والأخير حاكمٌ على عالم الدنيا .

فمقصود الصادق في صحيح سيف التمار الأنف في قضية موسى والخضر عليهما السلام : (ولم يعطيا علم ما هو كائن إلى يوم القيمة) هو هذه الزيادة التي حقيقتها الإحاطة بمشيئة الله العرشية في تلك الخصائص ، لا نفس الخصائص الدنيوية .

فحتى لو علم الخضر وموسى عليهما السلام ، ما هو كائن إلى قيام الساعة ، لكنّه موقوف معلق على المشيئة (=الزيادة) إثباتاً للخصائص أو محوياً ؛ لذلك قال الصادق عليه السلام عن العلم المبذول للمعصوم -من دون الزيادة- : «ليس بذلك» هاك لترى ..

النّص أنّ علم المعصوم المعلق ليس بذاك

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد الله بن الحجال ، عن أحمد بن عمر الحلبي ، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك ، إنّي أسألك عن مسألة ، ها هنا أحد يسمع كلامي؟!!!.

قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر ، فاطلع فيه ، ثم قال : يا أبا محمد ، سل عمّا بدا لك .

قال: قلت: جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم عليا عليه السلام باباً ، يفتح له منه ألف باب؟!!!.

قال: فقال: «يا أبا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألف باب ، يفتح من كل باب ألف باب .

قال: قلت: هذا والله العلم .

قال: فنكت ساعة في الأرض ثم قال: «إنّه لعلم ، وما هو بذاك» .

قال: ثم قال: يا أبا محمد ، وإن عندنا الجامعة ، وما يدرهم ما الجامعة؟! .

قال قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟! .

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه ، وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام ، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش ، وضرب يده إليّ فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟! . قال: قلت: جعلت فداك إنّما أنا لك فاصنع ما شئت . قال : فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا، كأنه مغضب .

قال: قلت : هذا والله العلم . قال عليه السلام : «إنّه لعلم وليس بذاك ، ثم سكت ساعة ثم قال : وإنّ عندنا الجفر ، وما يدرهم ما الجفر .

قال: قلت: وما الجفر؟!.

قال عليه السلام: «وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل».

قال: قلت: إن هذا هو العلم.

قال عليه السلام: «إنه لعلم وليس بذاك»، ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدرهم ما مصحف فاطمة عليها السلام».

قال قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟!.

قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله، ما فيه من قرآنكم حرف واحد». قال قلت: هذا والله العلم.

قال عليه السلام: «إنه لعلم وما هو بذاك»، ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان، وعلم ما هو كائن، إلى أن تقوم الساعة».

قال قلت: جعلت فداك هذا، والله هو العلم.

قال عليه السلام: «إنه لعلم وليس بذاك».

قال قلت: جعلت فداك، فأى شيء العلم؟!.

قال عليه السلام: «ما يحدث بالليل والنهار، الأمر من بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة»^(١).

قلت: إسناده صحيح.

والخبر -بضميمة مجموع ما تقدم- صريحٌ فصيحٌ أنّ العلم الحق، هو علم الله تعالى المكنون المخزون الذي هو عين الذات، ويتلوه في الشرف علم الغيب في مرتبة الفعل

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٤٠. باب ذكر الصحيفة. دار الكتب الإسلامية، طهران.

وأشرفه ما كان في مرتبة العرش والمشيتة ، وهذا لا يعلمه إلا هو سبحانه ، وقد يطلع المعصوم على بعضه حسب الحكمة والرحمة .

أما ما عدا ذلك ، من العلم المبذول للمعصومين عليهم السلام ، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ ، وهو علم الكرسي ، فليس بذلك ، لكن لماذا ليس بذلك ؟! ..

قلنا : لأنّه محكوم بما هو أشرف منه ، هو علم المشيتة والعرش ، وعلم المشيتة وإن كان غيباً لا يحيط به غير الله سبحانه ، إلا أنّه علم حادث إذا تعلق بالعباد وأخرج إليهم ..

فالعلم المبذول ، وهو علم اللوح المحفوظ ، أو علم التقدير ، محكومٌ بالمشيتة ؛ أي : المحو والإثبات : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ..

العلم المبذول ، محكوم بالمشيتة : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْءِئِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ..

العلم المبذول ، محكومٌ بالتغيير والتبديل : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ..

وإن شئت الاختصار ، فالعلم المبذول ، محكومٌ بزيادة الفضل واللطف والعفو والرحمة ف: ﴿مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وقال سبحانه : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ..

أصلٌ

العلم الحقّ: هو العلم بالمحتوم المطلق

روى الكليني عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن شعيب الحداد ، عن ضريس الكناسي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ، وعنده أبو بصير فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ داود ورث علم الأنبياء ، وإنّ سليمان ورث داود ، وإنّ محمداً صلى الله عليه وآله ورث سليمان ، وإنّا ورثنا محمداً صلى الله عليه وآله وإنّ عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى».

فقال أبو بصير: إنّ هذا هو العلم.

فقال عليه السلام : «يا أبا محمد ، ليس هذا هو العلم ؛ إنّما العلم ما يحدث بالليل والنهار ، يوماً بيوم ، وساعة بساعة»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله أجلة ثقات دون كلام ، وشعيب هو : ابن أعين الحدّاد الثقة على الظاهر ، وربما وقع تصحيفه إلى الخزاز ، وصفوان من أصحاب الإجماع .

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد الله بن الحجال ، عن أحمد بن عمر الحلبي ، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك ، إني أسألك...!!؟.

قلت : جعلت فداك ، فأبي شيء العلم؟!.

قال عليه السلام : «ما يحدث بالليل والنهار ، الأمر من بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة»^(٢).

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٥ . باب الأئمة ورثوا علم النبي . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني ، عن محمد بن يحيى ، عن سلمة بن الخطاب ، عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الله بن القاسم ، عن زرعة بن محمد ، عن الفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « إن سليمان ورث داود ، وإنّ محمداً ورث سليمان ، وإنّا ورثنا محمداً ، وإنّ عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور ، وتبيان ما في الألواح » .

قال قلت : إنّ هذا هو العلم؟! .

قال عليه السلام : « ليس هذا هو العلم ؛ إنّ العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم ، وساعة بعد ساعة »^(١) .

قلت : حديث صحيح ، وهذا الإسناد معتبر .

روى الصّفّار رضي الله عنه قال : حدثنا إبراهيم بن هاشم ، عن البرقي ، عن ابن سنان او غيره ، عن بشران ، عن حمران بن أعين قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : عندكم التوراة والإنجيل والزبور وما في الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى؟! .

قال عليه السلام : « نعم » . قلت : إنّ هذا هو العلم الأكبر!! .

قال عليه السلام : « يا حمران ، لو لم يكن غير ما كان ، ولكن ما يحدث الله بالليل والنهار علمه عندنا أعظم »^(٢) .

قوله عليه السلام : (ما يحدث الله بالليل والنهار علمه عندنا أعظم) لما بيّناه من أنّ مردّ هذا العلم الأعظم ، إلى علم العرش والمشيتة ، وهو أشرف ، كونه علة لما دونه .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٢٥ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: كوجة باغهي) ١٥٥ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

النص أن عالم المشيئة هو عالم الأمر

مضى قبل قليل ما رواه الكليني بإسناد صحيح عن ، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك ، فأبي شيء العلم؟! .

قال عليه السلام : « ما يحدث بالليل والنهار ، الأمر من بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة»^(١).

قلت : وقد أخرجه الصفار رضي الله عنه بأدنى تفاوت موجزاً ، بإسناد آخر قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين سعيد ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي بصير ، قال قلت: لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك أي شيء هو العلم عندكم؟! .

قال عليه السلام : « ما يحدث بالليل والنهار ، والأمر بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيمة»^(٢).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد مبهم ، لكنه معتبر بمتابعة الثقات ، صحيح بنفسه على مبنى المحقق رضي الله عنه.

وهو -بضميمة كل ما تقدم من الأخبار القطعية- صريح أن عالم الأمر في مرتبة الفعل ، هو عينه عالم العرش ، أو عالم المشيئة ما شئت فعبّر؛ لمجموع قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ..

وقوله سبحانه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾^(٣) وغير ذلك من النصوص القطعية .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٤٠ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: كوجة باغي) : ١٥٥ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

(٣) يونس : ٣ .

زيادة علم المعصوم بأهل الجنة والنار

أخرج الترمذي قال : حدثنا قتيبة، قال: حدثنا الليث، عن أبي قبيل، عن شفي بن ماتع، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟! .

فقلنا: لا يا رسول الله ، إلا أن تخبرنا .

فقال عليه السلام للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» ثم قال للذي في شماله: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار ، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً...، فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير» .

قال الترمذي : حدثنا قتيبة، قال: حدثنا بكر بن مضر، عن أبي قبيل، نحوه . وفي الباب عن ابن عمر . هذا حديث حسن صحيح ^(١) .

وروى علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن فضيل بن يسار وبريد بن معاوية ووزارة أن عبد الملك بن أعين قال لأبي عبد الله عليه السلام : إن الزيدية والمعتزلة ، قد أطافوا بمحمد بن عبد الله ، فهل له سلطان؟! .

فقال عليه السلام : «والله ، إنّ عندي لكتابين فيهما تسمية كلّ نبي ، وكلّ ملك يملك الأرض...؟! لا والله ما محمد بن عبد الله في واحد منهما» ^(٢) .

قلت : إسناده حسن صحيح دون أدنى كلام ، رواه جهازدة الفرقة وأجلة الطائفة وأساطين الملة .

(١) سنن الترمذي(ت: بشار عواد) ٤: ١٧، رقم: ٢١٤١. دار الغرب الإسلامي ، بيروت.

(٢) الكافي(ت: علي غفاري) ١: ٢٤٢. باب ذكر الصحيفة والجفر . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

ومحمد هذا هو : ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن المحض ، والكتابان هما : كتاب عليّ ومصحف فاطمة .

روى الكليني عن ، محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الصمد بن بشير ، عن فضيل بن سكرة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام .

فقال عليه السلام : «يا فضيل ، أتدري في أي شيء كنت أنظر قبيل..؟ كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام ، ليس من ملك يملك الأرض ، إلاّ وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه ، وما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً»^(١).

قلت : إسناده قويّ معتبر ، بل صحيح على بعض المباني المعتمدة .

نبّهنا مراراً أنّ بعض علم المعصوم حتمّ مطلق لا مردّ له ، مفروغ عنه لا يطرأ عليه البداء ، ومنه العلم بصنفيين من العباد ، هما : من محض الإيمان محضاً وهؤلاء في الجنة لا محالة ، كجعفر الطيّار والحزمة رضي الله عنهما ، ويقابل ذلك من محض الكفر محضاً ، وهؤلاء في النار لا محالة ، قتل النبي في بدر من رؤوس الضلال وكقتل عليّ من رؤوس الخوارج المارقين..؟ هذان الصنفان قليلان جداً في الأمة ، وأمّا من عداهما وهم أكثر العباد ، ففي معرض البداء مرجوون إلى رحمة الله ، كما فصلنا ذلك في كتابنا الفرقة الناجية ..

الزبدة : العلم بخواتيم الأكثر على نحو الحتم ، من الزيادة في العلم .

ومن ذلك علم المعصوم الحتمي أنّ بني الحسن لا يملكون ؛ لعلمه الحتمي عليه السلام بمن يملك إلى يوم القيامة ، وهذا لا ينافي حدوث زيادة في علم المعصوم ، فيمن عدا هذين الصنفيين من العباد .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٤٢ . باب ذكر الصحيفة والجفر . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

الزيادة في علوم اللوح المحفوظ المعلقة

روى القمي (٣٢٩هـ) رضي الله عنه قال : حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة»^(١).

وأخرجه من أهل السنة الترمذي قال : حدثنا يحيى بن موسى ، قال : حدثنا أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا عبد الواحد بن سليم ، قال : قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت : يا أبا محمد إن ناساً عندنا يقولون في القدر ، فقال عطاء : لقيت الوليد بن عباد بن الصامت ، قال : حدثني أبي ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى الأبد».

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح^(٢).

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عبد العظيم بن عبد الله ، قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يخطب بهذه الخطبة قال عليه السلام : «الحمد لله العالم بما هو كائن ، من قبل أن يدين له من خلقه دائن ، فاطر السماوات والأرض ، مؤلف الأسباب ، بما جرت به الأقلام ، ومضت به الأحمات ، من سابق علمه ، ومقدر حكمه... ثم إن هذه الأمور ، كلّها بيد الله ، تجري إلى أسبابها ومقاديرها ، فأمر الله يجري إلى قدره ، وقدره يجري إلى أجله ، وأجله يجري إلى كتابه ، ولكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب...»^(٣).

قلت : إسناده حسن صحيح .

(١) تفسير القمي (ت: طيب الجزائري) ٢ : ١٩٨ . مطبعة النجف .

(٢) سنن الترمذي (ت: بشار) ٥ : ٢٨١ ، رقم : ٣٣١٩ . دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ٥ : ٣٧٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قوله عليه السلام: (جرت به الأقلام ، ومضت به الأحكام...، يمحو الله ما يشاء ويثبت) صريحٌ أنّ المكتوب في اللوح المحفوظ على قسمين :

الأول : ما جرت به الأقلام .

الثاني : مضت به الأحكام .

ولا ريب أنّ الأول ، وهو ما جرت به الأقلام ، معلقٌ موقوفٌ على المشيئة والبداء ؛ لاحتجاجه عليه السلام بقول الله تعالى : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أمّا ما مضت به الأحكام ، فنافذٌ غير معلق .

قال عليّ بن إبراهيم القمي (٣٢٩هـ) : حدثني أبي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن عبدالله بن مسكان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «إذا كانت ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتابة إلى سماء الدنيا ، فيكتبون وما يكون من قضاء الله تبارك وتعالى في تلك السنة ، فإذا أراد الله أن يقدم أو يؤخر ، أو ينقص شيئاً أو يزيده ، أمر الله أن يمحو ما يشاء ، ثم أثبت الذي أراد»

قلت : وكلّ شيء عنده بمقدار ، مثبت في كتابه؟! .

قال عليه السلام : «نعم» .

قلت : فأيّ شيء يكون بعده؟! .

قال عليه السلام : «سبحان الله ، ثم يحدث الله أيضاً ما يشاء تبارك الله وتعالى»^(١) .

قلت : إسناده صحيح .

وهو صريحٌ أنّ بعض المكتوب في اللوح المحفوظ ، معلقٌ على المشيئة..! المحو والإثبات ، والتقديم والتأخير ، والشدة واليسر... .

(١) تفسير القمي (ت: طيّب الجزائري) ١ : ٣٧٦ . مؤسسة دار الكتاب ، قم .

وَمَا رواه أهل السنّة في هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه قال: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن سرح، حدثنا ابن وهب، أخبرني أبو هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله، يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»^(١).

قلت : إسناده صحيح . والكلام فيه أوضح وأضحاً إن شاء الله تعالى .

الزبدة : كلّ ما كتبه الله سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ ، ممّا هو معلق على مشيئته سبحانه ، قد تطرأ عليه زيادة لا يعلمها المعصوم عليه السلام ؛ فيكون محتوماً لا مردّ له بعد أن كان معلقاً على الخصوصيّات الأربع المذكورة في فصل المحتوم الإضافي ..

ومن هذه الزيادة التي لم يكن يعلمها حتى الملائكة ما رواه الكليني بإسناد صحيح عن الصادق قال: «إذا صعد ملكا العبد المريض إلى السماء ، عند كلّ مساء ، يقول الرب تبارك وتعالى : ماذا كتبتما لعبدِي في مرضه؟! فيقولان : الشكايَة.

فيقول سبحانه : ما أنصفت عبدي ، إن حبسته في حبس من حبسي ، ثم أمنعه الشكايَة ؛ فيقول : اكتبنا لعبدِي ، مثل ما كتبنا تكتبان له من الخير في صحته ، ولا تكتبنا عليه سيئة حتى أطلقه من حبسي ؛ فإنه في حبس من حبسي».

وهو ، بضميمة صحيح زرارة عن الباقر : «فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ، ويشرطان البداء فيما يكتبان ، ثم يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه» . صريحٌ أنّ ثمة زيادة على ما في اللوح المحفوظ ، محكومة بالمشيئة ، لا يعلمها حتّى الملائكة .

(١) صحيح مسلم(ت:فؤاد عبد الباقي) ٤ : ٢٠٤٤ ، رقم : ٢٦٥٣ . إحياء التراث العربي، بيروت.

ما ينزله الله ليلة القدر زيادة محتومة

روى الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن ابن بكير ، عن زرارة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «التقدير في ليلة تسع عشرة ، والإبرام في ليلة إحدى وعشرين ، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين»^(١).
قلت : إسناده صحيح .

ومعنى الإمضاء : الحتم الذي لا يردّ ولا يبدّل ؛ فلا يطرأ عليه المحو والإثبات ، ولا التقديم ولا التأخير .

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن عيسى ، عن أبي عبد الله المؤمن ، عن إسحاق بن عمار قال : سمعته يقول وناس يسألونه يقولون الأرزاق تقسّم ليلة النصف من شعبان؟! .

قال عليه السلام : «لا والله ، ما ذاك إلّا في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان ، وإحدى وعشرين ، وثلاث وعشرين ؛ فإنّ في ليلة تسع عشرة يلتقي الجمعان ، وفي ليلة إحدى وعشرين ، يفرق كل أمر حكيم ، وفي ليلة ثلاث وعشرين ، يمضى ما أراد الله عز وجل من ذلك ، وهي ليلة القدر التي قال الله عز وجل : ﴿خير من ألف شهر﴾ .

قال قلت : ما معنى قوله : ﴿يلتقي الجمعان﴾؟! .

قال عليه السلام : «يجمع الله فيها ما أراد من تقديمه وتأخيرهِ ، وإرادته وقضائه» .

قال قلت : فما معنى يمضيه في ثلاث وعشرين؟! .

قال عليه السلام : «إنّه يفرقه في ليلة إحدى وعشرين ، ويكون له فيه البدء ، فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين أمضاه ، فيكون من المحتوم الذي لا يبدو له فيه تبارك وتعالى»^(٢).

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٤ : ١٥٩ . الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٤ : ١٥٩ . الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : إسناده صحيح على الأظهر ، رجاله ثقات سوى زكريا المؤمن ، وقد وثقه ابن قولويه في الكامل .

روى الكليني رضوان الله عليه عن ابن أبي عمير، عن محمد بن عطية، عن أبي عبد الله عليه السلام في الدعاء في شهر رمضان في كل ليلة تقول : «اللهم إني أسألك فيما تقضي وتقدر، من الأمر المحتوم، في الأمر الحكيم، من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل، أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام، المبرور حجّهم، المكفر عنهم سيئاتهم، المغفور ذنوبهم، المشكور سعيهم، وأن تجعل في ما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم، في الأمر الحكيم، في ليلة القدر، من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل، أن تطيل عمري، وأن توسع عليّ في رزقي، وأن تجعلني ممن تنتصر به لدينك، ولا تستبدل بي غيري»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن الحسن بن علي، عن عمرو بن سعيد، عن مصدق بن صدقة، عن عمار بن موسى الساباطي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، فقل : «... واجعل فيما تقضي وتقدر ، من الأمر المحتوم، فيما يفرق من الأمر الحكيم، في ليلة القدر، من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل...»^(٢).

قلت : إسناده موثق صحيح .

وروى الصدوق في العلل قال : حدثنا علي بن أحمد بن محمد قال حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، عن موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن علي بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «من لم يكتب له في الليلة التي يفرق فيها كل أمر

(١) الكافي ٢ : ٥٣١ ، رقم : ٢٥ . باب الدعاء عند الاصبح والإمساء .

(٢) الكافي ٤ : ٧٢ ، رقم : ٢ . باب الدعاء مستقبل رمضان .

حكيم ، لم يحج تلك السنة ، وهي ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان ؛ لأن فيها يكتب وفد الحاج ، وفيها يكتب الأرزاق ، والآجال وما يكون من السنة إلى السنة».

قال: قلت: فمن لم يكتب في ليلة القدر لم يستطع الحج؟!..!

فقال عليه السلام: «لا».

قلت كيف يكون هذا؟!..!

قال: لست في خصوصتكم من شيء ، هكذا الأمر^(١).

قلت: إسناده قويّ معتبر .

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حماد ، عن الحلبي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا كان الرجل على عمل ، فليدم عليه سنة ، ثم يتحول عنه إن شاء إلى غيره ، وذلك أنّ ليلة القدر يكون فيها في عامه ذلك ، ما شاء الله أن يكون»^(٢).

قلت: إسناده صحيح .

ونذكر أنّه قد مضى البيان أنّ المحتوم في ليالي القدر على قسمين مطلق وإضافي ؛ فالمطلق هو ما حتمه الله تعالى هذه الليلة ، فلا يطرأ عليه بداء ولا محو ولا إثبات .

وأما الإضافي ؛ فهو كذلك بناءً على حجّية مفهوم الغاية ، وقد اتضح جلياً ، أنّه حجّة في خصوص ما نحن فيه ، يشهد له صحيح الحلبي أعلاه ؛ فهو محتوم في هذه السنة دون التي بعدها ؛ زيادةً من الله في الفضل والرحمة .

يدلّ عليه أيضاً صحيح أبي بصير ، آخر العنوان الآتي ..

(١) علل الشرائع (ت: صادق بحر العلوم) ٢: ٤٢٠ . المكتبة الحيدرية ، النجف .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٨٢ .

السفياني وبنو العباس من المحتوم

روى الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم ، عن الفضل الكاتب قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم.

فقال عليه السلام : «ليس لكتابك جواب ، اخرج عنا» فجعلنا يسار بعضنا بعضاً.

فقال عليه السلام : «أي شيء تسارون يا فضل ، إن الله عز ذكره ، لا يعجل لعجلة العباد ، ولإزالة جبل عن موضعه ، أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله..؛ إن فلان بن فلان حتى بلغ السابع من ولد فلان».

قلت : فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟!.

قال عليه السلام : «لا تبرح الأرض يا فضل ، حتى يخرج السفياني ، فإذا خرج السفياني ، فأجيبوا إلينا ، فأجيبوا إلينا ، فأجيبوا إلينا ، وهو من المحتوم»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

والخبر صريح أن بقاء ملك بني العباس من المحتوم المطلق ، الذي لا يغيره كتاب أبي مسلم الخراساني ولا غيره ، كما أن أصل خروج السفياني آخر الزمان من المحتوم المطلق أيضاً ، لا يرد ولا يبدل ..

وقد أوضحنا أن أصل خروج السفياني ، وإن كان من المحتوم النافذ الذي لا يرد ولا يبدل ، لكنّه من المحتوم الإضافي من جهة الشدة واليسر ، وهو النوع الثاني من أنواع المحتوم الإضافي ؛ فإن أطاع العباد أضحى خروج السفياني يسيراً خفيف الوطأة ، قليل الضرر على الأمة وإلا كان شديداً مع العصيان ..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٤ : ١٥٩ . الكتب الإسلامية ، طهران .

والكلام هو الكلام في خروج القائم ؛ فخرج القائم محتوم نافذ لا يرد ولا يبدل ، لكنّه إضافي من جهة التقديم والتأخير ؛ فإن أطاع الناس عجل الله بالفرج وإلا أخره مع عدم الطاعة سبحانه ، وقد سردنا النصوص القطعية في هذين النوعين ..

وروى القمي رضي الله عنه قال : أخبرنا أحمد ابن إدريس ، قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن هارون بن خارجه ، عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : ﴿ وَكَانَ يُؤَخِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ !؟ .

قال عليه السلام : « إنَّ عند الله كتباً مرقومة ، يقدّم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء ؛ فإذا كان ليلة القدر ، أنزل الله فيها كلّ شيء يكون إلى ليلة مثلها ، فذلك قوله : ﴿ وَكَانَ يُؤَخِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ إذا أنزله وكتبه كتاب السماوات ، وهو الذي لا يؤخره»^(١) .

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .

قوله عليه السلام : (الذي لا يؤخره) المحتوم ، وهو في ليلة القدر .

الزبدة : محتوم ليلة القدر على قسمين :

الأول : المطلق ، وهو النافذ الثابت المفروغ عنه ، لا يرد ولا يبدل ولا تطرأ عليه زيادة ، ممّا يدلّ عليه صحيح أبي بصير أعلاه .

الثاني : المحكوم بالزيادة ، وهو المحتوم الإضافي ، المعلق على الخصوصيات الأربع ، أو بعضها ، تبعاً لطاعة العباد أو معصيتهم ؛ كالتقديم والتأخير في فرج القائم ، أو الشدة واليسر في خروج السفياي ، أو السعة والضيق في رزق العباد ؛ لقوله : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ أو النسخ والثبات في التكوين والتشريع : ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ وفي التشريع : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ﴾ .

امتناع الزيادة في علم الله سبحانه

زيادة العلم لا تتحقق إلا في علم الله المبذول للعباد في مرتبة الفعل والخلق ، ابتداءً من عالم العرش والمشية ، مروراً بعالم الكرسي والتقدير ، فعالم الملكوت والقضاء ، حتى عالم الدنيا الفاني ؛ ضرورة أنه مخلوق ، محدود بحدود ما شاء الله إيجاده سعةً وضيقاً ..

أما علم الله سبحانه وتعالى ، ذاك الذي في مرتبة الذات الأحديّة البسيطة ، فهو عين الوجود المحض والقدرة المطلقة ، غير محدود بحدّ ؛ فالله تعالى سبحانه أحاط بكلّ شيءٍ علماً قبل وبعد الإيجاد ، أزلاً وسرماً وأبداً .

روى الكليني عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن منصور بن حازم ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟! ..

قال عليه السلام : « لا ، من قال هذا ، فأخزاه الله »

قلت : أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، أليس في علم الله؟! ..

قال عليه السلام : « بلى قبل أن يخلق الخلق »^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ما بدا لله في شيء ، إلا كان في علمه ، قبل أن يبدوله »^(٢).

قلت : ضروري ، وهذا الإسناد صحيح .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٤٨ . باب البداء . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٤٨ . باب البداء . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

وروى الكليني والصدوق رضي الله عنهما ، واللفظ للأول عن محمد بن يحيى ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن عيسى ، عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عز و جل : «أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها ، أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها ؛ فعلم ما خلق عند ما خلق ، وما كون عند ما كون؟!» .

فوقع عليه السلام بخطه : «لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء ، كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء»^(١) .

قلت : ضروري ، وهذا الإسناد صحيح دون خلاف .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن الكاهلي ، قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء : الحمد لله منتهى علمه؟! .

فكتب عليه السلام إلي : «لا تقولن منتهى علمه ، فليس لعلمه منتهى ، ولكن قل : منتهى رضاه»^(٢) .

قلت : ضروري ، وهذا الإسناد صحيح دون خلاف .

قلت : هذا المضمون من ضروريات أهل الإسلام شيعة وسنة ، من لم يعتقد به كفر بالله ، والعياذ بالله .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٠٧ . باب البدء . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ١٠٧ . باب البدء . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

علم المعصوم علم تدبير لا غير

أتضح هذا في الجملة آنفأ ، لكن لا بد من التأكيد أن العلم على قسمين :

القسم الأول : جملة العلم .

أي كل العلم في مرتبة الذات ، وهو عين الذات ، محض بسيط منزّه عن كل قيود عالم الإمكان التي في مرتبة الفعل ، أو مرتبة المخلوق ما شئت فعبر ؛ وهذا خاص بالله تعالى وحده لا شريك له ؛ ضرورة أن الله تعالى دون سواه قدر وقضى وأمضى الأشياء .

الثاني : علم التدبير .

وهو العلم الذي لا بد للعباد منه ؛ فيه قوام دينهم ووجودهم ، به دبّر الله تعالى أمر خلقه ، وأوحاه إلى صفوة عباده أنبياء وأوصياء وملائكة ، وهو الوارد في الأخبار الشريفة بلفظ : « ما كان وما يكون حتى قيام الساعة » ، وهو على قسمين محتوم ومعلّق على المشيئة .

يدلّ عليه - عدا ما تقدّم - مجموعة من الأخبار الثابتة ..

منها ما رواه الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن أبي عبد الله ومحمد بن الحسن ، عن

سهل بن زياد ..

ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، جميعاً عن الحسن بن العباس بن الحريش ، عن

أبي جعفر الثاني عليه السلام قال : « قال أبو عبد الله عليه السلام : بينا أبي عليه السلام

يطوف بالكعبة ، إذا رجل معتجر قد قيض له ، فقطع عليه أسبوعه ، حتى أدخله إلى دار

جنب الصفا فأرسل إلي ، فكنتا ثلاثة .

فقال المعتجر : « أخبرني عن هذا العلم الذي ليس فيه اختلاف من يعلمه »؟! .

قال عليه السلام : « أما جملة العلم فعند الله جل ذكره ، وأما ما لا بد للعباد منه فعند

الأوصياء» .

قال : ففتح الرجل عجيرته ، واستوى جالساً ، وتهلّل وجهه وقال : هذه أردت ، ولها أتيت ؛ زعمت أنّ علم ، ما لا اختلاف فيه من العلم ، عند الأوصياء ، فكيف يعلمونه؟! .

قال عليه السلام : « كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه ، إلا أنهم لا يرون ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرى ؛ لأنّه كان نبياً ، وهم محدّثون ، وأنّه كان يفد إلى الله عز وجل فيسمع الوحي وهم لا يسمعون » .

فقال المعتجر : صدقت يا ابن رسول الله ، سأتيك بمسألة صعبة ؛ أخبرني عن هذا العلم ما له لا يظهر كما كان يظهر مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟! .

قال : فضحك أبي عليه السلام وقال : أباي الله عز وجل أن يطلع على علمه إلا مُتَمَحِّنًا للإيمان به ، كما قضى على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصبر على أذى قومه ولا يجاهدهم إلا بأمره ، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وأيم الله أن لو صدع قبل ذلك لكان آمناً ، ولكنه إنّا نظر في الطاعة ، وخاف الخلاف ؛ فلذلك كف ، فوددت أن عينك تكون مع مهدي هذه الأمة والملائكة ، بسيف آل داود بين السماء والأرض ، تعذب أرواح الكفرة من الأموات ، وتلحق بهم أرواح أشباههم من الأحياء ، ثم أخرج سيفاً ثم قال : ها ، إنّ هذا منها .

قال : فقال أبي : « إي والذي اصطفى محمداً على البشر » .

قال : فرد الرجل اعتجاره ، وقال أنا إلياس ، ما سألتك عن أمرك وبني منه جهالة ، غير أنني أحببت أن يكون هذا الحديث قوة لأصحابك ، وسأخبرك بآية أنت تعرفها إن خاصموها فلجوا...^(١) .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٤٣ . باب تفسير إنا أنزلناه . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قلت : إسناده مختلف فيه ، صحيح على الأقوى ، رجاله ثقات إلا الحرشي ، وهو كما بيّنا في التنبيهات أول الكتاب ، معتمد في خصوص ما نحن فيه .

الخبر كلّ بيان لاكتنام المعصوم ، أي : عدم إعلان الإمام المعصوم عليه السلام علوم السماء لمطلق الناس؟! .

فأجاب الإمام الجواد عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله ، كتم بعض العلم عن الناس ، مع عدم التقية ؛ لأنّ الله تعالى عصمه منهم كما هو صريح القرآن ، فمن باب أولى اكتنام المعصوم مع التقية .

قال المجلسي الأول (١٠٧٠هـ) : والأخبار بذلك وغيره من أنواع علومهم عليهم السلام فوق التواتر ، فمن أرادها فعليه بالمحاسن للبرقي ، والبصائر للصفار ، والكافي .

والحاصل أنّ التفويض بهذا المعنى متواتر عن الأئمة عليهم السلام وأما الذي هو الغلو فهو أن يقال : بأنّ الأئمة خالقوا السماوات والأرض ، وأنّهم محيون ومميتون ويدهم أمر العالم ، وهذا قول بما لا يعلم ، وإنّ ورد أخبار بذلك لكن لم نحقق صحتها ، ولو قيل بأنّهم شركاء الله ، فذلك كفر بالإجماع ، أما لو قالوا : بأنّهم يدعون الله تعالى فيجيبهم في ذلك أو قالوا : إنّهم كالملائكة في التفويض ، إليهم أمر الخلق كما ورد أنّ أمر الأرزاق بيد ميكائيل عليه السلام ؛ فهذا قول بما لا يعلم والاحتراز عن هذه الأقوال أحوط^(١) .

قلت : حسبنا لبيان عقيدتنا في الأئمة عليهم السلام ؛ قوله تعالى على لسان عيسى صلوات تالله عليه : ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(٢) فهذه هي عقيدتنا في المعصوم عليه السلام ، نبياً كان أم وصياً أم ملكاً ، ولا داعي للإطالة .

(١) روضة المتقين (ت: حسين الكرماني) ١٢ : ٢١٣ . مطبعة العلمية ، قم .

(٢) آل عمران : ٤٩ .

الإمام يزداد علماً إلى يوم القيامة!!

روى الكليني عن علي بن محمد ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن صفوان بن يحيى قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : « كان جعفر بن محمد عليه السلام يقول : « لو لا أنا نزداد لأنفدنا» .

ورواه الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن خالد ، عن صفوان ، عن أبي الحسن مثله^(١) .

قلت : معناه ضروريّ ، وهذان الإسنادان صحيحان ، سيما الثاني .

وروى الكليني محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن ذريح المحاربي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « يا ذريح ، لو لا أنا نزداد لأنفدنا»^(٢) .

قلت : ضروريّ ، وهذا الإسناد صحيح .

وأخرج الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي نصر ، عن ثعلبة ، عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « لو لا أنا نزداد لأنفدنا»^(٣) .

قلت : ضروريّ ، وهذا الإسناد صحيح دون كلام .

هذا الأخبار لم يتفرد بروايتها الكليني ؛ إذ الطرق إليها لفظاً أو معنىً ، كثيرة جداً تعدّت التواتر ، رواها قاطبة أصحابنا القدماء ؛ كالفيد والطوسي والصفار والقمي والبرقي والصدوق وغيرهم رضوان الله عليهم ، لا مطعن لأحد فيها ، أقل ما فيها أنّها معتصدة بعدم الخلاف ، بل الإجماع المحقق ، بل الضرورة ، هاك منها ..

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٥٤ . باب الأئمة يزدادون . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٥٤ . باب الأئمة يزدادون . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٥٤ . باب الأئمة يزدادون . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

النَّصُّ أَنَّ الْإِمَامَ يَزِيدُ عِلْمًا فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

أخرج الصَّفَّار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ، عن الحسن بن محبوب ، عن عمر بن يزيد ، قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إذا مضى الإمام يفضي من علمه في الليلة التي يمضي فيها إلى الامام القائم من بعده ، مثل ما كان يعلم الماضي؟! .

قال عليه السلام : «وما شاء الله من ذلك ، يورث كتباً ، ولا يُوكَّلُ إلى نفسه ، ويزاد في ليله ونهاره»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات الفرقة وأساطين الأمة .

وأخرج أيضاً قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن منصور بن يونس ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام الامام اذا مات ، يعلم الذي بعده في تلك الساعة مثل علمه؟! .

قال عليه السلام : «يورث كتباً ، ويزاد في كل يوم وليلة ، ولا يُوكَّلُ إلى نفسه»^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، رجاله ثقات الفرقة وأساطين الأمة وأجلة الطائفة .

وأخرج الصَّفَّار قال : حدثنا محمد بن الحسين ، عن منصور ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام وساق نحو ما سبق أعلاه؟! .

قال عليه السلام : «يا أبا محمد ، يخلفه العالم من بعده في ذلك اليوم ، أو في تلك الساعة ، مثل علمه ، يورث كتباً ، ويزاد في الليل والنهار ، ولا يكله الله إلى نفسه»^(٣).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٨٥ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٨٥ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٣) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٨٥ . مطبعة الأحدي، طهران.

وأخرج الصفار قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن منصور ، عن أبي بصير مثله^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وأخرج أيضاً قال : حدثنا محمد بن عبد الحميد ، عن محمد بن عمر بن يزيد ، عن الحسن بن عمر ، عن أبيه عن أبي عبد الله الصادق وساق مثل ما ساق عمر بن يزيد .

وأخرج الصفار قال : حدثنا الحسن بن علي ، عن أحمد بن هلال ، عن أبي مالك الحضرمي ، عن أبي الصباح ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام يكون أن يُفْضَى هذا الأمر إلى من لم يبلغ؟! .

قال عليه السلام : «نعم...؛ يورث كتباً ، ولا يكله الله إلى نفسه»^(٢).

قلت : خبر صحيح .

وأخرج الصفار قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن يعقوب السراج قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام : متى يمضي الإمام حتى يؤدي علمه إلى من يقوم مقامه من بعده؟! .

قال عليه السلام : «لا يمضي الإمام حتى يفضي علمه إلى من انتجبه الله ، ولكن يكون صامتاً معه ؛ فإذا مضى وليّ العلم ، نطق به من بعده»^(٣).

قلت : إسناده صحيح .

وأخرج الصفار قال : حدثنا أبو محمد ، عن عمران بن موسى ، عن أبي عبد الله الرازي ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن عمر بن يزيد عن أبي الحسن عليه السلام قال

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٨٥ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٨٥ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٣) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ٤٨٥ . مطبعة الأحدي، طهران.

«في الساعة التي يقبض فيها ، يصير إليه علم صاحبه فقال هو وما شاء الله ، يورث كتباً ، ولا يوكل إلى نفسه ، ويزاد في الليل والنهار» .

فقلت له : عندك تلك الكتب وذلك الميراث؟! .

فقال عليه السلام : «أي والله ، انظر فيها»^(١) .

قلت : لا حاجة للنظر في أسانيد هذه الأخبار ؛ لكثرتها الموجبة للعلم واليقين ، مع أنّ جلّها صحيح الإسناد فيما عرفت ، ناهيك عن اعتضادها بالإجماع بل الضرورة .

النبي صلى الله عليه وآله واسطة فيض المعصوم والكائنات

هذا ما عليه مشهور محققي أصحابنا رضوان الله تعالى عليهم ؛ قال التقي المجلسي رضي الله تعالى عنه : المشهور بين المحققين ، أن كل فيض ورحمة ، نزلت من الابتداء ، وتنزل أبدأ الدهر ، يتبدىء به صلى الله عليه وآله وسلم ، وبواسطته ينتشر إلى الكائنات ، كما يدل عليه الأخبار^(١).

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي نصر ، عن ثعلبة ، عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : «لولا أنا نزداد لأنفدنا»

قال : قلت : تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله؟!!!

قال عليه السلام : «أما إنه إذا كان ذلك ، عُرِضَ على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم على الأئمة ، ثم انتهى الأمر إلينا»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «ليس يخرج شيء من عند الله عز وجل ، حتى يبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم بأمر المؤمنين عليه السلام ، ثم بواحد بعد واحد ؛ لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا»^(٣).

قلت : إسناده صحيح ، ولا يضر إبهام بعض الأصحاب ؛ فيونس من أصحاب الإجماع رضوان الله عليهم .

(١) روضة المتقين ٢: ٥٥.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٥٥. باب الأئمة يزدادون . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٢٥٥. باب الأئمة يزدادون . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

وهذا رواه الصفار (٢٩٠هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، به مثله^(١).

كما قد روى الكليني رضي الله عنه ، عن علي بن محمد ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن موسى بن القاسم ح ..

ومحمد بن يحيى ، عن العمري بن علي ، جميعاً ، عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : «إنَّ لله تبارك وتعالى علمين : علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله ، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه ، فقد علمناه . وعلماً استأثر به ، فإذا بدا لله في شيء منه ، أعلمنا ذلك ، وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا»^(٢).

قلت : إسناده صحيح . والأخبار في هذا ثابتة تفيد القطع بالصدور ، لا تقتصر على ما ذكرناه ، ناهيك عن كونها معتضدة بالإجماع وعدم الخلاف ، بل الضرورة .

منها : ما أخرجه الصفار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا عبدالله بن محمد ، عن محمد بن الحسين ، عن عثمان بن عيسى ، عن سعاة بن مهران ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «إنَّ لله علمين ، علماً أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه ، فذلك قد علمناه ، وعلماً استأثر به ؛ فإنَّ بدا له في شيء منه علمنا ذلك ، وعرض على الأئمة الذي كانوا من قبلنا»^(٣).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد صحيح .

وأخرج الصفار قال : حدثنا محمد بن الحسين ، عن موسى بن سعدان ، عن عبد الله ابن القاسم ، عن سعاة بن مهران به مثله^(٤).

(١) بصائر الدرجات(ت: كوجه باغي) : ٤١٤ . مطبعة الأحدي ، طهران .

(٢) الكافي (ت: غفاري) ١ : ٢٥٥ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٣) بصائر الدرجات(ت: كوجه باغي) : ٤١٤ . مطبعة الأحدي ، طهران .

(٤) بصائر الدرجات(ت: كوجه باغي) : ٤١٤ . مطبعة الأحدي ، طهران .

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد ضعيف أو مضعّف بابن سعدان وابن القاسم ، وإتّما نسرد أمثاله لبيان كثرة الطرق ، فاحفظ .

وأخرج الصّفّار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسن بن علي بن فضال ، عن محمد بن الربيع ، عن عبد الله بن بكير ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «لولا أنا نزاد لأنفدنا» .

قال : قلت : جعلت فداك تزدون شيئاً ، ليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله؟! .

قال عليه السلام : «إنّه اذا كان ذلك أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره ، ثمّ أتى إلى عليّ عليه السلام فأخبره، ثمّ إلى واحد بعد واحد ، حتى ينتهي إلى صاحب هذا الأمر»^(١).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد ضعيف ، محمد بن الربيع مجهول الحال .

وأخرج الصّفّار قال : حدثنا إبراهيم بن هاشم ، عن أبي عبد الله البرقي رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : «إذا كان ذلك بدى برسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ الأدنى فالأدنى ، حتى ينتهي إلى صاحب الأمر الذي في زمانه»^(٢).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد صحيح ، لكنه مرسل مقطوع .

وبالجملة : الأخبار في هذا تفيد العلم والضرورة ، ناهيك عن الإجماع المحقق.

(١) بصائر الدرجات(ت: كوجه باغي): ٤١٤ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات(ت: كوجه باغي): ٤١٤ . مطبعة الأحمدي ، طهران .

الزيادة تعني جعل المعلق محتوماً

مضى ما رواه الصفار عليه السلام (٢٩٠هـ) بإسناد صحيح ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل عليّ عليه السلام عن علم النبي صلى الله عليه وآله؟! .

فقال عليه السلام : «علم النبي علم جميع النبيين ، وعلم ما كان ، وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة.. والذي نفسي بيده ، إنّي لأعلم علم النبي صلى الله عليه وآله ، وعلم ما كان ، وما هو كائن ، فما بيني وبين قيام الساعة»^(١).

وما رواه الكليني بإسناد صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنا أعلم كتاب الله ، وفيه بدء الخلق ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وفيه خبر السماء ، وخبر الأرض ، وخبر الجنة ، وخبر النار ، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن ، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي ، إن الله يقول فيه تبيان كل شيء»^(٢).

وما رواه الكليني بإسناد صحيح عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ، أو تقولون فيه؟! .

قال عليه السلام : «بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله»^(٣).

لكن في هذا إشكال كما مرّ عليك مراراً ؛ فإذا كان كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ، كما هو الحقّ ، وأنّ حلال محمد وحرامه إلى يوم القيامة ، فما معنى قول المعصوم عليه الصلاة والسلام : «لولا أنّا نزداد لأنفدنا»؟! .

إذا لا يبقى معنى للزيادة ، بل هي لغوٌ مع قول إمامنا الكاظم عليه السلام : «كلّ شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله»!! .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٧ . مطبعة الأحمدي، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٦٢ . باب الرد إلى الكتاب والسنة . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

(٣) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٦٢ . باب الرد إلى الكتاب والسنة . دار الكتب الإسلامية ، طهران.

وجوابه ببساطة في مجموع أمور :

الأول : العقيدة أنّ كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه ، حقّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لكن ذلك لا ينافي أن يرحم الله الأشقياء إذا تابوا؛ فيستبدل سيئاتهم حسنات ؛ فكونهم مكتوبين في اللوح المحفوظ أشقياء ، لا ينافيه أن يرحمهم الله تعالى مع التوبة إلى ما قبل المعاينة ؛ ضرورة أنّ الله أن يخلف وعيده في الأشقياء فيرحمهم وهذا عين والكمال ، لكن لا يخلف وعده سبحانه في السعداء فيما أخبرنا القرآن جازماً ؛ كونه عين النقص الممتنع .

الثاني : : العقيدة الحقّة أنّ كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه ، لا تنافي أن يزيد الله في فضله ؛ فيزيد المحسن إحساناً ؛ فينسىء مثلاً في أجل المتصدق ، ويكثر رزق واصل الرحم وغير ذلك...، وقد مرّت نصوص متواترة عن الفريقين في هذا .

الثالث : العقيدة الحقّة أنّ كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه ، لا تنافي أن يزداد علم المعصوم بها كان وما يكون ؛ ليكون محتوماً بعد أن كان كثيرٌ منه معلقاً على المحو والإثبات ، وقد مرّ أنّ هذا يحدث كل سنة ، بل كلّ جمعة ، بل في كلّ آن، على ما قضى الله تعالى .

الرابع : العقيدة الحقّة أنّ كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه ، لا تنافي أن يستأنف الله تعالى فضلاً جديداً على عباده ؛ فينزل عليهم نوعاً جديداً من رحمته ، لم تخطر ببال بشر حتى المعصوم عليه السلام .

وقد أوضحنا أنّ الإثبات في : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِبُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ وهو الخلق والإيجاد ، وكلّه من الله تعالى فضلٌ وخيرٌ ورحمةٌ ، على ثلاثة أقسام : منها : استئناف الله تعالى إيجاد خير لم يخطر ببال بشر ؛ ضرورة أنّ خير الله لا يتناهى ، لا حدّ له ، بل لا ينقطع كما جزم غير واحد من أهل المعرفة ، ناهيك عن مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(١).

الفصل العاشر

كتاب علي ومصحف فاطمة وميراث الأنبياء

اختلط على كثير من العوام معنى كتاب عليّ ومصحف فاطمة صلوات الله عليهما والجامعة والجفر ، ومقصودنا من هذا الفصل ، عدا التعريف بهذه الأمور القدسيّة ، بيان أنّ بعض علم المعصوم عليه السلام بما في كتاب علي والجفر ومصحف فاطمة وإن كان من المحتوم المطلق كأصل الفرّج ؛ لأنّ فيه قوام الدين وانتظام حال العباد ، إلّا أنّ بعضه الآخر محتوم إضافي ؛ لحكومة المشيئة عليه ؛ كوقت الفرّج ..

كما أنّ العلم بما في كتاب عليّ أو مصحف فاطمة ، علم إجمالي جملي مجرد عن خصائص الدنيا الخارجيّة ؛ ضرورة أنّه مكتوب يوم الميثاق ، قبل خلق الدنيا في عالم الذر ؛ فلا يكون نافذاً في الدنيا إلى بامضاء دنوي ثاب ؛ أي بعد طرو الخصائص الدنيويّة عليه بعد أن كان منزهاً عنها قبل الدنيا ، كما بيّنا ذلك في الأنواع الأربعة للمحتوم الإضافي ..

وأيضاً فقد بيّنا أنّ كتاب علي والجامعة والجفر الأبيض واللوح المحفوظ ، محتوم محض ؛ ضرورة أنّ المحتوم يعني - فيما يعني - : الموجود المخلوق في الخارج والعيان .
واللوح المحفوظ كذلك ، لكنّه من قسم الإضافي لا المطلق ؛ ضرورة طرّو الخصائص الدنيويّة عليه كالتقديم والتأخير والشدة والضعف وغير ذلك .

الحاصل : إنّ في كتاب علي والجامعة والجفر الأبيض ومصحف فاطمة ما هو محتوم مطلق لتوقف وجود الدين عليه ، وفيه ما هو محتوم إضافي لطرّو المشيئة عليه بالإضافة إلى عالم الدنيا .

عند أهل البيت الجفر الأبيض والأحمر

روى الكليني رضي الله عنه ، عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن الحسين بن أبي العلاء قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إنّ عندي الجفر الأبيض» . قال : قلت فأَي شيء فيه؟! .

قال عليه السلام : «زبور داود ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وصحف إبراهيم عليه السلام ، والحلال و الحرام ، ومصحف فاطمة ، ما أزعَم أنّ فيه قرآناً ، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ، ولا نحتاج إلى أحد ، حتى فيه الجلدة ، ونصف الجلدة ، وربع الجلدة ، وأرش الخدش . وعندي الجفر الأحمر» .

قال قلت : وأَي شيء في الجفر الأحمر؟! .

قال عليه السلام : «السلاح وذلك ؛ إنّها يفتح للدم ، يفتحه صاحب السيف للقتل» .

فقال له عبد الله بن أبي يعفور : أصلحك الله ، أيعرف هذا بنو الحسن؟! .

فقال عليه الصلاة والسلام : «إي والله ، كما يعرفون الليل أنّه ليل والنهار أنّه نهار ، ولكنهم يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والإنكار ، ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيراً لهم» .^(١)

قلت : إسناده حسن صحيح دون كلام .

الزبدة : الجفر الأبيض يضمّ : (زبور داود ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وصحف إبراهيم عليه السلام ، والحلال و الحرام ، ومصحف فاطمة ، ما أزعَم أنّ فيه قرآناً ، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ، ولا نحتاج إلى أحد ، حتى فيه الجلدة ، ونصف الجلدة ، وربع الجلدة ، وأرش الخدش) .

النص أنّ الجفر لا ينظر فيه إلاّ معصوم

مضى ما رواه الكليني بإسناد صحيح الحلبي ، عن أبي بصير قال: وإنّ عندنا الجفر ، وما يدرهم ما الجفر ..؟ وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين ، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل».

وروى الكليني رضي الله عنه ، عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن معاوية بن حكيم ، عن نعيم القابوسي ، عن أبي الحسن عليه السلام أنّه قال : «إنّ ابني علياً أكبر ولدي ، وأبرّهم عندي وأحبهم إليّ ، وهو ينظر معي في الجفر ، ولم ينظر فيه إلاّ نبي أو وصي نبي»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، أو موثق على اصطلاح متأخري أصحابنا رضي الله عنهم .

قول الكاظم عليه السلام : (ابني علياً أكبر ولدي) هو الإمام عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليه (ينظر معي في الجفر ، ولم ينظر فيه إلاّ نبي أو وصي نبي) صريح أنّ النظر في الجفر من مختصات العصمة ؛ للسنخية بين المعصوم وعلوم اللدن التي في الجفر ؛ فكلاهما من القدس والملكوت ، وقد مضى أنّ حقيقة المعصوم هي روح القدس .

أما بقية الناس فيمتنع إحاطتهم بالجفر ؛ ضرورة أنّ أرواحهم ليست قدسية ، وقد ذكرنا أول الكتاب امتناع احاطة الأدنى الدنيويّ الخسيس ، بالأعلى القدسيّ الشريف ؛ إذ لا سنخية كاملة بينهما إلاّ الفطرة ، وهي لا تنهض إلاّ لمعرفة الخالق والخير والشر ، أما الإحاطة بجملة علوم اللدن بقسميها : الملكوتي والقدسي الجبروتي ، المطوية في اللوح المحفوظ فممتنع ، ولا بأس بالتذكير ، وقد مضى مفصلاً في فصل العرش ، أنّ علوم اللدن على قسمين : الأوّل : علم العرش ، وهو علم الغيب المستور ، في مرتبة المشيئة والإرادة . والثاني : علم الكرسي ، وهو علم الغيب الظاهر في مرتبة التقدير والقضاء .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١: ٣١٢. دار الكتب الإسلامية، طهران.

النص أن الجفر مستنسخ ألواح موسى

أخرج الصفّار قال : حدثنا أبو محمد ، عن عمران بن موسى ، عن موسى بن جعفر البغدادي ، عن علي بن أسباط ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنّ في الجفر أنّ الله تبارك وتعالى لما أنزل ألواح موسى عليه السلام ، أنزلها عليه وفيها تبيان كلّ شيء ، وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، فلما انقضت أيام موسى أوحى الله إليه أن استودع الألواح ، وهي زبرجدة من الجنة الجبل ، فأتى موسى الجبل فانشق له الجبل ، فجعل فيه الألواح ملفوفة ، فلما جعلها فيه انطبق الجبل عليها ، فلم تنزل في الجبل حتى بعث الله نبيه محمداً ، فاقبل ركب من اليمن يردون النبي ، فلما انتهوا إلى الجبل انفرج الجبل وخرجت الألواح ملفوفة كما وضعها موسى ، فأخذها القوم فلما وقعت في أيديهم ألقى في قلوبهم أن لا ينظروا إليها وهابوها حتى يأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنزل الله جبرئيل على نبيه فأخبره بأمر القوم وبالذي أصابوا ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وآله ابتدأهم النبي فسألهم عمّا وجدوا ، فقالوا وما علمك بما وجدنا؟! فقال «أخبرني به ربي ، وهي الألواح». قالوا : نشهد أنّك رسول الله فأخرجوها ودفعوها إليه ، فنظر إليها وقرأها وكتابها بالعبراني ، ثمّ دعا أمير المؤمنين عليه السلام فقال : «دونك هذه ، ففيها علم الأولين وعلم الآخرين ، وهي ألواح موسى ، وقد أمرني ربي أن ادفعها إليك» قال : يارسول الله ، لست أحسن قرائتها. قال : «إنّ جبرئيل أمرني أن أمرك أن تضعها تحت رأسك ليلتك هذه ، فإنّك تصبح وقد علمت قرائتها». قال : «فجعلها تحت رأسه فأصبح وقد علمه الله كلّ شيء فيها فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينسخها فنسخها في جلد شاة ، وهو الجفر ، وفيه علم الاولين والآخرين وهو عندنا ، والألواح وعصا موسى عندنا ونحن ورثنا النبي صلى الله عليه وآله»^(١).

قلت : إسناده مختلف فيه.

مصحف فاطمة صلوات الله عليها

روى الصفّار قال : حدثنا عبدالله بن جعفر ، عن موسى بن جعفر ، عن الوشا ، عن أبي حمزة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله ، وإنّما هو شيء ألقى عليها بعد موت أبيها صلى الله عليها»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

روى الصفّار رضي الله عنه قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن الحسين عن محمد بن ابي عمير عن عمر بن اذينة عن علي بن سعد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «الجفر إنّما هو جلد ثور مذبوح كالجراب ، فيه كتب وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيمة من حلال وحرام ، املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطه عليّ عليه السلام بيده ، وفيه مصحف فاطمة ، مافيه آية من القرآن ، وإنّ عندي خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه وسيفه ولوائه...»^(٢).

قلت : إسناده صحيح ، ابن أبي عمير من أصحاب الإجماع .

روى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن ابن رثاب ، عن أبي عبيدة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر؟! .

فقال عليه السلام : «هو جلد ثور مملوء علماً» .

قال له : فالجامعة؟! .

قال عليه السلام : «تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم ، مثل فخذ الفالج ، فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه ، وليس من قضية إلاّ وهي فيها حتى أرش الخدش» .

قال : فمصحف فاطمة عليها السلام؟! .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٧٦ . مطبعة الأحمدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٧٦ . مطبعة الأحمدي، طهران.

قال : فسكت عليه السلام طويلاً ثم قال : «إنكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون ؛ إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً ، وكان دخلها حزن شديد على أبيها ، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ، ويطيب نفسها ، ويخبرها عن أبيها ، ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها ، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك ؛ فهذا مصحف فاطمة عليها السلام»^(١).

قلت : إسناده صحيح عند أساطين أصحابنا جميعاً .

أخرج الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن حماد بن عثمان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة ، وذلك أنّي نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام قال قلت : وما مصحف فاطمة؟! .

قال عليه السلام : «إنّ الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلاّ الله عز وجل ، فأرسل الله إليها ملكاً يسّليّ غمها ، ويحدثها ، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

فقال عليه السلام : «إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي ؛ فأعلمته بذلك ، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلّ ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً .. ؛ أما إنّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ، ولكن فيه علم ما يكون»^(٢).

قلت : حديث معتبر ، وهذا الإسناد مختلف فيه .

أخرج الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عمّن ذكره ، عن سليمان بن خالد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «إنّ في الجفر الذي يذكرونه لما

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٤١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٤١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

يسوؤهم ؛ لأنهم لا يقولون الحق ، والحق فيه ؛ فليخرجوا قضايا عليّ وفرائضه إن كانوا صادقين ، وسلوهم عن الخالات والعمات ، وليخرجوا مصحف فاطمة عليها السلام ؛ فإنّ فيه وصية فاطمة عليها السلام ، ومعه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ إن الله عز وجل يقول : ﴿ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٠).

الزبدة : في مصحف فاطمة ، علم ما يكون في ذريتها وفيمن عاصرهم من الملوك إلى يوم القيامة ، كما هو صريح الأخبار الأخرى ، وسنسردها قريباً .

إشكال عويص في مصحف فاطمة !!؟

مضى في فصل سابق أنّ المعصوم عليه السلام ، عالم بكلّ ما في اللوح المحفوظ ، فهو عليه السلام ، كما أخبرت المتواترات ، عالم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

لكن هذا ينافي تماماً قول الصادق صلوات الله عليه ، في صحيح أبي عبيدة الأنف :
(كان جبرئيل عليه السلام يأتيها...، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها ، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام)!!

قلنا : إنّنا صنفنا كلّ هذا الكتاب لدفع هذا الإشكال ، وموجز الكلام أنّ في مصحف فاطمة عليها الصلّام ما يكون إلى يوم القيامة ممّا يجري على ولدها عليها وعليهم السلام ، وهذا تام ، بيد أنّه على قسمين :

الأوّل : المحتوم المطلق .

كعدد الأئمّة المعصومين من أولادها ، وأنهم اثنا عشر معصوماً بأسمائهم وأسماء أمهاتهم عليهم السلام ، آخرهم المهدي المنتظر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، كما أنّ فيه كلّ من يملك من أهل الأرض إلى يوم القيامة .

الثاني : المحتوم الإضافي .

وهو المعلق على الخصائص الدنيويّة المشروطة بطاعة العباد وعصيانهم ، كتقديم وقت الفرج أو تأخيره ، وشدة البلاء أو ضعفه ، ويسر الأمر الإلهي وعسره ؛ كما في بقرة بني إسرائيل وغير ذلك .

الحاصل : في مصحف فاطمة القسمان المطلق والإضافي ، وكذا الأمر في كتاب علي والجامعة ، واللوح المحفوظ .

بنو الحسن مثال للمحتوم المطلق في مصحف فاطمة

أخرج الصفّار (٢٩٠هـ) رضي الله عنه قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ، عن ابن عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن جماعة سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول وقد سئل عن محمد فقال : «إنّ عندي لكتابين فيها اسم كلّ نبي ، وكل ملك يملك ، والله ما محمد بن عبد الله في أحدهما»^(١). صصص

قلت : إسناده صحيح .

والكتaban : كتاب علي ومصحف فاطمة صلوات الله عليهما ، وقوله عليه السلام : «والله ما محمد بن عبد الله في أحدهما» محتوم مطلق فيما هو واضح صادق .

وأخرج الصفّار (٢٩٠هـ) قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الصمد بن بشير ، عن فضيل سكره قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال : يا فضيل أتدري في أيّ شيء كنت أنظر فيه قبل؟! قال قلت : لا .

قال عليه السلام : «كنت انظر في كتاب فاطمة عليها السلام ، فليس ملك يملك إلّا وفيه مكتوب اسمه واسم أبيه ؛ فما وجدت لولد الحسن فيه شيء»^(٢).

قلت : صحيح .

وأخرج الصفّار قال : حدثنا عليّ بن اسماعيل ، عن صفوان بن يحيى ، عن العيص بن القاسم ، عن معلى بن خنيس قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلّا في كتاب عندي ؛ لا والله ما لمحمد بن عبد الله بن الحسن فيه اسم»^(٣).

قلت : صحيح .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٧ . مطبعة الأحمدى، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٧ . مطبعة الأحمدى، طهران.

(٣) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٧ . مطبعة الأحمدى، طهران.

وأخرج الصفار قال : حدثنا يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير ، عن محمد بن عمران ، عن سليمان بن خالد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إِنَّ عِنْدِي لَصَحِيفَةً فِيهَا اسْمُ الْمَلُوكِ ، مَا لَوْلَدَ الْحَسَنِ فِيهَا شَيْءٌ»^(١).

قلت : صحيح .

وأخرج الصفار قال : حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن محمد بن عيسى ، عن صفوان ، عن العيص بن القاسم قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : «ما من نبي ولا وصي ولا ملك ، إلا في كتاب عندي ، والله ما لمحمد بن عبد الله فيه اسم»^(٢).

قلت : صحيح .

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٧ . مطبعة الأحدي، طهران.

(٢) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٤٧ . مطبعة الأحدي، طهران.

في الجامعة كل ما يحتاج إليه الناس

روى الصفّار (٢٩٠هـ) قال: حدثنا محمد بن عيسى ، عن فضالة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته : «يقول ، وذكر ابن شبرمة في فتياه فقال : أين هو من الجامعة أملى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخطه علي عليه السلام بيده ، فيها جميع الحلال والحرام ، حتى أرش الخدش فيه»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وما رواه الكليني ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن ابن رثاب ، عن أبي عبيدة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر؟! فقال عليه السلام : «هو جلد ثور مملوء علماً».

قال له : فالجامعة؟! قال عليه السلام : «تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً ، في عرض الأديم ، مثل فخذ الفالج ؛ فيها كل ما يحتاج الناس إليه ، وليس من قضية إلا وهي فيها ، حتى أرش الخدش»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه السلام : (الأديم) الجلد المدبوغ (مثل فخذ) الجمل (الفالج) الضخم ذي السنامين ، وقوله عليه السلام : (فيها كل ما يحتاج الناس إليه) محتوم مطلق لما مضى بيانه أن ما فيه قوام الدين محتوم مطلق ، وإلا انتقض غرض الله ، وهو محال .

وأخرج الكليني عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد الله بن الحجاج ، عن أحمد بن عمر الحلبي ، عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : «يا أبا محمد ، إن عندنا الجامعة وما يدرهم ما الجامعة»!؟.

(١) بصائر الدرجات(ت: حسن كوجة): ١٦٨ . مطبعة الأحمدي، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٤١ . دار الكتب الإسلامية، طهران.

قال قلت : جعلت فداك وما الجامعة؟! .

قال عليه السلام : «صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه ، من فلق فيه ، وخط عليّ بيمينه ؛ فيها كلّ حلال وحرام ، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه ، حتى الأرش في الخدش»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه السلام : (مَنْ فَلَِقَ) من بين شفتي (فيه) فمه المقدّس .

أخرج الصفّار قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم بن عبد الحميد وأبي المعز ، عن حمران بن أعين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أشار إلى بيت كبير وقال : يا حمران ، إنّ في هذا البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً بخط علي وإملاء رسول الله ، ولو ولينا الناس لحكمتنا بينهم بما أنزل الله ، لم نعدم في هذه الصحيفة»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

وأخرج الصفّار قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ، عن الحسن بن علي الوشا ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : «إنّ عندنا صحيفة طولها سبعون ذراعاً ، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخطه عليّ بيده ، وإنّ فيها لجميع ما يحتاج إليه الناس حتى أرش الخدش»^(٣).

قلت : إسناده صحيح .

وأخرج الصفّار قال : حدثنا أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيوب ، عن القاسم عن بريد بن معاوية العجلي ، عن محمد بن مسلم قال : قال أبو جعفر

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ١ : ٢٣٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة) : ١٦٨ . مطبعة الأحدي ، طهران .

(٣) بصائر الدرجات (ت: حسن كوجة) : ١٦٨ . مطبعة الأحدي ، طهران .

عليه السلام : «إنّ عندنا صحيفة ، من كتب عليّ عليه السلام ، طولها سبعون ذراعاً ، فنحن نتبع ما فيها لا نعدوها».

قال : وسألته عن ميراث العلم ما بلغ ، أجوامع هو من العلم ، أم فيه تفسير كل شيء من هذه الأمور التي تتكلّم فيه الناس ؛ مثل الطلاق والفرايض؟! .

فقال عليه السلام : «إنّ علياً كتب العلم كلّهُ ؛ القضاء والفرايض ، فلو ظهر أمرنا ، لم يكن شيء إلاّ فيه ؛ نمضيها»^(١).

قلت : إسناده صحيح ، وفي بعض المصادر القاسم بن يزيد ، وهو تصحيف .

نماذج مما في كتاب عليّ عليه السلام

كتاب عليّ عليه السلام ، فيه ما كان وما يكون حتى قيام الساعة ، أما ما بعد ذلك فلا يعلمه على نحو الحتم إلا الله سبحانه وتعالى ، وقد أبلجنا عن هذا الأمر الجليل مفصلاً في الفصول السابقة ..

قال الصفار رحمته الله (٢٩٠هـ) : حدثنا العباس بن معروف ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل علي عليه السلام عن علم النبي صلى الله عليه وآله؟! .

فقال عليه السلام : علم النبي علم جميع النبيين ، وعلم ما كان ، وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة..! والذي نفسي بيده ، إنّي لأعلم علم النبي صلى الله عليه وآله ، وعلم ما كان ، وما هو كائن ، فما بيني وبين قيام الساعة^(١).

قلت : إسناده صحيح .

ولا بدّ من التنبيه أنّ كتاب عليّ هو ما استنسخه عليّ عن ألواح موسى وغيرها من صحف النبيين وميراثهم ، وقد تقدّم النصّ على هذا ..

وإنّما سمّي كتاب عليّ ؛ لأنّ عليّاً من كتبه بخط يده ، إملاءً عن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وآل محمد ..

في كتاب علي أخبار الماضين

أخرج القمي قال : حدثني أبي ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رباب ، عن أبي عبيدة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام : « إن قوماً من أهل أيكة ، من قوم ثمود ، وأن الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ؛ ليختبر الله طاعتهم في ذلك ، فشرعت إليهم يوم سبتهم ، في ناديتهم وقدم أبواهم ، في أنهارهم وسواقيتهم ، فبادروا إليها فأخذوا يصطادونها ، فلبثوا في ذلك ما شاء الله ، لا ينهاتهم عنها الأحبار ولا يمنعهم العلماء من صيدها ، ثم إن الشيطان أوحى إلى طائفة منهم إننا نهيتم عن أكلها يوم السبت ولم تنهوا عن صيدها ، فاصطادوا يوم السبت وكلوها فيما سوى ذلك من الأيام ، فقالت طائفة منهم الآن نسطادها ، فعتت ، وانحازت طائفة أخرى منهم ذات اليمين ، فقالوا نهاكم عن عقوبة الله أن تتعرضوا للخلاف أمره ، واعتزلت طائفة منهم ذات اليسار فسكتت فلم تعظهم ، فقالت للطائفة التي وعظتهم : ﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ فقالت الطائفة التي وعظتهم : ﴿ قَالُوا مَعذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ قال فقال الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ يعني لما تركوا ما وعظوا به مضوا على الخطيئة ، فقالت الطائفة التي وعظتهم : لا والله لا نجتمعكم ولا نبايتكم الليلة في مديتكم هذه التي عصيتم الله فيها ؛ مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعتمنا معكم ؛ فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء ، فنزلوا قريباً من المدينة ، فباتوا تحت السماء ، فلما أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله ، غدوا لينظروا ما حال أهل العصية ، فأتوا باب المدينة فإذا هو مصمت ، فدقوه فلم يجابوا ولم يسمعوا منها خبر واحد ، فوضعوا سلماً على سور المدينة ، ثم اصعدوا رجلاً منهم فأشرف على المدينة ، فنظر فإذا هو بالقوم قردة يتعاون ، فكسروا الباب فعرفت القردة أنسابها من الإنس ، ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فقال القوم للقردة : ألم نهكم؟! .

فقال علي عليه السلام : «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إني لأعرف أنسابها من هذه الأمة ، لا ينكرون ولا يغيرون ، بل تركوا ما أمروا به فتفرقوا...»^(١)

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه السلام : (إني لأعرف أنسابها من هذه الأمة) ليس نسل القردة المعذيين ؛ للنصوص الصحيحة أنّ القردة أهلكتهم الله بعد ثلاث أيام فلم يتناسلوا ، وإنّما المقصود من كان على منوالهم في الكفر والغدر ؛ كيهود بني قريضة والمنافقين .

والخبر صريحٌ جداً أنّ كتاب علي لا يقتصر على الأحكام الشرعية الفرعية ، وإنّما فيه أخبار ما كان على التفصيل .

في كتاب عليّ : الله أخذ العهد ببذل العلم

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن منصور بن حازم ، عن طلحة بن زيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قرأت في كتاب علي عليه السلام : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ عَلَى الْجَهَالِ عَهْدًا بَطْلِبِ الْعِلْمَ ، حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ عَهْدًا بِبَذْلِ الْعِلْمِ لِلْجَهَالِ ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ كَانَ قَبْلَ الْجَهْلِ »^(١).

قلت : إسناده حسن .

قوله عليه السلام ظاهرٌ في أمرين : العقيدة والشريعة ؛ فأما العقيدة ؛ فاللطف بالعباد ، ضرورة أنّ الله تعالى قضى أن لا يحاسب العباد إلاّ بعد البيان ، وأما الشريعة فوجوب بذل العلم على العلماء ، ووجوب التعلّم على الجهال .

في كتاب عليّ الإخبار بما يكون إلى يوم القيامة

روى الكليني رضي الله عنه ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن أبي خالد الكابلي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام : ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض ، ونحن المتقون ، والأرض كلّها لنا ، فمن أحيا أرضاً من المسلمين ، فليعمرها وليؤد خراجها إلى الإمام من أهل بيتي وله ما أكل منها ، فإن تركها أو أخرجها وأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمرها وأحياها ، فهو أحقّ بها من الذي تركها ؛ يؤدّي خراجها إلى الإمام من أهل بيتي ، وله ما أكل منها حتى يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف فيحويها ويمنعها ويخرجهم منها ، كما حواها رسول الله صلى الله عليه

وأله ومنعها إلا ما كان في أيدي شيعتنا ؛ فإنه يقاطعهم على ما في أيديهم ويترك الأرض في أيديهم»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

في كتاب عليّ : كرم الله يوم الحساب

وروى الكليني عن العدة ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن بريد بن معاوية ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال وهو على منبره : والذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة ، إلاّ بحسن ظنه بالله ورجائه له ، وحسن خلقه ، والكف عن اغتياب المؤمنين ، والذي لا إله إلاّ هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلاّ بسوء ظنه بالله ، وتقصيره من رجائه ، وسوء خلقه ، واغتيابه للمؤمنين ، والذي لا إله إلاّ هو لا يحسن ظن عبده مؤمن بالله ، إلاّ كان الله عند ظنّ عبده المؤمن ؛ لأنّ الله كريم بيده الخيرات ، يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ ، ثم يخلف ظنّه ورجاءه ؛ فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

في كتاب عليّ الحكمة

وروى الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن المغيرة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إنّ في كتاب علي صلوات الله عليه : إنّها مثل

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٤٠٧:١ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٧٢:٢ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

الدنيا كمثل الحية ، ما ألين مسها وفي جوفها السم النافع ؛ يحذرهما الرجل العاقل ، ويهوي إليها الصبي الجاهل»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

في كتاب عليّ : بيان الغرض من تفاوت مقدار البلاء

روى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن سماعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ في كتاب علي عليه السلام : «إنّ أشد الناس بلاء النبيون ، ثم الوصيون ، ثم الأمثل فالأمثل ، وإنّما يُبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة ، فمن صح دينه وحسن عمله اشتد بلاؤه ؛ وذلك أنّ الله عز وجل لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ، ولا عقوبة لكافر ، ومن سخف دينه وضعف عمله قل بلاؤه ، وأنّ البلاء أسرع إلى المؤمن التقى من المطر إلى قرار الأرض»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

في كتاب عليّ : عدد الكبائر

روى الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عبد الرحمن بن الحجاج ، عن عبيد بن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الكبائر؟! .

فقال عليه السلام : «هنّ في كتاب علي عليه السلام سبع : الكفر بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا بعد البينة ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة» .

قال : فقلت : فهذا أكبر المعاصي؟! . قال عليه السلام : «نعم» .

قلت : فأكل درهم من مال اليتيم ظلماً أكبر ، أم ترك الصلاة؟! .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ١٣٦ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢ : ٢٥٩ . دار الكتب الإسلامية ، طهران .

قال عليه السلام : «ترك الصلاة». قلت : فما عدت ترك الصلاة في الكبائر؟!.

فقال عليه السلام : «أي شيء أول ما قلت لك؟!». قال : قلت : الكفر.

قال عليه السلام : «فإن تارك الصلاة كافر، يعني من غير علة»^(١).

قلت : إسناده صحيح .

وروى الكليني عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب ، عن مالك بن عطية ، عن أبي عبيدة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : في كتاب علي عليه السلام ثلاث خصال ، لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن : البغي ، وقطيعة الرحم ، واليمين الكاذبة يبارز الله بها ، وإن أعجل الطاعة ثواباً ، لصلّة الرحم ، وإنّ القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون ، فتنمي أموالهم ويثرون ، وإنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم ، لتذران الديار بلقع من أهلها (=قفرٌ خالية) ، وتنقل الرحم ، وإن نقل الرحم انقطاع النسل»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

قوله عليه السلام : (وتنقل الرحم) كناية عن انقطاع النسل وانقراضه في هذه العشيرة أو العائلة ؛ لأنّها لا تصل الرحم ، وانتقالها إلى عشيرة أخرى وصولاً للرحم .

وفي بعض المصادر : (وتنقل الرحم) والمقصود انقطاع النسل بعدم قدرة الرحم على الحمل والإنجاب .

(١) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٢٧٩. دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) الكافي (ت: علي غفاري) ٢: ٢٧٩. دار الكتب الإسلامية، طهران.

علم الرضا الحتمي بنكبة البرامكة لعنهم الله

أخرج الصدوق رضوان الله عليه قال : حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن صفوان بن يحيى قال: لما مضى أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام وتكلم الرضا عليه السلام خفنا عليه من ذلك فقلت له: إنك قد أظهرت أمراً عظيماً وأنا نخاف من هذا الطاغى فقال ليجهد جهده فلا سبيل له علي، قال صفوان: فأخبرنا الثقة أن يحيى بن خالد قال للطاغى هذا علي ابنه قد قعد وادعى الامر لنفسه فقال: ما يكفيننا ما صنعنا بأبيه؟! تريد أن نقتلهم جميعا ولقد كانت البرامكة مبغضين على بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، مظهرين لهم العداوة^(١).

قلت : إسناده صحيح ، دون كلام .

قلت : قوله عليه السلام : (ليجهد جهده ، فلا سبيل له علي) حتمٌ لا تعليق فيه ، تعلمه عليه السلام إفاضةً من بحر آباءه عليهم السلام عن جدّه رسول الرحمة محمد صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن الله تعالى .

قال الصدوق في مجمل هذا : قال مصنف هذا الكتاب : إنّما علم الرضا عليه السلام ذلك ممّا وصل إليه عن آباءه عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وذلك أن جبرئيل عليه السلام قد كان نزل عليه بأخبار الخلفاء وأولادهم ، من بني أمية ، وولد العباس ، وبالحوادث التي تكون في أيامهم ، وما يجري على أيديهم ، ولا قوة إلا بالله^(٢).

وأخرج الصدوق رضي الله عنه ، قال : حدثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري العطار بنيسابور سنة اثنين وخسين وثلاثمائة قال: حدثنا علي بن محمد بن قتيبة ، عن الفضل بن شاذان ، عن صفوان بن يحيى ، عن محمد بن يعفور البلخي ، عن موسى بن

(١) عيون أخبار الرضا(ت: حسين الأعلمي) ٢: ٢٤٥ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

(٢) عيون أخبار الرضا(ت: حسين الأعلمي) ٢: ٢٤٥ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

مهران ، قال: سمعت جعفر بن يحيى يقول: سمعت عيسى بن جعفر يقول لهارون حيث توجه من الرقة إلى مكة اذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب ؛ فإنك حلفت إن ادعى أحدٌ بعد موسى الامامة ضربت عنقه صبراً، وهذا علي ابنه يدّعي هذا الأمر ، ويقال فيه ما يقال في أبيه ، فنظر إليه مغضباً فقال هارون : وما ترى ، تريد أن أقتلهم كلهم؟! قال موسى بن مهران: فلما سمعت ذلك صرت إليه: فأخبرته فقال عليه السلام: «ما لي وهم لا يقدرّون إلي على شيء»^(١).

قلت : إسناده صحيح على الأظهر .

روى الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثنا أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قالوا: حدثنا سعد بن عبد الله ، عن محمد بن عيسى بن عبيد قال: حدثنا علي بن الحكم ، عن محمد بن الفضيل قال: لما كان في السنة التي بطش هارون بآل برمك ، بدأ بجعفر بن يحيى ، وحبس يحيى بن خالد ، ونزل بالبرامكة ما نزل ، كان أبو الحسن عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ثم طأطأ رأسه، فسأل عن ذلك؟! .

فقال عليه السلام : «إني كنت ادعو الله تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبي عليه السلام ، فاستجاب الله لي اليوم فيهم ، فلما انصرف لم يلبث إلا يسيراً حتى بطش بجعفر ويحيى وتغيرت أحوالهم»^(٢).

قلت : إسناده صحيح .

(١) عيون أخبار الرضا(ت: حسين الأعلمي) ٢: ٢٤٥ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت.

(٢) عيون أخبار الرضا(ت: حسين الأعلمي) ٢: ٢٤٥ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت.

علم الرضا المحتوم أنه سيدفن جنب هارون

أخرج الصدوق (٣٨١هـ) قال : حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن عبد السلام بن صالح الهروي قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : «إني سأقتل بالسم مظلوماً ، وأقبر إلى جنب هارون ، ويجعل الله تربتي مختلف شيعتي وأهل محبتي ؛ فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة ، والذي أكرم محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة وأصطفاه على جميع الخليقة ، لا يصلي أحد منكم عند قبوري ركعتين إلاّ استحق المغفرة من الله عز وجل يوم يلقاه ، والذي أكرمنا بعد محمد صلى الله عليه وآله بالإمامة وخصنا بالوصية ، إنّ زوار قبوري لأكرم الوفود على الله يوم القيامة ، وما من مؤمن يزورني فيصيب وجهه قطرة من الماء إلاّ حرم الله تعالى جسده على النَّار»^(١).

قلت : إسناده حسن صحيح دون كلام .

أخرجه الصدوق (٣٨١هـ) في العيون قال : حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن موسى بن مهران قال : رأيت علي بن موسى الرضا عليهما السلام في مسجد المدينة وهارون يخطب فقال صلوات الله عليه : «أترونني وإياه ندفن في بيت واحد»^{(٢)؟!}.

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد قويّ ، رجاله ثقات سوى موسى بن مهران ، من أصحاب الرضا لم يوثقه أحد ، لكن ترجم له الطوسي دون طعن .

وأخرج أيضاً قال : حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنه عن عمه محمد بن أبي القاسم قال : حدثني محمد بن علي القرشي ، عن محمد بن الفضيل قال : أخبرني من سمع الرضا عليه السلام وهو ينظر إلى هارون بنمي أو بعرفات فقال : «أنا وهارون هكذا وضم

(١) عيون أخبار الرضا(ت: حسين الأعلمي) ٢: ٢٤٧ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

(٢) عيون أخبار الرضا(ت: حسين الأعلمي) ٢: ٢٤٧ . مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

بين اصبعيه فكنا لا ندري ما يعني بذلك، حتى كان من أمره بطوس ما كان، فأمر المأمون بدفن الرضا عليه السلام إلى جنب هارون^(١).

قلت : صحيح ، وهذا الإسناد ضعيف بالقرشي .

(١) عيون أخبار الرضا(ت: حسين الأعلمي) ٢: ٢٤٧. مؤسسة الأعلمي، بيروت.

النَّصُّ أَنَّ عِلْمَ الْمُعْصُومِ يَعْنِي الْقُدْرَةَ اللَّدْنِيَّةَ

مضى بيان هذا في فصل سابق ؛ فلقد مضى أنَّ حقيقة المعصوم بما هو معصوم ، هي روح القدس ، وروح القدس : ذاتُ حقيقتها العلم والقدرة اللدنيَّين .

أخرج محمد بن الحسن الصفَّار (٢٩٠هـ) قال : حدثني أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن منى الحناط ، عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام ، وقلت لهما أنتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟! قال : نعم. قلت : فرسول الله وارث علم الأنبياء كلِّما علموا؟! فقال لي : نعم. فقلت : أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرؤون الأكمه والأبرص؟! فقال لي : «نعم باذن الله».

ثم قال عليه السلام : أدن مني يا أبا محمد ، فمسح يده على عيني ووجهي ، وأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكلَّ شيء في الدار.

قال عليه السلام : أحب أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيمة ، أو تعود كما كنت ، ولك الجنة خالصاً؟! قلت : اعود كما كنت. قال : فمسح على عيني فعدت كما كنت.

قال : فحدثت به ابن ابي عمير ، فقال : أشهد أنَّ هذا حق كما أنَّ النهار حق^(١).

قلت : إسناده صحيح دون كلام .

وقال الصفَّار (٢٩٠هـ) : حدثني أحمد بن محمد ، عن عمر بن عبدالعزيز (الملقب بزحل) ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قلت له أسالك جعلت فداك عن ثلاث خصال ، انف عني فيها التقية؟! .

قال عليه السلام : «ذلك لك»

(١) بصائر الدرجات (ت: كوجة باغي): ٢٩٠. مطبعة الأحمدي ، طهران.

قلت : «الأئمة يحيون الموتى ، ويبرؤن الأكمه والأبرص ، ويمشون على الماء؟!».

قال عليه السلام : «ما أعطى الله نبياً شيئاً قط إلا وقد أعطاه محمداً صلى الله عليه وآله ، وأعطاه ما لم يكن عندهم».

قلت : وكل ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقد أعطاه أمير المؤمنين عليه السلام؟!.

قال عليه السلام : «نعم ، ثم الحسن والحسين عليهما السلام ، ثم من بعد كل إمام إماماً إلى يوم القيامة مع الزيادة التي تحدث في كل سنة ، وفي كل شهر ..، إي والله ، في كل ساعة»^(١).

قلت : إسناده معتبر ، رجاله ثقات ، إلا عمر بن عبد العزيز ، أبو حفص العربي البصري ، الملقب بزحل ، وقد روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري ، وهو لا يروي إلا عن ثقة ، وقد ورد في ذمّه ، أنه يروي المناكير ، وليس هذا بدم ؛ ضرورة أنّ الرواية أعم من الاعتقاد . قال الفضل بن شاذان : زحل ، أبو حفص يروي المناكير ، وليس بغال .

قوله عليه السلام : (فرسول الله وارث علم الأنبياء كلّما علموا...؛ أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرؤون الأكمه والأبرص...) صريح أنّ ما ورثه المعصوم عن الأنبياء من العلم يعني : القدرة اللدنيّة .

وبالجملة : إزدیاد المعصوم من العلم يعني إزدیاد في القدرة اللدنيّة ، وهو معنى قوله عليه السلام : (وأعطاه ما لم يكن عندهم) فاحفظ .

فائدة وخلاصة في ترتيب العوالم !!

قسّم أهل الحكمة وغير واحد من غيرهم العوالم إلى ثلاثة معروفة ، هي عالم الجبروت والملكوت والناسوت ، لكن لعموم الفائدة لا بأس أن نسردها ههنا بالنظر لكّل ما ذكرناه في كتابنا المتواضع هذا كالآتي :

الأوّل : عالم الجبروت .

وهو عالم القدس ، أو النور ، أو عالم العقل ، أو عالم الروح ، أو عالم المشيئة ما شئت فعبر ، هذا العالم يبدأ في أدنى رتبة الوجوديّة ، ممّا بعد السماء السابعة صعوداً إلى النور المخلوق الأوّل ، ثمّ إلى نور الأنوار سبحانه .

حقيقة هذا العالم : علمٌ وقدرةٌ لدينين لا غير ؛ هذا العالم منزّه عن التعلّق بأيّ بدن ، سواء أكان ملكوتياً باقياً كأبدان أهل الجنّة ، أو دنيوياً خسيساً فانياً كما هو حال كلّ أبدان أهل الدنيا .

في هذا العالم -فيما دون الخالق- رتبتان : هما عالم العرش ، وهو عالم الغيب الباطن في رتبة الفعل ، ويتلوه عالم الكرسي ، وهو : عالم الغيب الظاهر ، أو عالم الكيفيّة والتقدير .

الثاني : عالم الملكوت .

وهو عالم النفوس ، أي عالم تعلّق الروح أو العقل بالبدن الملكوتي الباقي الذي لا يفنى ، أشرف ما فيه سدرة المنتهى في السماء السابعة ، حيث يبتدىء هذا العالم من السماء الثانية إلى السابعة أي إلى سدرة المنتهى .

روى الصّفّار في بصائر الدرجات قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن عبدالصمد بن بشير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : انتهى النبيّ صلى الله عليه وآله إلى السماء السابعة ،

وانتهى إلى سدرة المنتهى ، قال : فقالت السدرة ماجاوزني مخلوق قبلك ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ (٨)
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿ ... ﴾^(١).

قلت : إسناده صحيح .

العالم الثالث : عالم الناسوت .

وهو عالم الملك ، أو عالم الدنيا ، أو عالم الموت والفناء ، وحقيقته تدور على تعلق
النفس بالبدن الدنيوي الفاني الخسيس .

الفهرست

٥	مقدمة
٨	تنبيهات رجالية
١٣	<u>الفصل الأول</u> : الوحي وإشكالية تباين العوالم
١٥	الإشكالية الأولى: إمتناع إحاطة العالم الأدنى بالأعلى
٥١	الإشكالية: عويصة أفضلية النبيّ على جبرائيل عليها السلام
٥٥	نبينا محمد ﷺ أشرف الكائنات: نصّاً وإجماعاً وضرورة
٥٨	رتبة جبرائيل قياساً بالنبيّ في المعراج
٧٥	<u>الفصل الثاني</u> : المعصوم والروح القدس
٧٧	التأييد بروح القدس جعل تكويني
٨٤	الروح القدس عين القدرة اللدنية
٩٠	الروح القدس عين العلم والفهم
٩٧	النص أنّ النور هو الروح القدس
١٠٣	تحقيقه في معنى البدن النوري والشيخ
١٢٠	النص أنّ عالم النور مجرّد عن البدن
١٢٤	النص أنّ النور (=روح القدس) حقيقة الإمامة والعصمة
١٣٤	ما رواه أهل السنّة من حديث النور
١٣٦	الروح القدس واسم الله الأعظم
١٤٣	النص أنّ الروح القدس معصوم
١٥٢	احتكام آدم وإبليس عند الروح القدس
١٥٦	مراتب الروح القدس الأعلى والأدنى
١٦٢	أهل البيت أول من خلق الله سبحانه
١٦٥	روح القدس بين الوحدة والكثرة
١٧٧	وحدة العقل وكثرته
١٨٢	العقل الأول هو نبينا محمد ﷺ
١٨٤	حقيقة العقل العلم والقدرة اللدنيين

- ١٩١ الفصل الثالث : هل يوحى إلى الإمام المعصوم عليه السلام
- ١٩٣ أقسام الوحي
- ١٩٧ علم المعصوم نقرّ ونكت
- ١٩٩ النكت هو الإلهام
- ٢٠٤ حديث المؤمن ينظر بنور الله
- ٢٠٨ النكت مشترك معنوي بين المعصوم والمؤمن
- ٢١١ أقسام علم المعصوم ثلاثة : ماضٍ وعاجِر وحادث
- ٢١٥ معنى أنّ أهل العصمة محدثون مفهمون
- ٢١٧ قرائة قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ ولا محدث
- ٢٢٣ النصّ أنّ العلم الحادث أفضل من الماضي
- ٢٢٤ وحي روح القدس أشرف الثلاثة عقلاً ونقلاً
- ٢٢٨ العلم الحادث هو علم المعضلات
- ٢٣٤ توهم الفرق الذاتي بين الأنبياء والأوصياء
- ٢٤٢ لجبرائيل عليه السلام ثلاثة أنحاء من الوجود
- ٤٤٤ النصّ على امتناع نزول جبرائيل بشريعة بعد النبي صلى الله عليه وآله
- ٢٤٦ العلم بواسطة روح القدس حضوري
- ٢٤٩ الفصل الرابع : علم المعصوم عليه السلام وعلم العرش
- ٢٥١ المبحث الأول : العرش حقيقة واحدة لها حيثيتان
- ٢٥٥ غرض الله سبحانه من حيثية العرش الثانية
- ٢٦٨ النصّ أنّ الكرسي والعرش فوق السماء السابعة
- ٢٧٣ المبحث الثاني : العرش بمعنى العلم اللدني
- ٢٧٧ النصّ أنّ العرش اسمٌ للعلم والقدرة اللدنيين
- ٢٧٨ النصّ أنّ الكرسيّ هو علم لدني
- ٢٨٣ النصّ أنّ علم العرش أعظم من علم الكرسيّ
- ٢٨٦ الفرق بين علم العرش وعلم الكرسي

- ٢٨٨ النَّصُّ أَنْ عِلْمَ الْمُعْصُومِ هُوَ عِلْمُ الْكُرْسِيِّ
- ٢٩٣ المبحث الثالث : من هم حملة العرش؟! ..!
- ٢٩٥ حملة العرش مختلفون باختلاف العوالم
- ٢٩٦ المعصوم يطوف بالعرش ليالي الجمعة فيزداد علماً
- ٢٩٩ أوّل من حل العرش أهل البيت عليهم السلام
- ٣٠١ المبحث الرابع : العرش بمعنى الهيئة النورية المرتبة
- ٣٠٣ معنى الأنوار الأربعة
- ٣٠٧ النصُّ أَنْ أَصُولَ الْخَلْقِ الْمَادِّيَّ أَرْبَعَةٌ
- ٣١٣ هل المعصوم عالمٌ بما فوق العرش؟! ..!
- ٣١٧ المبحث الخامس : مراتب العرش الطولية في الوجود
- ٣١٩ ترتيب وجود الإنسان في العوالم الثلاثة
- ٣٢٥ نصٌّ في مراتب الوجود الثلاث ، الديك مثلاً
- ٣٢٩ ترتيب وجود نبينا الطولي في العوالم الثلاثة
- ٣٣١ النَّصُّ أَنْ الْكَعْبَةَ مَرْتَبَةٌ وَجُودِيَّةٌ دُنْيَا لِلْعَرْشِ
- ٣٣٣ مراتب وجود الحجر الأسود في العوالم الثلاثة
- ٣٣٦ النصُّ أَنْ اللَّهَ خَلَقَ الْمَثَالَ الْأَشْرَفَ قَبْلَ الْمَثَلِ الْأَدْنَى
- ٣٤٩ الفصل الخامس : علم المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ المعلق على المشيئة
- ٣٥١ هل يعلم المعصوم الغيب؟! ..!
- ٣٥٤ إشكالية تنافي طوائف الأخبار في علم المعصوم
- ٣٥٥ الطائفة الأولى : المعصوم لا يعلم الغيب
- ٣٦١ الطائفة الثانية : المعصوم عالمٌ بما كان وما يكون إلى يوم القيامة
- ٣٧٦ النصُّ أَنْ النَّبِيَّ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا تَحْتَ الْعَرْشِ
- ٣٨٣ الطائفة الثالثة : علم المعصوم معلق على المشيئة
- ٣٨٧ صحيح حمزة الطيّار : «لله المشيئة في كل شيء»

- ٣٨٨ ما في اللوح المحفوظ معلق على المشيئة والبداء
- ٣٩١ تفسير آية الاستثناء
- ٣٩٨ مناقشة الطائفة الثانية بمفهوم الغاية
- ٣٩٩ النصّ على حجّة مفهوم الغاية في خصوص المقام
- ٤٠٥ خمسة أشياء لا يعلمها إلا الله وحده
- ٤٠٩ خروج القائم كالساعة لا يعلمها حتماً إلا الله تعالى
- ٤١١ الإمام الباقر ينفي العلم الحتمي بفرج القائم عليهما السلام
- ٤١٩ إجماع أصحابنا أنّ المعصوم لا يعلم الغيب إلا بالله سبحانه
- ٤٢٤ الفصل السادس : نماذج لعلم المعصوم عليه السلام المعلق على المشيئة
- ٤٢٧ أقسام الإنبات في آية المحو
- ٤٣٥ أبونا إبراهيم عليه السلام بين العلم المعلق والمحتوم
- ٤٤١ تفسير عويصة : ﴿ ليطمئنّ قلبي ﴾
- ٤٤٣ النبي يعقوب عليه السلام بين العلم المعلق والمحتوم
- ٤٤٥ النبي موسى بين العلم المعلق والمحتوم
- ٤٤٩ تصاريح أهل السنّة أنّ الخضر عليه السلام يعلم الغيب
- ٤٥٧ النبي يونس عليه السلام بين العلم المعلق والمحتوم
- ٤٧٣ النبي داود بين العلم المعلق والمحتوم
- ٤٨٨ علم النبي سليمان عليه السلام بموته بين الحتم والتعليق
- ٤٩١ علم عزرائيل عليه السلام بموت العباد بين الحتم والتعليق
- ٤٩٣ هل يعلم المعصوم بساعة منيته؟!
- ٥٠٢ النصّ على تخيير المعصوم بين الموت والحياة
- ٥٢١ شبهة إقدام المعصوم على الهلكة
- ٥٢٥ الفصل السابع : المحتوم المطلق والإضافي
- ٥٢٩ نصوص قطعية في معنى المحتوم
- ٥٣٧ صحيح سدير في معنى المحتوم
- ٥٤٧ صحيح حمران وعويصة طرق البداء على المحتوم

- ٥٤٥ صحيح الثمالي رحمته في المحتوم الإضافي
- ٥٥٣ حجبة مفهوم الغاية في خصوص ما نحن فيه
- ٥٥٥ تواتر طرق البدء على محتوم ليلة القدر
- ٥٦٠ معنى المحتوم المطلق
- ٥٦١ المحتوم الإضافي وأنواعه
- ٥٧١ النص أن الله حتم على العباد الإيمان لا الكفر
- ٥٧٢ المحتوم الإضافي في الوعد والوعيد
- ٥٧٦ النص أن وقت خروج القائم محتوم إضافي
- ٦٧٩ النص أن خروج السفياي محتوم إضافي
- ٥٨٢ معتبر الجازي لله المشية في النواصب
- ٥٨٥ النص أن النصب محتوم إضافي
- ٥٨٨ الأموية بين المحتوم المطلق والإضافي
- ٥٩١ معنى معار الإيمان بين المحتوم المطلق والإضافي
- ٥٩٩ الفصل الثامن : علم المعصوم عليه السلام الجملي والتفسيري
- ٦٠٣ توهم أن التفصيلي هو علم الله بالجزئيات بعد إيجادها
- ٦٠٤ مرتبة علم الله التفصيلي
- ٦٠٥ الإجمالي هو البسيط المنزه عن الحد والتركيب
- ٦٠٧ النص أن التفصيلي في مرتبة الذات عين الإجمالي
- ٦١٢ علم المعصوم إجمال وتفصيل (=تفسير)
- ٦١٣ في اللوح المحفوظ إجمال عين التفصيل
- ٦١٥ الإجمال في اللوح هو عدم الحد والقيود
- ٦٢١ مثال مادي حتى للإجمالي والتفصيلي
- ٦٢٦ المادة الإجمالية والتفصيلية ، خبزة أم سليم نموذجاً

- ٦٣٠ الوقت الإجمالي والتفصيلي ، عرش بلقيس نموذجاً
- ٦٣١ نص أن الإجمالي محتوم إضافي معلق على التقديم والتأخير
- ٦٣٤ النص أن علم النبي بالقرآن إجمالي وتفصيلي
- ٦٤٧ طولية مراتب علم الغيب الحادث الثلاث
- ٦٤٩ طولية المشية والإرادة والقدر والقضاء
- ٦٥٢ بيان منه البداء وفيه البداء
- ٦٥٣ تردد الملائكة بين الحتمين الإجمالي والتفصيلي
- ٦٥٧ حكمة البداء الرحمة ورفع الذاب
- ٦٥٩ موثق الساباطي الإمام يعلم إذا أراد أن يعلم
- ٦٦٥ نص في إرجاع الله العلم التفسيري جلياً
- ٦٦٧ ليلة القدر بين العلم الجملي والتفسيري
- ٦٦٩ ما فيه قوام الدين من علم المعصوم مفسر محتوم
- ٦٧٣ الفصل التاسع : ازدياد علم المعصوم عليه السلام أنا فأن
- ٦٧٩ علم المعصوم المعلق ليس بذاك قياساً بالمحتوم المطلق
- ٦٨٤ عالم المشيئة هو عالم الأمر
- ٦٨٧ الزيادة في علوم اللوح المعلقة
- ٦٩٥ امتناع الزيادة في علم الله
- ٧٠٠ الإمام عليه السلام يزداد علماً إلى يوم القيامة
- ٧٠٤ النبي محمد صلى الله عليه وآله واسطة الفيض المعصوم وعامة الكائنات
- ٧٠٩ الفصل العاشر : كتاب علي ومصحف فاطمة وميراث الأنبياء عليهم السلام